السحر والسحرة

من منظار القرآن والسنة

تأليف

الدكتور إبراهيم كمال أدهم

دار البشائر الإسلامية

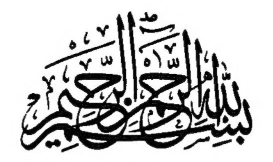



هـذا الكتاب في الأصل رسالـة علمية نـال بهـا المـؤلـف درجـة الـدكتـوراه فـي الـدراسـات الإسلامية من كلية الإمام الأوزاعي في بيروت، بـدرجـة ممتـاز، وذلـك فـي سنـة ١٩٩٠م.

طَبْعَة ثانِيَة مُنَقَّحَة
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

طبعة دار البشائر الإسلاميّة الأولى

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣ / ٠٠٩٦١١
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb



الإهــداء

إلى الحبيب المصطفى ﷺ، خير البشر وتاج الأنبياء، ومعلِّم الإنسانية ومُخرجها من الظلمات إلى النُّور بإذن الله.

إلى من لا أُحب أحدًا أكثر منه سوى ربِّي سبحانه وتعالى، إلى من جاء بالشريعةِ السَّمحاء التي بدَّدت الأوهام، وكسرت الأصنام، وقضت على المعتقدات الباطلة، ودعا إلى عبادة الله الواحد القهَّار.

إلى هذا الرسول الأمين ﷺ الذي حرَّر العقول، وأَنار الدُّروب، وأَخرج العرب من أُمة أميَّة إلى أُمة قادت العالم بأسره ردحًا من الدهر، إلى من خاطبه ربه سبحانه وتعالى فقال له: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق].

أُقدِّم كتابي المتواضع «السِّحر والسَّحرة من منظار القرآن والسنَّة» عرفانًا بالجميل، ووفاءً لقائدنا ومعلِّمنا وقدوتنا ونور عيوننا النبي ﷺ.

إبراهيم كمال أدهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾ .

[البقرة: ١٠١ ــ ١٠٢]

تقريظ بقلم د. إبراهيم العسل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصَّلاة والسَّلام على من جعل العلم فريضة وأمرنا بطلبه من المهد إلى اللحد.

اللَّـهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علمًا.

وبعد، فإن كتاب «السِّحر والسَّحرة من منظار القرآن والسنَّة» للأخ إبراهيم أدهم الذي ما كدت أبدأ بقراءته حتى شعرت بأنني قد صعدت مركبة، نقلتني إلى عالم الجن والشياطين، حيث حصلت المقابلة والتعارف، وانحلَّت عني عقدة الخوف، وأنِست إليهم بعد أن تعرَّفت إلى أجناسهم، وطبائعهم، وسلوكهم، وإلى العلاقات القائمة بينهم، وبين بني البشر.

ثم تكشَّفت لي أسرار السَّحرة، من الإنس القدماء والمُحْدَثين، وكذلك ألاعيب المشعوذين وحيلهم، واستخداماتهم لبعض طوائف من الجن الفاسقين أمثالهم.

كما تعرَّفت إلى بعض الأولياء الأتقياء الصالحين، الذين أطاعوا الله حقًّا وصدقًا، فطاعت لهم الإنس والجن، وحصلت لهم الكرامات والأعمال الخارقة، من كشوفات ماضية وحاضرة، ومن شفاء المصابين بالمسِّ، والأمراض المستعصية.

فالكتاب رحلة ممتعة إلى عالم غامض، تتكشَّف لك في نهايتها مفاهيم هذا العلم، القديم الجديد، الذي خاض في بحره الكثيرون، ولكنهم لم يفلحوا في تقريبه

إلى الأذهان والعقول بالقدر الذي استطاع به إبراهيم أدهم أن ينجزه في كتابه هذا بأسلوب شائق، جذَّاب، ممتع للغاية.

لقد اعتمد الكاتب في بياناته وحججه وإسناداته إلى القرآن الكريم، وإلى أحاديث الرسول ﷺ، وإلى وقائع الصحابة والسلف الصالح، وإلى أقوال المشاهير الأقدمين والمُحْدَثين، الذين كتبوا في هذا العلم، إلى جانب خِبراته الشخصية، واستقصاءاته الميدانية، وقد تحمل من أجلها المخاطر المختلفة، وقاوم الإغراءات المتنوعة.

لقد ابتغى وجه الله سبحانه وتعالى، ورغب أن ينتفع الناس بهذا العلم الذي هو سيف ذو حدَّين، فإما أن يؤدي بصاحبه إلى الكفر والضلال، وإما إلى الهداية والرَّشاد.

أجمل تحية وأبلغ تقدير لهذا الجهد الذي بذله الأخ إبراهيم أدهم، عسى الله أن ينفع به ضعاف الإيمان وأن يجنِّبهم الزيغ ويلهمهم الثبات.

والله الموفِّق، وبه نستعين.

د. إبراهيم العسل

مدرس منتدَب في جامعة الإمام الأوزاعي، بيروت

وأستاذ مادة علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية، طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

ونشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا.

أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فهدى به من الضلالة، وبصَّر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غُلفًا.

وفرَّق به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء الله وأعداء الله، فمن شهد له محمد ﷺ بالصلاح فهو من أولياء الرحمن، ومن شهد له بأنه من الكفار والفسَّاق فهو من أولياء الشيطان وأعوانه.

أما بعد، ففي كتابي السابق «الأسرار الخفية والأنوار البهيَّة للزيتون في القرآن والسنَّة»[1]، والذي كان موضوعًا لرسالة الماجستير التي حصلت عليها من قِبل كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت، كان السبب في انتقاء الموضوع هو أني عشت فترة في منطقة إقليم الخَرُّوب في لبنان، حيث تحتل شجرة الزيتون المقام

---

(١) أدهم، إبراهيم، الأسرار الخفية والأنوار البهية للزيتون في القرآن والسنَّة، بيروت، دار الندوة الجديدة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الأول في الزراعة وفي اهتمام الناس، فتعلَّمت الكثير عن هذه الشجرة المباركة وعن صفاتها وخصائصها، فجاءت الرسالة تتسم بالواقعية وبعيدة كل البعد عن الخيال والتنظير الصِّرف.

كذلك حين فكرت في موضوع لرسالة الدكتوراه، فضَّلت السير على المنوال نفسه، كي لا تكون الرسالة مجرَّد رصف كلام ونظريات غير قابلة للتطبيق والإفادة.

فاخترت موضوعًا أستطيع أن أكتب من خلاله بحرية كما يمكن أن أفيد منه الآخرين، وهو موضوع «السِّحر والسَّحرة من منظار القرآن والسنَّة»، وذلك لأن لي في هذا الميدان دراية وخبرة طويلة نظرية وعملية.

وخبرتي فيه لم تكن وليدة المزاولة للسحر، والعياذ بالله، بل خبرة إنسان اطَّلع على هذه الأمور كي يعلم كنهها.

فأول ما تعلمت فن التنويم المغناطيسي وبرعت فيه، وكنت فتى في الخامسة عشرة من عمري، فوقفت على أسراره وجوانبه الخفية التي لا توجد على صفحات الكتب، كما لا يمكن لأحد ممن يزاول هذا الفن أن يكشفها للناس، فيخسر قيمته وبريقه ومكانته بينهم.

واختلفت إلى السَّحرة والمشعوذين واحدًا واحدًا محاولاً الإلمام بأكبر قدر من أسرارهم وخفاياهم، كما قرأت العديد من كتب السِّحر المتداولة بين أيدي الناس، فنظرت فيها وحاولت تحليلها قدر المستطاع وتبيان حقائقها، وكانت لي مواجهات ومناظرات مع العديد من مدَّعي السِّحر، فأعانني الله على الأخذ بيد البعض ممن وقع ضحية المحتالين والدجَّالين ممن يدَّعون علم الغيب والسِّحر.

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع أيضًا، أنه موضوع غامض لم تنجل جميع جوانبه وحقائقه بعد، علمًا أن الكثير قد كتب عنه بطريقة مباشرة أو عرضًا.

كما أن ما كُتب باللغات الأجنبية عن موضوع السِّحر معظمه لا طائل تحته، فإما كُتب تحت تأثير وإيحاء الكنيسة في القرون الوسطى، أو كتب تحت تأثير علم

النفس الحديث الذي يجنح بمعظمه إلى المادية الصِّرفة، ولا يؤمن بوجود الروح ولا بالملائكة ولا بالجن.

كما أن الذي حفزني على الكتابة في هذا الموضوع الشائك والغامض، هو أن موضوع السِّحر له علاقة بالعقيدة الإسلامية، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم والحديث الشريف. ولأن الكثير من الناس وحتى المثقفين منهم يعتبرون هذا الموضوع مجرَّد خرافة وخيال. فتوخيت أن أبسط الموضوع قدر المستطاع للناس، كي يكونوا على بيِّنة من هذا الأمر، ولا يُفتنوا بآراء بعض الجهلة وقليلي الخبرة في هذا الموضوع الحسَّاس الذي يمسّ العقيدة من جانب خفي.

وما كان له علاقة بالعقيدة فتبيانه للناس واجب على من يعلمه، سواء كان عالمًا أو إنسانًا عاديًا، كي يفهم الناس أمور دينهم ويزول كل لبس وغموض من رؤوسهم تجاه الدين الحنيف.

كما يتدخل في موضوع السِّحر حق وباطل، فالذي ينفي السِّحر جملة وتفصيلاً يكون على خطأ كالذي يقبل به جملة واحدة، فتحمَّست لتبيان الصحيح من الخطأ في هذا الموضوع كباب بسيط من أبواب الجهاد.

زيادة على ذلك ينبغي الإشارة إلى أن الاعتقاد بالسِّحر يترتب عليه سلوك إنساني واجتماعي وتطور باتجاه معين، إذا أدركناه تجنَّبنا الكثير من العثرات والصعاب الاجتماعية التي تحول عادة دون تقدم المجتمع ورقيِّه.

كما أن العلوم الحديثة، بما فيها علوم الفضاء والسير على سطح القمر، قد قَلبت مفاهيم وبدَّلت اعتقادات خاطئة كانت راسخة في أذهان العامة والخاصة من الناس. لكن الغريب في الأمر أن هذه العلوم لم تتمكن من انتزاع الاعتقاد القديم القائل بروحانية الكواكب وتأثيرها على مصائر البشر وأرزاقهم، وعلى موضوع السعد والنحس، وما إلى ذلك من اعتقادات باطلة تؤدي بصاحبها إلى الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

فوجدت أنه من واجبي كمسلم أن أبيِّن هذا الأمر خاصة أن موضوع الأبراج واستشارة النجوم وتأثيرها على مصائر البشر قد كثر وشاع في أيامنا الحاضرة بشكل مثير وملفت للنظر، حتى إن الكثير من وسائل الإعلام التي تدَّعي أنها ملتزمة دينيًا قد انزلقت إلى هذه الأباطيل، التي تحمل في طياتها شعبة من شعب الكفر كما أسلفت.

ومما زاد رغبتي في تبني هذا الموضوع، أن الكثير من الناس، وخاصة أشباه المتعلمين، تُنكر وجود الجن. أما العامة فتحمل صورة مشوهة عن عالم الجن تخيفها وتقض مضاجعها، وتؤدي ببعض ضعاف النفوس إلى الوقوع ضحايا بين أيدي المشعوذين وأدعياء السِّحر، أو تؤدي ببعضهم إلى العديد من الأمراض النفسية أو حتى إلى الجنون.

فأردت أن أوضح معالم هذا العالم الخفي كما ورد في القرآن الكريم والسنَّة النبوية العطرة، كي تكون الصورة صادقة ومطابقة للواقع، لأن كل مصدر مغاير لهذين المصدرين يحتمل الصدق والكذب. كما أردت أن أبدِّد المخاوف والخرافات من قلوب وعقول الكثير من البشر الذين إذا ذكر الجن خافوا وارتعدت فرائصهم، وباتوا الليل ساهرين قلقين من هذا العالم الذي يخافنا أكثر مما نخافه.

ومن الأمور الهامة التي شجَّعتني أيضًا على انتقاء هذا الموضوع، رغبتي في محاربة ظاهرة كثرة انتشار الدجَّالين والمشعوذين والسَّحرة ومدَّعي الغيب، وحرصي على توعية الناس من كل المستويات وتنبيههم من خطر هؤلاء المنافقين على عقيدتهم وعلى جيوبهم.

وتحتوي الرسالة بالإضافة إلى المقدمة سبعة أبواب مستقلة عن بعضها البعض، لكنها تتضافر فيما بينها لتشكل وحدة متكاملة تخدم الموضوع العام، لأن عالم السِّحر كبير ومتشعِّب جدًا، وفيه تفاصيل كثيرة وفنون عديدة.

الباب الأول، موضوعه: «السِّحر والبشر»، وفيه أربعة فصول:

في الفصل الأول اجتهدت كي أعرِّف السِّحر بطريقة شاملة متكاملة، إذ أن معظم من عرَّف السِّحر عرَّفه من زاوية ضيقة وخاصة.

والفصل الثاني يحتوي تفصيلاً لأنواع السِّحر المتعدِّدة، مثل السِّحر الذي يعتمد على التصرف في خصائص المادة، والسِّحر الذي يعتمد على علم الفلك، والسِّحر الذي يعتمد على استخدام الجن، وكذلك الذي يعتمد على قوى النفس.

والفصل الثالث يوضح رأي بعض الفلاسفة والعلماء في موضوع السِّحر، ويرد على البعض الآخر فيما يخالف الشرع والعقل.

وأما الفصل الأخير من هذا الباب ففيه شرح لكيفية عمل السِّحر وتأثيره على الخلق.

أما الباب الثاني، فعنوانه: «السِّحر والجنّ»:

وهذا الباب يشتمل على دراسة معمَّقة ودقيقة عن هذا العالم الخفي الذي يشغل بال الناس ويخيف الكثير منهم، كما يثير خيال الكثيرين فيصوِّرونه على غير حقيقته.

والصورة التي نقلت عن هذا العالم في هذا الباب حاولت جهد طاقتي أن أستمدَّ مادتها أولاً من القرآن الكريم، وثانيًا من السنَّة النبوية المطهرة، وثالثًا نقلاً عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، واستبعدت القصص الخرافية التي تثار عادة حول هذا العالم الخفي.

وهذا الباب يحتوي بالإضافة إلى المقدمة الصغيرة على ثلاثة فصول:

في الفصل الأول عرَّفت الجن كما ورد في اللغة والشرع وكما عرَّفه الفلاسفة وكما تعتقد به العامة. وفي هذا الفصل إثبات أن الجن خلقوا قبل الإنس، وبحث عما إذا كان إبليس اللَّعين من الجن أم من الملائكة.

والفصل الثاني يتناول صفات الجن، فيبحث في طبيعة أجسامهم وقدرتهم على

أما الفصل الثالث فعنوانه: أديان الجن ومعتقداتها، ويشمل البحث التكاليف الشرعية المفروضة عليهم، وعمَّا إذا كان منهم أنبياء ورسل. ويبحث هذا الفصل أيضًا في علاقة الجن بالبعثة المحمدية.

أما الباب الثالث، فعنوانه: «السِّحر في عالمي الجنّ والإنس»:

في هذا الباب محاولة لإظهار حدود العلاقة بين الجن والإنس وخاصة فيما يتعلق بموضوع السِّحر، وهذا الباب فيه بالإضافة إلى المقدمة خمسة فصول:

في الفصل الأول بحث يتناول حدود العلاقة بين الجن والإنس واستخدام الإنس للجن.

والفصل الثاني يبحث في قضية هامة تشغل بال الناس كثيرًا، وهي قضية المسّ الروحي أو تلبُّس الجن بالإنس.

والفصل الثالث يتعلَّق بموضوع تحضير الأرواح وطبيعة هذا الأمر وحقيقته.

والفصل الرابع يبحث في العلاقة بين الشعراء والجن، وذكر لأسماء الجن الذين لقَّنوا أشهر الشعراء العرب الشعر.

والفصل الخامس والأخير من هذا الباب فيه محاولة لإيجاد طريقة شرعية لفكّ السِّحر معتمدًا على القرآن الكريم وعلى ما ورد عن النبي محمد ﷺ في هذا الميدان.

أما الباب الرابع، فعنوانه: «أثر السِّحر في حياة الشعوب والقادة»:

في الفصل الأول دراسة عن السِّحر عند الشعوب البدائية والقديمة وأثر السِّحر على حياتها.

والفصل الثاني يتناول أنواع السِّحر والطرق التي يستخدمها كل شعب من الشعوب أثناء ممارساتهم وطقوسهم السحرية.

أما الفصل الثالث فيكشف عن الطرق العديدة التي يستخدمها الناس لمحاولة استشفاف الغيب، وفيه أيضًا تبيان لأثر السِّحر على الأفراد وبالتالي على المجتمع.

أما الفصل الرابع فيوضح أثر السِّحر على مسيرة التاريخ، وكيف أن العديد من الأحداث ذات الشأن التي جرت كان للسِّحر والسَّحرة والمنجِّمين والعرَّافين اليد الطولى في توجيهها، وذلك بسبب نفوذهم وسيطرتهم على الناس وعلى القادة في المجتمعات.

أما الباب الخامس، فموضوعه: «السِّحر في ميزان الشرع»:

ففي الفصل الأول بحث يتناول العلاقة بين الديانتين اليهودية والنصرانية من جهة، وبين السِّحر من جهة أخرى.

أما الفصل الثاني فيظهر موقف الديانة الإسلامية من السِّحر، ويحوي دراسة عن عالم الغيب وحقيقة السِّحر من خلال القرآن الكريم وأحكام الإسلام على السِّحر والسَّحرة.

والفصل الثالث فيه مجموعة قصص تتعلق بموضوع السِّحر كقصة هاروت وماروت، وقصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الجن، وقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون والسَّحرة، وقصة المعوِّذتين، كما يوجد في هذا الفصل محاولة لاستشفاف الرواية الإسلامية الصحيحة والأحكام من كل قصة من هذه القصص.

والفصل الرابع يتناول موضوع الفرق بين السِّحر والكرامة، والسَّاحر والولي، وخصائص كل من الأمرين المتناقضين.

أما الباب السادس، فموضوعه: «السِّحر والخوارق»:

يعالج هذا الباب بعض الأمور الخارقة للعادة وفق تفسيرات الباراسيكولوجيا ـ علم النفس الماورائي ـ أي الأمور التي لا يتدخل علم النفس التقليدي في تفسيرها، ويحاول علم الباراسيكولوجيا إيجاد تفسيرات وتبريرات للعديد من الظواهر بناء على آخر المكتشفات والنظريات العلمية الحديثة.

في الفصل الأول من هذا الباب معالجة لموضوع الرؤية عن بُعد، والتراسل الفكري، والقراءة الإصبعية، ويثبت هذا الفصل صحة هذه الأمور بالشواهد والدلائل العديدة.

أما الفصل الثاني فيعالج موضوع التحكم بالمادة عن طريق الفكر، ويبحث أيضًا موضوع خرافة الجراحة الروحية التي شاعت في المدة الأخيرة وكثرت الضجة حولها بشكل مؤثر، مما جعل العديد من الناس بما فيهم الكثير من الطبقة المثقفة تنخدع بادعاءات الدجَّالين مروِّجي هذه الفكرة.

أما الفصل الثالث فيبحث في التنويم المغناطيسي، من حيث حقيقته وواقعه وأساليبه وتأثيره، والحيل والأكاذيب التي تستخدم أثناء عملية التنويم. كما يُظهر هذا الفصل أن التنويم المغناطيسي بعيد كل البعد عن المغناطيس والمغناطيسية، ويُظهر أن التنويم المغناطيسي يمكن أن يستخدم لتنويم الحيوانات. ويبحث هذا الفصل أيضًا في الطرق النفسية التي يلجأ إليها المنوِّم للتأثير على الوسيط.

أما الفصل الرابع فيعالج أيضًا موضوعًا حساسًا له علاقة بالعقيدة ما يزال الشغل الشاغل للناس في هذه الأيام، وتتناوله بعض وسائل الإعلام بطريقة ملفتة للنظر، إذ أن وراءه ما وراءه من الأمور الخفية الخادعة التي قد تنطلي حتى على قسم كبير من المتعلِّمين وأصحاب العقل الراجح. ففي هذا الفصل نتناول موضوع خروج الدم، أو العطر، أو البخور، أو الزيت، من بعض التماثيل والصور والأجسام البشرية.

أما موضوع الباب السابع والأخير من هذا البحث، فهو: «خلاصة البحث واستنتاجاته»:

ويشتمل على تحليل نفسي اجتماعي لظاهرة السِّحر الشائعة في هذه الأيام بشكل ملفت للنظر، كما يشتمل هذا الباب على قاموس للكلمات المستخدمة في عالم السِّحر، وفهرس للأعلام الواردة أسماؤهم في هذا البحث، وفهرس للأحاديث الشريفة، وفهرس للآيات القرآنية الواردة في هذا البحث.

* * *

أما الأسلوب الذي اتبعته فكما أسلفت، توخَّيت فيه أن تكون المعلومات الواردة في البحث صادقة تمامًا لا لَبس فيها، فلذلك اعتمدت أصدق كتاب وهو كتاب الله سبحانه وتعالى، القرآن الكريم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصِّلَت].

أخذت من هذا الكتاب الكريم الهيكل الأساسي الذي ركزت عليه بقية المعلومات، ليكون الأساس متينًا، لأنه لا بُنيان سليمًا بدون أساس سليم ومتين، ثم استعنت بحديث رسول الله ﷺ وخاصة الأحاديث الصحيحة التي ذهب جمهور علماء المسلمين إلى صحَّتها لتكون أعمدة هذا البناء أو البحث.

ثم تتبَّعت أخبار الخلفاء الراشدين فيما يتعلق بهذا الموضوع لتكون لَبِنات هذا البنيان الأساسية، ثم اجتهدت في طلب أخبار الصحابة والتابعين لتدعيم هذا البنيان، ثم تتبعت الموضوع من خلال كتب التفسير، فأخذت منها ما يوافق رأي الجمهور والأمة، وما هو بعيد عن الشطط والمبالغات والإسرائيليات والخرافات. وأهم كتب التفسير التي أخذت منها: تفسير ابن كثير، وتفسير الفخر الرازي، وتفسير الخازن، وتفسير سيد قطب.

ثم تتبَّعت أرصَنَ الكتب التي تتحدَّث عن السِّحر والجن، فوقفت على كتاب بدر الدين الشبلي «أحكام الجان»(١)، وهذا الكتاب أفدت منه الكثير خاصة في ما يتعلق بمعالجة موضوع الجن. وقد تبيَّن لي أن هذا الكتاب كان المصدر الرئيسي للكثير من الكتب التي عالجت الموضوع نفسه فيما بعد، مثل كتاب «لقط المرجان في أحكام الجان»(٢) لجلال الدين السيوطي، وكتاب «عالم الجن والشياطين»(٣) لعمر

---

(١) الشبلي، بدر الدين، أحكام الجان، تحقيق ودراسة السيد الجميلي، بيروت، دار ابن زيدون، بدون تاريخ، ط ١.

(٢) السيوطي، جلال الدين، لقط المرجان في أحكام الجان، تحقيق مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ط ١.

(٣) الأشقر، عمر سليمان، عالم الجن والشياطين، بيروت، دار الكتب العلمية بدون تاريخ، ط ٢.

سليمان الأشقر. ومن أجلِّ الكتب الحديثة التي تعالج موضوع المسّ الروحي وطرق معالجتها، والتي استفدت منها، كتاب وحيد عبد السلام بالي وعنوانه: «وقاية الإنسان من الجن والشيطان»[1].

وأما فيما يتعلق بموضوع السِّحر وأنواعه وتاريخه، فأخذت من كتاب «فنون السِّحر»[2] لأحمد الشنتناوي، وكتاب «دراسة في ظلال القصص القرآني والسيرة النبوية»[3] لإبراهيم الجمل، وقد أفدت من كتاب ابن تيمية «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»[4]، خاصة في الفصل الذي تناول فيه الفرق بين السِّحر والكرامة.

كما كان كتاب فتحي يكن «حكم الإسلام في السِّحر ومشتقاته»[5]، مفتاحًا للوصول إلى أمَّهات الكتب التي فيها أحكام السِّحر والسَّحرة، كما كان لكتب الفتاوى، كفتاوى ابن تيمية وحسنين مخلوف والشيخ متولي شعراوي، العون الأكبر لي في ترجيح بعض القضايا التي عالجت.

وعلى صعيد المجهود الشخصي، فإن لخلفيَّتي العلمية[6] الأثر الكبير في أن هذه الدراسة جاءت عقلية وعملية وواقعية، وبعيدة عن الأخذ في ما يرفضه المنطق والعقل، وبعيدة عن الاسترسال الإنشائي. كما أن خبرتي الطويلة في فن التنويم

---

(١) بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، القاهرة، دار البشير ١٩٧٧م، ط ١.

(٢) الشنتناوي، أحمد، فنون السحر، القاهرة، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ، ط ١.

(٣) الجمل، إبراهيم محمد، السحر دراسة في ظلال القصص القرآني والسيرة النبوية، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٢م، ط ١.

(٤) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ط ١.

(٥) يكن، فتحي، حكم الإسلام في السِّحر ومشتقاته، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ط ١.

(٦) الباحث يحمل درجة الماجستير في العلوم الطبيعية.

المغناطيسي أفادتني كثيرًا في هذه الدراسة، خاصة في الفصل الذي تحدَّثت فيه عن هذا الفن، فكل ما فيه استقيته من خبرتي العملية وملاحظاتي أثناء القيام بتنويم العديد من الوسطاء على مدى عشرين عامًا تقريبًا.

وبسبب درايتي لهذا الفن، كان العديد من السَّحرة والمنجِّمين، يتَّصلون بي، ويتودَّدون إليّ، كي أعلمهم هذا الفن. فكنت أرفض رغم إغراءاتهم المادية والمعنوية، خوفًا من الله ومن تبِعات هذا العلم ذي الحدَّين.

وبسبب هذا الاحتكاك بيني وبين هؤلاء الدجَّالين والسَّحرة، ومصارحتهم لي عن حقيقتهم التي جلُّها الجهل والكذب والإيهام، كوَّنت فكرة واضحة عن هذا الصنف من البشر الذي يعيش كالمخلوقات الطفيلية التي تمتص دماء وغذاء الضحية.

وفي نهاية بحثي، لا يفوتني إلاَّ أن أتقدم بالشكر الجزيل وبالدعاء لكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى حيِّز التنفيذ. ولمن أهدى لي كتابًا، أو أعارني مجلَّدًا، أو ساهم في رأي، أو قدَّم قُصاصة ورق تحوي مقالاً يخدم موضوعي.

وأخصُّ بالذكر كلاًّ من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت، التي كانت جد كريمة معي، فأعارتني عشرات الكتب القيمة، وأبقتها في عهدتي مدة طويلة من الزمن، تفوق وقت الإعارة المعهودة، وكما أخص بالشكر الحاج توفيق الحوري، مدَّ الله بعمره وجزاه كل خير، الذي كان يُتحفني بكل كتاب جديد عن موضوع السِّحر، كلما سافر إلى القاهرة حفظها الله.

وكما أتقدم بالشكر من الدكتور نايف معروف، الذي كان له الفضل الكبير في توجيهي وإرشادي ومساعدتي في وضع هيكلية هذا البحث. كذلك أقدم شكري وامتناني للدكتور المشرف على هذا البحث، الأب الروحي، حسن الساعاتي، مدَّ الله بعمره وجزاه كل خير وبركة، لما بذله من وقته الثمين كي يخرج هذا العمل بهذا الشكل الجيد.

وإنه لا يفوتني شكر كل من ساهم في تصحيح وتصويب بعض الكلمات والجمل في هذا العمل، فلهم من الله الجزاء والأجر.

كما عليّ أن أتقدم بالشكر الوافر لأهل بيتي وأولادي، الذين لم أوفيهم حقهم من العناية والرعاية التي تجب على ربِّ العائلة، وذلك لانشغالي بهذا العمل الشاق الطويل، الذي دام حوالي ثلاث سنوات متواصلة وفي ظروف صعبة للغاية.

فبعض ما كتبت كتبته في الملجأ، والبعض الآخر كتبته في المناطق التي تهجَّرت إليها، في حومين التحتا في جنوب لبنان، وفي دلهون وداريا في إقليم الخروب، وفي صوفر في جبل لبنان.

وفي النهاية، أشير إلى أن عملي هذا لا أبغي منه سوى مرضاة الله وتبيان أمره ونهيه في هذا الموضوع، وإن وقع فيه أي خطأ أو تقصير فإني أعتذر عن ذلك سلفًا، وإني على استعداد لتصحيحه في المستقبل، والله الموفِّق.

الدكتور إبراهيم كمال أدهم




الباب الأول

السِّحر والبشر

الفصل الأول : تعريف السِّحر .

الفصل الثاني : أنواع السِّحر .

الفصل الثالث : رأي بعض الفلاسفة والعلماء بالسِّحر .

الفصل الرابع : طرق تأثير السِّحر .



السّحر والبشر

تمهيد :

علاقة الإنسان بالسِّحر قديمة جدًّا، ترجع في قدمها إلى الأيام الأولى التي وجد فيها على وجه الأرض، حين انتابته المخاوف من ظلمة الليل، ومن وحشة المكان، وشراسة الحيوانات المفترسة، وقساوة الطبيعة، وصراعه من أجل البقاء. والسِّحر قديم قِدم الأطماع البشرية المتمثِّلة بالغيرة والحسد وحبِّ السيطرة والانتقام.

إلاَّ أنَّ هذه العلاقة بين الإنسان والسِّحر شهدت مدًّا وجزرًا، تبعًا للأزمات التي مرَّ بها، وللمعتقدات التي اعتنقها الإنسان عبر الدهور، منذ بدء الخليقة وحتى اليوم.

ففي زمن الرسل والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم، تخلَّى الإنسان بعض الشيء عن إيمانه بالسِّحر والشعوذة، وتحوَّل بوجهه نحو الخالق العظيم، يرجوه ويطلب منه العون والمدد، على حلِّ المشاكل والصعاب، والتجأ إليه طلبًا للاطمئنان من المخاوف التي كانت تنتابه بين الفينة والأخرى.

ولكن ما أن يموت الرسول أو النبي، ويفتر الإيمان، وتكثر الكوارث والفتن والمصاعب، وَتَحُلُّ الأزمات، حتى تعود حمَّى السِّحر وحمَّى الالتجاء إلى السَّحرة والمشعوذين، ويكثر التزاحم على أبوابهم.

في هذا الباب سأحاول، إن شاء الله تعالى، أن أفسِّر معنى السِّحر وأبيِّن أنواعه وضروبه، وما هو حقيقيٌّ منه، وما هو باطل ووهم وشعوذة، مستلهمًا الحقائق من كتاب الله سبحانه وتعالى، ومن حديث رسول الله ﷺ، ومن آراء وآثار الصحابة

رضوان الله عليهم أجمعين، وما تجمَّع لديَّ من خبرة في هذا الميدان نتيجة دراستي الطويلة الشاقة لهذا العلم، وما قمت به من مراقبة ميدانية للسَّحرة والمشعوذين والدجَّالين، في طول لبنان وعرضه، بحثًا عن حقيقة السِّحر، ومحاولة لجلاء غوامضه، كي لا يقع المؤمن السليم النية في شراك الدجَّالين والمشعوذين، فيخسر دنياه وآخرته.

كما سأحاول في هذا الباب أن أظهر رأي بعض العلماء والحكماء والفلاسفة في أمر السِّحر، وتبيان كيفية تأثير السِّحر وعمله.



الفصل الأول

تعريف السّحر

من الصعب حصر تعريف السِّحر بكلمات وجمل قليلة محدودة، وذلك لأنَّ كلمة السِّحر في حدّ ذاتها تُطلَق على علوم وفنون كثيرة، يلفُّها الغموض والإبهام، وتتخلَّلها الشعوذات والأوهام، والصِّدق والكذب.

لذلك وجدت من الأصوب أن أعرض أكثر من تعريف للسِّحر، من بينها: أنَّ السِّحر عمل يحاول السَّاحر به إلباس الباطل صورة الحق، وذلك بالاستعانة بالحِيل على اختلاف أنواعها، لذلك يقال: سَحَرَ الفضة، إذا طلاها بالذهب.

وكذلك ورد في القرآن الكريم شرحًا لحيلة نفسية يتَّبعها السَّحرة، وهي إرهاب الناس وتخويفهم بالإيحاء النفسي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف]، أي أنَّ السَّحرة أثَّروا على عقول الناس فأفزعوهم، مما جعل أعينهم لا ترى الأمور على حقيقتها، بل تراها كما يريد السَّحرة..

ومن التعريفات الأخرى: أنَّ السِّحر عمل يُتقرَّب به إلى الجن والشياطين، وذلك بالابتعاد عن الطهارة وترك الصلاة، والقيام بأعمال محرَّمة كقتل النفس، وشرب الخمر، والزنا والفجور والكفر، مقابل أن تعينه الجن والشياطين في سحره. ورد في لسان العرب: «السِّحر عمل يُتقرَّب فيه إلى الشيطان»[1].

---

(١) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٧٥هـ، ٤/٣٤٨.

وبهذا المعنى يقول قاموس وبستر «Webster»: «السِّحر فن يعتمد على القوى الخفية»[١]. وورد في كتاب «فنون السِّحر»: «وصفه البعض بأنه فن إحداث معلولات دون أن تكون لها علل ظاهرة، وذهب آخرون إلى أنَّ السِّحر مجرَّد باطل من الأباطيل، على أنه لا مِرية في وجود السِّحر، فقد ورد ذكره في التوراة والإنجيل والقرآن وجاء على ألسنة الرسل والأنبياء»[٢].

ويقول كتاب «الإنسان والشيطان والسِّحر»: «يقول العلماء والباحثون أنَّ السِّحر قدرة تتوفَّر عند بعض الناس فيستطيعون بها التأثير في غيرهم، أو فيمن حولهم، وهذا التأثير يكون ماديًّا في بعض الأحيان، ووهمًا في أحيان أخرى. ويقول آخرون: إنَّ السِّحر عمل يؤدي إلى نتائج تتعارض مع قوانين الطبيعة والمنطق المألوف. ويقول آخرون: إنَّ السِّحر فن له آثار لا يمكن إنكارها، وإن كان هو نفسه غامضًا لأنه يستند إلى قوانين غيبية غير قابلة للقياس أو التحليل أو التفسير.

أما علماء النفس فيقول فريق منهم: إنَّ السِّحر قدرة متفوقة على الإيحاء، يستطيع من يملكها نقل أفكاره وتصوُّراته إلى رؤوس الآخرين، فيرون ما يريد لهم أن يروه. ويقول فريق آخر: إنَّ هناك ظواهر لا يزال العلم عاجزًا أمامها، لأنها فوق المستوى الماديِّ المحسوس، وتحتاج إلى منهج جديد للتفسير لم يتوصل إليه العلم بعد، ومن هذه الظواهر: السِّحر»[٣].

أما دائرة المعارف البريطانية «Encyclopedia Britanica»، فتقول في السِّحر: «السِّحر فنٌّ من فنون الشعوب القديمة، والحضارة الحديثة مطعَّمة ببعض عناصر الاعتقاد السِّحري، لكن في الثقافة القديمة السِّحر حقيقة حيَّة، وهو عبارة عن وسيلةٍ عملية تقود الإنسان إلى النجاح في المهمَّات والملمَّات الصعبة والحرجة»[٤].

---

(١) Webster, Webster's Collegiate Dictionary, U.S.A, G. and C. Merriam Co, 1922, P 590.

(٢) الشنتناوي، أحمد، فنون السِّحر، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٧، ص ٥ ـ ٦.

(٣) إسماعيل، سعيد، الإنسان والشيطان والسِّحر، مطابع الأخبار، ١٩٨٤، ط ١، ص ١١ ـ ١٢.

(٤) Encyclopedia Britanica, U.S.A, 1970, V14, P 693.

أما ابن خلدون فيعرِّف السِّحر فيقول: «هي علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثير في عالم العناصر، إمَّا بغير مُعين، أو بمُعين من الأمور السماوية، والأول هو السِّحر، والثاني هو الطِّلَسْمات»[١].

أما الإمام الغزالي فيعرِّف السِّحر بما يلي: «السِّحر نوع من العلم يُستفاد من خواص الجواهر بأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتَّخذ من تلك الجواهر هيكلاً على صورة الشخص المسحور، ويُرصدُ به وقت مخصوص من المطالع، تقترن به كلمات يتلفَّظ بها، ويتوصَّل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين»[٢].

وفي مفتاح السعادة نجد هذا التعريف للسِّحر: «ما خفي على أكثر العقول سببه وصعُب استنباطه، وحقيقته كل ما سحر العقل، واقتادت إليه النفوس بالتعجُّب والاستحسان والإصغاء من الأقوال والأفعال. فهو علم باحث عن معرفة الأحوال الفلكية وأوضاع الكواكب وارتباطاتها مع الأمور الأرضية، من المواليد الثلاثة على الوجه الخاص، ليظهر من هذا الامتزاج أفعال غريبة وأسرار عجيبة خفية الأساليب والعلل»[٣].

ثم يقول في موضع آخر: «اعلم أنَّ استحداث الحوادث إذا كان بمجرَّد التأثير النفساني فهو السِّحر، وإن كان على سبيل الاستعاذة بالفلكيات فهو دعوة الكواكب، وإن كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالأرضية فهو الطِّلَسْمات»[٤].

بعد هذه التعريفات للسِّحر، نرى أنه ليس من بينها أي تعريف جامع يشمل

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدِّمة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ط ٣، ص ٤٩٦.

(٢) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ، ١/ ٢٩.

(٣) زاده، طاش كبري، مفتاح السعادة، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣٢٨ ـ ١٣٢٩.

الموضوع بأسره، فواحد عرَّف السِّحر على أنه تمزيج لقوى الكواكب والأفلاك بالعناصر الأرضية، وآخر عرَّفه بأنه قوَّة نفسية يمتلكها الساحر وهكذا.

وفي الحقيقة أنه إذا أردنا أن نعرِّف السِّحر تعريفًا شاملاً علينا أن نأخذ ما ورد فيها مجتمعة، ثم نضيف إليها عناصر أخرى، سنحاول تبيانها في الفصل التالي الذي يتناول شرحًا وتوضيحًا لمختلف أنواع وضروب السِّحر المتعدِّدة.



الفصل الثاني
أنواع السّحر

أشهر من صنَّف السِّحر وبيَّن أنواعه ابن خلدون في مقدِّمته، كذلك الفخر الرازي في تفسيره للقرآن الكريم[1].

يقول ابن خلدون في باب «علوم السِّحر والطِّلَسْمات»، واصفًا القوى والخواص التي يعتمد عليها السَّاحر فيقول:

«ونفوس الكهنة لها خاصية الاطِّلاع على المغيَّبات بقوى شيطانية ــ أي السِّحر الذي يعتمد على مخلوقات غير منظورة ــ . والنفوس السَّاحرة على مراتب ثلاث يأتي شرحها، فأولها المؤثرة بالهمَّة فقط من غير آلة ولا مُعين ــ أي السِّحر الذي يعتمد على قوى النفس ــ وهذا الذي تسمِّيه الفلاسفة السِّحر.

والثاني بمُعين من مزاج الأفلاك أو العناصر ــ أي السِّحر الذي يعتمد على علم الفلك ــ أو خواص الأعداد، ويسمُّونه الطِّلَسْمات وهو أضعف رتبة من الأول.

والثالث تأثير في القوى المتخيلة، يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرُّف، ويلقي فيها أنواعًا من الخيالات والمحاكاة وصورًا مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحسّ من الرائين بقوَّة نفسية مؤثِّرة فيه، فينظر الراؤون كأنها من الخارج وليس هناك شيء من ذلك ــ وهذا هو السِّحر الذي يعتمد على قوَّة الإيحاء ــ ويسمَّى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة»[2].

---

(١) الفخر الرازي، أبو عبد الله، تفسير القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.

(٢) ابن خلدون، المقدِّمة، ص ٤٩٦ ــ ٤٩٧.

أما الفخر الرازي فيقول في تصنيف السِّحر ما يلي:

«اعلم أنَّ السِّحر أقسام: النوع الأول: سحر الكلدانيين والبابليين الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنَّها هي المدبِّرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ـ سحر هاتين الأمَّتين يعتمد على علم الفلك.

النوع الثاني من السِّحر: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ـ أي السِّحر الذي يعتمد على الإيحاء النفسي أو قوى النفس ـ.

النوع الثالث من السِّحر: الاستعانة بالأرواح الأرضية، اعلم أنَّ القول بالجن مما أنكره بعض المتأخِّرين من الفلاسفة والمعتزلة. أما أكابر الفلاسفة فإنهم ما أنكروا القول به إلاَّ أنهم سمَّوْها بالأرواح الأرضية؛ وهي في أنفسها مختلفة، فمنها خيِّرة ومنها شرِّيرة، فالخيِّرة هم مؤمنو الجن، والشريرة هم كفار الجن وشياطينهم ـ وهذا السِّحر هو الذي يعتمد على المخلوقات غير المرئية ـ.

النوع الرابع من السِّحر: التخيُّلات والأخذ بالعين، وهذا الأخذ مبني على مقدِّمات إحداها أنَّ أغلاط البصر كثيرة، فإنَّ راكب السفينة إذا نظر إلى الشاطىء رأى السفينة واقفة والشاطىء متحرِّكًا، وذلك يدلُّ على أنَّ الساكن يُرى متحركًا والمتحرِّك يُرى ساكنًا. . . فهذه الأشياء قد هدت العقل إلى أنَّ القوة الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة، وثانيها أنَّ القوة الباصرة إنما تقف على المحسوسات وقوفًا تامًّا إذا أدركت المحسوس في زمان له مقدار ما، فأما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدًّا ثم أدركت بعده محسوسًا آخر وهكذا، فإنه يختلط البعض بالبعض ولا يتميَّز بعض المحسوسات عن بعض. . . ـ هذا السِّحر الذي يعتمد على قوَّة الإيحاء والإيهام، وهو نوع من أعمال الخفَّة ـ.

النوع الخامس من السِّحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركَّبة على النسب الهندسية ـ فهو السِّحر الذي يعتمد على التِّقْنيات المتطورة ـ.

النوع السادس من السِّحر: الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلِّدة المزيلة للعقل ـ فهو السِّحر الذي يعتمد على المادة والتصرُّف في خواصها ـ .

النوع السابع من السِّحر: تعلق القلب، وهو أن يدَّعي السَّاحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأنَّ الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحاسة، فحينئذ يتمكَّن السَّاحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء ـ فهو السِّحر الذي يعتمد على قوَّة الإيحاء ـ .

النوع الثامن من السِّحر: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيَّة لطيفة، وذلك شائع في الناس»[1] ـ السِّحر الذي يعتمد على قوَّة الإيحاء ـ .

* * *

بعدما عرضنا لأنواع السِّحر التي تحدَّث عنها ابن خلدون، والفخر الرازي، وتمَّ التعليق عليها بجمل اعتراضية توضِّح أصناف السِّحر، نعود لنحدِّد أنواع السِّحر بالتالي:

أولاً ـ السِّحر الذي يعتمد على المادة وخصائصها.

ثانيًا ـ السِّحر الذي يعتمد على علم الفلك والحساب.

ثالثًا ـ السِّحر الذي يعتمد على مخلوقات غير منظورة.

رابعًا ـ السِّحر الذي يعتمد على قوَّة الإيحاء.

خامسًا ـ السِّحر الذي يعتمد على قوى النفس.

أوَّلاً ـ السِّحر الذي يعتمد على المادة وخصائصها:

في هذا النوع من السِّحر يعتمد السَّاحر على المادة وخصائصها واستحالاتها،

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣/ ٢٢٢ ـ ٢٣٠.

الفيزيائية، والكيميائية، والطبية، في ظروف بيئية متغيِّرة، وفق ما يراه السَّاحر مناسبًا لعمله، ولتأثيراته الوهمية على المشاهد أو المسحور. والسَّاحر في هذا النوع من السِّحر عبارة عن مشعوذ كاذب يستغل معرفته وخبرته المادية للتأثير على السُّذَّج والجهلة من الناس فقط.

وهذا النوع من السِّحر ينقسم بدوره إلى عدَّة أقسام وفروع:

(أ) السِّحر الذي يستخدم فيه السَّاحر خصائص المادة الكيميائية، مثال ذلك: حين يجعل منديلاً يحترق، من دون أن يستخدم النار. في هذه الحالة يعمد إلى استخدام الفوسفور «P_4» الأبيض الذي يشتعل تلقائيًا حين يتَّحد مع أوكسجين الهواء «O_2» حسب المعادلة التالية:

«$P_4 + 5O_2 \rightarrow P_4O_{10}$»[١]

وكما يفعل بعض السَّحرة حين يغيِّرون ألوان بعض المحاليل بلمسها، وذلك بالاعتماد على خصائص المواد الكيماوية التي تتغيَّر ألوانها حين تتفاعل مع مواد معيَّنة، مثال ذلك: حين تضاف المادة القاعدية «Base» مثل الصودا الكاوية «NaOH» إلى محلول الفينول فثاليين «Phenolphthalein» العديم اللون، فإنه يعطي لونًا أحمر يشبه لون الدم.

«Phenolphthalein + NaOH → Red Color»[٢]

فينول فثاليين + الصودا الكاوية ← لون أحمر.

(ب) السِّحر الذي يستغلُّ فيه السَّاحر معرفته لخصائص بعض الأعشاب والأطعمة، على عقول، وأعصاب، وصحَّة الناس، مثال ذلك: هنالك أصناف من نباتات معينة لها تأثير كالخشخاش والحشيش يقدِّمها السَّاحر لروَّاده في مجالسه الخاصة، فإذا ما تناولوها سهل عليه إيهامهم بما يريد دون عناء أو جهد كبير.

---

(١) Azar, G, and Khoury, S, Chemistry, Beirut, Librarie Habib, page 189, 1974.

(٢) Sienko, M, and plane, R, Chemistry, Tokyo, Mc geow - Hill Book Company, page 340, 1957.

كما أنَّ هنالك مواد كيماوية توضع في المشروبات كالقهوة والشاي، فإذا ما تناولها الإنسان الذي يريدون إيذاءه أصيب بنوبات ألم حادَّة في المعدة، وتشنُّجات عصبية لا تزول عنه ولا يعرف الطب لها دواء، وذلك لأنَّ المادة سرّ من أسرار السَّاحر الذي حضَّرها خصِّيصًا لهذه الغاية.

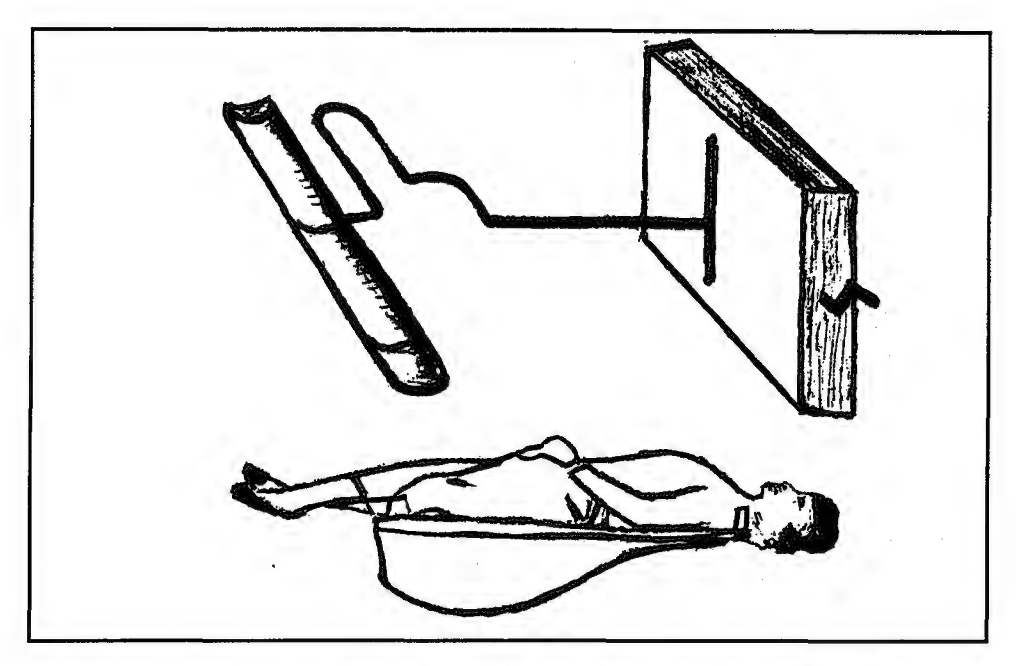
فالمريض ينتقل من عيادة طبيب إلى عيادة طبيب آخر، دون جدوى، حتى ينتهي به المطاف إلى أحد السَّحرة، الذي يعرف نوع الدواء المضاد لما تناوله هذا المسكين، فيعطيه له، زاعمًا بأنه سيخلصه من السِّحر الذي أصيب به، فيشفى من آلامه. وليس في الأمر سحر، لا من قريب ولا من بعيد، بل مجرَّد مادَّة ضارَّة أُعطيت له، ثم أُعطيت له مادة مضادة لها فأزالتها.

(ج) **السِّحر الذي يستغل فيه السَّاحر الخصائص الفيزيائية لبعض الخلائط المعدنية**، مثال ذلك: حين يدَّعي بعض المشعوذين أنَّ لهم القدرة على ثني الشُّوَك والملاعق بواسطة التركيز الفكري. والحقيقة أنَّ شوكهم وملاعقهم مصنوعة من خلائط معدنية لها مواصفات خاصة تنحني حين تصل إلى درجة حرارة معيَّنة، فالسَّاحر حين يمسك بها تأخذ حرارتها بالارتفاع بسبب ملامستها، فإذا ما بلغت حرارتها ٣٧ درجة مئوية انحنت فيظن الناس بأنَّ هذا الانحناء نابع عن قدرة السَّاحر[١].

(د) **السِّحر الذي يستخدم فيه السَّاحر الوسائل الميكانيكية**، مثال لذلك: السَّاحر الذي يرفع إنسانًا في الهواء على المسرح، ويدَّعي أنَّ رفعه له إنما هو بواسطة قوَّته المغناطيسية أو الروحية، وفي الحقيقة أنَّ هنالك آلة ميكانيكية توضع وراء الستار يمتدّ منها قضيب معيَّن بشكل غير ظاهر للعيان، يجلس عليه الشخص الذي يرفعه السَّاحر، ويتولَّى شخص من وراء السِّتار إدارة الآلة لرفع الشخص، في حين يقوم السَّاحر الدَّجَّال بإيهام الناس بأنه هو الذي يرفعه.

---

(١) للمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى الفصل الذي يكشف عن حيل الدَّجَّالين والمشعوذين في هذا البحث.



الآلة التي يستخدمها بعض مدّعي رفع الأجساد في الهواء بقدرتهم المغناطيسية.
[كتاب الباراسيكولوجيا في خدمة العلم]

(هـ) **السِّحر الذي يستخدم فيه السَّاحر وسائل تقنية متطورة**، كاستخدام أجهزة صغيرة جدًّا، قادرة على التشويش على أجهزة التلفاز، أو إيقاف المذياع عن العمل، أو التأثير على عقارب الساعة، أو التحكُّم بالنور في صالة العرض، إلى غير ما هنالك من أمور قد تبدو للمشاهد العادي بأنها خارقة وأنها أمور سحريَّة مدهشة.

ثانيًا ــ السِّحر الذي يعتمد على الفلك والحساب:

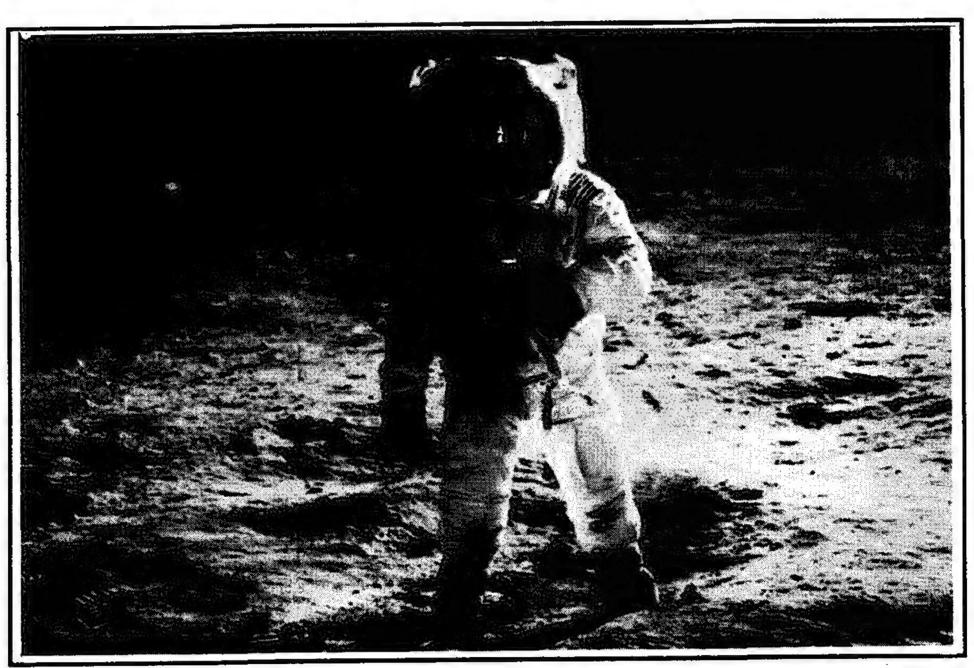
وهذا النوع من السِّحر هو أكثر الأنواع تأثيرًا على عقول الناس وتصرُّفاتهم، لما يتضمَّن من غموض ورموز معقَّدة وُضعت في عهود قديمة جدًّا. وهذا النوع من السِّحر لا طائل تحته، وكله كفر وتوجُّه إلى الكواكب والنجوم، والاعتقاد بقدرتها على التأثير على مجريات الأمور، والتحكُّم بمصائر الناس.

ومن المؤسف أنَّ هذا النوع من السِّحر يجد له رواجًا في وقتنا الحاضر، في زمن ارتياد الفضاء والنزول على سطح القمر، والدوران حول الكواكب البعيدة

وتصويرها من قرب، ومعرفة طبيعتها وحقيقتها، فإذا كان لبعض ضعاف العقول في الماضي بعض العذر إذا اعتقدوا أنَّ هذه الكواكب والنجوم لها تأثير على مصائرهم، فما بال الإنسان السويِّ العاقل المتعلِّم اليوم؟ يتصفَّح الجرائد والمجلَّات بحثًا عمَّا تنطق به النجوم من طالع!

إنَّا نطمئن هؤلاء المتطيِّرين وأصحاب العقول الضعيفة بأنَّ هذه الكواكب والنجوم لا أثر لها مطلقًا على حياتهم من حيث الرزق والكسب، والحياة والموت، والغنى والفقر، والضعف والصحة.

إنهـا مجـرَّد أحجـار وأتـربـة وصخـور كـالأرض تمـامًـا، أو غـازات ملتهبـة كالشمس، فكيف يكون لها تأثير على حياة الناس ومصائرهم، وكيف تخبر فلانًا بأنه سيعيش كذا من السنوات، أو كيف يمكن لها أن تخبره بأنه سَيُرْزَق هذا العدد من الأولاد، أو كيف يمكن لهذه الأجرام السماوية الجامدة غير العاقلة أن تكون على علم بحياة الناس ومصائرهم أكثر منهم.



نل أرمسترونغ يسير على سطح القمر، أين روحانية هذا الجسم السماوي؟



شواظات شمسية تندفع من سطح الشمس نحو الأرض
ويوضَّح حجمها بالنقطة البيضاء التي تمثِّل حجم الأرض بالنسبة للشمس.

لكن الشيء الذي لا يمكن أن ننكره، أنَّ لهذه الكواكب والنجوم تأثيرًا فيزيائيًا وكيميائيًا ماديًّا صرفًا، كالمدِّ والجزر، وآثارًا مغناطيسية وإشعاعية مؤثِّرة على حالة الجو والاتِّصالات اللاسلكية، وتؤثِّر أيضًا على أعصاب بعض الناس الحسَّاسين، لكنها لا تخطّ لهم مستقبلهم، ولا تنفعهم ولا تضرّهم، فالنافع والضارّ هو الله سبحانه وتعالى.

ولا يمكن تغيير مجريات حياتهم حين يكتب السَّاحر أو الفلكي الرموز، أو يحرق البخور في أوقات معيَّنة حين يكون كوكب معيَّن في برج معيَّن. وفي اعتقادي بأنَّ الكثير من الناس سوف يُكبُّون على وجوههم في نار جهنَّم من جرَّاء اعتقادهم بهذا النوع من السِّحر، لأنه توجه فيه شرك بالله سبحانه وتعالى.

ثالثًا ــ السِّحر الذي يعتمد على مخلوقات غير منظورة:

وهذا النوع من السِّحر يتوجَّه السَّاحر بتعاويذه وتلاوته وابتهالاته إلى الجن والشياطين، طلبًا لمعونتها في عمله، مقدِّمًا لها فروض الطاعة والتذلُّل، وفارضًا على نفسه العهود والمواثيق التي تخرجه من حظيرة الإيمان والتوكُّل على الله سبحانه وتعالى، إلى الكفر والانضواء تحت لواء إبليس اللعين.

وقد وصف القرآن الكريم هذا النوع من التوكُّل على الجن، بأنه لا طائل تحته، وبأنه يورث الوهن والرهق، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن].

في هذه الآية الكريمة دلالة قاطعة على أنَّ هنالك اتِّصالاً بين الإنس والجن، وأنَّ هذا الاتصال لا يثمر خيرًا بل رَهقًا.

وهذا النوع من السِّحر، أي الذي يعتمد على العوالم الخفية ينقسم بدوره إلى قسمين:

(أ) قسم حقيقي.

(ب) قسم غير حقيقي.

أما القسم الحقيقي فهو نوع من السِّحر يتَّصل فيه السَّاحر حقيقة بالجن، وهذا النوع قليل ونادر، وهو أندر ما يكون في أيامنا الحاضرة. وهنا ينبغي عدم الخلط بين السَّاحر الذي يمكن أن يتَّصل بالجن، وفي عمله إثم وكفر وضلالة، وبين النبـي سليمان عليه السلام الذي سُخِّر له الجن كنوع من المعجزة لإظهار نبوَّته، فالأمر ليس كما تقول اليهود قاتلهم الله، بأنه كان ساحرًا وأنه أقام ملكه بواسطة صناعة السِّحر وتسخير الجن.

فسليمان عليه السلام لم يكن ساحرًا قط، ولا يليق بنبـي أن يكون ساحرًا، يقول القرآن الكريم مبرِّئًا هذا النبـي الكريم: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى

ﭐلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة].

أما القسم غير الحقيقي فهو الأكثر شيوعًا خاصة في المجتمعات المتخلِّفة، والمجتمعات المضطربة، والمجتمعات المقهورة أو المهزومة. والسَّاحر الذي يدَّعي الاتِّصال بالجن يستخدم طرقًا متعددة، منها استخدام المندل بواسطة التحديق بفنجان صغير يحوي بعض الماء وقليلاً من الزيت، أو بواسطة التحديق في بلَّورة زجاجية، أو بواسطة تحريك فنجان على لوحة كتبت عليها الحروف الأبجدية، أو بواسطة إحراق البخور، أو بواسطة استحضار الجن على إنسان منوَّم تنويمًا مغناطيسيًّا، إلى ما هنالك من الوسائل الشيطانية.

والسَّحرة الدَّجَّالون مُدَّعو استحضار الجن هم أكثر أنواع السَّحرة خبثًا، ومكرًا، ودهاء، ومراوغة، وقدرة على الإقناع، وسلب الناس السُّذَّج أموالهم، وهم أكثر الخلق ثراء.

رابعًا ــ السِّحر الذي يعتمد على قوى الإيحاء:

في الحقيقة إنَّ معظم أنواع السِّحر يعتمد على قوَّة إيحاء السَّاحر، إذ أنَّ للكلمة أثرًا في بعض الأحيان يفوق أثر المادة الصِّرفة، كما هو الحال في عملية التنويم المغناطيسي[1]، إذ يكفي أن يوجِّه المنوِّم بعض الكلمات الإيحائية للوسيط، حتى يغطّ الوسيط في نوم عميق.

ومن أنواع السِّحر الإيحائي:

(أ) السعي بالنميمة بين الناس، والقصة التالية توضح هذا النوع: يُذكر أنَّ امرأة استعانت بساحر على زوجها الذي كان لا يعيرها كبير اهتمام، فقال لها

(١) ليس في عملية التنويم المغناطيسي أي نوع من المغناطيسية أو المغنطة، والتسمية خاطئة.

السَّاحر: إنَّ زوجك هـذا متعلِّق بهوى امـرأة شابـة جميـلة، فقالت له: وكيف الحال؟ فقال لها: احتالي عليه حتى يأتي لزيارتي، فقالت له: سمعًا وطاعة، فاحتالت على زوجها حتى زار السَّاحر، فاختلى به فقال له: إنَّ زوجتك تريد قتلك، فإني ناصح لك فاحذرها، فشكره الرجل ثم طلب السَّاحر سرًّا من الزوجة ثلاث شعرات من رقبة زوجها تُقطع بسكِّين حادّ، كي يخلص زوجها ممَّن يعشق، فتحيَّنت الزَّوجة نوم زوجها وجاءت بسكِّين حادّ واقتربت من رقبة زوجها الذي كان متظاهرًا بالنوم، فما أن شاهد السكين حتى وثب عليها وطعنها بنفس السكِّين عدَّة طعنات أودت بحياتها.

(ب) ومن أنواع السِّحر الإيحائي ما يلجأ إليه الحاوي أو صاحب الخفَّة، حين يتَّخذ من الكلام ستارًا يحجب به أعين النَّاس وعقولها عمَّا تفعله يداه من حِيَل، وقد لا يكون الإيحاء كلاميًّا، فهنالك إيحاء حركي يصدر عن السَّاحر ويكون أحيانًا أبلغ من الإيحاء الكلامي، وقد يستعمل السَّاحر نوعين من الإيحاء في آن واحد، وهذا هو قمَّة الإيحاء.

وقد صوَّر القرآن الكريم بطريقة بديعة بليغة جدًّا، حين وصف فعل سحرة فرعون يوم التحدِّي الكبير بينهم وبين موسى كليم الله: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [طه]، فالحبال والعصيّ في حركتها دلَّت على الإيحاء الحركي، وأما قوله: ﴿ مِن سِحْرِهِمْ ﴾، فدلَّت على الإيحاء الكلامي.

وهذا الإيحاء الكلامي الحركي بلغ، من شدَّة التأثير، حدًّا جعل موسى عليه السلام يوجس في نفسه خيفة، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ [طه].

(ج) ومن أنواع السِّحر الإيحائي أيضًا ما يقوم به بعض السَّحرة من صنع الأحجبة والتمائم والمساحيق، وصنع التماثيل الشمعية الصغيرة، وغرز الإبر والدبابيس فيها، فإنها بحدّ ذاتها لا تضرّ ولا تنفع، لكن إذا علم الإنسان أنَّ السَّاحر قد صنع هذا الأمر ليضرّه خاف واضطربت نفسه، وانتابته الهواجس والأوهام.

خامسًا ـ السِّحر الذي يعتمد على قوى النفس:

وهذا النوع من السِّحر يشمل الحسد، الذي هو نوع من أنواع السِّحر الخفي وله حقيقة، فقد ورد ذكره والتحذير منه في القرآن الكريم في سورة الفلق: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [الفلق].

وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل عليه السلام، وقال: «بسم الله يُبريك ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشرِّ كل ذي عين»[1].

وهنا نعتبر الحاسد ساحرًا وإن لم يكن يعلم، والمحسود مسحورًا وإن لم يكن يعلم. فكما يؤثِّر السَّاحر العادي بالناس، فيسبِّب لهم الأذى والضرر، فكذلك يؤثِّر الحاسد في المحسود.

وخطورة هذا النوع تكمن في سرعة تأثير الحسد في المحسود، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنَّ العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استُغسِلتم فاغسلوا»[2]، كون هذا النوع من السِّحر لا يستلزم أدوات ومواد، كما يلزم في أنواع السِّحر الأخرى، بل يكفي أن ينظر الحاسد إلى من يريد أن يحسده بنظرة ملؤها الرغبة في زوال النعمة وهياج وغليان في قرارة نفسه، ويتصوَّر المحسود وقد فقد هذه النعمة، وقد تنفعل كل أعضاء الحاسد وتتقطَّع أنفاسه، مع زفرات حارَّة. فإنَّ من الحسد ما يحوِّل الغني إلى فقير، والصحيح إلى سقيم، والقويّ إلى ضعيف، وكل هذه الأشياء تحدث بمشيئة الله سبحانه وتعالى لحكمة يعلمها[3].

والحسد مراتب، أوَّلها وأشدّها على المحسود أن يتمنَّى الحاسد زوال النعمة عن المحسود وإن لم يكن الحاسد طامعًا فيها. والمرتبة الثانية من هذا السِّحر الخفيّ ـ أي الحسد ـ هو تمنِّي زوال النعمة عن المحسود وانتقالها إلى الحاسد.

---

(١) المنذري، أبو الحسن، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) لمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى مقدمة ابن خلدون، ص ٥٠٠ وما بعدها.

والمرتبة الثالثة هي أن يشتهي الحاسد نعمة المحسود، فإن لم يؤت مثلها تمنّى زوالها.

(د) ومن أنواع السِّحر الذي يعتمد على قوى النفس، النوع الذي يؤثر الشخص من خلاله على جسده، وخاصة على أعضاء بدنه التي تتحرَّك لا إراديًا، وذلك بواسطة التمارين الرياضيَّة الفكرية، خاصة تلك التي تسمَّى رياضة اليوغا وأشباهها. فكثيرًا ما نسمع عن سحرة يستطيعون أن يوقفوا نبضات قلوبهم للحظات يسيرة، أو يستطيعون أن يغيِّروا حرارة أعضائهم صعودًا أو هبوطًا، كما يستطيعون أن ينوِّموا أنفسهم، أو قد يستطيعون أن يتحكَّموا في تنفُّسهم، أو في سريان الدم في عضو من أعضائهم[1].

(هـ) وكذلك هنالك نوع من السِّحر يستطيع فيه السَّاحر أن يظهر بمظاهر صاحب الكرامات، فتراه يجعل الزيت يسيل من يديه، أو أن يظهر على جسده آثار التعذيب، أو أن يخرج من بدنه الدم في أوقات معيَّنة، ومن أماكن محدَّدة.

وهذا النوع من السِّحر على أنواع أيضًا، فمنه ما يجهله صاحبه ويحدث تلقائيًّا، وذلك نابع من شدَّة الحساسية والإيمان، فإنَّ وظائف الجسد البيولوجية تختلّ نتيجة الإفراط في التركيز الفكري اللاَّواعي على موضوع معيَّن، فتؤثِّر على خلايا الجسد فتجعلها تتشقَّق، أو تجعل الغدد تفرز زيتًا، أو تؤثِّر على الأوعية الدموية الشعرية «Blood Capillaries» فتفجِّرها فيسيل الدم، وهذا النوع يحدث غالبًا بطريقة لا شعورية وعفوية، إلاَّ أنَّ هناك بعض السَّحرة يستخدمون الجن لإظهار هذه الأمور لخداع الناس والتكسُّب من هذه الكرامات الكاذبة.



(١) لمزيد من التفاصيل يراجع الفصل الذي يتحدث عن أشهر السحرة ــ هوديني ــ في هذا البحث.

الفصل الثالث

رأي بعض الفلاسفة والعلماء في موضوع السِّحر

لم يُجمع الفلاسفة والعلماء على رأي واحد إزاء موضوع السِّحر، فيما إذا كان حقيقة أم وهمًا، كما أنهم لم يبدوا آراءهم في كل أنواعه.

فمنهم من نفى السِّحر جملة وتفصيلاً، وقال بأن السِّحر كله باطل ولا حقيقة له، وهو مجرَّد تخيل ووهم، ومنهم من قال بأن بعض أنواع السِّحر له حقيقة، وبعضه باطل، وكل فريق يدعم رأيه بأدلة وبراهين يعتقد بصوابيتها.

في هذا الفصل سنبيِّن رأي بعض الفلاسفة والعلماء المسلمين في هذا الموضوع، ومن ثَم سنحاول في فصل لاحق أن نبيِّن ما نراه صوابًا، بتوفيق الله وعونه ومدده.

أوّلاً ـــ رأي الفارابي[1]:

يتحدث الفارابي عن علم أحكام النجوم، بطريقة يستنتج منها أنه ينفي القدرة على التنبوء من خلال هذه الصناعة، ويهاجم أصحاب هذه الصناعة، ويفنِّد مزاعمهم بطريقة شديدة قلَّما نجدها عند أحد من الفلاسفة، ويقول في ذلك: «إن أحدًا قد يستنتج شيئًا ويتفق أن هذا الشيء قد حدث فعلاً، والنتيجة في نظره أن ذلك لا عن

---

(١) الفارابي: هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف بالفارابي نسبة إلى مدينة فاراب التي تقع في إقليم خراسان التركي. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ٤/ ٢٢٥.

ضرورة ولا عن وجوب، وإنما هو اتفاق يركن إليه ضعيف العقل أو صغير السنّ أو المريض نفسيًا، كشهوة مفرطة في الحزن أو الغضب أو الخوف أو غيره»[1].

ثانيًا ـــ رأي الكِنْدي[2]:

نرى الكِنْدي الذي دخل التاريخ العباسي كأحد كبار المنجِّمين، يجعل للكواكب صفة النطق والتدبير، يقول في أدلته على نطق الكواكب:

«أ ـــ إنه لما كان قد تقرَّر عندنا أن قوى السمع والبصر ضروريتان لتحصيل المعرفة والفضيلة، يفضي بنا القول بأن الأجرام السماوية غير ذات عقل، إلى أن القوتين المذكورتين وجدتا عبثًا، وهذا مخالف لمنهج الطبيعة.

ب ـــ بما أن المخلوقات الناطقة أشرف من المخلوقات غير الناطقة، فإن الأجرام السماوية لو كانت غير ناطقة، لكانت دوننا شرفًا.

ج ـــ لما كانت هذه الأجرام السماوية السبب القريب لوجودنا وفقًا لقضاء الله، كانت حتمًا السبب في كوننا ناطقين، ولو كانت هي غير ناطقة لاستحال أن تكون هي السبب في كوننا ناطقين»[3].

ثالثًا ـــ رأي إخوان الصفا:

أما إخوان الصفا أصحاب مقولة بأن لكل ظاهر باطنًا، فهم يرون في موضوع السِّحر ما يلي:

---

(1) الفارابي، أبو نصر محمد، إحصاء العلوم، تصحيح وتعليق عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٣١، ص ٩ ـــ ١٠.

(2) الكندي هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن يعرب قحطان أبو يوسف الكندي، وهو فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها. انظر: القفطي، جمال الدين، أخبار الحكماء، بيروت، دار الآثار، ص ٢٤٠.

(3) الكندي، يعقوب بن إسحاق، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٠، ١/ ٢٥٤ ـــ ٢٥٥.

أولاً ــ ينكر إخوان الصفا وجود الشياطين، وبالتالي الجن الذي يلعب دورًا مهمًا في عمليات السِّحر المؤثرة فعلاً، والتي ليست كلها من نوع الخيال والتخيل المطلق. فالشياطين والملائكة عندهم ــ أي إخوان الصفا ــ رموز لما يمكن أن يكون عليه الإنسان.

يقول في هذا المعنى أحمد الزين: «وليس عند الإخوان شياطين على رأسهم إبليس، خلقهم الله ليسلِّطهم على عباده، وإنما هو الإنسان إذا بلغ أشده، كانت نفسه شيطانية بالقوة، فإذا فارقت جسدها عند الموت صارت شيطانية بالفعل. وأما نفوس المؤمنين الصالحين فإنها ملائكة بالقوة، فإذا فارقت أجسادها، كانت ملائكة بالفعل، والنفس الإنسانية قوة من قوى النفس الكلية اتحدت بالجسد رغبة في الحصول على المعرفة التامة التي هي من صفات العقل الكلِّي»[١].

يقول إخوان الصفا في رسالة الأخلاق: «إن صورة الإنسانية، من حيث كون الإنسان خليفة الله في أرضه، يجب أن تتناسب وكونه من أولياء الله، وبالتالي فإن الإنسان إذا كان فاضلاً خيرًا، فهو مَلَك كريم، وإن كان شريرًا مؤذيًا، فهو شيطان رجيم»[٢].

ثانيًا ــ إن إخوان الصفا يشيرون بطرف خفي إلى أن الرُّقى والتعاويذ والأحراز والتمائم وما شاكلها لا فائدة منها، إذ أن أساس الجن غير موجود في اعتقادهم، فلماذا تصنع هذه الأشياء لاتقائهم.

يقول الإخوان في هذا المعنى: «ويتعوَّذون من شر الجن بالتعاويذ والرُّقى والأحراز والتمائم وما شاكلها، ولم يروا جنيًا قتل إنسيًا... أو قطع على مسافر، أو خرج على سلطان... أو أخذ أسيرًا»[٣].

---

(١) الزين، أحمد إبراهيم، العلوم والكائنات الخفية عند فلاسفة الإسلام، رسالة ماجستير، بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٨٣، ص ٢٥.

(٢) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، تحقيق بطرس البستاني، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ، ١/ ٢٩٦ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٢٣.

ثالثًا ـــ أما السِّحر عند إخوان الصفا فهو أمر حقيقي ويجتهدون في إثبات هذا العلم، ويعطونه تعريفات منها: أن السِّحر في اللغة العربية هو البيان والكشف عن حقيقة الشيء، وإظهار لسرعة العمل وأحكامه[1]، ومنه الإخبار بما يكون قبل كونه، والاستدلال بعلم النجوم وموجبات أحكام الفلك، وكذلك الكهانة والزجر، والفأل[2].

وفي تقسيم الإخوان للعلوم إلى خمسة أقسام، يعرِّفون السِّحر والطِّلَسْمات على «أنها العلوم التي تلحق الرعية بالملوك، والملوك بالملائكة»[3] ويقسم إخوان الصفا السِّحر إلى سحرٍ نافع وسحرٍ مؤذٍ، ويصنِّفون من يعمل بالسِّحر المؤذي بأنه أبله أو أرعن أو ناقص عقل، وأن هؤلاء البُله في تصرُّفهم بأمور السِّحر بدون خبرة ولا دراية يجعلون الناس تشك في أمر صحة السِّحر، ويكذبون الحكماء الذين هم أرباب هذا العلم ومصداقيته. يقولون في ذلك: «الإنسان أبله قليل العلم والعقل معًا، أو امرأة رعناء جاهلة أو عجوز. . . ظهر لهم نقصهم وجهلهم»[4].

رابعًا ـــ رأي ابن خلدون:

أما ابن خلدون فيعطي رأيه بموضوع السِّحر في مقدِّمته، في باب السِّحر والطِّلَسْمات، فيعترف بالسِّحر وأثره وبالطِّلَسْم وفعله، ويميز بين الاثنين. فالسِّحر عنده علم تتمكن النفس البشرية بواسطته التأثيرَ على عالم المادة بغير مُعِين، وأما في الطلسم فتحتاج إلى معين، يقول في ذلك: «وهي علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية. والأول هو السِّحر، والثاني هو الطِّلَسْم»[5].

---

(١) ينظر ابن منظور، لسان العرب، ٤/٣٤٨، حيث يعرف السِّحر تعريفات عديدة تشمل هذا التعريف المذكور أعلاه. ويراجع ابن خلدون، المقدمة، ص ٩٣٦ و ٩٧٦.

(٢) إخوان الصفا، الرسائل، ٤/ ٣١٢.

(٣) المصدر السابق، ٤/ ٢٨٦ ـــ ٢٨٧. ويقارن كتاب مصطفى الجوزو، من الأساطير العربية والخرافات، بيروت، دار الطليعة ١٩٨٠، ط ٢، ص ٣٩.

(٤) انظر: الرسائل ٤/ ٣٤٣، وكذلك راجع الرسائل، ٢/ ٢٨٢.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٩٦.

لكن ابن خلدون يبيِّن أن هذا العلم فيه ضرر وفيه كفر، إذ أن من يريد أن يقوم بالسِّحر عليه التوجه لغير الوجهة الصحيحة، إذ عليه أن يتوجه إلى الشياطين والكواكب، بدلاً من التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، يقول في ذلك: «ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من ضرر، ولما يُشترط فيها من التوجه إلى غير الله من كواكب أو غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس»[1].

ثم يعود فيضيف أن مراتب السِّحر حسب استعدادات نفسية السَّاحر ثلاثة أنواع:

«فأولها المؤثرة بالهمَّة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي تُسميه الفلاسفة السِّحر. والثاني بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمُّونه الطِّلَسْمات، وهو أضعف رتبة من الأول. والثالث بتأثير من القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من الخيالات والمحاكاة وصورًا مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤون كأنها من الخارج وليس هناك شيء من ذلك، ويسمَّى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة»[2].

ويشير ابن خلدون إلى أن المرتبتين الأوليين من السِّحر لهما حقيقة في الخارج، والمرتبة الأخيرة لا حقيقة لها.

خامسًا ــ رأي الإمام الغزالي:

أما الإمام الغزالي فيعتبر السِّحر علمًا يعتمد على الفلك ومطالع النجوم، وعلى القدرات النفسية للساحر، ويشير إلى أن الساحر يستعين بالشياطين لتحقيق مآربه، فيقول في الإحياء: «السِّحر نوع من العلم يُستفاد من خواص الجواهر بأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الجواهر هيكلاً على صورة الشخص المسحور، ويُرصد به وقت مخصوص من المطالع، تقرن به كلمات يتلفظ بها... ويتوصل

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٩٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٩٧ ــ ٤٩٨.

بسببها إلى الاستعانة بالشياطين»[1].

ويشير الغزالي إلى علم النجوم فيقول: «بأن المنهي عنه في هذا العلم هو التصديق بأنها فاعلة لآثارها، مستقلة بها، وأنها ليست مسخَّرة، أو تصديق المنجِّمين فيما يخبرون من المعلومات والآثار النجومية التي لا يشترك كافة الخلائق في إدراكها، وذلك لأنهم يقولون ذلك عن جهل»[2].

ويشير الغزالي إلى أن من يستعمل النجوم للاستدلال على المستقبل وعلم الغيب هو إنسان جاهل، وأن هذا الأمر مذموم شرعًا ومضر بالخلق، وأن هذا العلم كان معجزة لإدريس النبي عليه السلام وقد انتهى مع موته.

ورد في الإحياء: «وأما القسم الثاني، فهو علم تخميني لا يدرك، لا يقينًا ولا ظنًا، والحكم به جهل، وقد ذمَّه الشرع لأوجه عديدة منها أنه مضر بأكثر الخلق، فإذا ألقي عليهم أن الآثار التي يستخرجها هذا العلم تحدث بفعل الكواكب وتأثيرها، يقع في نفوسهم أن هذه الكواكب هي المؤثرة، دون الله. وأن هذا العلم كان معجزة لإدريس النبي، وقد انتهى بعد موته»[3].

سادسًا ــ رأي الشيخ الرئيس ابن سينا:

في رسالة يسمِّيها رسالة من السِّحر والطِّلَسْمات والنيرنجيات والأعاجيب[4] يجيب ابن سينا فيها عن سؤال أحد السائلين، محاولاً أن يبين له ولنا حقيقة كل علم من هذه العلوم، فيقول بأن: «الطلسْمات الغرضَ منه تمزيج القوى السماوية بقوى بعض الأجرام الأرضية ليكون من ذلك قوة تفعل فعلاً غريبًا في عالم الأرض». وأما علم النيرنجيات يقول ابن سينا: «الغرض فيه تمزيج القوى في جواهر العالم الأرضي

(١) الغزالي، الإحياء، ١/٢٩.

(٢) المصدر السابق، ٤/١١٧.

(٣) المصدر السابق، ١/٢٩ ــ ٣٠.

(٤) انظر: جـورج قنواتي، مؤلفات ابن سينا، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٠، ص ٢٢٤.

ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب»[1].

ثم يتحدث عن السَّحرة والكهنة فيقول: «والذين يستطيعون ــ أي السَّحرة والكهنة ــ طبع هذه الصور في المشاهدين يكون لهم كمال قوة للمخيلة، تستطيع أن تتصل في يقظتها... بجوهر الملائكة، التي تفيض عليها بالمغيبات، ليستطيع صاحب هذه المخيلة أن يفعل ما يفعله في الغير الذي يمكن وصف حالته في تلك اللحظة بأنه يسمع تارة كلامًا منظومًا من هاتف، أو يشاهد من ينظر إليه ويخاطبه»[2].

كما أن ابن سينا يعتبر أن للحروف دلالات ومعاني وأغراضًا، كما أنه يمكن الاستفادة من هذه الحروف إذا جمعت إلى بعضها أو ضربت حسابيًا بالبعض الآخر.

ففي رسالته «النيروزية» والتي يعمد ابن سينا فيها إلى معالجة الأحرف الواردة في مطالع السور القرآنية، وحيث يضع لها عنوانًا يسمِّيه «في معاني الحروف الهجائية التي في فواتح السور القرآنية» نجده يعالج الحروف وقيمها الرمزية مستخدمًا النظام الأبجدي، لإبراز المطابقة بين كائنات الفلسفة الكونية وحروف لغة التنزيل. والنظام الأبجدي الذي يستعمله ابن سينا هو النظام المعروف بحساب الجُمَّل[3]. ويختم ابن سينا هذا الموضوع بالقول عن الحروف أنها «أسرار تحتاج إلى المشافهة»[4].

---

(١) ابن سينا، أبو علي تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، القاهرة، المطبعة الهندية بالموسكي ١٩٠٨، ص ١٠١.

(٢) ابن سينا، تسع رسائل، أمكنة مختلفة من رسالة السحر والطِّلَسْمات التي تبدأ من ص ١١١ وما بعدها.

(٣) حساب الجُمَّل، هو الحساب المركَّب من قيم حسابية تعطى للأحرف الأبجدية، وهذه الأحرف مركبة تركيبًا يختلف عن التركيب الألفبائي المعروف، ويتبع نظامًا جديدًا على الشكل والكلمات التالية: «أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ»، انظر: ابن خلدون المقدمة، حاشية ص ١٩٩ وما بعدها.

(٤) ابن سينا، تسع رسائل، ص ١٤٠ ــ ١٤١.

سابعًا ـ رأي ابن رشد:

يعتبر ابن رشد الأجرام السماوية حية ومؤثرة في الكائنات الأرضية وسببًا لكونها ولفسادها. فيعتبر أن قرب الشمس يؤدي إلى تكوين البعض منها، في حين أنها إذا بعدت فذلك يكون سببًا لفساد أكثر الموجودات. ويعتقد بأن الشمس ليست الفاعل الوحيد في الكون والفساد وحدها، وإنما القمر أيضًا وجميع الكواكب والمتحيرة، وإن كان ذلك في الشمس أبين وأظهر. ثم هناك تأثير الشمس والقمر على مدة بقاء الإنسان في الرحم، وعند كثير من الحيوانات، إضافة إلى أن موجودات كثيرة تقدر أعمارها بدورات كل كوكب من الكواكب[1].

ويقول أيضًا: «إن وجود الأنواع، ومنها الإنسان اليوم وفي الماضي وغدًا لا يحتاج وجوده إلى كثير من الإسطقسات والأجرام السماوية»[2]. ويشير ابن رشد إلى أن إدراك أمور المستقبل يمكن أن تتم عن طريق سكون الحواس، وذلك خلال النوم، لأن القوى المفكرة تَقوى في هذه الحالة.

يقول في ذلك: «وحيث لا يوجد الحس الروحاني إلاَّ في النوم فعندما تسكن الحواس تقوى القوى المفكرة وتدخل الحاسة المشتركة إلى داخل الجسم، فيتم عند ذلك إدراك الأمور المستقبلية التي لا يمكن لليقظان أن يدركها»[3].

ثامنًا ـ رأي الفخر الرازي:

يوضح الفخر الرازي رأيه في موضوع السِّحر من خلال تفسيره للقرآن الكريم، ويقسِّمه إلى ثمانية أنواع ذُكِرت في الفصل الثاني ـ أنواع السِّحر ـ من هذا البحث، فيمكن الرجوع إلى هذا الفصل لمعرفة رأي الفخر الرازي بهذا الموضوع.

---

(١) انظر ابن رشد، أبو الوليد، رسائل ابن رشد، الكون والفساد، حيدر آباد الدكن، مطبعة دار المعارف العثمانية، ١٩٤٧، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٣) ابن رشد، الحاس والمحسوس، تقديم عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

تاسعًا ــ رأي المعتزلة:

اتفق المعتزلة على إنكار أنواع السِّحر كافة ما عدا النوع المنسوب إلى التخيُّل، والقائم على بعض الأدوية المبلدة والمنسوب إلى التضريب والنميمة، فأما الأقسام الخمسة الأخرى التي ذكرها الفخر الرازي فقد أنكروها ولعلهم كفَّروا من قال بها وجوَّز وجودها[١].

وفي نهاية المطاف وخوفًا من الإطالة، بعد أن بينا آراء بعض الفلاسفة والعلماء القدامى في ما يتعلق بالسَّحرة، نكتفي بعرض رأي أحد المحدثين من العلماء، وهو محمد محمد حسين صاحب كتاب «الروحية الحديثة» حيث يقول في هذا الموضوع:

«ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا في هذا المجال أن السِّحر يقوم في بعض صوره على الاتصال بالجن من شرار خلق الله، وينبغي أن يكون ذلك شيئًا مسلَّمًا عند كل مسلم قرأ ما جاء عن هاروت وماروت في سورة البقرة، وما جاء عن السامري في سورة طه، وما ورد من الاستعاذة بالله من شر السَّحرة، وشر خلقه من الجن والإنس في المعوِّذتين، وهناك ضرب آخر من السِّحر قوامه التسلُّط على نفوس الحاضرين واسترهابهم، حتى ترى أعينهم ما يريد السَّاحر أن يريها إياه خلافًا لما هو واقع في الحقيقة.

وهذا الضرب من السِّحر هو الذي وصفه الله سبحانه وتعالى فيما أنزل في سورة الأعراف وفي سورة طه من قصة سيدنا موسى مع سحرة فرعون: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف]، ﴿ . . . فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [طه]، وهذا الضرب من ضروب السِّحر هو الذي يمارسه بعض فقراء الهند اليوم حين يقذفون الحبل فينتصب وحده في الهواء ويصعد الفقير عليه متسلقًا أمام الجمهور»[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) يراجع في هذا الموضوع تفسير الفخر الرازي للقرآن الكريم، ٣/ ٢٣٠ وما بعدها.

(٢) حسين، محمد محمد، الروحية الحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨١م. ص ٤٨ ــ ٤٩.

الفصل الرابع
طرق تأثير السِّحر

لم يُسَمَّ السِّحر سحرًا إلَّا لأنَّ طريقة تأثيره تكون خفيَّة، غير ظاهرة، مما يحيِّر العقل ويجعله مندهشًا من نتيجة لا يعرف أسبابها، وكل نوع من أنواع السِّحر التي ذكرت سابقًا، لها طريقتها الخاصة في التأثير على المسحور. لذلك سأعدِّد بعض أنواع السحر، وأشرح الطرق التي يؤثِّر فيها كل نوع على المسحور.

أوَّلاً ــ السِّحر الذي يعتمد على الكواكب والنجوم واستمزاج روحانيَّاتها:

وإن كان هذا السِّحر باطلاً من أساسه لاعتماده على افتراضات خاطئة. إذ أنَّ النجوم والكواكب لا روحانية ولا تأثير تقريريًّا لها. فإنَّ من يدَّعي العلم بأحكامها، ويصدر النبوءات على أساس حركاتها ودورانها وأماكن وجودها، وإن كان استنتاجه خاطئًا وكاذبًا إلَّا أنَّ كلامه يؤثِّر على ضعاف النفوس، فيصدِّقونه ويجعلهم بطريقة لا شعورية يتصرَّفون وكأنَّ هذه النبوءات أمر واقع، فيخسرون الدنيا والآخرة.

ثانيًا ــ السِّحر الذي يعتمد على الإِيحاء والإِيهام:

هذا النوع من السحر له أثر على ضعاف النفوس من الناس وجهلتهم، ويتم عن طريق كلمات وجمل إيحائية ينتقيها الساحر بخبرته ودرايته بنفسية المسحور، فيوجِّهها إليه بطريقة ماكرة خفيَّة متدرِّجًا في الإِيحاء بطريقة تصاعدية، فإذا آنس من المسحور استجابة وتصديقًا، سارع إلى زيادة شحنة الإِيحاء وزاد في مقابلها سرعة

تقبل الإيحاء حتى يصبح المسحور كالخاتم في إصبع السَّاحر.

والإيحاء الذي يستخدمه السَّاحر في هذا النوع من السِّحر يبدأ بتوجيه جمل فيها أمور صحيحة منطقية تبطِّن أمورًا غير صحيحة، ثم يزداد الكذب تدريجيًّا كلَّما استسلم المسحور لمنطق وإيحاء السَّاحر. وللمزيد من الإيضاح لهذا النوع من السِّحر، يمكن الرجوع إلى موضوع التنويم المغناطيسي في هذا البحث.

ثالثًا ــ السِّحر الذي يستعين بالأرواح الأرضية:

والمقصود منه ذلك السِّحر الذي يعتمد على استخدام الجن، فالجن حين تأنس من السَّاحر الكفر والنفاق والبعد عن الطهارة، تساعده في بعض الأمور التي يعجز فيها السَّاحر عن تحقيق السِّحر بقدرته الذاتيَّة. كأن تنقل إليه أشياء من مكان إلى مكان، أو تجعل الزيت يسيل من يديه أو على جبهته، أو تجعل الدم يخرج من أحد أعضائه، فإذا ما شاهد المسحور هذه الأمور، وأدرك أنها ليست خدعة من السَّاحر أو خفَّة، أثرت في نفسه تأثيرًا عظيمًا، خاصة أنَّ هذا النوع من السِّحر لا يعتمد على الإيحاء والإيهام من قِبل السَّاحر، بل يعتمد على فعل تقوم به الجن.

وتجدر الإشارة هنا بأنَّ ما تقوم به الجن من فعل يُفقِد بعض الناس توازنهم العقلي، فيعتقدون بأن ما يقوم به الساحر أمر معجز وكرامة له، فينقادون كالأنعام، وينصاعون لتوجيهاته ويصبحون كالألعوبة بين يديه، وكثير ممَّن مارس استحضار الجن تحوَّل بعد ذلك إلى داعية لمذهب أو دعوة هدَّامة.

رابعًا ــ السِّحر الذي يعتمد على التخيُّلات والأخذ بالعين:

في هذا النوع من السِّحر، يركن السَّاحر إلى بعض الحقائق التي يحسّ بها الإنسان، كخداع البصر أو خداع الحواس. فالحواس تخدع أحيانًا فتظهر مثلاً الساكن متحركًا والمتحرِّك ساكنًا، والبارد حارًّا والحارّ باردًا، والسراب ماء، وهكذا نرى السَّاحر يستخدم الخفَّة أو السرعة في حركاته وإيماءاته فتظهر للناظر كأنها أمور حقيقية تجري على غير نسقها الطبيعي.

ويعود التأثير في نفسية المشاهد إلى أنَّ حواسَّه تخدعه وتساعده على تقبُّل هذه الصورة غير الحقيقية. كما أنَّ سرعة عرض المشاهد لا تترك له وقتًا لإدراك ما يجري، إذ أنَّ الحواس يلزمها وقت لإدراك حقائق المحسوسات.

خامسًا ــ السِّحر الذي يعتمد على الآلات والتراكيب الهندسية:

السَّاحر في هذا المضمار يستخدم بعض التراكيب الميكانيكية الدقيقة، والآلات الحديثة التي لم يطَّلع الجمهور عليها بعد، فيستخدمها بطريقة ماكرة، مدَّعيًا أنَّ سحره هو الذي يظهر أفعال هذه التراكيب وهذه الآلات. وهذا النوع من السحر يؤثِّر بشكل خاص في نفوس الناس البسطاء، قليلي الحظّ من العلم، والذين لا يفقهون أسرار التراكيب الهندسية والميكانيكية والإلكترونية، فيعتقدون بأنَّ وراء الأعمال التي يقوم بها مدَّعو السحر جنًّا، أو قوى خارقة أو كرامات للساحر.

سادسًا ــ السِّحر الذي يستخدم فيه الساحر خواصّ المواد والأدوية:

وهذا النوع من الخداع واقع وموجود ومؤثِّر، فكما يعطي الطبيب حبَّة منوِّمة للمريض تجعله يغط في النوم إذا ما تناولها، فأثرها مادِّيّ صرف، كذلك يقوم بعض الماكرين من السَّحرة، أصحاب الخبرة في الأدوية والأعشاب والمواد الكيماوية، بدسِّ بعض تلك الأشياء في طعام أو شراب الناس، فيحصل من ذلك تأثير مادِّيّ، كأن يفقد الإنسان رشده لمدَّة معيَّنة، أو تنهار قواه الجسدية أو طاقته الجنسية، أو تعاف نفسه الطعام، أو يصاب بدُوار دائم أو بنوبات عصبية وما شابه ذلك.

سابعًا ــ السِّحر الذي يعتمد على تعلُّق القلب:

هنا يدَّعي السَّاحر أنه قد عرف الاسم الأعظم لله، وأنه باستخدامه لهذا الاسم تنصاع له كل الخلائق طائعة فيفعل ما يشاء بقدرة الله، فإذا آمن إنسان بصحَّة هذا الادِّعاء، تعلَّق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة من هذا المدَّعي، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى المفكِّرة عنده، فحينئذٍ يتمكَّن السَّاحر من

أن يفعل ما يشاء ويوحي بما يهوى دون أن يخاف من أن يكشف زيفه عقل أو منطق المشاهد أو المسحور.

ثامنًا ـ السِّحر الذي يعتمد على النميمة والتضريب:

وهذا السِّحر له تأثير نفساني على نفوس الناس، وأثره أشدّ ما يكون عند ضعاف الإيمان، الذين لا يؤمنون بكتاب الله ولا يتدبَّرون آياته، وخاصة الآية التي تقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات]. كذلك أثرها بالغ في نفوس سريعي الغضب والذين يُحسنون الظن بالناس، ويصدِّقون كل ما يقال لهم، وكذلك يؤثِّر هذا النوع كثيرًا في الأشخاص أصحاب الأهواء المتقلِّبة.

تاسعًا ـ السِّحر الذي يعتمد على التمائم والأحجبة:

هذا السِّحر نوعان: نوع إذا استخدم فيه الجن كان له أثر، والمؤثِّر هو الجن، وتأثيره على المسحور يكون من باب الإيهام والتخويف والتهويل والوسوسة.

أما النوع الثاني الذي لا يستخدم فيه الجن ففيه نوعان أيضًا، النوع الأول: ما كان تأثيره على المسحور من باب قوّة النفس والحسد الذي يستخدمه السَّاحر فيؤثِّر بذلك على المسحور، وقد نصَّ القرآن الكريم على أثر ذلك وطلب منَّا الاستعاذة كما جاء في سورة الفلق.

والنوع الثاني: هو الذي ليس للساحر فيه قوّة الحسد، فإنْ عَلِمَ المسحور بوجود السِّحر خافت نفسه واضطربت، فكان تأثيره كأنَّما هو سحر حقيقيّ مؤثِّر، وإذا لم يعلم بوجود السِّحر فإنه لا يؤثِّر فيه قط ولا يضرّه.







الباب الثاني

السِّحر والجن

السِّحر والجن

تمهيد:

عالم الجن عالم حقيقي خفي، نحن مأمورون بتصديق وجوده والاستعاذة من شياطينه لخطورتهم وكثرة وسوستهم، وهم مكلّفون ومحاسبون ومأمورون باتباع الرسل، لهم قدرات تفوق أحيانًا قدرات البشر، تخافهم الإنس أحيانًا ويخافون منها أحيانًا أخرى، وهم ركيزة أساسية في عالم السحر.

ذكرهم الله سبحانه وتعالى في كتبه السماوية، وكانت لأنبيائه ورسله الكرام معهم صولات وجولات، وبسبب خفاء هذا العالم تباينت حوله الآراء، واختلفت وجهات النظر حول وجوده، فمن الناس من صدَّق بوجوده، ومنهم من كفر، ومنهم من تصور هذا العالم بصورة غير الصورة الحقيقية الشرعية التي أشار إليها سبحانه وتعالى.

في هذا الباب نحاول أن نبين أمر هذا العالم على حقيقته، قدر المستطاع، ونجيب على معظم الأسئلة التي يمكن أن تخطر على البال بشأن الجن، ملتزمين بالكتاب والسنَّة قدر المستطاع.

والسبب الذي فرض عليّ إفراد هذا الباب في هذا البحث، هو التداخل الكبير بين الجن والسحر، إذ أن السَّحرة تستخدمهم وتسخرهم في سحرها. كما أن الكثير من أعمال السِّحر الكاذب تنسب لهذا العالم الخفي، وهو بريء منها، فأردت أن أبيِّن حقيقة هذا العالم كي أعطي القارىء ميزانًا حساسًا، وقواعد دقيقة يستطيع بواسطتها القارىء أن يتبين بنفسه ما هو حقيقي وما هو كاذب بالنسبة لهذا العالم، والله ولي التوفيق.

الفصل الخامس

تعريف الجن

أوّلاً ـ الجن في اللغة:

اشتُق اسم الجن من صفة الخفاء التي تتمتع بها، فهي عالم غير منظور، بعكس عالم الإنسان الظاهر الجلي. ورد في محيط المحيط: «إن الجن خلاف الإنس أو كل ما استتر عن الحواس من الملائكة أو الشياطين. وقيل: سمِّيت بذلك لأنها تُتَّقى ولا تُرى. وهو اسم جمع والواحد جنِّي. وقيل: بين الملائكة والجن عموم وخصوص، فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة»[1].

روى الشبلي عن ابن دريد قال: «الجن خلاف الإنس ويقال: جنَّه الليل وأجنَّه وجنَّ عليه وغطاه في معنى واحد إذا ستره. وكل شيء استتر عنك فقد جن عنك، وبه سمِّيت الجن، وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جنًّا لاستتارهم عن العيون. والجن والجِنَّة واحد، والجُنَّة ما واراك من السلاح قال: والحن زعموا أنهم ضرب من الجن قال الراجز:

يلعبن أحوالي من حن وحن»[2]

ونقل الشبلي أيضًا عن أبي عمر الزاهد قال: «الحن كلاب الجن وسفلته»[3].

---

(١) البستاني، بطرس، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٩، ص ١٣٠.

(٢) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٩.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩.

وقال الجوهري[1]: «الجان أبو الجن، والجمع جينان، مثل: حائط وحيطان، وقال الأعشى:

وسخر من جن الملائك سبعة　　　قياما لديه يعملون بلا أجر»[2]

كما روى الشبلي أيضًا عن أبي عمر بن عبد البر[3] قال: «الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب، فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا: جني، فإن أرادوا أنه يسكن مع الناس قالوا: عامر، والجمع عُمَّار، فإن كان ممن يَعرض للصبيان قالوا: أرواح، فإن خبث وتعزَّم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا: عفريت، والجمع عفاريت»[4].

وورد في لسان العرب: «جنن: جن الشيء يجنه جنًّا: ستره. وكل شيء سُتر عنك فقد جُن عنك. وجنَّه الليل يجنه جنًّا وجنونًا، وجن عليه يجن بالضم، جنونًا وأجنة: ستره، وفي الحديث: جن عليه الليل أي ستره، وبه سمِّي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمِّي الجنين لاستتاره في بطن أمه. وجن الليل وجنونه وجنانه: شدة ظلمته وادلهمامه. وقيل: اختلط ظلامه لأن ذلك كله ساتر، قال الهذلي:

حتى يجيء، وجن الليل يوغله　　　والشوك في وضح الرجلين مركوزُ

---

(١) الجوهري، صاحب الصَّحاح الذي اختار منه أبو بكر الرازي معجمه القيِّم: (مختار الصَّحاح)، الأحكام، ص ١٩.

(٢) الشبلي، أحكام المرجان، ص ١٩.

(٣) أبو عمر بن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ وأديب وبحَّاثة، حافظ المغرب. ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ، وتوفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ، راجع: وَفَيات الأعيان لابن خلكان، أحمد، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨، ٢/ ٣٤٨.

(٤) الشبلي، أحكام الجان، ص ٢٢.

وقال الزجّاج في قوله عزَّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأعراف: ٧٦]، يقال: جنَّ عليه الليل وأجنَّه الليل إذا أظلم حتى يستره بظلمته. ويقال لكل ما ستر جن وأجن. . . والجَنان، بالفتح: القلب لاستتاره في الصدر. . . والجن: ولدُ الجان. ابن سيده: الجن نوع من العالم سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار، ولأنهم استجنُّوا عن الناس فلا يُرَون. والجمع جنانُ، وهم الجِنَّة، قال الجوهري: الجن خلاف الإنس، والواحد جنِّي، سمِّيت بذلك لأنها تخفى ولا تُرى»[١].

وورد في القاموس المحيط: «جنَّه الليل وعليه جنًّا وجنونًا، وأجنه ستره، وكل ما سُتر عنك فقد جُن عنك. وجن الليل بالكسر وجنونه وجنانه ظلمته واختلاط ظلامه. والمِجَنَّة الأرض الكثيرة الجن، والجان اسم جمع للجن، وحية أكحل العين لا تؤذي، كثيرة في الدور، والجن بالكسر الملائكة»[٢].

ثانيًا ـــ وجوب الاعتقاد بالجن شرعًا:

المسلمون يعتقدون بوجود عالم خفي اسمه عالم الجن وإن كان هذا العالم لا يُرى في الحالات العادية، فالاعتقاد به واجب، ونفي وجوده كفر لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر بوجوده في قرآنه الكريم، كما أن الرسول محمدًا ﷺ بُعث إلى الجن والإنس. فوجود مخلوقات غير مدرَكة بالحواس أمر ممكن عقلاً، ونفيه وإنكاره لا يكون إلَّا من باب المكابرة، أو من باب الجهل، أو الكفر المتعمَّد.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مثبتًا خلق الجن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾ [الرحمن].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦، ١٣/ ٩٢، ٩٣، ٩٥.

(٢) الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. . .، القاموس المحيط، القاهرة، المكتبة المصرية، ١٣٤٢هـ، ط ٢، ص ٢١٠.

وقد ذكر الجن في نحو من أربعين آية في القرآن الكريم تضمها عشر سور[(١)] . وقد أفرد الله سبحانه وتعالى سورة كاملة تحدَّث فيها عن الجن، وهي سورة الجن التي تشير إلى استماع نفر منهم إلى الرسول محمد ﷺ، وهو يقرأ القرآن، فآمنوا به وولوا إلى قومهم مبشِّرين ومنذرين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن].

وكذلك ورد في سورة الأحقاف خبر هذا النفر من الجن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف].

وكان هؤلاء النفر جنُّ نصيبين من ديار بكر قرب الشام، أو من جن نينوى قرب الموصل. وقد جاءوا إلى النبي ﷺ وهو قائم يصلِّي بأصحابه صلاة الفجر (بنخلة) قرب الطائف، وهي مدينة بينها وبين مكة مسيرة ليلة. وكان يقرأ سورة العلق، وقيل: سورة الرحمن.

وقد اختلفت الآراء فيما إذا كان الرسول محمد ﷺ قد شعر بهم أم لا. فعن ابن عباس: «أن النبي محمدًا ﷺ لم يشعر بهم في هذه الواقعة أو لم يقصد فيها إبلاغهم القرآن، وإنما صادف حضورهم وقت قراءته»[(٢)].

وفي الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ أن وفادة الجن على الرسول محمد ﷺ قد تعدَّدت، والمرجَّح أنها حدثت ست[(٣)] مرات، والله أعلم.

---

(١) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، أماكن متعددة.

(٢) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، ٤/ ١٦٢.

(٣) الشبلي، أحكام الجان، ص ٧٤.

من هذه الأحاديث ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كاد أن يبلغ من شهرته مبلغ التواتر: أن النبـي ﷺ خرج ليلة الجن واصطحب معه ابن مسعود إلى مكان خارج المدينة، ثم ترك النبـي ﷺ ابن مسعود وأمره ألا يجاوز مكانه، وانصرف عنه بعيدًا بحيث يراه، ثم تجمع الجن على الرسول ﷺ، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الإسلام، ثم ولوا إلى قومهم مؤمنين منذرين[(1)].

فالاعتقاد بوجود الجن أمر لازم بعدما سمعنا القرآن الكريم يقر بوجودهم، ووصلنا الخبر اليقين عن الصادق الأمين محمد ﷺ. لأن الإيمان لا يتم إذا لم نصدِّق بكل ما ورد في القرآن الكريم، وبما أخبر عنه الرسول محمد ﷺ.

وأما ما يدور من جدل حول موضوع وجود الجن أو عدمه، بين أهل الملل وبين بعض الفلاسفة، القدماء والمحدَثين، فهو جدل سخيف لا يستحق الوقوف عنده. إذ ليس لديهم دليل على نفيه، إلاَّ أن يقولوا لم يثبت لدينا وجودهم بالحواس، فهم إذًا غير موجودين.

نقول لهم إن الجن عالم خفي فكيف يدرك الخفي بالحواس، والحواس قد خصَّها الله سبحانه وتعالى لإدراك العالم الظاهر المحسوس، ونقول لهم إن إدراك بعض الأشياء يكون عن طريق الاستنتاج العقلي، كما يمكن أن يكون عن طريق الخبر الصادق. لذلك على كل مسلم من الناحية الشرعية أن يعتقد بوجود الجن، وجودًا قاطعًا دونما تردد كاعتقاده بوجود عالم الإنس تمامًا.

ثالثًا ــ تحديد حقيقة الجن من خلال القرآن والسنَّة:

الجن مخلوقات، كالملائكة لا نعرف شيئًا عن طبيعتهم وعن صفات أجسامهم سوى ما ورد في القرآن والسنَّة النبوية العطرة، وما سوى ذلك فهو من باب الاجتهاد والتخمين ورجم بالغيب والتخيلات التي لا طائل تحتها، وما ورد في النصوص الشرعية عن صفاتهم وحقيقتهم يمكن أن يتلخص بما يلي:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

أوّلاً ــ إن الجن مخلوقات خلاف الملائكة، وإن اشتركوا معهم في صفة الخفاء. والمادة التي خُلقوا منها تختلف عن المادة التي خُلق منها الإنسان، فهم مخلوقون من مارج من نار، بينما البشر خلقوا من صلصال كالفخار. ففي سورة الرحمن إشارة إلى ذلك: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن]. والصَّلصال: الطين اليابس الذي لم يطبخ، إذ له صلصلة وصوت إذا ما نُقر، فإذا طُبخ بالنار فهو الفخار. والجان: هو أبو الجن كما ذكر المفسرون.

وفي تمنُّع إبليس عن السجود لآدم، تذرَّع بأنه مخلوق من نار، وأن النار أشرف من الطين، فكيف يسجد لمن خلق من الطين. ورد في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

ثانيًا ــ إن الجانَّ خُلق قبل الإنس بدليل قوله سبحانه وتعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر].

والحمأ: الطين الأسود المتغيِّر. والمسنون: المصور. والسَّموم: الريح الحارة القاتلة، سمِّيت بذلك لأنها تنفذ في مسام البدن.

ثالثًا ــ إنهم مثل الإنس يتناكحون ويتناسلون، ففي سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

كما يمكن أن نستخلص مما ورد في سورة الجن أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن، ومتى كان هنالك رجال من الجن، فهذا يقتضي وجود إناث، ومتى كان هنالك إناث كان هنالك تناكح ونسل. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن]. قال المفسِّرون: كان الرجل في

الجاهلية إذا سافر فأمسى في قفرٍ من الأرض، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي أو بعزيز هذا المكان من شرِّ سفهاء قومه، فيبيت في جوارهم حتى يصبح.

رابعًا ـ وتعلّمنا سورة الأعراف أن الجن مخلوقات خفية ترانا ولا نراها، ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف]. إلاَّ أن عدم رؤيتهم هذه تكون في الحالات العادية ولا يمنع من أن يشاهدوا في حالات مخصوصة، وضمن شروط معينة سوف يشار إليها إن شاء الله حين الحديث عن إمكانية تحضير الجن.

خامسًا ـ إنهم مخلوقات ذات قدرات عقلية قابلة للاطلاع والمعرفة والتعلم والتكيف كالإنسان، وهم محاسَبون. قال الله جلّت قدرته مخاطبًا الجن والإنس: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات].

وورد في سورة الأنعام: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأنعام].

وعن قدراتهم العقلية تشير هذه الآية من سورة الإسراء: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

سادسًا ـ والجن لهم معتقدات الإنس الدينية، فمنهم المؤمن، ومنهم الكافر، ومنهم ما بين ذلك. فالكفار هم الشياطين وأعوان إبليس، وهم الذين يوَسْوِسون للإنس وينغصون عليهم حياتهم ويحرفونهم عن الطريق القويم.

وسورة الجن تشير بوضوح إلى معتقدات الجن الدينية: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن]، ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الجن]، ﴿ وَأَنَّا مِنَّا

﴿ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن].

وكذلك نجد في الآية التالية إشارة إلى أن بعض من استمع إلى النبي ﷺ كان من اليهود بدليل قولهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف].

سابعًا ــ وفي سورة هود ما يشير إلى أن الجن يحاسَبون، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود]، وبما أنهم محاسبون فهم إذًا مكلَّفون ولا يكون التكليف إلَّا لمن كان مستوفيًا شروط العقل والرشد، أي إمكانية حمل التكليف.

ثامنًا ــ إن الاستعانة بالجن لا طائل تحتها، بل لا يتأتى منها إلَّا الوهن والإرهـاق والإثـم، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن].

تاسعًا ــ إنهم مخلوقات تأكل طعامًا، ولكن كيفية الأكل مجهولة، وإذا كانت بعض النوعية معلومة.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تستنجوا بالرَّوث ولا بالعظام، فإنها زاد إخوانكم من الجن»[1]. وعن ابن مسعود أيضًا قال: «لما قدم وفد الجن على النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، اِنْه أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثة أو حُممة[2]، فإن الله جعل لنا فيها رزقًا، فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك»[3].

عاشرًا ــ إن لهم القدرة على التشكُّل بأشكال مختلفة، كأن يتحوَّلوا إلى حية أو عنزة أو حمار أو قطة... إلخ. فقد جاء في طائفة من الأخبار، ظهور بعض الجن للإنس بأشكال جسمانية مرئية لنا، ومنها ظهور بعضهم على هيئة حيَّات.

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) الحُممة: الفحم.

(٣) رواه أبو داود.

وقد قتل أحد الصحابة حية من حيات البيوت، فكان في ذلك هلاكه، فقد ذكر: «أن أبا السائب دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، فوجده يصلي، قال: فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكًا في عراجين في ناحية البيت، فالتفت، فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إليّ أن اجلس، فجلست، فلما انصرفت أشار إلى بيت في الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ قلت: نعم، قال: كان فيه فتى هنا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يومًا، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظةَ»، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه، فما يدرى أيهما كان أسرع موتًا: الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا: ادع الله يحييه لنا، فقال: «استغفروا لصاحبكم»، ثم قال: «إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان»[1].

وقد سخر سيدنا سليمان عليه السلام الجن فلا يمكن أن يكون قد سخرهم دون أن يراهم، إلاَّ أن تسخيره لهم لا يعني إباحة تسخير الجن، فهو نبي ورسول ومؤيَّد من الله سبحانه وتعالى، والتسخير كان بقدرة الله ورضاه، فلا يطاله أذاهم لا بل كان يصفِّد بالأغلال من كان يزيغ عن أمره، كما ثبت في القرآن الكريم: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٣٨﴾ [صٓ].

حادي عشر: إن الجنَّ لهم قدرات قوية ومهارات صناعية، منهم من يقدر على الغوص في أعماق البحار، ومنهم من يتمكن من أن يجلب الأشياء الثقيلة من أماكن بعيدة بمدة قصيرة، ومنهم من يصنع التماثيل والقدور الكبيرة، كما ورد في سورة (صٓ):

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ ﴾، وفي سورة النمل يشير عفريت من الجن إلى قدرته على جلب عرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس: ﴿ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل].

وأشار الله تعالى إلى أعمال الجن المسخَّرين لسيدنا سليمان عليه السلام في سورة سبأ: ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ﴾ [سبأ: ١٣].

ثاني عشر ـ إنهم كانوا يسترِقون خبر السماء قبل البعثة المحمَّدية إلاَّ أن بداية البعثة قرنت برميهم بالشهب فوقف استراقهم للسمع وبطل عمل الكهَّان. فقد ورد في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن].

وتُجمع كتب التفسير كلها على أن الجن كانوا يقصدون السماء في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، فيسترقون أخبار السماء، ويلقونها إلى الكهنة، فلما بعث الله محمدًا عليه السلام حرست السماء، وحيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب.

ثالث عشر ـ إن لهم آجالاً محدودة يموتون بعدها، ثم يبعثون يوم الحساب.

هذه النقاط الثلاث عشرة التي يجب أن يعتقد بها المسلم كي يَسلم من الكفر أو الشبهة، علمًا بأن هنالك أمورًا أخرى عن الجن مقرَّرة شرعًا سوف يأتي الحديث عنها في أماكن أخرى من هذا البحث بإذن الله.

وفي ما يلي إحصاء لما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ: الجن، الجان، جِنَّة، (أي به مس من الجنون) وأخيرًا مجنون[1]:

---

(١) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

جدول رقم (١)

إحصاء لما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ الجن، والجان، جِنَّة، وأخيرًا مجنون

اللفظة	عدد الآيات	عدد السور
الجن	٢٢	١١
الجان	٧	٤
جِنَّة	١٠	٧
مجنون	١١	٩
المجموع	٥٠	٣١

* * *

الجن في معتقدات الفلاسفة والعلماء

إنَّ البحث في موضوع الجن من أصعب المواضيع، خاصة لأنَّ هذا الأمر يتركَّز على استقصاء عالم خفي غير منظور، لا يقاس بمقياس مادي ولا يخضع للحواس، وقد ذهب الفلاسفة مذاهب شتَّى بالنسبة لهذا الأمر، كلٌّ حسب الميزان الذي يقيس به الأمر.

فمنهم من أنكر وجود هذا العالم أصلاً، رافضًا الدخول في الجدل حول وجوده، ويعتبر التحدُّث عنه مضيعة للوقت. وهؤلاء هم الفلاسفة الماديُّون، الذين ينكرون وجود الروح، والأشياء غير الواقعة تحت الحسّ والقياس الماديّ.

وهنالك قسم آخر اكتفى بشرح معنى كلمة جن دون أن يشير بطريقة جليَّة إلى وجود هذا العالم وإثباته. وهذا ما ذهب إليه أبو علي بن سينا برسالته في حدود الأشياء، إلاَّ أنَّ الفخر الرازي في تفسيره للقرآن الكريم يؤكِّد بأنَّ ابن سينا يقصد نفي وجود الجن.

يقول في ذلك: «فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، ذلك لأنَّ أبا علي ابن سينا قال في رسالته في حدود الأشياء: الجن حيوان هوائي متشكِّل بأشكال مختلفة، ثم قال: وهذا شرح للاسم. فقوله: وهذا شرح للاسم، يدلُّ على أنَّ هذا الحدّ شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج»[1].

أما ابن باجه[2] فينكر وجود عوالم غير حسِّيَّة، ويشير إلى أنَّ في مقدور المخيِّلة تصوُّر أشياء ليست موجودة في الخارج مثل الغول الذي هو نوع من أنواع الجن.

ونشير هنا إلى أنَّ كلامه كان قد ورد في معرض حديثه عن المعقول والمعنى الكلي، والذي يمكن أن ندلّ عليه بالشيء الذي نشاهده فهو يقول: «إنَّ النسناس[3] والغول[4] ليست معقولات لشيء أصلاً... لأنها لا تُرى لكنه يمكن لنا أن نتصوَّر أمورًا لم نحسّها، وليس لها وجود في الخارج كتصوُّرنا عنقاء مغرب وعنزائيل والغول، وما أشبه ذلك من الأمور التي تفعلها المخيِّلة»[5].

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣٠/ ١٤٩.

(٢) ابن باجه: هو أبو بكر بن يحيى بن باجه، ويُعرف بابن الصايغ، من أشهر فلاسفة العرب في الأندلس. وُلِد في «سرقَسطة» في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، وتوفي في سنة ١١٣٨م، وهو لا يزال شابًا وفي قمة عطائه الفكري، وقيل إنه مات مسمومًا متَّهمًا بالكفر والزندقة. يراجع: ابن خلّكان، أحمد، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨.

(٣) النسناس: حيوان يقال فيه الكثير من الأوصاف، الأكثر منها: أنه حيوان كالإنسان، له عين واحدة. يراجع: الدميري، كمال الدِّين، حياة الحيوان الكبرى، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤.

(٤) الغول: جنس من الشياطين. وهم سحرتهم. والتغوُّل هو التلوُّن، وجمع الغول أغوال وغيلان، ثم إن كل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول. انظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢/ ١٩٣. وكذلك لسان العرب، ١١/ ٥٠٧ وما يليها.

(٥) ابن باجه، أبو بكر، رسائل ابن باجه الإلـهية، تحقيق ماجد فخري، بيروت، دار النهار، ١٩٦٨، ص ١٣٩ و ١٦٣.

وهنالك جماعة من الفلاسفة أولت معنى الجن والشياطين على محمل غير المحمل الشرعي، فهذه جماعة إخوان الصفا تؤوِّل الشيطان بأنه الإنسان إذا اشتدَّ أذاه وضرره للآخرين، كما أنَّ الملاك هو الإنسان الصالح.

يقول أحمد الزين في رسالته: «وليس عند الإخوان شياطين على رأسهم إبليس، خلقهم الله ليسلِّطهم على عباده، وإنما هو الإنسان إذا بلغ أشدّه، كانت نفسه شيطانية بالقوة، فإذا فارقت جسدها عند الموت صارت شيطانية بالفعل، وأما نفوس المؤمنين الصالحين فإنها ملائكة بالقوَّة، فإذا فارقت أجسادها، كانت ملائكة بالفعل، والنفس الإنسانية قوَّة من قوى النفس الكلِّيَّة اتَّحدت بالجسد رغبةً في الحصول على المعرفة التامَّة التي هي من صفات العقل الكلِّي»[1].

ومن جهة ثانية، فالإخوان في رسالة الأخلاق، يرون «أنَّ صورة الإنسانية، من حيث كون الإنسان خليفة الله في أرضه يجب أن تتناسب وكونه من أولياء الله وبالتالي فإنَّ الإنسان، إذا كان فاضلاً خيِّرًا، فهو ملَك كريم، وإذا كان شرِّيرًا مؤذيًا، فهو شيطان رجيم»[2].

وبعد إخوان الصفا ومعتقداتهم الباطنية وتأويلاتهم التي تتنافى مع الشرع الحنيف نجد الفارابي يقرُّ بوجود الجن، إلاَّ أنه يصنِّفه على أنه حي غير ناطق غير مائت.

يقول الفارابي: «الجن حيٌّ غير ناطق غير مائت، وذلك على ما توجبه القسمة التي تبيَّن منها حدُّ الإنسان المعروف عند الناس، أعني الحي الناطق المائت. وذلك أنَّ الحي منه ناطق مائت وهو الإنسان، ومنه ناطق غير مائت وهو الملك، ومنه غير ناطق مائت وهو البهائم، ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن»[3].

---

(١) الزين، أحمد إبراهيم، العلوم والكائنات الخفية عند الفلاسفة المسلمين، ص ٢٥.

(٢) إخوان الصفا، الرسائل، ١/٢٩٦ وما بعدها.

(٣) رسائل الفارابي، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٤ ـ ١٣٦٧هـ، ص ٣.

فالجن بنظر الفارابـي حيوان غير معرَّض للفناء ولكنه غير ناطق. ويحاول الفارابـي أن يوفِّق بين تصنيفه لعالم الجن وما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن]، فهذه الآية تدلُّ على صفتي السمع والكلام لدى الجن. يقول الفارابـي: إنَّ ذلك ليس مناقضًا للقرآن الكريم، فالسمع والكلام يمكن وجودهما للحي، من حيث هو حي، لأنَّ القول والتلفُّظ غير التمييز الذي هو النطق.

أما الإمام الغزالي فيقرُّ بعالم الجنِّ لكنه يناقض الفارابـي في مسألة النطق إذ يجعل الجن حيوانًا هوائيًّا ناطقًا. يقول الغزالي في تعريفه للجن إنه: «حيوان هوائي ناطق، مشِفّ الجرم، من شأنه أن يتشكَّل بأشكال مختلفة»[١].

كما نجد الإمام الغزالي يحذِّر في مواقع كثيرة من كتابه إحياء علوم الدِّين من شياطين الجن وتسلُّطهم وغوايتهم للإنس ويدعو الجميع للاحتراز وعدم الوقوع في الضلال، دون أن يبيِّن كيفية الاحتراز. كما أنه يحذِّر من شياطين الإنس، ويخبر بأنهم قد أراحوا شياطين الجن وكفوهم عناء غواية الإنس، إذ يقول في الإحياء: «كن من شياطين الجن في أمان، واحتراز من شياطين الإنس، فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الإغواء والإضلال»[٢].

أما ابن خلدون، فقد تعرَّض للحديث عن الجن في معرِض كلامه عن استراقها السمع وعلاقتها بالكهانة والكهَّان ومدى استمرارية هذه الصناعة، وهو يصوِّر لنا كيفية رجمها بالشهب لمنعها من استراق السمع زمن النبوَّة ونقل أخبار السماء إلى الكهَّان[٣].

* * *

---

(١) الغزالي، معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢) الغزالي، الإحياء، ١/٤١.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

الجن في معتقدات الناس

إنَّ من يبحث في معتقدات الناس عن الجن يجد الكثير، إنه تراث ضارب في القدم، متراكم بكميات هائلة، ويحتل حيِّزًا كبيرًا من العقل الباطني، لا بل إنه المحرِّك لكثير من أفعالهم ونشاطاتهم، بطريقة عفوية.

كل الناس من كبير وصغير، مثقَّف وعامي، ذكر وأنثى، له موقف وشؤون وشجون مع الجن وعالمهم الغريب الخفي. ما من أحد تحدَّثت معه محاولاً جمع المعلومات عن معتقدات الناس حول عالم الجن، إلاَّ وزوَّدني بقدر كبير من المعلومات، والعجيب في الأمر هو أنَّ هذه المعلومات بغضِّ النظر عن صحَّتها وصدقها أو عدمه، فإنها تقريبًا نفس المعلومات التي يحملها معظم الأشخاص المتواجدين في نفس البيئة الاجتماعية.

خلال بحثي عن المعلومات عن عالم الجن، حاولت أن أجمع أكبر قدر منها، عن طريق سؤال أكبر عدد من الناس، من ذوي الثقافات المختلفة والبيئات المتنوعة، ومن أعمار متفاوتة كي تكون المعلومات شاملة وصادقة من حيث مدلولاتها، عما يعتقده الناس عن هذا العالم الذي حيكت حوله القصص والأساطير والخرافات منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا.

فمعتقدات الناس عن عالم الجن لها مصادر وينابيع متعدِّدة كثيرة جدًّا. فمنها ما ينبع من معتقدات بدائية تكوَّنت من خوف الإنسان من الطبيعة، ومنها ما هو إسقاط لتصوُّرات ورغبات إنسانية خفيَّة، ومنها ما هو نابع من أساطير وخرافات وقصص، يصوِّرها الكهَّان والسَّحرة والمشعوذون لضحاياهم من ضعاف العقول، ومنها ما هو من وسوسة الشيطان، ومنها ما هو من الشرع الحنيف أو تحريف له.

من المعلومات التي جمعتها وجدت شبه إجماع عند عامة الناس ومثقَّفيهم على الاعتقاد بوجود الجن، وهذا الاعتقاد يتمشَّى مع ما جاء به الشرع الحنيف. لكن العامة من الناس تتحدَّث عن هذا العالم بتفاصيل ودقائق ومعلومات كثيرة ووفيرة ما أنزل الله بها من سلطان، كأنها ليس بينها وبينه حجاب، لا بل كأنها تراه عيانًا في

وضح النهار، بل إنَّ بعضهم قد حدَّثني أحاديث عن مصادقتهم ومؤاكلتهم ومشاربتهم وحتى عن اشتياقه لملاقاتهم!

فقد حدَّثني صديق شاب (م. ت) مثقف يعمل مخرجًا في إذاعة محليَّة القصة التالية، قال: «ذات يوم كنت أسير في شارع من شوارع بيروت، فإذا بـي أتعثَّر في مشيي وأقع على الأرض مغشيًا عليَّ، فحملني الناس إلى أهلي الذين أخذوني بدورهم إلى الطبيب، فأعطاني بعض الأدوية والعقاقير، إلاَّ أنها كلها لم تنفع، وتعدَّدت الوصفات الطبية والعقاقير، ولكن بدون جدوى، فالحالة بقيت كما هي، غيبوبة وتشنُّج في أوقات معيَّنة محدودة.

وتابع صاحبـي قصَّته مع مرض الغيبوبة هذه وقال: يا صديقي، كل ما كان يعرفه أهلي هو أنِّي أقع في غيبوبة، إلاَّ أنَّ تفاصيل هذه الغيبوبة لا يعلمها سواي. قلت له بلهفة: وما تفاصيلها يا صاحبـي؟ قال: كنت أثناء هذه الغيبوبة أُقاد إلى مكان غريب حيث تعقد محكمة ويجلس قضاة، ويرافع محامون، كلهم من الجن والمُتَّهم أنا، والتهمة الموجَّهة لي هي أنِّي قتلتُ جنيًّا صغيرًا، بأن دُستُ عليه أثناء سيري في الشارع. فتقدم شهود ورد دفاع، واستجوبت عن فعلتي الشنيعة هذه، فدافعت عن نفسي وقلت لهم بأني لم أره حين دست عليه، والمسؤولية تقع على أهله الذين تركوه يلعب في الشارع وسط الناس.

وبعد عدَّة جلسات نطق القاضي ببراءتي، إلاَّ أنني أثناء المحاكمة صار بيني وبين أم الجني القتيل وإخوته علاقة صداقة، وخاصة حين أسقطوا حقَّهم عنِّي. لقد آكلتهم وشاربتهم وتنزَّهت معهم وسامرتهم بعد الإفراج عنِّي، وكل هذه الأمور كانت تجري أثناء الغيبوبة التي لم يفلح الطب في تخليصي منها، والتي لم أكن أرغب في التخلُّص منها، خاصة بعد انتهاء فترة المحاكمة.

ولقد كانت أم القتيل تطلب منِّي أن أدخل غرفتي، وأغلق على نفسي الباب في أوقات معيَّنة ثم تأتي لتأخذني إلى عالمها، عالم الجن الغريب العجيب، إلاَّ أنَّها قد

انقطعت عن المجيء وملاقاتي بعد عامين من تاريخ المحاكمة، دون أن أدري ما السبب، وأنا الآن جِدّ مشتاق لها ولبقيَّة أولادها!».

كما أنَّ معظم من التقيتهم ممن يعتقد بوجود الجن، كذلك يعتقد بإمكانية ظهورهم أو تشكُّلهم بأشكال مختلفة، أشهرها تجسُّدهم على شكل حيَّة ضخمة، أو قطَّة سوداء، أو كلب أسود، أو شاة.

والتشكُّل له أساس في الحديث الشريف، الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبـي السائب مولى هشام بن زهرة عن أبـي سعيد. وهو الحديث الذي أوردناه عن الفتى الحديث العهد بالعرس. وروى الترمذي والنسائي من حديث صيفي مولى أبـي السائب عن أبـي سعيد الخدري، أنَّ بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا، فإذا رأيتم من هذه الهوام شيئًا فآذنوه ثلاثًا، فإن بدا لكم فاقتلوه.

لكن الغريب أنَّ الكثير يشير إلى أنَّ الجنِّي إذا تشكَّل على هيئة إنسان، فإنَّ قدميه تبقيان على شكل أرجل الماعز، وهذا المعتقد لم أجد ما يؤيِّده من الناحية الشرعية. كما أنَّ هنالك شبه إجماع على الاعتقاد بأنَّ الجن يخشى الذئب، ولا يستطيع أن يتشكَّل على هيئته، لا بل إنهم يؤكِّدون بأنَّ الذئب مسلَّط على الجنِّي إذا تشكَّل وقد يفترسه، كما يؤكِّدون بأنَّ الجنِّي يفرّ من رائحته.

لذلك يحرص بعض من صادفتهم في القرى الجبلية البعيدة عن العمران، على حمل حجاب، يحوي أثرًا من ذئب، كشعر أو ناب أو عظم أو جلد، وهذا ما لم أجد له ما يؤيِّده من الناحية الشرعية، لا بل إنَّ في حمل هذا النوع من الحجاب مخالفة شرعية من عدَّة وجوه، أوَّلها: الاتِّكال على غير الله سبحانه وتعالى. وثانيها: أنَّ أثر الذئب نجس. وثالثها: أنَّ الصلاة لا تجوز مع النجاسة.

والشائع بين الكثير من الناس، هو الخوف الشديد من الجن، والتهيُّب من ذكر اسمه. فتراهم حين يريدون ذكر الجن يقولون بخوف شديد: «بسم الله الرحمن الرحيم» ويعنون بها الجن، وقد ينفثون ويحرِّكون يدهم بإشارة تعني إبعادهم عن

أجسادهم، أو يحرِّكون يدهم فوق رأسهم بحركة دائرية محاولين بهذه التعوُّذ من الجن.

وهذا الخوف ليس له ما يبرِّره من الناحية الشرعية، فعلى المسلم إذا شعر بشيء من الرهبة أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

ومن المعتقدات الشائعة أيضًا، أنه من يسكب ماءً ساخنًا في المرحاض أو حوض تنظيف الصحون فجأة دون البسملة قد يُصاب بالأذى. وتعليلهم لهذا هو أنَّ الماء الساخن قد يكون آذى أو قتل أحد الجن، فتنتقم له الجن بإيذاء من سكب الماء. وفي بعض الأحيان فإنَّ شفاء ساكب الماء لا يتم إلاَّ بعد شفاء الجن الذي سُكِب الماء عليه.

كما أنَّ بعض الناس ممن يجد ألمًا في ظهره ولا يجد تبريرًا طبِّيًا لهذا الألم، يعتقد آخر المطاف أنَّ ما به إنما بفعل انتقام الجن منه. ذلك بأن يكون هذا الشخص قد آذى الجن دون أن يدري، فضربته الجن على ظهره انتقامًا.

ومن المعتقدات الشائعة أيضًا أنَّ الجن تسكن في المغاور، وآبار الماء، والبيوت المهجورة، وعلى أغصان الأشجار الضخمة، وخاصة أشجار الجمَّيز. أما ما ورد في الحديث، فإنَّ من أراد دخول الحمام عليه أن يقول: «اللَّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[1].

وكذلك يعتقد الناس في أنَّ الجن تشاركهم طعامهم إذا لم يذكروا اسم الله عليه، وهذا له أثر وأصل في سنَّة رسول الله محمَّد ﷺ. عن حذيفة أنه قال: كنَّا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ لا نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا مرَّة معه طعامًا، فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فذهب ليضع يده فأخذ بيده،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشيطان يستحلّ الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحلّ به، والذي نفسي بيده إنَّ يده في يدي مع يدها»[١].

وعن أمية بن مخشي ـ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ـ قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا، ورجل يأكل ولم يسم حتى إذا لم يبق في طعامه إلاَّ لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه»[٢].

وكما تشارك الجن الإنس في المأكل، فكذلك يعتقد الناس بأنَّ الجن تشاركهم في المسكن، وهذا الاعتقاد له أثر من الناحية الشرعية. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعَشاء»[٣].

ويعتقد أكثر العامَّة من الناس بقدرة الجن على معرفة الغيب، لذلك تراهم يتزاحمون على أبواب العرَّافين والكهَّان، الذين يدَّعون الاتِّصال بالجن، طلبًا لمعرفة الغيب، وهذا الاعتقاد باطل ومنافٍ للإيمان والعقيدة الصحيحة. فقد جاء القرآن الكريم موضحًا لهذه النقطة بصورة جليَّة لا تحتمل التأويل، ففي سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن].

ويعتقد بعض الناس بأنَّ هنالك حيوانات معينة يمكن أن تسكن فيها الجن أو تحل فيها، مثل الماعز والخنازير. كما يعتقد بعض الناس أن الجن يمكن أن تسكن بدن الإنسان، فتسبِّب له آلامًا مبرحة، وأوجاعًا شديدة، وقد تؤدِّي به إلى

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

الصرع والجنون. وقد يؤدِّي الأمر في النهاية إن لم يعالج معالجة روحية إلى الموت خلال إحدى نوبات الصرع أو الجنون.

ويعتقد الكثير من الناس بأنَّ بعض مدَّعي المشيخة والسِّحر لهم القدرة على إرغام الجن على الخروج من بدن المصروع، وذلك بالمحاورة والنصح، فإنْ أبى الجن الخروج بالحسنى تحوَّل السَّاحر أو الشيخ إلى التهديد بالاستعانة بنوع آخر من الجن يفوقهم قوَّة وقدرة، فإن تمنَّع الجن عن الخروج، لجأ إلى ضرب المصروع ضربًا مبرحًا على جميع أعضاء جسمه بالعصا، فإن أبى ذلك الجنِّي واستمرَّ في ممانعته هدَّده بالإحراق، فإن خاف وأظهر نيَّة للخروج، تجري المفاوضة على تحديد مكان خروجه من جسم المصروع.

فإن قال أَخرُج من عينه مُنع من ذلك، لأنَّ في هذا العمل إتلافًا للعين، فإن قال أَخرُج من أذنه فإنَّ في ذلك إتلافًا للأذن، وإن قال أخرج من فمه قُبل منه، على شرط أن يتجمَّع ويصغِّر جسده قدر استطاعته، أو قد يطلب منه الخروج من الإصبع الصغير لرِجل المصروع.

ويكون لخروجه صوت فرقعة وانشطار في الإصبع، يفقد بعدها المصروع وعيه وينطرح أرضًا لمدَّة وجيزة من الوقت، يفيق بعدها، كأنما استيقظ من كابوس مرعب، فيرى الناس حوله فيبادرهم بالسؤال ماذا حصل؟ ولماذا أنا هنا؟ وكم أمضيت من الوقت نائمًا؟ إلى غير ما هنالك من هذه الأسئلة، حتى يستعيد وعيه ويعلم بكل ما حصل له.

ومن المعتقدات الشائعة بين الناس أيضًا اعتقادهم بإمكانية التزاوج بين الإنس والجن، وهنالك القصص الكثيرة التي تُروى في هذا المجال. حتى إنهم يشيرون إلى أنَّ فلانًا متزوِّج من جنِّية أو فلانة متزوِّجة من جنِّي، ويستند من يعتقد بهذا إلى الآية القرآنية الواردة في سورة الإسراء التي تقول: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الإسراء].

كما يشيرون إلى رواية مفادها أنَّ أحد أبوي بلقيس كان من الجن.

ويعتقد الكثير من الناس بإمكانية تسخير الجن في قضاء الحوائج، عن طريق استخدام الطلاسم والعزائم وإحراق البَخُور. كما يصنِّفون الجن إلى سفلي وعلوي، أو شيطاني ورحماني، ولكل صنف طلاسمه وبَخُوره، واستخداماته في نواح معيَّنة، فالجن العلوي مثلاً، يُستخدم للأمور الخيِّرة وللمحبة والإلفة بين الناس، بينما السفلي فيستخدم للإيذاء والضرر والبغضاء والفرقة بين البشر.

وكما أنَّ الجن سفلي وعلوي، فكذلك نراهم يقسمون الجن من حيث الوظيفة واللون، إلى أنواع متعددة كثيرة، فهنالك الجن الأحمر، والجن الأسود، والجن الأخضر، وهنالك الجن الطيَّار، والجن الغوَّاص، والجن قاطع الصحاري والقفَار.

والكثير من الناس يعتقدون بقدرة الجن على جلب الأشياء المادِّية مهما كانت بعيدة أو ثقيلة. ويؤيِّد ذلك ما ورد عن العفريت الذي كان بحضرة سيِّدنا سليمان عليه السلام الذي تطوَّع لجلب عرش بلقيس: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل].

وكذلك يعتقد الكثير من الناس بأنَّ الجن لهم القدرة على رؤية الأشياء البعيدة، وكشف الضائع. كما يعتقد بقدرة الجن على حراسة الكنوز، وهذا ما يسمَّى بالرَّصد. وهذا الرصد لا يحلّ إلاَّ إذا ذبحت للجن الخراف أو مُدَّت لهم أطباق الطعام والولائم، أو أُحرِقَت من أجلهم أصناف البَخُور، وإذا تجرَّأ أحد على الاقتراب من الكنز المرصود، فإنَّ الجن تؤذيه بطريقة ما، كأن تردم عليه الحفرة التي يحفر لاستخراج الكنز، أو ترميه بحجر على رأسه، أو تخنقه، أو تظهر له بأشكال مفزعة تؤدِّي به إلى الجنون.

* * *

إثبات وجود الجن

إنَّ موضوع إثبات وجود الجن أو نفيه، موضوع قديم جدًّا، تناوله الفلاسفة في أبحاثهم، كما تناولته آراء العديد من المفكِّرين والعلماء والعامة، بين مثبت لوجودهم وناف له، كل ينطلق من دوافع وقواعد يبني عليها حكمه.

يقول الفخر الرازي: «اختلف الناس قديمًا وحديثًا في ثبوت الجن ونفيه، فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، وذلك لأنَّ أبا علي بن سينا قال في رسالته في حدود الأشياء: الجن حيوان هوائي متشكِّل بأشكال مختلفة، ثم قال: وهذا شرح للاسم. فقوله: وهذا شرح للاسم يدلُّ على أنَّ هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج، وأما جمهور أرباب الملل والمصدِّقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن، واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ويسمُّونها بالأرواح السفلية»[1].

وقد أنكرت جماهير القدرية وفرق الزنادقة وجود الجن، مع ما ورد من نصوص قرآنية صريحة، وأحاديث نبوية ثابتة تقول بوجودهم، وعدم استحالة ذلك عقلاً.

يقول الشبلي: «قال إمام الحرمين[2] في كتابه الشامل: اعلموا رحمكم الله أنَّ كثيرًا من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة أنكروا الشياطين والجن رأسًا ولا يبعد لو أنكر ذلك من لا يتدبَّر ولا يتثبَّت بالشريعة، وإنما العجب من إنكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار. ثم ساق جملة من نصوص الكتاب والسنَّة.

وقال أبو قاسم الأنصاري في شرح الإرشاد: وقد أنكرهم معظم المعتزلة[3]،

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن، ٣/ ١٤٩.

(٢) إمام الحرمين: لقب يُطلق على الإمام الجويني، وهو أبو المعالي ابن الشيخ أبـي محمد عبد الله بن أبـي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد «الجويني»، الفقيه الشافعي. انظر: وفيات الأعيان، ٣/ ١٦٧.

(٣) المعتزلة ويسمَّون أصحاب التوحيد، والعدلية، والقدرية، وهم قد جعلوا لفظة القدرية مشتركًا، وقد اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وقد افترقت القدرية المعتزلة عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفِّر سائرها. انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ، ص ٢٤.

ودلَّ إنكارهم إياها على قلَّة مبالاتهم وركاكة دياناتهم. فليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد دلَّت نصوص الكتاب والسنَّة على إثباتهم وحقَّ على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته.

(وقال) القاضي أبو بكر البَاقِلَّاني(١): وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديمًا ويثبتون وجودهم الآن، ومنهم من يقرُّ بوجودهم ويزعم أنهم لا يُرون لرقَّة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها»(٢).

أما بالنسبة لجمهور المسلمين، فهناك إجماع على وجود الجن، وكذلك طوائف الكفَّار وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فإنهم مقرُّون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر وجود الجن، فوجوده كوجود بعض طوائف المسلمين.

وفي القرآن الكريم سور وآيات تشير بشكل لا يقبل اللَّبس ولا التأويل إلى وجود الجن كمخلوقات خفيَّة عاقلة مخيَّرة قابلة للهداية مكلفة محاسبة، مُثابة ومعاقَبة كالإنسان تمامًا.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجن].

ففي هذه الآية الكريمة عدة نقاط نستخلص منها التالي:

أولًا: أمر وجود الجن مقرَّر فيها.

ثانيًا: إنَّ النبي محمدًا ﷺ لم يشاهدهم في هذه الحادثة بالذات، كونهم ينتمون إلى عالم خفي، بدليل استهلال هذه الآية بكلمة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، أي أنه لم يكن يعلم بأمر استماعهم، وإنَّ علمه بذلك قد تمَّ بعد الوحي.

---

(١) القاضي أبو بكر البَاقِلَّاني: هو الإمام العالم محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاضي من كبار العلماء المتكلِّمين، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. وُلِد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ. انظر: وفيات الأعيان، ١/ ٤٨١.

(٢) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٥.

لكن أمر رؤية النبي ﷺ لهم قد تحقَّقت في مناسبات أخرى، سيأتي ذكرها في مكانها المناسب من هذا البحث إن شاء الله. وكونهم من عالم خفي تؤيِّده آية أُخرى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف].

ثالثًا: يمكن أن نستخلص من هذه الآية الكريمة أنهم مدركون، إذ أنهم قالوا: إنَّا سمعنا قرآنًا عجبًا، لقد أُعجِبوا بإعجاز القرآن، وهذا الإعجاب لا يمكن أن يتم إلاَّ بعد أن محَّصت عقولهم ما ورد فيه، وأدركت معاني ومباني القرآن فعلمت قيمته وأعجبت به.

رابعًا: نظرًا لأنهم عقلاء مدركون، فإنَّ ذلك يفرض عليهم التكليف، لأن من مستلزمات التكليف الإدراك.

وأما الآية التالية: ﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن: ٢]، ففيها:

أولاً: إشارة إلى قابلية الجن للهداية.

ثانيًا: إشارة إلى أنهم مخلوقات مخيَّرة، إذ أنه بمجرَّد استماعهم للقرآن وإعجابهم به تخيَّروا الإسلام والإيمان بمحض إرادتهم.

وفي الآيتين الكريمتين التاليتين: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن]، فإنَّها تقرِّر الأمور التالية:

أولاً: إنَّ الجن مخلوقات تعتنق الأديان كالإنسان تمامًا، إذ أنَّ فيهم المسلم والقاسط.

ثانيًا: إنهم محاسَبون، إذ تشير الآية الثانية إلى أنَّ القاسط سيكون لجهنَّم حطبًا.

وكما أثبت القرآن الكريم وجود الجن، وأثبت لهم الصفات والخصائص التي ذكرت، فكذلك أثبت الصادق الأمين محمد ﷺ وجودهم وأثبت لهم الصفات والخصائص المنصوص عليها في القرآن الكريم.

يقول الفخر الرازي في تفسيره: «قال ابن مسعود: قال عليه الصلاة والسلام: «أُمِرتُ أن أتلوَ القرآن على الجن فمن يذهب معي؟ فسكتوا، ثم قال الثانية فسكتوا، ثم قال الثالثة، فقال عبد الله: قلت: أنا أذهب معك يا رسول الله، قال: فانطلق حتى إذا جاء الحجون عند شعب أبـي دب، خط عليَّ خطًّا فقال: لا تجاوزه، ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزط ـ يُروى الحديث هكذا: أجسامهم كأجسام الزطّ ورؤوسهم كرؤوس المكاكي: يعني عظام الأجسام صغار الرؤوس، والمكاكي: جمع مكاء، وهو طائر صغير ـ يقرعون في دفوفهم كما تقرع النِّسوة في دفوفها حتى غشوه، فغاب عن بصري فقمت، فأومأ إليَّ بيده أن اجلس، ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع، ولصقوا بالأرض حتى صرت أسمع صوتهم ولا أراهم.

وفي رواية أُخرى: فقالوا لرسول الله ﷺ: ما أنت؟ قال: أنا نبـي الله، قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: هذه الشجرة، تعالي يا شجرة، فجاءت تجرُّ عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه، فقال: على ماذا تشهدين؟ قالت: أشهد أنك رسول الله، قال: اذهبـي، فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت.

قال ابن مسعود: فلما عاد إليَّ، قال: أردت أن تأتيني؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: ما كان ذلك لك، هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن، ثم ولُّوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزوَّدتهم العظم والبعر، فلا يستطيبن أحد بعظم ولا بعر»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهَّان، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدِّثون أحيانًا

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣٠/١٥٣ . والحديث رواه البيهقي في دلائل النبوَّة.

الشيء حقًّا؟ قال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرُّها في أذن وليّه قرّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة»[1].

وبعد كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبعد كلام الرسول الصادق الأمين ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، في إثبات وجود الجن، نعود إلى شهادة العقل الذي به يكون المخلوق مكرمًا ومميزًا ومكلفًا.

فمن حيث التفكير السليم، والمنطق القويم، ليس هنالك ما يمنع منطقيًا من وجود هذا العالم الخفي، وخفاؤه لا يضر في إثبات وجوده، فكم من الأشياء لا نراها لكننا نقرّ بوجودها، إقرارًا لا يقبل الشك أو الريبة، وكم من شيء كنا لا نراه سابقًا، ثم تمكنا بوسائل العلم الحديث والأجهزة المتطوِّرة من اكتشافه، فهل كان قبل اكتشافه خرافة أو غير موجود، ثم أصبح موجودًا بعد مشاهدته؟ وكذلك إن من يدَّعي عدم وجود الجن لعدم قدرته على مشاهدتهم، نقول له: إنَّ هذا الافتراض خاطىء، لأنَّ أساس هذا العالم ـ أي عالم الجن ـ هو الخفاء.

فإذا ظهر هذا العالم للحواس بشكل واضح ومميز فإنه يبطل كونه عالمًا خفيًا، ألم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

إلاَّ أنَّ الجن يمكن أن تظهر في بعض الحالات الخاصة وضمن ظروف معيَّنة، ولسوف يبيَّن ذلك في الموضع المناسب من هذه الدراسة إن شاء الله.

* * *

النـار أصـل الجـن

ليس لنا من سبيل إلى معرفة يقينية لأصل المادة التي خلق منها الجن، سوى القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ. ففي القرآن الكريم كل ما يلزم الإنسان من

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

معلومات أساسية ومبادىء أولية يمكن أن ينطلق منها ليكوّن معارفه وعلومه الشاملة في كل الميادين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام].

كما لنا في أحاديث النبي محمد ﷺ، الضوء الذي يكشف لنا جوانب عديدة ومهمّة، عن هذا العالم الخفي، الذي لا يمكن أن نستخدم الوسائل والأدوات العلمية التقليدية لكشفه ومعرفة أصله وصفاته وخصائصه.

ففي القرآن الكريم إشارات واضحة تدل على أن الجان قد خلق من نار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر]، وقال أيضًا: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن]، وقال سبحانه وتعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

في هذه الآيات الكريمة دلالة واضحة على أن أصل الجان من نارٍ كما أن أصل الإنسان من طين. أما من يحتج فيقول: إن إبليس كذب وقد يجوز أن يكون قد كذب حين رد أصله إلى النار، نقول: لو لم يكن الأمر كذلك على ما قال لما ترك الله تكذيبه، لأن ترك تكذيب الكذاب أمر غير جائز[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم»[2].

وكما أن الإنسان خلق من طين وهو بعد خلقه أصبح من لحم ودم وعظم، فكذلك الجان خلق من مارج النار وهو ليس الآن بنار بدليل حديث رسول الله ﷺ: «عرض لي الشيطان في صلاتي فخنقته، فوجدت برد ريقه على يدي، ولولا دعوة

---

(١) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ٨/ ٩٦، ٩٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

أخي سليمان عليه السلام لقتلته»[1]، فإن كان جسمه ما زال نارًا فكيف يوجد برد ريقه على يد الرسول ﷺ.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك، ثم قال: ألعنك بلعنة الله»، وبسط يده ثلاثًا كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟ قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات. ثم أردت أن آخذه، ووالله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا فلعب به ولدان أهل المدينة».

في هذا الحديث دلالة على أن الجن لو كانوا باقين على عنصرهم الناري، لما احتاج إبليس اللعين إلى شهاب من نار. لإيذاء الرسول الكريم ﷺ.

وكما أن الإنسان خلق من طين، ويمكن أن يؤثر فيه الطين إذا ما ضرب به، فكذلك فإن النار تؤثر في الجن، وهذا ما ينفي استحالة تعذيب الجان في نار جهنم.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف].

أما من يدَّعي أن النار لا يمكن أن تخلق منها الحياة، لأن الحياة تحتاج إلى الرطوبة والماء، فنقول لهم: أليس الله بقادر على كل شيء؟ يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة].

ونضيف فنقول: إن الذي يخلق من العدم قادر على أن يحوِّل الموجود من حالة إلى أخرى، كأن يحول الطين إنسانًا سميعًا بصيرًا عاقلاً مدركًا، كما هو قادر

---

(١) رواه البخاري بنحوه وصحَّحه السيوطي، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سبحانه جلّت قدرته على تحويل النار إلى جني سميعٍ بصيرٍ عاقلٍ مدركٍ خفيٍ له قدرة على التشكل ويستطيع أن يرانا ولا نراه.

* * *

عالم الجن قبل عالم الإنس

من الإشارات الواردة في القرآن الكريم نستدل على أن خلق الجن كان قبل خلق الإنس، إذ يقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص].

وفي هذا دليل على أن إبليس اللعين كان قبل خلق آدم عليه السلام، فإذا اعتبرنا إبليس من الجن كان هذا دليلاً كافيًا، أما من يعتبر أن أصل إبليس اللعين من جنس الملائكة فنأتيه بأدلة أخرى تثبت أن خلق الجن كان قبل خلق الإنس، إذ يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، إذ في تقديم كلمة الجن على الإنس في هذه الآية، دلالة على أقدمية خلق الجن، ومن يتتبع الآيات التي يرد فيها ذكر الجن والإنس، يجد ذكر الجن مقدمًا على ذكر الإنس.

كما يمكن أن نستدل من الآية التالية أن خلق الجن كان قبل خلق الإنس: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة].

تشير هذه الآية إلى أنه كان في الأرض خلق قبل الإنس، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وهم الجن، وهذا قول جمهور المفسرين، إذ قالوا بأن الجن كانوا قبل الإنس بألفي عام فأفسدوا في الأرض، فأرسل الله سبحانه وتعالى عددًا من الملائكة فأجلتهم عن الأرض إلى الجزر والأماكن النائية.

يقول الطبري: «والجن، كما جاء في الأخبار، هم سكان الأرض قبل النوع البشري، أربعون فرقة كل فرقة ستمائة ألف... أكثروا في الأرض فسادًا فلاحقتهم

الملائكة وحاربتهم، ثم شتتتهم وطردتهم إلى أطراف الجزائر في البحور بعد أن أسرت منهم الكثير، كل ذلك وآدم لم يخلق بعد، ولم يسكن الأرض»[1].

وإذا أخذنا تفسير البعض الآخر لهذه الآية على الوجه التالي: أن الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة من البشر وأن بعض ذرية هذا النوع الإنساني سوف تسفك الدماء، فإن هذه الآية لا تعد صالحة لإثبات أن الجن قد خلقوا قبل الإنس.

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة أن الله تعالى قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: ربنا ما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا»[2].

بعد هذا العرض الموجز لهذه القضية نميل إلى ترجيح رأي الجمهور القائل بخلق الجن قبل الإنس، ونستبعد الرأي القائل بأن الله قد أخبر الملائكة بأن آدم سيكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا، والله أعلم.

* * *

هل إبليس اللعين من الجن أم من الملائكة؟

اختلف علماء التفسير في أصل إبليس اللعين، هل هو من الجن أم من الملائكة؟ قال بعضهم: إنه من الملائكة، وقال آخرون: إنه من الجن، وقال آخرون: إنه كان من الملائكة، فلما أسخطَ اللّـهَ مُسخ على مكانته الحالية، فكان شيطانًا رجيمًا ومبلسًا من رحمة الله.

فأما من قال إنه من الملائكة استدل على ما ورد في الآية الكريمة التي تقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ

---

(١) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ١/ ١٥٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٠.

ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ [الأعراف]، فقالوا: إن الاستثناء هنا يدل على أن إبليس من جنس المستثنى منه. وهذا هو برأيهم المشهور في لغة العرب بدلالة أنه لا يحسن قول القائل: فتح الخبازون إلاَّ فلانًا، ويريدون به فلانًا الحداد، كما لا يحسن أن يقال: رأيت الناس إلاَّ حمارًا.

ويعارضون قول من يجيزون أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كما في هذا البيت من الشعر:

وبلـــدة ليـــس بهـــا أنيـــس إلاَّ اليعـــافيـــر وإلاَّ العيـــس

فيقولون: إن اليعافير والعيس من جنس ما يؤنس به، وإنما استثناهما الشاعر من الإيناس لا من غير ذلك.

والذي يدل على أنه من الملائكة أنه لو لم يكن منهم لما حسن لومه بامتناعه عن السجود، كما أنه يؤكد توجيه الأمر إليه إذ يقول إبليس اللعين: ﴿. . . أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص].

ويقولون: لو صدر أمر من السلطان بأن لا يفتح البزَّازون ففتح الخبازون لم يحسن لومهم لأنهم لم يدخلوا تحت النهي.

ويرد من يعتقد بأن إبليس اللعين من الملائكة على من قال أن إبليس من الجن ردًا على ما ورد في كتاب الله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف]، فيقولون: إن الجن المذكور في هذه الآية، هو نوع من الملائكة مخلوقة من نار السموم، كما يقال: الخزنة والزبانية وهما مسمَّيان لشيء واحد، كما نقول: زنج وعرب وعجم.

ورد في تفسير ابن كثير: «وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين

الملائكة وكان اسمه الحارث، وكان خازنًا من خزان الجنة، قال: وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي، قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت. . .

وقال السدي في تفسيره: عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ: لما فرغ الله من خلق ما أحب، استوى على العرش فجعل إبليس على ملك السماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وإنما سمُّوا الجن لأنهم خزان الجنة. وكان إبليس مع ملكه خازنًا فوقع في صدره وقال: ما أعطاني الله هذا إلاَّ لمزية لي على الملائكة، فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك»[١].

ويعقِّب ابن كثير بشأن ما تقدم فيقول: «فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم.

ويقول أيضًا: وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبيتها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها»[٢].

والحاكم يروي في مستدركه بهذا الإسناد بعينه أشياء ويقول على شرط البخاري[٣]، ويقول ابن كثير: «قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان إبليس اسمه عزازيل، وكان من أشراف الملائكة من ذوي الأجنحة الأربعة ثم أبلس بعد»[٤].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٧ ـ ٧٦.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٨٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ٧٦ ـ ٧٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ٧٦ ـ ٧٧.

وينقل ابن كثير عن ابن عباس: «قال ابن عباس: كان من الجن، أي من خزان الجنان، كما يقال للرجل مكي ومدني وبصري وكوفي. وقال ابن جريج عن ابن عباس نحو ذلك»[1].

وأما من قال بأن إبليس من الجن وليس من الملائكة، فقد ذكر أن الاستثناء إنما هو استثناء منقطع، وبذلك لا يكون إبليس من جنس الملائكة. وقيل أيضًا بأن إبليس كان قد سبي وهو صغير حين تقاتلت الجن وسفكت دماء بعضها في الأرض، فسلَّط الله سبحانه عليهم الملائكة وعادت بإبليس حيث نشأ بينهم وتشبَّه بأفعالهم حتى جاء وقت السجود لآدم حين امتنع فأبلسه الله من رحمته.

«قال شهر بن حوشب: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء، رواه ابن جرير. وقال سنيد بن داود: حدثنا هيثم أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى عن موسى بن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل، عن سعد بن مسعود قال: كانت الملائكة تقاتل الجن، فسبي إبليس وكان صغيرًا فكان مع الملائكة يتعبَّد معها، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى إبليس، لذلك قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠].

وورد عن الحسن البصري أنه قال: ما كان إبليس من الملائكة وإنه أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس... حدثنا محمد بن بشار حدثنا عدي بن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس»[2].

يقول ابن كثير أن إبليس ليس من الملائكة: «والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم، لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلاَّ أنه قد تشبَّه بهم وتوسَّم بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب لهم وذم في مخالفة الأمر»[3].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٩.

(٢) المصدر السابق ١/ ٧٧.

(٣) المصدر السابق ١/ ٧٧.

ويستدل من ينفي أن إبليس من الملائكة بقوله أن الملائكة لا تتناكح وليس لها ذرية، بينما إبليس له ذرية، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف].

وإذا رجعنا إلى المادة التي خُلق منها إبليس فنقول: إنه خلق من نار كما في الآية الكريمة: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف]، بينما خلقت الملائكة من نور.

فعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[(١)].

وإذا اعتبر إبليس من الملائكة، تعتبر ذريته كذلك، الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد بأن قسمًا من الملائكة عملهم الغواية وإضلال الناس، وهذا مناف لطبيعة الملائكة الكرام، إذ أنهم لا يعصون الله جلَّ وعلا، ويلتزمون بأوامره ونواهيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم].

وأما قولهم في أن كلمة الجن نسبة إلى الجنة فهذا أمر غير مقبول عقلاً.

وبعد أن علمنا أن إبليس خلق من نار وثبت عن الرسول الصادق الأمين أن الجنَّ خلقت من نار، والملائكة خلقت من نور، نقول بعد هذا العرض الموجز لأصل إبليس اللعين أن المرجح عندنا هو: أن إبليس من الجن وأنه كان في يوم من الأيام مجتهدًا في العبادة، لكنه كان يحمل في صدره التكبر والغطرسة، فعندما أمره الله بالسجود لآدم مع الملائكة رفض وتمرَّد، فغضب الله عليه ولعنه وجعله مبلسًا من رحمته سبحانه وتعالى، ولذلك سمِّي شيطانًا رجيمًا.

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

الفصل السادس

صفات الجن

أجسام الجن وقدرته على التشكُّل

لا شكَّ أنَّ للجنِّ مادة، إذ لا يُعقل أن يكون المخلوق بلا مادة، والمادة تشكِّل جسمًا، والجسم يأخذ حيِّزًا، إلاَّ أنَّ المخلوقات في هذا الكون على نوعين، هما: المخلوقات المنظورة، والمخلوقات المستورة.

إلاَّ أنه في بعض الأحيان، وضمن ظروف وشروط معيَّنة يمكن للمخلوقات المستورة أن تشاهد كالجن والملائكة.

فالجن مخلوقات مستورة عن الحواس في الأحوال العادية بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف].

وقد اختلفت الآراء في سبب عدم القدرة على مشاهدة أجسام الجن، فمنهم من ردّها إلى الرقَّة التي تتمتَّع بها هذه الأجسام. يقول الشبلي نقلاً عن المعتزلة في ذلك: إنهم أجسام رقيقة ولرقَّتهم لا نراهم»[1].

ويقول الغزالي: «حيوان ــ أي الجن ــ هوائي ناطق، مشِف الجِرم، من شأنه

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ٣٠.

أن يتشكَّل بأشكال مختلفة»[1]. وينقل الفخر الرازي عن ابن سينا: «قال في رسالته في حدود الأشياء عن الجن: الجن حيوان هوائي متشكِّل بأشكال مختلفة»[2].

وهناك من قال بأنَّ الجن قد تكون لها أجسام كثيفة، وقد تكون لها أجسام رقيقة، ولا يمكن التأكُّد من حقيقة أجسام الجن ـ كثيفة هي أم رقيقة ـ إلاَّ بالمشاهدة، أو الخبر الوارد عن الله تعالى، أو عن رسول الله ﷺ، وكلا الأمرين مفقود.

قال آخرون: إنَّ عدم الرؤية يعود إلى عدم وجود اللون في أجسامهم، وقال آخرون: إنَّ عدم القدرة على رؤية الجان، كثيفة كانت أم رقيقة، يعود إلى عدم إعطائنا القدرة على إدراكهم من قِبل الله سبحانه وتعالى، فمن أعطي هذا الإدراك شاهدهم، ومن لم يعط الإدراك لم يشاهدهم.

قال أبو القاسم الأنصاري في (شرح الإرشاد) حكاية عن القاضي أبي بكر: ونحن نقول إنما يراهم من رآهم، لأنَّ الله تعالى خلق له رؤيته، وأنَّ من لم يخلق له الرؤية لا يراهم لأنهم أجسام مؤلفة وجثث[3].

وفي حديث النبي محمد ﷺ عن الجني الذي تبعه بشهاب من نار يريد إيذاءه يوم الإسراء، دليل على أنَّ النبي ﷺ قد يشاهد الجنِّي، فقد روى مالك في الموطأ: عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي عفريتًا من الجن يطلبني بشعلة نار كلَّما التفت رأيته، فقال جبريل: ألا أعلِّمك كلمات تقولهن فتنطفىء شعلته ويخرُّ لفيه؟ قال رسول الله ﷺ: بلى، فقال جبريل: قُل: أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامَّات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، من شرِّ ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شرِّ ما ذرأ في الأرض، ومن شرِّ ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، وطوارق الليل والنهار، إلاَّ طارق يطرق بخير يا رحمٰن»[4].

---

(١) الغزالي، معيار العلم، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢) الفخر الرازي، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ١٤٩.

(٣) انظر: الشبلي، أحكام الجان، ص ٣٠.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، ما يؤمر به من التعوُّذ، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ٢/ ٢٣٣.

وقصة إمساك النبي بالجن ومحاولة ربطه بسارية الجامع مشهورة، وقد ورد الحديث فلا داعي لإعادته، لكن هناك رواية ثانية: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الشيطان عرض لي فشدَّ عليَّ ليقطع الصلاة عليّ، فأمكنني الله منه فذعتُّه، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان: «ربِّ هب لي ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي»[1]، فردَّه الله خاسئًا»[2].

إنَّ مشاهدة النبي للجن كانت مشاهدة له على الحالة التي خلق عليها الجن، بدليل أنَّ الرسول ﷺ شاهده دون أن يشاهده سواه ممن حضر معه الصلاة.

ونضيف شيئًا علميًّا حديثًا على ما قالته العلماء في سبب عدم رؤية الناس للجن، وهو أنَّ بعض الأشياء إذا كانت لها درجة انكسار ـ أي انكسار الضوء ـ مساوية لدرجة انكسار الجو الذي توضع به، فإنها لا تُرى، ولتوضيح ذلك نقول: إذا وضعنا السائل الزجاجي المستخرَج من العين في إناء ماء، فإنَّ السائل الزجاجي يختفي في الماء ولا يستطيع المشاهد رؤيته، وذلك لأنَّ هذا السائل الزجاجي «Viterous Humor» له نفس درجة انكسار الماء، لكن إذا أدخل المشاهد إصبعه وتحسَّس هذا السائل الزجاجي فإنه يحسّ به، أي إنه موجود لا تراه العين ولكن يمكن أن يشعر بوجوده من خلال حاسَّة اللَّمس[3].

كما أنَّ «بعض الأشياء الموجودة إذا صدرت عنها موجات ضوئية خارج حدود الموجات التي تلتقطها شبكية العين فإنها لا تشاهد، ولتوضيح ذلك نقول بأنَّ شبكية العين حسَّاسة للموجات الضوئية ضمن نطاق ٣٨٠ ـ ٧٥٠ ملي ميكرون، فأي موجة ضوئية أصغر من ٣٨٠ أو أكبر من ٧٥٠ ملي ميكرون لا تشاهدها العين، لذلك فإننا لا نرى كل الإشعاعات الموجودة حولنا كالأشعة ما فوق البنفسجية أو ما دون

---

(١) سورة ص، آية ٣٥.

(٢) ورد في الصحيحين.

(٣) انظر: G. Tohme And T, El-Hage, Natural Science, Beirut, Librairie de Liban, 1982, p 118.

الحمراء»[١]، وما يقال عن شبكية العين أو العين يقال أيضًا عن كل حاسة من حواسنا، فالكلب مثلاً يسمع أصواتًا لا نسمعها، والقطة تشتمُّ روائح لا نحسّ بها، وهكذا.

نعود إلى موضوعنا فنقول: إنَّ الجنّ يستطيع أن يتشكَّل في صور الإنس والبهائم، فقد يظهرون على شكل حيات أو عقارب أو إبل أو بقر أو غنم إلى آخر ما هنالك من حيوانات.

يقول الشيخ محمد متولِّي شعراوي ردًّا على سؤال حول إمكانية تشكُّل الجن: «أجل يتشكَّل الجن بسرعة خاطفة لأنه إذا تشكَّل حَكمه ذلك الشكل، فإذا أخذ صورة مادية خضع لقانون الماديات، من الممكن قتله برصاصة أو ذبحه بسكِّين. قال رسول الله ﷺ لما تمثَّل له الشيطان: لقد هممتُ أن أربطه بسارية المسجد ليتفرَّج عليه صبيان المدينة، وحين يربط الشيطان لا يستطيع فكاكًا لأنَّ قانون المادة حَكَمَه»[٢].

كما يمكن أن يأتي الشيطان بصورة إنسان، كحادثة إتيان الشيطان قريشًا يوم أرادوا الخروج إلى بدر على هيئة سراقة بن مالك بن جعشم. يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال].

وكذلك هنالك قصة قريش حين اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر الرسول ﷺ حينما برز لهم الشيطان بهيئة شيخ نجدي وأشار عليهم بما أشار، قال الله سبحانه وتعالى في حق هذه الحادثة: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال].

---

(١) G. Hardin, Biology Its Principles And Implications, San Francisco Freeman, 1961, P 513 - 514.

(٢) شعراوي، محمد متولي، الفتاوى، بيروت، دار الندوة الجديدة، بدون تاريخ، ص ٦٣ ــ ٦٤.

وهناك قصَّة عمَّار بن ياسر الذي برز له الشيطان على شكل عبد أسود فصارعه عمَّار وغلبه.

قال أبو نعيم: حدَّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدَّثنا عبد الله بن محمد بن عبد الكريم، حدَّثنا محمد بن الحسين بن أبـي الحسين عن حميد بن هلال، عن الأحنف بن قيس قال: قال عليّ بن أبـي طالب: والله لقد قاتل عمَّار بن ياسر الجن والإنس على عهد رسول الله ﷺ، فقلنا: هذا الإنس قد قاتل، فكيف الجن؟

فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال لعمَّار: انطلق فاستق لنا من الماء، فانطلق فعرض له الشيطان في صورة عبد أسود، فحال بينه وبين الماء، فأخذه فصرعه عمَّار، فقال له: دعني وأخلي بينك وبين الماء ففعل، ثم أتى فأخذه عمَّار الثانية فصرعه، فقال: دعني وأخلي بينك وبين الماء فتركه، فأتى فصرعه فقال له مثل ذلك، فتركه فوفى له. فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الشيطان قد حال بين عمَّار وبين الماء في صورة عبد أسود، وإنَّ الله أظفر عمَّارًا به.

قال عليّ: فلقينا عمَّارًا فقلت: ظفرت يداك يا أبا اليقظان، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: كذا وكذا، فقال: أما والله لو شعرت أنه شيطان لقتلته، ولكن هممت أن أعض بأنفه لولا نتن ريحه، والله أعلم»[١].

والأحاديث تشير أيضًا إلى قدرة الجن على التشكُّل في صورة حيَّة، وقد وردت قصَّة الفتى حديث العهد بالعرس الذي قتل الحية، والذي رواه مسلم في صحيحه. وكذلك الخبر الذي رواه الترمذي والنسائي من حديث مولى أبـي السائب بأنَّ في المدينة نفرًا من الجن قد أسلموا.

لكن قتل الجنِّي بغير حق لا يجوز، تمامًا كما لا يجوز قتل الإنسي. قال الشيخ أبو العباس[٢]: «قتل الجن بغير حق لا يجوز، كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق،

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٥٧.

(٢) يقصد به ابن تيمية.

والظلم محرَّم في كل حال، فلا يحل لأحد أن يظلم أحدًا ولو كافرًا. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة: ٨].

والجن يتصوَّرون في صور شتى، فإذا كانت حيات البيوت قد تكون جنًّا فتؤذَن ثلاثًا، فإن ذهبت فبها وإلاَّ قتلت، فإنها إن كانت حية أصلية فقد قتلت، وإن كانت جنِّية فقد أصرَّت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية تفزعهم بذلك، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلاً، فأمَّا قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز، والله تعالى أعلم»[(١)].

ويقال: إنَّ الجن إذا تشكَّل بصورة معيَّنة فإنها تحدّه، فإذا أتلفت هذه الصورة، فإنَّ الجني يموت، كأن يتشكَّل بهيئة ورقة، فإذا أُحرِقت أو مُزِّقت، فإنَّ الجني يحترق أو يتقطَّع، كما أنه لو تشكَّل الجنِّي على هيئة أرنب، فأُلقي القبض عليه، فإنَّ الجني لا يستطيع الإفلات ما دام مقبوضًا عليه. والذي يؤكِّد ذلك حادثة الفتى الذي قتل الحيَّة، وحديث رسول الله ﷺ الذي ذكر فيه أنه كان يريد أن يربط الجني في سارية المسجد، حتى يصبح فيلهو به صبيان المدينة.

ويقال للجن التي تظهر بصور مختلفة: المتشيطنة، وهم أنواع، منها: «**الولهان** يوجد في جزائر البحار على صورة الإنسان. حكى بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب، وصاح بهم صيحة عظيمة خرُّوا منها على وجوههم. ومنه **السعلاة**: يُحكى أنَّ صنفًا منها يتزيَّا بزيِّ النِّساء ويتراءى للرجال... ومنها نوع يقال له: **المذهب**، يخدم العباد ومقصده بذلك أن يُعجبوا بأنفسهم... ومنها نوع يقال له: **العفريت**، يختطف النساء»[(٢)].

وفي ختام هذا الموضوع نقول بأنَّ الجن إذا تشكَّل فإنَّ تشكُّله إنما يكون

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ٩٠.

(٢) الأبشيهي، شهاب الدِّين، المستطرف، بيروت، دار الندوة الجديدة، بدون تاريخ، ١٥٣/٢.

بقدرة الله سبحانه وتعالى ومشيئته، لأنَّ الأفعال من خلق الله الذي يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات].

كما أنه تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الجن لا يقدرون أن يتشكَّلوا على هيئة الرسول محمد ﷺ. ففي الصحيحين: من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنَّ أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو كما رآني في اليقظة، لا يتمثَّل الشيطان بي»[1].

* * *

أنواع وأوصاف الجن

إذا تتبَّعنا القرآن الكريم بحثًا عن أوصاف وأنواع الجن فإننا نجد أنَّ كتاب الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى الجن بمسمَّيات متعدِّدة مثل الشياطين، كقوله سبحانه جلَّت قدرته:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام].

والعفاريت، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل].

وكذلك القرين، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف].

كما ورد من المسمَّيات أيضًا المارد كقوله تعالى: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات].

أما ما ورد في الحديث الشريف، فقد صنَّف الجن من حيث التركيب والصور

---

(١) الحديث الذي أخرجه الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه وصحَّحه السيوطي في الجامع الصغير.

ثلاثة أصناف: «أخرج ابن أبـي الدنيا[1] في «مكائد الشيطان»، والحكيم الترمذي[2] في «نوادر الأصول»، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه[3] عن أبـي الدرداء، قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب»[4].

وهناك صنف من الجن تسكن البيوت مع الناس يقال لها: العمّار، ومفردها: عامر، وقد تشاركهم، بالإضافة إلى المسكن، في المأكل.

وقد سبق ذكر الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ، والذي يخبر فيه الرسول الصادق أنَّ الشيطان يبيت ويأكل من طعام الناس إذا لم يذكروا الله عند دخولهم البيوت وعند تناولهم الطعام.

وينقل الشبلي عن أبـي عمر بن عبد البر فيقول: «الجن عند أهل الكلام والعلم منزّلون على مراتب، فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا جني، فإن أرادوا أنه ممن يسكن

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبـي الدنيا القرشي الأموي، البغدادي، أبو بكر، حافظ للحديث، مكثر التصنيف. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠، ط ٥، ٤/١١٨.

(٢) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، من أهل ترمذ. انظر: الأعلام ٦/ ٢٧٢.

(٣) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له: ابن مردويه الكبير. وُلِد سنة ٣٢٣هـ، حافظ، مؤرِّخ، مفسِّر، من أهل أصبهان. من كتبه: التاريخ، وكتاب في تفسير القرآن، ومسند. انظر: الأعلام ١/ ٢١٦.

(٤) وتمامه: «... وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف في ظل الله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظله. وهذا الحديث ضعيف، فيه يزيد بن سنان الرهاوي، ضعفه ابن معين، وأحمد، وابن المديني. وقال البخاري: مقارب الحديث. وقال الذهبي: حدَّثه بالكوفة، ومات سنة خمس وخمسين ومائة، وتركه النسائي.

والحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير، حديث رقم ٣٩٣١، وضعفه، وعزاه للحكيم الترمذي، وابن أبـي الدنيا، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبـي الدرداء.

مع الناس، قالوا: عامر، والجمع: عمّار. فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح، فإن خبث وتعزّم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا: عفريت، والجمع: عفاريت»(١).

وجاء في «عيون الأخبار» أنّ الشياطين مردة الجن، والجان ضعفة الجن(٢). وقد سئل وهب بن منبه عن الجن فقال: «هم أجناس، فأما الصميم الخالص من الجن، فإنهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون في الدنيا ولا يتوالدون. ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالي والغيلان والقطاريب وأشباه ذلك»(٣).

والغيلان والسعالي أشهر المتشيطنة عند العرب. يقول القزويني: «هو حيوان مشوّه لم تحكمه الطبيعة، وأنه لما خرج مفردًا لم يستأنس وتوحش، وطلب القفار، وهو يناسب الإنسان والبهيمة، وأنه يتراءى لمن يسافر وحده في الليالي وأوقات الفلوات، فيوهمهم أنه إنسان فيصد المسافر عن الطريق»(٤).

وقد حدَّده الجاحظ فقال: «الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفَّار ويتلوَّن في ضروب الصور والثياب ذكرًا كان أم أنثى، إلاَّ أنَّ الأكثر على أنه أنثى»(٥)، ويقول أيضًا: «السعلاة اسم الواحدة من نساء الجن تتغوَّل لتفتن السفار. قالوا: إنما هذا على العبث، أو لعلها أن تفزع إنسانًا فيتغيَّر عقله من أجله عند ذلك، لأنهم لم يسلَّطوا على الصحيح العقل»(٦). وأخذ عن السهلي قوله: إن «السعلاة ما يتراءى

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ٨.

(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥، ٢/١٠٩.

(٣) الدميري، كمال الدِّين، حياة الحيوان الكبرى، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ١/١٩٢.

(٤) القزويني، زكريا بن محمد، عجائب وغرائب الموجودات، بهامش الدميري، حياة الحيوان الكبرى، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ص ٣٧٠.

(٥) الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٢، ٦/٤٨.

(٦) المصدر السابق، ٦/٤٨.

للناس بالنهار، والغول ما يتراءى للناس بالليل»[١].

وأما القزويني فيرى أنَّ السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول. وأنها أكثر ما توجد في الغياض، وإذا ظفرت بإنسان ترقِّصه وتلعب به كما تلعب الهِرَّة بالفأرة، ويذكر أنَّ الذئب يفترسها فتستغيث، إلاَّ أنَّ القوم يعلمون أنها السعلاة فلا يغيثها أحد فيأكلها الذئب[٢].

* * *

تناكح الجن

الجن أُمَّة كالإنس يتناكحون ويتناسلون، يقول في هذا الشأن الإمام جلال الدِّين السيوطي: «وأما نكاحهم فيما بينهم فاستدلّ له بقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف: ٥٠]، وهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمن]، وهذا يدل على أنهم يتأتى منهم الطمث وهو الجماع، أو الافتضاض[٣].

قلت ـ أي الإمام السيوطي ـ: وأخرج أبو حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» عن قتادة في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ قال: أولاده يتوالدون كما تتوالد بنو آدم، وهم أكثر عددًا»[٤].

وقال الشبلي: «في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾، يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية. ونقل عن القاضي عبد الجبار: الذرية هم الولد والأهل، ورقَّتهم لا تمنع من كان ما يلده لطيفًا، ألا ترى أنا قد نرى

---

(١) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢/ ٢٠.

(٢) انظر: القزويني، عجائب وغرائب الموجودات، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٣) الافتضاض: هو إزالة بكارة الأنثى عند أول جماع.

(٤) انظر: السيوطي، جلال الدِّين، لقط المرجان، ص ٥١ وما بعدها.

الحيوان ما لا يتبيَّن للطافته إلاَّ بالتأمل، ولا يمنع ذلك من أن يتوالدوا إذا كان ما يتوالدونه لطيفًا»[1].

وتناكح الجن أمر ممكن عقلاً، إذ أنَّ لهم أعمارًا محدَّدة كما للبشر. فإذا لم يتناكحوا ويتوالدوا، فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى انقراضهم وزوالهم سوى إبليس اللعين فإنه من المنظرين إلى يوم القيامة، قال الله سبحانه وتعالى في أمر إبليس اللعين: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعراف].

وكذلك فإنه من المعروف أنَّ القرين قد يكون من الجن، وأنَّ لكل إنسانٍ قرينًا، والإنس يتكاثرون فذلك يقتضي تكاثر الجن. وقد ذكر القرين في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزخرف].

وكذلك ورد في الحديث النبوي الشريف أنَّ لكل إنسان شيطانًا، عن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً. قالت: فغرت عليه، قال: فجاء فرأى ما أصنع، فقال: ما لك يا عائشة، أَغرتِ؟ فقالت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك. فقال رسول الله ﷺ: أفأخذك شيطانك؟ فقالت: يا رسول الله، أَوَمَعي شيطان؟ فقال: نعم، ومع كل إنسان. قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربِّـي عزَّ وجلّ أعانني عليه حتى أسلم. وفي لفظ آخر: أعانني عليه فأسلم»[2].

وأما نكاح الجن للإنس، والإنس للجن، وإمكان حصول ذرية من ذلك، ففيه آراء متضاربة ومتعارضة، فقد روى السيوطي في كتابه[3] عن الثعلبـي[4] أنه قال: «زعموا أنَّ التناكح والتلاقح قد يقعان بين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤].

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ٥٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) السيوطي، لقط المرجان، ص ٥٣.

(٤) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعلبي من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور. وُلِد سنة ٣٥٠هـ، وتوفي سنة ٤٢٩هـ. انظر: الأعلام للزركلي، ٤/ ١٦٣ ـ ١٦٤.

وأخرج الحكيم الترمذي، وابن جرير، عن مجاهد قال: إذا جامع الرجل أهله ولم يسم، انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمٰن].

وقال الطرطوسي في كتاب «تحريم الفواحش»، باب من أيّ شيء[1] يكون المخنث: «حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن حماد والقاضي، حدثنا ابن أخي ابن وهب، حدثني عمّي، عن يحيى بن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: المخنّثون من أولاد الجن. قيل لابن عباس: كيف ذلك؟ قال: إنَّ الله ورسوله نهيانا أن يأتي الرجل امرأته وهي حائض، فإذا أتاها سبقه إليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث»[2].

لكن هذا الكلام منافٍ لما هو معروف طبيًّا، إذ أنَّ المرأة لا يمكن أن تحمل وهي حائض أبدًا، لأنَّ البويضة في رحم الأنثى في فترة الحيض تكون ميتة وتالفة، فكيف يتخلّق من الميت مولود، وكذلك ثبت علميًا أنَّ المخنَّث إنما يكون مخنَّثًا بسبب اختلال في عدد الصبغيات الجنسية «Sex Chromosomes»، وهذا يعود لخلل في الوراثة، إذ أنَّ التمثيل للصبغيات عند الذكر الطبيعي في الخلية يكون «X Y»، والتمثيل للصبغيات عند الأنثى الطبيعية يكون «X X».

والمخنث الذكر الذي تظهر عليه علائم التخنُّث يكون التمثيل للصبغيات عنده «X X Y»، أي بزيادة صبغية «X» واحدة. فإذا كان التمثيل للصبغيات عند المخنث يفوق التمثيل الصبغي عند الطبيعي بصبغية واحدة «X»، وهذه الصبغية هي من نفس جنس الصبغيات البشرية لكنه زيادة عن الطبيعي بواحدة، فكيف ينسب ذلك للجن[3]؟ كما يمكن العودة إلى كتاب: «الطبيعيات قوانينها وتطبيقاتها»[4] «Biology Its Principles And Implications»، ولمزيد من التفاصيل عن هذا

---

(١) في الأصل: من أيش.

(٢) رواه الحافظ ابن جرير.

(٣) رأي الباحث.

(٤) Garrett Hardin, Biology Its Principles And Implications, p 591, 610 - 611.

الموضوع يمكن العودة إلى كتاب «العلوم الطبيعية»[1] «Natural Science» للدكتور جورج طعمة، والدكتور طانيوس الحاج.

أما الحديث الصحيح المروي عن ابن عباس رضي الله عنه الذي يقول فيه: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضرَّه الشيطان أبدًا»[2]، فإن هذا الحديث لا يفيد في أن الشيطان يؤثر على الجنين فيكون مخنثًا، وإنما يفيد في أن من دعا الله وهو يهمُّ بالجماع مع أهله فإن الله لا يجعل للشيطان سبيلاً لإغواء المولود وإفساده في المستقبل إذا قدر الله أن يكون هناك مولود.

وتقول العرب للمتولِّد من الإنس والجنس: الخُنس، وللمتولد بين الآدمي والسعلاة: العملوق[3].

وهنالك رواية عن بلقيس ملكة سبأ في أن أحد أبويها كان من الجن. قال ابن الكلبي[4]: «تزوج أبوها امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن، فولدت بلقيس وتسمَّى بلقمة، ويقال إن مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة، وكان في ساقيها شعر، وتزوجها سليمان، فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنَّورة»[5].

وينقل السيوطي رأي ابن عساكر في نفي إمكانية التوالد بين الجن والإنس فيقول في لقط المرجان: «وأخرج ابن عساكر عن الجن وقد سُئل عن ملكة سبأ

---

(١) G. Tohme And T. Hage, Natural Science, P 314 - 315.

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٣) السيوطي، لقط المرجان، ص ٥٤.

(٤) هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، راوية، عالم بالتفسير والأخبار، من أهل الكوفة، وهو ضعيف الحديث. قال النسائي: حدَّث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما الحديث ففيه مناكير. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٩٣.

(٥) السيوطي، لقط المرجان، ص ٥٤ ـ ٥٥.

فقالوا: إن أحد أبويها جني فقال: الجن لا يتوالدون، أي أن المرأة من الإنس لا تلد من الجن»[1].

أما من الناحية العلمية الصِّرفة، فإن التزاوج بين الفصائل المختلفة في العالم المنظور أمر ممكن وواقع، لكن الإنجاب من هذا التزاوج نادر جدًّا وإن حصل، فإن الذرية التي تتأتى تكون عقيمة، كما هي الحال من النسل الحاصل من تزاوج الحمار والمُهرة، أو الحصان والأتان. هذا حين يكون الطرفان ـ أي الأنثى والذكر ـ من نفس العالم، فكيف إذا كان التزاوج بين نوعين أحدهما من العالم المنظور، والآخر من العالم المستور؟.

* * *

أعمار الجن

الجن كالإنس لها أعمار وآجال يولدون ويكبرون ثم يموتون، لأن الخلود والبقاء للواحد القهار فقط. ويصدق هذا القول ما جاء في سورة الرحمن:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن]، وكل ما يخالف الآية الكريمة فهو باطل ومحض تخيل، إلاَّ أن هنالك فرقًا بين المُنظَر وبين من يموت بطريقة اعتيادية.

فإبليس لعنه الله وأذله من المُنظرين، أي أنه لا يموت إلاَّ عند قيام الساعة، وهذا ما نصَّ عليه القرآن الكريم صراحة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [ص]، لكن هذه الآيات تدل على أن ثَمَّ مُنظرين غير إبليس، وليس في القرآن ما يدل على أن المنظرين هم الجن كلهم، فيحتمل أن يكون بعض الجن من المنظرين، وأما كلهم فلا دليل عليه.

وعن موت الجن فقد وردت قصص كثيرة نذكر منها واحدة وردت في كتاب الشبلي: «ذكر ابن سلام، من طريق إسحاق السبيعي عن أشياخه عن ابن مسعود أنه

---

(١) السيوطي لقط المرجان، ص ٥٦.

كان في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يمشون فرفع لهم إعصار، ثم جاء إعصار أعظم منه، ثم انقشع فإذا حية قتيل، فعمد رجل منا إلى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها، فلمَّا جنَّ الليل إذ امرأتان تسألان أيكم دفن عمرو بن جابر؟ فقلنا: ما ندري من عمرو بن جابر، فقالت: إن كنتم ابتغيتم الأجر، فقد وجدتموه، إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتل عمرو، وهو الحية التي رأيتم وهو من الذين استمعوا القرآن من محمد ﷺ ثم ولوا إلى قومهم منذرين»[1].

وأما حديث رسول الله ﷺ فيدل أيضًا على موت الجن: «عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: أعوذ بعزَّتك الذي لا إله إلاَّ أنت، الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»[2].

أما أعمار الجن فيعتقد أنها أطول من أعمار الإنس، ولا دليل ماديًا عليها سوى الأخبار والقصص التي لا نستطيع الجزم بصحتها، ومنها هذه الحكاية التي نقلها السيوطي قال: «بلغ الحجاج بن يوسف أن بأرض الصين مكانًا إذا أخطأوا فيه الطريق سمعوا صوتًا يقول: هلموا الطريق، ولا يَرون أحدًا، فبعث ناسًا وأمرهم أن يتخاطأوا الطريق عمدًا، فإذا قالوا لكم: هلمُّوا الطريق فاحملوا عليهم فانظروا ما هم. ففعلوا ذلك، فحملوا عليهم، فقالوا: إنكم لن ترونا، قالوا: منذ كم أنتم هاهنا؟ قالوا: ما نحصي السنين، غير أن الصين خربت ثماني مرات وعمرت ثماني مرات ونحن هاهنا»[3].

وفي اعتقاد عامة الناس وخاصة من يتعامل مع الجن أنهم يعمرون كثيرًا، حتى إن بعضهم يؤكد أن الجن تعمر آلاف السنين، ويدعمون آراءهم بأنهم يقولون أن بعض الجن التي يستحضرون، كان آباؤهم وأجدادهم يستحضرونها من قبل، والله أعلم.

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ٦٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

(٣) السيوطي، لقط المرجان، ص ١٢٣ ــ ١٢٤.

وأخيرًا نذكر ما رواه الشبلي عن فتاة خطفها الجن مدة من الزمن، ثم أطلقوها وعادت إلى أهلها، وحين عيَّرها ابن عمها بأنها مجنونة، انبرى له الجن الخاطف مدافعًا عنها، فطلب الرجل منه الظهور فقال: «ألا تظهر حتى نراك؟ قال: ليس ذاك لنا، إن أبانا سأل لنا ثلاثًا: أن نرى ولا نُرى، وأن نكون بين أطباق الثرى، وأن يعمر أحدنا حتى تبلغ ركبتاه حنكه، ثم يعود فتى»[1].

وإن كانت هذه القصص التي ذكرناها عن الجن صعبة التصديق ولا يقبل بها العقل السليم، إلَّا أنها تعطينا صورة عن اعتقد الناس بأن الجن تعمر طويلاً، والله أعلم.

* * *

طعـام الجـن

اختلفت الآراء وتباينت حول ما إذا كانت الجن تأكل الطعام أم لا.

فمن الناس من قال بأن الجن لا تأكل ولا تشرب، وقال آخرون: بل الجن تأكل وتشرب، إلَّا أن أكلهم وشربهم تشمم واسترواح، لا مضغ ولا بلع، ومنهم من قال بأن الجن تأكل وتشرب كما تأكل الناس تمامًا، كما أن هنالك من يقول بأن بعضهم فقط يأكلون ويشربون.

أما من قال بأن الجن لا تأكل ولا تشرب، فهذا القول ساقط تكشفه أحاديث رسول الله ﷺ، التي تبيِّن أن الجن تشارك الإنسان في طعامه وشرابه إذا لم يذكر اسم الله عليه. وقد ذكرنا سابقًا الحديث الذي أخرجه مسلم وأبو داود والإمام أحمد عن الجارية التي جاء بها الشيطان ليستحلَّ بها الطعام ثم جاء بالأعرابي ليستحل به الطعام.

وكذلك ذكرنا الحديث الذي رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه، عن أن الإنسان إذا ذكر الله حين دخوله بيته، فإن الشيطان يقول: لا مبيت لكم، وإذا ذكر اسم الله على طعامه قال: لا مبيت ولا طعام.

---

(١) للمزيد من التفاصيل يمكن العودة لأحكام الجان، ص ١١٥.

وأما من قال أن أكلهم تشمم واسترواح لا مضغ ولا بلع، فهو أيضًا ساقط. عن أمية بن مخشي رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا، ورجل يأكل ولم يسم، حتى إذا لم يبق من طعامه إلاَّ لقمة فلمَّا رفعها إلى فيه قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه»[1].

ففي تعبير الرسول ﷺ استقاء ما في بطنه ـ أي الشيطان ـ إشارة إلى نفي أكل الشيطان بواسطة الشم والاسترواح، إذ لو كان كذلك لما استقاء ما اشتمه ولا ما استروحه، وكذلك فإن ما يدخل المعدة عن طريق الفم لا يمكن أن يدخل إلاَّ عن طريق البلع، وقد يصاحبه المضغ في بعض الأحيان، إذ أننا لم نر في حياتنا أحدًا يدخل الطعام إلى معدته بدون بلع أو مضغ، ومن يبلع بدون مضغ فإنه يستعيد الطعام من المعدة إلى الفم ثانية ويمضغه، كما هي الحال بالنسبة للحيوانات المجترَّة، وهنالك الطيور التي تزدرد الطعام ازدرادًا بدون مضغ لكن لها قبل المعدة عضو يقال له القانصة تقوم بدور يشبه دور المضغ، إذ غالبًا ما تحتفظ الطيور في هذه القانصة ببعض الحصى والأجسام الصلبة لتساعدها على طحن الطعام بدلاً من طحنه في الفم الذي لا يحتوي على الأسنان[2].

وأما من قال إن الجن تأكل وتشرب كالإنس، فهو القول الذي نرجحه ونرتاح إليه، وتشهد له الأحاديث الصحيحة.

فعن أبـي هريرة أن النبـي محمد ﷺ قال له: «أبغني أحجارًا أستنفض بها ولا تأتني بعظم ولا بروثة»، قلت: ما بال الروث والعظم؟ قال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد نصيبين، ونِعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم ألا يمرُّوا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعامًا»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود.

(٢) التعليق على الحديث السابق يعتبر مجديًا في حال ثبوت الحديث عن النبـي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

والحديث الذي سبق هذا الحديث يبرهن عن أن الجن تأكل وتشرب كالإنس بدليل استقاءة الشيطان لما في جوفه، وذلك كما يحدث للإنسان تمامًا حين لا يهضم الطعام فيتقيأ.

وأما من قال إن بعض الجن تأكل فهذا يقتضي أن بعضها الآخر لا يأكل. وهذا القول ساقط أيضًا، إذ لو قلنا إن بعض الجن يأكل وبعضها لا يأكل فهو كقولنا إن بعض الإنس يأكل وبعضها لا يأكل، وهذا مناف للواقع وللطبيعة. إذ أن أفراد الجنس الواحد لا بد أن يشتركوا في الصفات الأساسية، كالتكاثر والتغذية والنماء... إلخ.

أما طعام الجن فكما أشارت الأحاديث هو طعام الإنس يضاف إليه العظم والرَّوث، إذ أن الجن إذا وقعت على عظم ذكر اسم الله عليه حين ذبح حيوانه فإنه يجد هذا العظم ممتلئًا لحمًا، وكذلك يجد الروث حبًا كما كان قبل أن تأكله الدواب.

والحديث الذي يقول بأن الجن تمتنع عن مشاركة الإنسان طعامه إذا ذكر اسم الله، فيه إشارة إلى أن الجن تأكل كل أصناف الطعام كما يأكل الإنسان.

وهنالك روايات لا مجال للتثبت من صحتها تشير إلى أن الجن تفضل بعض أصناف الطعام كالأرز.

وقد ورد في كتاب السيوطي، لقط المرجان نقلاً عن أحمد بن سليمان النجاد[١] قال: حدثنا أسلم بن سهل[٢]، حدثنا علي بن الحسن بن سلمان أبو الشعثاء الحضرمي[٣] أحد شيوخ مسلم، حدثنا أبو معاوية، سمعت الأعمش

---

(١) هو أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس، فقيه حنبلي مشهور. انظر: ميزان الاعتدال ١/ ١٠١.

(٢) هو أسلم بن سهل الواسطي، ألَّف تاريخ واسط، وكان يلقَّب ببحشل. انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٢١١.

(٣) هو علي بن الحسن بن سليمان الحضرمي، ثقة من الطبقة العاشرة، أخرج له مسلم وابن ماجه. انظر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٣.

يقول: «تزوج إلينا جني، فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ قال: الأرز، قال: فأتيناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدًا»[1].

ولقد رأيت الكثير ممن يدعي تحضير الجن يطلب ممن يزوره للاستشارة طعامًا وشرابًا مدعيًا أنه يقدمه للجن كمكافأة على عونهم له.

* * *

قدرات الجن

للجن قدرات عقلية، وقدرات مادية توازي قدرات الإنس، وقد تفوقها في بعض الجوانب.

ودليل القدرة عند الجن، أن الله سبحانه وتعالى قد كلَّفهم بالتكاليف الشرعية بما كلَّف الإنس، ومعلوم أن الإنسان لا يكلف إلاَّ إذا كان عاقلاً، فلذلك الجن عقلاء مميزون.

قال الله سبحانه وتعالى في أمر تكليف الجن والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وقد صرح الجن الذين استمعوا لتلاوة الرسول ﷺ للقرآن فقالوا: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن]، فإعجابهم بالقرآن دليل ذوق أدبي رفيع وتفهم عميق، إذ ميزوه عن سائر الكلام فقالوا: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾، فآمنوا كما آمنت بعض العرب الفصحاء لما وجدوا في القرآن من بلاغة وفصاحة لا يمكن أن يأتي بها البشر.

كما أن للجن القدرة على نقل الأفكار والمعتقدات والتبشير بها بدليل نقل ما سمعوا من القرآن إلى قومهم ودعوتهم إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ إذ قالوا: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف].

---

(١) السيوطي لقط المرجان، ص ٦٣.

ومن أدلة قدراتهم العقلية أيضًا، أنهم يوسوسون في صدور الإنس، ولو لم تكن وسوستهم تحتوي بعض الحجة والمنطق، لما أثروا في كثير من الناس وأضلوهم، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس].

وقال الرسول ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبهم شيئًا»[1]. فهذا يدل على أن وسوسة الشيطان تستحوذ وتهيمن وتحيط بالإنسان من كل جانب، كما يحيط الدم بكل خلية من خلايا الإنسان.

كما أن لهم قدرات أدبية مشابهة لقدرات الإنسان، بدليل تحدِّي الله جلَّت قدرته للإنس والجن على حدٍّ سواء، بالإتيان بمثل القرآن الكريم، قال الله سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء].

كما أن للجن قدرة على قول الشعر، رويت عنهم أشعار كثيرة الله أعلم بصحَّتها.

قال السيوطي في كتابه: «أخرج أبو سعد عن الجعد بن قيس المرادي قال: خرجنا أربع أنفس نريد الحج في الجاهلية، فمررنا بواد من أودية اليمن، فلما أقبل الليل استعذنا بعظيم الوادي وعقلنا رواحلنا، فلما هدأ الليل، ونام أصحابي! إذا هاتف من بعض أرجاء الوادي يقول:

ألا أيها المعرِّس بلِّغوا ... إذ ما وقفتم بالحطيم وزمزما

محمد المبعوث منا تحية ... تشيعه من حيث شاء ويمَّما

وقولوا له أنا لدينك شيعة ... بذلك وصَّانا المسيح بن مريما»[2]

كما وردت عنهم أخبار في أن لهم دراية في الطب، يذكر الشبلي القصة التالية:

---

(١) أخرجه البخاري، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي.

(٢) السيوطي، لقط المرجان، ص ٢٠٥.

«عن النضر بن عمرو الحارثي قال: إنا كنا في الجاهلية إلى جانبنا غدير، فأرسلت ابنتي بإناء لتأتيني بماء فأبطأت علينا وطلبناها فأعيتنا، فأيأسونا منها، قال: والله إني ذات ليلة جالس بفناء مظلتي إذ طلع عليّ شبح، فلما دنا مني إذا ابنتي، قلت: ابنتي؟! قالت: نعم ابنتك، قلت: أين كنت أي بنية؟! قالت: أرأيت ليلة بعثتني إلى الغدير أخذني جني فاستطار بي فلم أزل عنده حتى وقع بينه وبين فريقين من الجن حرب، فإنه عاهد اللَّـهَ إن ظفر بهم أن يردني عليك، فظفر بهم فردني عليك. فإذا هي قد شحب لونها وتمرَّط شعرها، وذهب لحمها، وأقامت عندنا فصلحت فخطبها بنو عمها فزوجناها.

وقد كان الجني جعل بينه وبينها أمارة إذا رابها ريب أن تدخن له وأن ابن عمها ذاك عيَّب عليها وقال: جنية شيطانة ما أنت بإنسية. فدخنت، فناداه مناد: ما لك ولهذه؟ لو كنتُ تقدمتُ إليك لفقأت عينيك، رعيتها في الجاهلية بحسبي، وفي الإسلام بديني، فقال الرجل: ألا تظهر لنا حتى نراك، قال: ليس ذاك لنا، إن أبانا سأل لنا ثلاثًا: أن نرى ولا نُرى، وأن نكون بين أطباق الثرى، وأن يعمر أحدنا حتى تبلغ ركبتاه حنكه، ثم يعود فتى.

فقال: يا هذا ألا تصف لي دواء حمى الربع؟ قال: بلى، قال: ما رأيت تلك الدويدة على الماء كأنها عنكبوت؟ قال: بلى، قال: خذها ثم اشدد على بعض قوائمها خيطًا من عهن فشده على عضدك اليسرى ففعل، فقال: فكأنما نشط من عقال»[1].

ولهم قدرة في الفن المعماري، والصناعة، كصناعة التماثيل والقدور الضخمة، فقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك حين تحدَّث عن تسخير الجن لسيدنا سليمان عليه السلام فقال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ].

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١١٥.

كما أن لهم قوة خارقة في حمل الأثقال ونقل الأشياء من مكان إلى آخر. فقد أشار المولى القدير إلى ذلك في القرآن الكريم، وذلك حين سأل سيدنا سليمان عليه السلام جلساءه عمن يستطيع أن يأتيه بعرش بلقيس: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل].

إذا كان باستطاعة هذا العفريت وهو من الجن أن يأتي بعرش بلقيس من سبأ إلى القدس قبل أن ينفضَّ مجلس سيدنا سليمان عليه السلام، فهذا يوضح قدرة بعض الجن المدهشة على حمل الأثقال وتخطي المسافات بلمح البصر.

كما أن للجن قدرة على الصعود إلى أماكن بعيدة في الفضاء كما يحاول الإنسان أن يفعل الآن إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن].

كما أشار القرآن الكريم إلى الأماكن التي كانوا يصلون إليها قبل بعثة محمد ﷺ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [الجن].

وتشير الروايات إلى أن الجن قادر على التشكل والظهور للإنسان بأشكال مختلفة على شكل حيات وعقارب وكلاب وقطط سود، إلَّا أن كل هذه القدرات العقلية والمادية الضخمة للجن تظل عاجزة عن معرفة الغيب كما هي الحال بالنسبة لجميع المخلوقات، إذ يقول الجن في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن].

وكما صرَّحوا بذلك حين مات سيدنا سليمان عليه السلام، ولم يدروا بذلك إلَّا بعد مدة طويلة من الزمن، إذ بقوا على حالهم ينفذون أوامر النبي سليمان عليه السلام دون علمهم أنه قد مات منذ مدة، ولم يعلموا بموته إلَّا بعد أن أكلت الأرضة عصاه فوقع على الأرض: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ].

وكذلك فإن قدرة الجن الخارقة تقف عاجزة دون الإيذاء أو المساس بعباد الله المؤمنين، إذ يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل].

ونشير أخيرًا إلى أن قدرة الجن على التسلط على البشر تبقى في حدود الوسوسة والمسِّ، الذي سنوضحه إن شاء الله في فصل لاحق، والله الموفق.

❑ ❑ ❑

الفصل السابع

أديان الجن ومعتقداتهم

هل الجن مكلَّفون؟

بناء على ما أثبتنا في الفصل السابق من أن الجن لهم عقول وقُدرات، وهم مميزون وقدراتهم توازي قدرات الإنس، وقد تفوقها في بعض الجوانب، لذلك هم بنظر جمهور المسلمين مكلَّفون محاسبون، بدليل مخاطبة القرآن الكريم لهم إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ (١٣٠) ﴾ [الأنعام]، ويقول تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) ﴾ [الرحمن].

وبدليل استجابة الجن لدعوة سيدنا محمد ﷺ، فقد نصَّ القرآن الكريم على أنهم آمنوا لما سمعوا الهدى: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا (١٣) ﴾ [الجن].

وقول الجن: ﴿ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا (١٣) ﴾ يدل على أن لهم ثوابًا على الإيمان وعقابًا على الكفر والمعصية، وبما أن هناك ثوابًا وعقابًا فإن هذا يقتضي فرض التكاليف.

وتوعَّد الله سبحانه وتعالى الكثير من الجن بأن مصيرهم إلى النار لغفلتهم بعد أن أعطاهم القلوب ليفقهوا بها الحقيقة، والأعين ليبصروا بها جادة الصواب، والآذان ليسمعوا بها دعوة الحق، ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه.

إن في هذا الوعيد دليلاً على التكليف، إذ لو لم يكونوا مكلفين فمن غير الجائز أن يحاسبوا. يقول الرقيب الحسيب: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

يقول ابن تيمية: إن محمدًا مرسل إلى الجن والإنس، «وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين من أهل السنَّة والجماعة، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، يدل على ذلك تحدِّي القرآن»[(١)].

ويشير الفخر الرازي مؤكدًا على تكليف الجن، إذ يقول في تفسير سورة الجن: «قل» أمر منه تعالى لرسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى الله في واقعة الجن، وفيه فوائد: (إحداها) أن يعرفوا بذلك أنه عليه السلام كما بعث إلى الإنس، فقد بعث إلى الجن. (وثانيها) أن تعلم قريش أن الجن مع تمرُّدهم، لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا بالرسول. و (ثالثها) أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس»[(٢)].

ونقل الشبلي عن ابن عبد البر قال: «الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، ولقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن]»[(٣)].

* * *

هل هناك أنبياء ورسل من الجن؟

اختلفت الآراء حول ما إذا كان من الجن أنبياء ورسل، فمنهم من أثبت لهم الأنبياء والرسل، ومنهم من نفى ذلك، على أن الغالب عند جمهور العلماء سلفًا

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩/ ٩.

(٢) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم ٣٠/ ١٥٣.

(٣) الشبلي، أحكام الجان، ص ٥٤.

وخلفًا، أنه لم يكن من الجن رسول ولا نبي قط. وهذا ما روي عن ابن عباس، ومجاهد، والكلبي، وأبي عبيد[1].

وقد تأول من نفى الرسل والأنبياء عن الجن الآية الكريمة التي تقول: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فقال: الرسل من الإنس، والنذرة من الجن، داعمًا رأيه بالآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحقاف]، أي أن طائفة من الجن سمعوا قول الرسول الذي هو بشر فحملوا ما قال وذهبوا إلى قومهم منذرين، فكانوا بذلك رسل الرسل. وقال ابن حزم[2]: «لم يبعث إلى الجن نبي من الإنس البتة قبل محمد ﷺ لأنه ليس الجن من قوم الإنس»[3].

أما من قال أن للجن رسل، فمنهم الضحاك: «فقد أخرج ابن جرير، عن الضحاك أنه سئل عن الجن: هل كان فيهم من نبي قبل أن يبعث النبي ﷺ؟ قال: ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، يعني بذلك: أن رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن، قالوا: بلى[4].

وقد ورد في القرآن الكريم ما يستفاد منه أن من الجن من هو على ملة موسى عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف]، وهناك أشعار منقولة عن الجن أوردها السيوطي[5] إن صحّت نسبتها إليهم، فإنها تثبت أن بعض الجن يتبعون المسيح عليه السلام، وقد أوردناها تحت العنوان الذي يتحدَّث عن قدرات الجن.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (عقيدة السفاريني) ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ. من أشهر كتبه: الفصل في الملل والنحل، والمحلَّى، وجمهرة الإنسان. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٠.

(٣) السيوطي، لقط المرجان، ص ٧٤.

(٤) السيوطي، لقط المرجان، ص ٧٣.

(٥) السيوطي، لقط المرجان، ص ٢٠٥.

ويمكن أن ننهي هذا النقاش بما قاله الشبلي: «ولا شك أن الجن مكلَّفون في الأمم الماضية كما هم مكلفون في هذه الملة، والتكليف إنما يكون بسماعهم من رسول الله ﷺ، أو من صادق عنه، وأما كون ذلك إنسيًا أو جنيًا فلم يرد فيه دليل قاطع. وظاهر القرآن أن ما قال الضحاك، والأكثرون على خلافه، وتحقيق ذلك مما لا فائدة فيه، فإنه لا يترتب عليه شيء غير أننا نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الإنس لقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]»[1].

* * *

الجن وعلاقتهم بالبعثة المحمدية

أشار القرآن الكريم إلى بداية العلاقة والتلاقي بين الجن والبعثة المحمدية الشريفة في سورة الجن حين قال الجن بأنهم لمسوا السماء طلبًا لاستراق السمع كعادتهم السابقة فوجدوها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا، وأنهم رُموا بالشهب وحيل بينهم وبين خبر السماء، فما عادوا يدرون ماذا يُعد لأهل الأرض من خير أو شر.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن].

يقول ابن كثير في تفسير ذلك: «يخبر تعالى عن الجن حيث بعث الله رسوله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسًا شديدًا وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسرقوا شيئًا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز»[2].

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٢٩.

ويذكر ابن كثير في تفسيره لسورة الأحقاف كيف أن الجن الذين حيل بينهم وبين خبر السماء أخذوا يفكرون في هذا الأمر الجلل ويبحثون في أرجاء الدنيا عن سببه، وكيف أن فريقًا منهم وصل إلى السبب حين صادف الرسول ﷺ وصحبه يصلون صلاة الصبح في سوق عكاظ.

«انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلاَّ حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟

فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تِهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة عامدًا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، قالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾، وأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن]، وإنما أوحي إليه قول الجن»[1].

وعندما سمعت الجن كلام الله سبحانه وتعالى يتلوه محمد ﷺ في صلاته آمنت وولَّت منذرة إلى قومها فأخبرتهم بأن كتابًا أنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق وإلى الطريق القويم.

قال الله سبحانه وتعالى مخبرًا رسوله ﷺ باستماع الجن له: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٦٢ ـ ١٦٣، والحديث رواه البخاري، وأخرجه مسلم عن شيبان، ورواه الترمذي والنسائي.

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف].

والظاهر أن هؤلاء النفر من الجن كانوا من اليهود بدليل قولهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف]، والظاهر أيضًا أن رسول الله ﷺ ما رآهم وما تكلَّم معهم في هذه الواقعة بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن].

لكن تعددت بعد ذلك وفادتهم على الرسول وتكلم معهم كما تعددت وفادات الإنس على الرسول الكريم ﷺ، وعلَّمهم أمور دينهم كما أجابهم لطلبهم حين سألوه الزاد.

«قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا داود عن الشعبي، وابن أبي زائدة عن علقمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحدًا؟ فقال: ما صحبه منا أحد، ولكن فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا: اغتيل؟ استطير؟ ما فعل؟ قال: فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فلما كان في وجه الصبح ـ قال: في السحر ـ إذ نحن به يجيء من قِبل حِراء فقلنا: يا رسول الله ـ فذكروا له الذي كانوا فيه ـ فقال: إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم قال: فانطلق فأرانا آثار نيرانهم. قال: قال الشعبي: سألوه الزاد، قال عامر: سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال: كل عظم ذكر عليه اسم الله يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم قال: فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن»[1].

وكما يوجد في الإنس كفرة ومعاندون ومجادلون لهذه الدعوة بكل ما أوتوا من قوة، كذلك يوجد في الجن أمثالهم وقد يفوقون الإنس طغيانًا وكفرًا وعنادًا.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

وتكفي الإشارة هنا إلى إبليس اللعين ومواقفه ضد هذه الدعوة وضد حامل لوائها محمد ﷺ، وقد ظهر ذلك جليًا حين أشار على زعماء قريش في دار الندوة بما أشار كما تقدم ذكره. وكذلك فعل أحد عفاريت الجن حين حاول إيذاء الرسول الكريم بشهاب من نار ليلة أسري به ﷺ، ومحاولة أحدهم قطع الصلاة عليه في المدينة، لكن الرسول أمسك به وكاد يخنقه لولا أنه تذكر قول سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص]، فأرسله.

* * *

فِرَق الجن ونِحلهم الدينية

كون الجن أُمة مكلفة وذلك يقتضي أن يكون فيها أديان مثل اليهودية والنصرانية والإسلام، وكون الأمة لا تجمع كلها على الإيمان فذلك يقتضي بأن يكون بين أفرادها من هو كافر ومن هو مؤمن.

وكما يتفرق الناس في معتقداتهم إلى فرق ونحل ضمن الدين الواحد فكذلك تفرق الجن وانقسموا إلى ملل متعددة.

وأصدق من يحدثنا عن ذلك هو القرآن الكريم حين يشير إلى إسلام طائفة من الجن، قال الله سبحانه في محكم آياته: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ [الجن]، وتشير هذه الآية أيضًا إلى وجود القاسطين وهم الكفار. وكما اختلف بنو البشر في درجة الإيمان اختلف الجن. يقول القرآن الكريم في ذلك: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن].

وتشير الأخبار إلى أن فيهم من المذاهب والأهواء كما في الإنس تمامًا. يقول الشبلي نقلاً عن كتاب «اتباع السنن والأخبار»: «حدثنا محمد بن حميد الرازي، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا الأعمش، حدثني شيخ من بجيل قال: علق رجل من الجن جارية لنا ثم خطبها إلينا وقال: إني أكره أن أنال منها محرمًا فزوَّجناها منه، قال: فظهر معنا يحدثنا فقلنا: ما أنتم؟ فقال: أمم أمثالكم وفينا قبائل كقبائلكم، قلنا: فهل

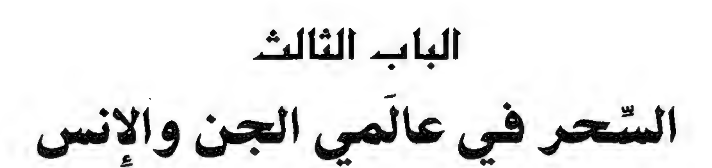
فيكم هذه الأهواء؟ قال: نعم فينا من كل الأهواء القدرية والشيعة والمرجئة، قلنا: من أيها أنت؟ قال: من المرجئة»[1].

لكن لا تُبنى الأحكام على هذه الرواية لعدم القطع بصحتها. وما ورد في القرآن الكريم على لسان الجن الذين سمعوا القرآن من محمد ﷺ فذهبوا إلى قومهم منذرين، إشارة تفيد إلى أنهم في الغالب من الجن واليهود بدليل قولهم: ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف].

كما وردت رواية في لقط المرجان إن صحَّت فإنها تفيد بأن بعض الجن تعتنق الديانة النصرانية، وقد وردت الرواية تحت العنوان الذي يتحدث عن قدرات الجن.



(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ٩٤ ــ ٩٥.



الباب الثالث

السِّحر في عالَمي الجن والإنس

الفصل الثامن : العلاقة بين الجن والإنس .

الفصل التاسع : الجن وتحضير الأرواح .

الفصل العاشر : فك السحر بالطرق الشرعية .



السِّحر في عالَمي الجن والإنس

تمهيد :

لا ريب أنَّ هنالك علاقة وثيقة بين عالمي الجن والإنس، وهذه العلاقة متداخلة تداخلاً قويًّا، مما يجعل كلاًّ من العالَمين يؤثِّر في الآخر تأثيرًا كبيرًا.

وغالبًا ما تكون هذه العلاقة ذات تأثير سلبي، فبعض الجن يوسوسون للإنس ويقضُّون مضاجعهم، ويحضُّونهم على الكفر والفساد والطغيان، ويعينونهم على بعض أفعال السحر والكهانة. وبعض الإنس يستعيذون بهم ويستعينون بقدراتهم، فيزيدونهم رهقًا وخوفًا وقلقًا، بدل من أن يجدوا في حماهم الأمان والطمأنينة، فمن صفاتهم المكر والتكبُّر، فبمجرَّد أن يجدوا من يركن إليهم يتمرَّدون وتأخذهم العزَّة ويبدون له بصورة مخيفة تذهب بعقله وتتركه مجنونًا أو يتلبَّسون به فترة من الزمن لا يدري من أمره شيئًا، فلا ينفع معه العلاج المادِّي الذي هو أضعف من أن يعالِج هذه الحالات القليلة الشاذَّة.



الفصل التاسع

الجن وتحضير الأرواح

أوَّلًا ــ نصوص القرآن والحديث عن علاقة الجن بالإنس:

في القرآن الكريم آيات كثيرة تثبت هذه العلاقة وتلقي الأضواء على نوعية هذه العلاقات ومجالاتها، وأول حادثة يذكرها القرآن الكريم عن العلاقة بين الجن والإنس هي تلك التي تتلخَّص في أنَّ الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم عليه السلام أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلَّا إبليس أبـى وترفَّع عن السجود لآدم.

يقول كتاب الله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة].

ثم يذكر القرآن بعد ذلك حادثة توعُّد إبليس لآدم وذرِّيته بأنه سوف يغويهم ويأتيهم من كل جهة وصوب، وبكل ما أوتي من قوَّة ومكر، سوف يضلّهم ويحوِّلهم من الإيمان إلى الكفر؛ انتقامًا وحسدًا من آدم الذي كرَّمه الله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف].

وبعد ذلك يثبت القرآن حادثة إغواء إبليس اللعين لآدم وحوَّاء وإخراجهما من الجنَّة، وهي الحادثة الأولى التي تبدو فيها العلاقة المباشرة بين الجن والإنس. ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف]. ثم كانت بعدها حادثة ثانية وهي التي حضَّ فيها إبليس أحد أولاد آدم على قتل أخيه، يذكر القرآن الكريم هذه الحادثة فيقول: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ

﴿نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة]، وعقد النية على قتل أخيه إنما كان بسبب إغواء إبليس وحضِّه على فعل المنكر.

ثم يذكر القرآن الكريم بعد ذلك العديد من القصص التي تصدَّى فيها إبليس اللعين والشياطين أعوانه للأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام محاولاً ثنيهم عما أُرسلوا من أجله، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢﴾ [الأنعام]. وكيد الشيطان كان وما يزال ضعيفًا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء].

وقد أشار القرآن الكريم في العديد من آياته البيِّنات إلى وجود القرين، وهو نوع من الجن يلازم الإنسان كظلِّه يأمره بفعل الشر ويحضُّه على ترك الخير. ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ٥١﴾ [الصافات]، وآية أخرى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ [الزخرف]، وآية أخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء]. وفي سورة ق: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾، وفي سورة فُصِّلت: ﴿۞وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥﴾.

ويشير القرآن الكريم إلى تسخير الجن لسيِّدنا سليمان عليه السلام في أعمال البناء والعمران: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ [الأنبياء]، وفي سورة النمل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾، وفي نفس السورة أيضًا: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾.

ويشير القرآن الكريم إلى أنَّ هنالك علاقة إيحاء بين بعض الناس ـــ الكهَّان ـــ والشياطين من الجن بهدف إضلال البشر وصدِّهم عن سبيل الله القويم: ﴿وَلَا

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾ [الأنعام]. كما ورد في القرآن الكريم أنَّ بعض الناس يعوذون بالجن فزادوهم رهقًا وخوفًا، ففي سورة الجن: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) ﴾. ويُعلمنا القرآن الكريم بأنَّ الجن يمكن أن تؤذي البشر، لذلك طلب منَّا أن نستعيذ بالله مَن همزاتهم: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴾ [المؤمنون].

كذلك أعلمنا القرآن الكريم أنَّ للجن وسوسة وأرشدنا إلى كيفية تجنُّبها بقراءة سورة الناس: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾.

وتدل بعض آيات الكتاب الحكيم إلى أنَّ هنالك نوعًا أقوى من الوسوسة تؤثِّر به الجن على الإنس وهو المسّ. ورد في سورة ص: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ﴾. وفي سورة الأعراف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) ﴾. وفي سورة البقرة يذكر المس أيضًا: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾.

لكن يجب أن نلفت الانتباه إلى أنَّ صورة الجن ليست دائمًا قاتمة مظلمة تتبعها الغواية والوسوسة والكفر والإضلال والمس. فمن الجن من هو أشد صلاحًا من الإنس، فلبعض الجن صفحات مشرقة بالإيمان والتقوى والدعوة إلى الله كما جاء في أول سورة الجن، والتي تتحدَّث عن النفر من الجن الذين استمعوا إلى القرآن الكريم وهو يُتلى من فم الرسول الصادق الأمين ﷺ فآمنوا وذهبوا إلى قومهم مبشرين ومنذرين: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) ﴾.

ثانيًا ـ أحاديث الرسول ﷺ التي تتحدَّث عن علاقة الجن بالإنس:

كما في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدَّث عن الجن وعلاقتها بالإنس، فكذلك نجد أحاديث الرسول محمد ﷺ لا تخلو من تبيان هذه العلاقة وأبعادها المتشعبة.

وأول ما تطالعنا به الأحاديث الشريفة عن بداية العلاقة بين الإنس والجن، الحديث الذي يتحدَّث عن إبليس اللعين قبل أن يبلس من رحمة الله، حيث كان يطوف حول جسد آدم ويتفحَّصه ويحاول معرفة كنهه، وذلك قبل أن تدب فيه الروح، فقد ورد في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «لمَّا صوَّر الله آدم عليه السلام في الجنة، تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك»(١).

وهنالك حديث شريف آخر يوضح بأنَّ أذى إبليس يلحق بكل مولود ساعة خروجه للحياة، إلاَّ أنه لم يسلَّط على عيسى عليه السلام وأمه مريم الصِّدِّيقة. فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلاَّ نخسه الشيطان إلاَّ ابن مريم وأمه». ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾(٢).

ويذكر الرسول الكريم محمد ﷺ أنَّ كل بشري له قرين يوسوس له ويحضّه على فعل المنكر إلاَّ هو ﷺ، فإنَّ الله أعانه عليه فأسلم قرينه فإنه لا يأمره إلاَّ بالخير. وقد أوردنا هذا الحديث تحت عنوان: تناكح الجن.

ويخبر الرسول محمد ﷺ أنَّ إبليس اللعين يبعث سراياه كل يوم إلى الناس لتوسوس في صدورهم ليفتنوهم ويفسدوا العلاقات بينهم وليهدموا البيوت العامرة بالمحبَّة والمودَّة ويفرِّقوا بين الرجل وامرأته. فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: ثم يجيء

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت». قال الأعمش: أُراه قال: فيلزمه[١].

لهذا أمرنا الرسول محمد ﷺ بالتعوُّذ حتى نتجنَّب وسوسات الشيطان، فقد أخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، تعوَّذ بالله من شرِّ شياطين الجن والإنس، قال: يا نبي الله، وهل للإنس شياطين؟ قال: نعم، شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا».

ويشير الرسول ﷺ إلى قوَّة الوسوسة وقرب الشيطان من ابن آدم وتأثيره فيه، فيصوِّر قربه منه بإيجاز بليغ في الحديث التالي: عن صفية بنت حُيَـيّ رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ معتكفًا، فأتيته أزوره ليلاً، فحدَّثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فمرَّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: إنَّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شرًا، أو قال: شيئًا»[٢].

ويشير الرسول الكريم في حديث آخر إلى أنَّ الشياطين لا تتلاعب بالإنس في حالة اليقظة فقط، بل يمتدّ أثرها إلى الإنس في حالة النوم أيضًا. فقد ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، رأيت في المنام كأنَّ رأسي ضُرِب فتدحرج، فاشتددت على أثره، فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: لا تحدِّث الناس بتلعُّب الشيطان بك في منامك، وقال: سمعت النبي ﷺ يخطب فقال: لا يحدِّثن أحدكم بتلعُّب الشيطان به في منامه»[٣].

وفي حديث آخر للرسول ﷺ يبيِّن أنَّ بعض الجن يظهرون للإنس على هيئة حيات وقد تُفزع الناس، وإذا ما قُتِلت فإنَّها قد تنتقم قبل أن تموت أو يُنْتَقَم لها ــ كما

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

أوردنا في الحديث الذي رواه مسلم عن الفتى الحديث العهد بالعرس، والذي أوردناه حين تحدَّثنا عن قدرة الجن على التشكُّل ـ .

ويخبر الرسول ﷺ عن العلاقة التي كانت بين الجن والكهان قبل البعثة المحمدية الشريفة، وكيف كان الجني يسترق الكلمة من السماء ويلقي بها إلى الكهان بعد أن يزيد عليها مائة كذبة. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهَّان، فقال لهم رسول الله ﷺ: ليسوا بشيء، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدِّثون أحيانًا الشيء يكون حقًّا؟ قال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرُّها في أذن وليه قرّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[1].

ويذكر الرسول محمد ﷺ أنَّ من بين العلاقات القائمة بين الجن والإنس أنَّ بعض الجن، وهم العُمَّار، يقيمون في البيوت مع الإنس، كما أنهم يتناولون الطعام معهم، ويُعلِّمنا الحبيب المصطفى ﷺ الطريقة المثلى للتخلُّص من مبيتهم وأكلهم معنا، وذلك بأن يذكر الرجلُ الله عند دخول بيته وعند تناول طعامه. وقد ورد الحديث حين تكلَّمنا عن طعام الجن، والحديث رواه مسلم في صحيحه.

ويشير الرسول الكريم ﷺ في حديث إلى أنَّ الجن قد تتعرَّض للصبيان في أول الليل، كما يخبرنا بأنهم قد يدخلون البيوت إذا لم توصد أبوابها ويذكر اسم الله. وكذلك فإنها قد تسرق من القرب والأوعية إذا لم تكن مقفلة، ومن الآنية إذا لم تكن مخمرة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل، أو أمسيتم، فكفُّوا صبيانكم، فإنَّ الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلُّوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإنَّ الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قُرَبكم واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم»[2].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

وقد روي عن الرسول ﷺ أنَّه أخرج الجن من بدن بعض الناس، كما ورد في الحديثين التاليين: أخرج أحمد، وأبو داود، والطبراني، من حديث أم أبان بنت الوازع، عن أبيها: أنَّ جدّها انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون، فقال: «أُدنُه منِّي واجعل ظهره مما يليني، فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضرب ظهره ويقول: اخرج عدو الله، فأقبل ينظر نظر الصحيح»[1].

والحديث الثاني: أخرج أحمد، والدارمي، والطبراني، وأبو نعيم، والبيهقي معًا في الدلائل عن ابن عباس: أنَّ امرأته جاءت بابن لها إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنَّ ابني هذا به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا، فيفسد علينا. «فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له، فتعَّ تعة[2]، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى»[3].

وبما أنَّ سيِّدنا محمَّدًا ﷺ من البشر، وهو خير البشر، فكذلك كانت بينه وبين الجن علاقة قوية كعلاقته بالإنس، إذ كان ﷺ بشيرًا ونذيرًا للإنس والجن على حدٍّ سواء، وتميَّزت بعثته عن بقية البعثات في أنَّ كل نبي ورسول كان يرسل إلى قومه خاصة إلاَّ هو ﷺ وقد أرسل إلى الناس كافة.

قال الرسول ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود»[4]، وفسَّر الأحمر بالإنس، والأسود بالجن. وقد أخبر الرسول محمد ﷺ بأنَّه قد اجتمع مع الجن وقرأ عليهم القرآن ودعاهم للإسلام، وأخبرنا أيضًا بأنهم سألوه الزاد فسأل الله لهم فأعطوا العظم والروث ونهى البشر من الاستنجاء بهما.

ويُروى أنَّ الإمام أحمد قد طرد الجن من جسد جارية المتوكل: «قال القاضي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، وأبو داود في سننه، والطبراني في الكبير.

(٢) أي: قاء قاءة ــ أو قيئة. انظر: لسان العرب، ص ٤٨٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، والدارمي في سننه، والبيهقي في دلائل النبوّة، والطبراني في الكبير.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في المسند، والدارمي في سننه.

أبو يعلى في طبقات الحنابلة: سمعت أنَّ أحمد بن عبيد الله قال: سمعت أبا الحسن عليًّا بن أحمد بن علي العسكري قال: حدثني أبـي، عن جدي قال: كنت في مسجد أحمد بن حنبل، فأنفذ إليه المتوكل صاحبًا له يُعْلِمه أن له جارية بها صرع، وسأله أن يدعو لها بالعافية، فأخرج له أحمد نعل خشب بشراك من خوص للوضوء، وقال له: امضِ إلى دار أمير المؤمنين، واجلس عند رأس هذه الجارية وقل له ــ يعني للجنِّي ــ : قال لك أحمد، أيُّما أحبّ إليك: تخرج من هذه الجارية أو تُصفع بهذا النعل سبعين؟

فمضى إليه وقال له ذلك، فقال له المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة، لو أَمَرنا أحمد أن لا نقيم بالعراق ما أقمنا به، إنه أطاع الله، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء. وخرج من الجارية، وهدأت ورُزِقت أولادًا.

فلما مات أحمد عاودها المارد، فأنفذ المتوكِّل إلى صاحبه أبا بكر المروزي، فعرفه الحال، فأخذ المروزي النعل. ومضى إلى الجارية، فكلَّمه المارد على لسانها: لا أخرج من هذه الجارية، ولا أطيعك ولا أقبل منك، أحمد بن حنبل أطاع الله فأمرنا بطاعته»[1].

ثالثًا ــ علاقة الإنس بالجن من خلال التوراة والإنجيل:

كما في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى الجن وعالمهم الخفي وعلاقتهم وتأثيرهم على البشر، كذلك يوجد في الكتب السماوية الأخرى نفس الشيء.

فالتوراة تحضّ الناس على الابتعاد عن الجن، وعن الاستعاذة بهم، وتصف الجن الذين يتعاطون مع البشر بأنهم نجس، وأنهم ينجِّسون من يتعاملون معهم، بمعنى أنهم يضلون ويهوون بالإنس إلى وادي الكفر المظلم. فقد ورد في الإصحاح التاسع عشر: «لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجَّسوا بهم. أنا الرب إلـهكم»[2]. وتنص التوراة على أنَّ بعض الجان تتلبَّس البشر وإن حد هذا (الساحر)

(١) السيوطي، لقط المرجان، ص ١٣٦.

(٢) الكتاب المقدَّس، بيروت، جمعيات الكتاب المقدَّس المتَّحدة، ١٩٥٠، لاوين: ٣١.

هو القتل رجمًا بالحجارة. ففي الإصحاح العشرين: «وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل، بالحجارة يرجمونه، دمه عليه»[1].

وينسج الإنجيل على منوال التوراة، فيبيِّن العلاقة بين الجن والإنس فيشير إلى أنَّ بعض الجن كانوا يؤذون الناس، فيُصاب بعضهم بالبكم والجنون. وورد في الإنجيل: «وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدَّموه إليه. فلمَّا أخرج الشيطان تكلَّم الأخرس»[2].

يشير الإنجيل إلى أنَّ بعض من يصرعهم الجن يتألَّمون كثيرًا وما يدرون ما يفعلون فيلقون أنفسهم أحيانًا في النار وأحيانًا أخرى في الماء. يقول إنجيل متى: «ولما جاءوا إلى الجمع تقدَّم إليه رجل جاثيًا له وقائلاً: يا سيِّد، ارحم ابني فإنه يُصرع ويتألَّم شديدًا ويقع كثيرًا في النار وكثيرًا في الماء، فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفي الغلام من تلك الساعة»[3].

ويذكر إنجيل مرقص أنَّ هنالك بعض الناس لهم قدرة على أمر الجان أن تخرج من جسد البشر، وذلك بتكليف من السيِّد المسيح عليه السلام: «ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه. وأقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكْرِزوا. ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين»[4].

ويتحدَّث نفس الإنجيل عن كيفية انتزاع الشيطان للإيمان من القلوب، وأظنه ينتزعه عن طريق الوسوسة: «وهؤلاء هم الذين على الطريق حيث تُزرع الكلمة وحينما يسمعون يأتي الشيطان للوقت وينزع الكلمة المزروعة في قلوبهم»[5].

كما يشير الإنجيل إلى أنَّ بعض الجن قد يدخلون جملة في رجل واحد

---

(١) الكتاب المقدس، لاوين: ٢٧.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح التاسع: ٢٢ ــ ٢٣.

(٣) المصدر السابق، الإصحاح السابع عشر: ١٤ ــ ١٨.

(٤) إنجيل مرقص، الإصحاح الثالث: ١٢ ــ ١٥.

(٥) المصدر السابق، الإصحاح الرابع: ١٥.

فيفقدونه عقله ويجعلونه يتيه في البراري والجبال، وقد يلجأ إلى المقابر يتَّخذها مأوى، وقد تصبح للمجنون قوّة خارقة قد تتحطَّم معها السلاسل الحديدية إذا ما حاولوا تكبيله بها، وقد يؤذي نفسه دون أن يدري. «ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس. كان مسكنه في القبور ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل. لأنه قد رُبط كثيرًا بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكسر القيود فلم يقدر أحد أن يُذلِّله. وكان دائمًا ليلاً ونهارًا في الجبال وفي القيود يصيح ويجرح نفسه بالحجارة»[1].

ويعطينا الإنجيل صورة عن الإعياء والإرهاق الذي يصيب الإنسان حين يخرج الجان من جسده فإنه ينطرح أرضًا وتخور قواه: «وكانت المرأة أممية وفي جنسها فينيقية سورية. فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها. وأما يسوع فقال لها: دعي البنين أولاً يشبعون. لأنه ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب. فأجابت وقالت له: نعم يا سيِّد. والكلاب أيضًا تحت المائدة تأكل من فتات البنين. فقال لها ـ لأجل هذه الكلمة ـ: اذهبي، قد خرج الشيطان من ابنتك. فذهبت إلى بيتها ووجدت الشيطان قد خرج والابنة مطروحة على الفراش»[2].

رابعًا ـ المسّ الروحي وحقيقته:

اختلفت الآراء وتباينت حول موضوع المس الروحي، وحقيقة دخول الجن بدن الإنس، فمن قائل إنَّ الجن يدخل البدن فيفقده صوابه ويجعله يتصرَّف تصرُّفات خارجة عن نطاق القدرة البشرية العادية. ومن قائل بأنَّ الجن لا يمكن أن يدخل جسد الإنس البتَّة، وعلَّلوا ذلك بافتراضات وحجج مبنية على الفلسفة المادية البحتة. وهنالك فريق ثالث أقرَّ بوجود المس الروحي لكنه علَّله بالوسوسة وحدها.

---

(١) إنجيل مرقص، الإصحاح الخامس: ٢ ـ ٥.

(٢) المصدر السابق، الإصحاح السابع: ٢٦ ـ ٣٠.

فأما من قال بدخول الجن بدن المصروع، فهم أهل السنَّة والجماعة، معتمدين على الكتاب والسنَّة. ففي كتاب الله سبحانه ورد في سورة البقرة الآية التالية: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾.

وتعتمد هذه الفئة على ما ورد عن رسول الله ﷺ من إخراجه الجن من بعض المصروعين. «ذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات أهل السنَّة والجماعة أنهم يقولون إنَّ الجن تدخل في بدن المصروع»[1]. وهو رأي الإمام أحمد بن حنبل أيضًا الذي بيَّنه في ردِّه على ابنه عبد الله حين سأله عن أناس ينفون دخول الجن في الإنس، فقال: «يا بني يكذبون، هو ذا يتكلَّم على لسانه»[2].

وفي الحديث المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ذكر لإخراج الرسول محمد ﷺ لجني من بدن مجنون، فشُفي بعد أن خرج من جوفه مثل الجرو الأسود. وقد أوردنا الحديث تحت عنوان: «نصوص القرآن التي تثبت العلاقة بين الإنس والجن». وكذلك أوردنا حديث أم أبان بنت الوازع الذي يذكر أنَّ رسول الله ﷺ قد أخرج الجن بواسطة الضرب، وقد ورد هذا الحديث تحت نفس العنوان السابق، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود وأبو القاسم الطبراني.

ويذكر ابن قيِّم الجوزية الصرع فيقول:

«إنه نوعان، نوع سببه الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع سببه اختلال في وظائف الجسم، وأنَّ من ينكر الصرع الناتج عن الأرواح فهو زنديق وجاهل.

قلت: الصرع صرعان، صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة. والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطبَّاء: في سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح: فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه ويعترفون: بأنَّ علاجه مقابلة الأرواح الشريفة الخيِّرة العلوية، لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدفع آثارها،

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

وتعارض أفعالها وتبطلها. وقد نصَّ على ذلك أبقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع في الصرع الذي سببُه: الأخلاط والمادة.

وأما الصرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج. أما جهلة الأطباء وسقطتهم وسفلتهم، ومن يعتقد بالزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الأرواح، ولا يقرون بأنها تؤثِّر في بدن المصروع. وليس معهم إلاَّ الجهل وإلاَّ فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحس والوجود شاهد به. وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط، هو صادق في بعض أقسامه، لا في كلها»[1].

ويذكر ابن قيِّم الجوزية أنَّ الصرع كان يعرف لدى الأطباء القدماء بالمرض الإلـٰهي، وكانوا يعترفون بأنَّ سببه الأرواح، لكن أُوِّلَ هذا المرض بعد ذلك تأويلاً خاطئًا: «وقدماء الأطباء كانوا يسمُّون هذا الصرع: المرض الإلـٰهي، وقالوا: إنه من الأرواح، وأما جالينوس وغيره، فتأوَّلوا عليهم هذه التسمية، وقالوا: إنما سموها بالمرض الإلـٰهي، لكون هذه العلَّة تحدث في الرأس، فتضرّ بالجزء الإلـٰهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ. وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح، وأحكامها وتأثيراتها. وجاءت زنادقة الأطباء: فلم يثبتوا إلاَّ صرع الأخلاط وحده»[2].

ثم يذكر ابن قيم الجوزية أنه شاهد عدَّة مرات عمليات إخراج الجن من بدن المصروع، يقول في ذلك: «وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: أُخرجي، فإنَّ هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع. وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة: فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع، ولا يحسّ بألم. وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارًا»[3].

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص ٥١.

(٢) المصدر السابق، ص ٥١ ــ ٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٢.

ويذكر الشبلي نقلاً عن كتاب طبقات أصحاب الإمام أحمد أنَّ الإمام أحمد بن حنبل كان يُخرِج الجن من بدن المصروع ويشير إلى استعانة المتوكل به لمساعدة جارية كانت عنده. وقد أوردنا القصة بتمامها تحت عنوان: «نصوص القرآن التي تثبت العلاقة بين الإنس والجن». وقد أوردها الشبلي في أحكام الجان، كما أوردها السيوطي بنصّها الحرفي في لقط المرجان.

وورد في فتاوى ابن تيمية بشأن الصرع ما نصّه: «وجود الجن ثابت بالكتاب والسنَّة واتفاق الأمة، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنَّة، وهو أمر مشهود محسوس لمن تدبَّره، يدخل في المصروع، ويتكلَّم بكلام لا يعرفه، بل ولا يدريه، بل يضرب ضربًا لو ضربه جمل لمات، ولا يحسّ به المصروع»[1].

ويقول الدكتور عدنان الشريف، طبيب الأمراض النفسية والعصبية في بيروت، مستشفى البربير: «فمن الوجهة القرآنية: إنَّ المسّ الروحي لا يستطيع أن ينكره المؤمن ما دمنا نجد في كتاب الله الكريم ما يؤيِّده نصًّا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾.

فالمس الروحي يكون بفعل إبليس وجنوده من الجن غير المؤمن، وإن حصل، ونادرًا ما يحصل فلا تأثير له إلاَّ في النفوس غير المؤمنة.

والنصوص القرآنية واضحة في هذا المعنى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء].

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

---

(١) ابن تيمية، مختصر فتاوى ابن تيمية، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ص ٥٨٤.

وأما بقية المس الروحي كأذى العين الحاسدة، فهو حقيقة لا ننكرها ما دام هناك نص قرآني صريح في هذا بالمعنى ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق]، وفي الحديث الشريف: «العين حق»، وما على الإنسان إذا تخوَّف من المس الروحي إلاَّ اللجوء الصادق إلى المولى من خلال الالتزام بتعاليمه. والمعوِّذتان من آيات الشفاء للمؤمنين من المس الروحي إذا تسرَّبت لأنفسهم هذه الأفكار الوسواسية وغالبًا ما تتسرَّب، علمًا أنَّ المسّ الروحي الصحيح هو حالات نادرة جدًّا، إذ لم نستطع أن نقع خلال عشر سنوات على أي حالة حقيقية»[(١)].

ويذكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في السعودية، في مقال له بمجلة البلاغ[(٢)]، أنه عاين حالة صرع في امرأة وتكلم مع الجني الذي كان حالاًّ بها ووعظه فأسلم بعد أن كان بوذيًا وخرج من المرأة وعادت المرأة إلى حالتها الطبيعية.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: «الحمد لله والصلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فقد نشرت بعض الصحف المحلية وغيرها في شعبان من هذا العام أعني عام ١٤٠٧هـ أحاديث مختصرة ومطوَّلة عما حصل من إعلان بعض الجن الذي تلبس ببعض المسلمات في الرياض إسلامه عندي بعد أن أعلنه عند الأخ عبد الله بن مشرف العمري المقيم في الرياض بعدما قرأ المذكور على المصابة وخاطب الجني وذكره بالله ووعظه وأخبره أن الظلم حرام وكبيرة عظيمة ودعاه إلى الإسلام لما أخبره الجني أنه كافر بوذي ودعاه إلى الخروج منها فاقتنع الجني بالدعوة وأعلن إسلامه عند عبد الله المذكور.

---

(١) الشريف، عدنان، من علم النفس القرآني، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧، ط ١، ص ١٢٠.

(٢) ابن باز، الشيخ عبد العزيز. البلاغ، الكويت، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ٦ سبتمبر، العدد ٩٠٧.

ثـم رغب عبد الله المذكور وأولياء المرأة أن يحضروا عندي بالمرأة حـتى أسمع إعلان إسلام الجني فحضروا عندي فسألته عن أسباب دخوله فيها فأخبرني بالأسباب ونطق بلسان المرأة لكنه كلام رجال وليس كلام امرأة وهي في الكرسي الذي بجواري وأخوها وأختها وعبد الله بن مشرف المـذكور وبعض المشايخ يشهدون ذلك ويسمعون كـلام الجني، وقد أعلن إسلامه صريحًا وأخبرني أنه هندي بوذي الديانة فنصحته وأوصيته بتـقـوى الله وأن يـخـرج من هذه المرأة ويبتعد عن ظلمها فأجابني إلى ذلك وقال: أنا مقتنع بالإسلام، وأوصيته أن يدعو قومه للإسلام بعدما هداه الله، فوعد خيرًا وغادر المرأة وكان آخر كلمة قالها: السلام عليكم، ثم تكلمت المرأة بلسانها المعتاد وشعرت بسلامتها وراحتها من تعبه. ثم عادت إلي بعد شهر أو أكثر مـع أخـويـهـا وخالها وأختها وأخبرتني أنها في خير وعافية وأنه لم يعد إليها والحمد لله، وسألتها عما كانت تشعر به حين وجوده بها فأجابت بأنها كانت تشعر بـأفـكـار رديئة مخالفة للشرع وتشعر بميول إلى الدين البوذي والإطلاع على الكتب المؤلفة فيه ثم بعدما سلَّمها الله منه زالت عنهـا هـذه الأفكـار ورجعـت إلـى حـالتهـا الأولـى البعيـدة مـن هـذه الأفـكـار المنحرفة»[(١)].

وهنالك رأي حديث يعتقد به بعض الناس الذين يحاولون التوفيق بين العلم والدين في أمر الصرع والمس الروحي، يتوافق بعض الشيء مع رأي المعتزلة. يقول هذا الرأي: إن الجن يوسوس في صدور الناس، وإن هذه الوسوسة إذا تملكت من نفس الإنسي وصدقها، وأصبحت تصرفاته خاضعة لما اقتنع به كما هي الحال بالنسبة لمن ينوم تنويمًا مغناطيسيًا، فإن الأمر لا يعدو كونه إيحاء ووسوسة من المنوم للنائم، إذ أن هذا الإيحاء هو الذي يجعله ينام وباستطاعة المنوم أن يجعل النائم يرى ويشعر ويتحسس أي شيء يرغب فيه. كذلك الحال بين الجني الموسوس والإنسي الموسوس له. وبما أن الشيطان لا يرغب إلاَّ في أن يجعل الإنسي حزينًا ضائعًا تعيسًا

---

(١) ابن باز، الشيخ عبد العزيز، البلاغ، ص ٤٨ ــ ٤٩.

مشوش الفكر فاقدًا للوعي فإنه يوحي بهذه الأمور، فإذا اقتنع بها الإنسي أصبح كالمصروع يتخبط في مشيته وتصرفاته.

لكن أرى أن المنطق السليم والتفكير القويم يرجح كفة الرأي الأول وهو رأي أهل السنَّة والجماعة الذي يقول بدخول الجن بدن الإنسي. إلاَّ أن هذا الدخول قليلاً ونادرًا ما يحصل، وليس كما يتصور العامة من الناس الذين نشاهدهم يتزاحمون على أبواب المشعوذين ومدعي المشيخة، طالبين عونهم على إخراج الجن والشياطين من أبدانهم دون التمييز بين ما هو بسبب الجن وبين ما هو بسبب مرض عضوي أو عصبي صرف أو نفسي صرف.

وأما عن أسباب دخول الجني بدن الإنسي فنذكر منها: الشهوة والعشق، فهاتان الصفتان في الجن كما في الإنس، وقد يكون دخول الجن في الإنس بسبب البغض أو ردًّا على أذية ارتكبها الإنسي بحق الجني، كأن يبول على الجني أو يصب عليه الماء الحار عامدًا أو غير عامد، وقد يكون أذاهم للإنسي عن عبث وشر متأصل أو سفاهة. أما من أنكر دخول الجني في بدن الإنسي، فهم طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي محمد بن زكريا الطبيب وغيرهما، وأشاروا إلى استحالة وجود روحين في جسد واحد.

يقول الجبائي مدافعًا عن رأيه: «الناس يقولون المصروع إنما حدثت به تلك الحالة، لأن الشيطان يمسه ويصرعه وهذا باطل، لأن الشيطان ضعيف لا يقدر على صرع الناس وقتلهم، ويدل عليه بوجوه، (أحدهما) قوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم]، وهذا صريح في أنه ليس للشيطان قدرة على الصرع والقتل والإيذاء.

(والثاني) الشيطان إما أن يقال إنه كثيف الجسم، أو يقال إنه من الأجسام اللطيفة، فإن كان الأول وجب أن يرى ويشاهد، إذ لمّا جاز فيه أن يكون كثيفًا ويحضر، ثم لا يرى، لجاز أن يكون بحضرتنا شموس ورعود وبروق وجبال ونحن لا نراها، وذلك جهالة عظيمة، ولأنه لو كان جسمًا كثيفًا فكيف يمكنه أن يدخل في

باطن بدن الإنسان، وأما إن كان جسمًا لطيفًا كالهواء، فمثل هذا يمنع أن يكون فيه صلابة وقوة، فيمتنع أن يكون قادرًا على أن يصرع الإنسان ويقتله.

(الثالث) لو كان الشيطان يقدر على أن يصرع ويقتل لصح أن يفعل مثل معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك يجر إلى الطعن في النبوة.

(الرابع) أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يصرع جميع المؤمنين ولم لا يخبطهم مع شدة عداوته لأهل الإيمان، ولم لا يغصب أموالهم، ويفسد أحوالهم، ويفشي أسرارهم، ويزيل عقولهم، وكل ذلك ظاهر الفساد.

وقد ردَّ القاضي عبد الجبار على قول الجبائي فقال: إذا صح ما دللنا عليه من رقة أجسامهم وأنها كالهواء لم يمنع دخولهم في أبداننا، كما يدخل الريح والنفس المتردد الذي هو الروح في أبداننا من التخرق والتخلخل ولا يؤدي ذلك إلى اجتماع الجواهر في حيز واحد لأنها لا تجمع إلاَّ على طريق المجاورة لا على سبيل الحال، وإنما تدخل في أجسامنا كما يدخل الجسم الرقيق في الظروف.

فإن قيل: إن دخول الجن في أجسامنا إلى هذه المواضع يوجب تقطعها أو تقطع الشيطان لأن المواضع الضيقة لا يدخلها الجسم إلاَّ ويتقطع الجسم الداخل فيها، قيل له: إنما يكون ما ذكرته إذا كانت الأجسام التي تدخل في الأجسام كثيفة كالحديد والخشب، فأما إذا كانت كالهواء فالأمر بخلاف ما ذكرتم.

وكذلك القول في الشياطين: إنهم لا يتقطعون بدخولهم في الأجسام، لأنهم إما أن يدخلوا بكليتهم فبعضهم متصل ببعض فلا يتقطع، وإنما أن يدخلوا بعض أجسامهم إلاَّ أن بعضهم متصل ببعض فلا يتقطع أيضًا وهذا مثل أن تدخل الحية في جحرها كلها أو يدخل بعضها وبعضها يبقى خارج الجحر لأن ذلك لا يوجب تقطعها»[1].

ومما يمكن أن نرد به على الجبائي ومن قال بأن الجن أجسام هوائية رقاق لا حول لها ولا قوة بسبب رقتها وعدم كثافتها، نقول لهم: انظروا إلى الإعصار كيف

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٤٤.

يهدم ويدمر ويقتلع البيوت والأشجار ويلقي بالأشياء الكثيفة الثقيلة في الفضاء مع أن أصله من الهواء؟ وكيف أن الريح الذي أصله الهواء أيضًا يحرك السفن الكبيرة في البحار ولو كانت بضخامة الجبال.

كما نُحيلُ أمثال الجبائي إلى القرآن الكريم وبالتحديد إلى سورة الحاقة ليعلموا كيف أن الهواء له القدرة على صرع الناس مهما كانت أجسامهم كبيرة وضخمة: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة].

ونقول أيضًا: إن بعض الإشعاعات أرق من الهواء بمئات المرات مع رقتها الشديدة فإنها تستخدم في وقتنا الحاضر لتقطيع الصخور الصلبة والحديد وتستخدم كالمبضع في العمليات الجراحية الدقيقة. كما أن بعض الأجسام الكثيفة يمكن أن تغيب عن النظر إذا سارت بسرعة كبيرة. ألا ترى أذرع المروحة أو الدولاب كيف تغيب عن النظر حين تدور المروحة أو يدور الدولاب بسرعة كبيرة.

ويتابع الفخر الرازي نقل وجهة نظر الجبائي والمعتزلة فيقول: «واحتج القائلون بأن الشيطان يقدر على هذه الأشياء بوجهين: (الأول) ما روي أن الشياطين في زمن سليمان بن داود عليهما السلام كانوا يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان وقدور راسيات، (والجواب عنه) أنه تعالى كلفهم في زمن سليمان فعند ذلك قدروا على هذه الأفعال وكان ذلك من المعجزات لسليمان عليه السلام.

(والثاني): أن هذه الآية وهي قوله: ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾، صريح في أن يتخبطه الشيطان بسبب مسه. (والجواب عنه): أن الشيطان يمسه بوسوسته المؤذية التي يحدث عندها الصرع، وهو كقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص]، وإنما يحدث الصرع عند تلك الوسوسة لأن الله تعالى خلقه ضعيف الطباع، وغلبت السوداء عليه بحيث يخاف عند الوسوسة فلا يجترىء فيصرع عند تلك الوسوسة، كما يصرع الجبان في الموضع الخالي، ولهذا المعنى لا يوجد

هذا الخبط في الفضلاء الكاملين، وأهل الحزم والعقل وإنما يوجد فيمن به نقص في المزاج وخلل في الدماغ، فهذا جملة كلام الجبائي»[1].

وينقل الفخر الرازي في تفسيره عن القفَّال، بأن الناس يضيفون الصرع إلى الشيطان والجن فخوطبوا على ما تعارفوا عليه. يقول القفال: «إن الناس يضيفون الصرع إلى الشيطان وإلى الجن، فخوطبوا على ما تعارفوه من هذا، وأيضًا من عادة الناس أنهم إذا أرادوا تقبيح شيء أن يضيفوه إلى الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الصافات] »[2].

وينقل الفخر الرازي عن ابن منبه تفسيرًا لآية الربا بأن آكل الربا يقوم يوم القيامة من قبره متخبطًا في مشيته، فيقوم ويسقط دون بقية الناس كما لو أن الشيطان يتخبطه. قال ابن منبه: «يريد إذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين لقوله: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ [المعارج: ٤٣]، إلاَّ أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وذلك لأنهم أكلوا الربا في الدنيا، فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون، ويسقطون، ويريدون الإسراع ولا يقدرون»[3].

ويضيف الفخر الرازي داعمًا رأيه بأن الجن لا تدخل بدن المصروع ببرهان آخر، إذ يقول: إن الشيطان يدعو الإنسان إلى الفساد والملذات والشهوات، والملَك يدعوه إلى الدين والتقوى، فتارة يميل إلى الدنيا طائعًا الشيطان، وتارة أخرى يميل مع المَلَك إلى فعل الخيرات، وهذا هو في رأيه التخبط، وقد أورده حين فسَّر الآية القرآنية التالية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف].

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٧/ ٩٦.
(٢) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٧/ ٩٦.
(٣) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٧/ ٩٦ ــ ٩٧.

يقول الفخر الرازي في تفسيره: «وذلك لأن الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والاشتغال بغير الله، فهذا هو المراد من مس الشيطان، ومن كان كذلك كان في أمر الدنيا متخبطًا، فتارة الشيطان يجره إلى النفس والهوى، وتارة الملك يجره إلى الدين والتقوى، فحدثت هنالك حركات مضطربة، وأفعال مختلفة، فهذا يكون مفرطًا في حب الدنيا متهالكًا فيها، فإذا مات على ذلك الحب صار ذلك الحب حجابًا بينه وبين الله تعالى، فالخبط الذي كان حاصلاً في الدنيا بسبب حب المال أورثه الخبط في الآخرة، وأوقعه في ذل الحجاب، وهذا التأويل أقرب عندي من الوجهين اللذين نقلناهما عمن نقلنا»[١].

خامسًا ـ استخدام الإنس للجن:

تشير بعض آيات الكتاب الكريم إلى أن الإنس قد استخدموا الجن في قضاء بعض الأعمال، كما تؤكد أحاديث الرسول الكريم ذلك أيضًا. لكن كيف يتم تسخير الجن للإنس؟

يقول الشبلي: «والإنس إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به بل يعشق ذلك عشقًا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله. والشيطان هو نفسه خبيث فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية، وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم فيقضون بعض أغراضه، كمن يعطي غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله، أو يعينه على فاحشة، أو ينال معه فاحشة. ولهذا كثيرًا ما يكتبون هذه الأمور فيها كلام الله تعالى بالنجاسة.

وقد يكتبون حرف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، أو غيرها بنجاسة، إما دم، وإما غيره، وإما بغير نجاسة. ويكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم، إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه بمال من أموال

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٧/ ٩٧.

بعض الناس، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين، ومن لم يذكر اسم الله عليه ويأتي به وإما غير ذلك»[1].

وينقل الشبلي عن ابن النديم صاحب الفهرست في باب أخبار العلماء ما نصه: «زعم المعزِّمون والسحرة أن الشياطين والجن والأرواح تطيعهم وتخدمهم وتتصرف بين أمرهم ونهيهم. فأما المعزِّمون ممن ينتحل الشرائع فزعم أن ذلك يكون بطاعة الله جل اسمه والابتهال إليه والإقسام على الأرواح والشياطين به، وترك الشهوات ولزوم العبادات، وأن الجن والشياطين يطيعونهم، إما طاعة لله جل اسمه لأجل الإقسام به، وإما مخافة منه تبارك وتعالى، ولأن في خاصية أسمائه وذكره قمعهم وإذلالهم.

فأما السحرة فإنها زعمت أنها تتعبد الشياطين بالقرابين والمعاصي وارتكاب المحظورات مما لله عزَّ وجلّ في تركه رضًا، وللشياطين في استعمالها رضًا، مثل ترك الصلاة والصوم، وإباحة الدماء، ونكاح ذوات المحارم، وغير ذلك من الأفعال البشعة»[2].

والله سخر لنبيِّه سليمان عليه السلام في جملة ما سخَّر: الجن والشياطين، يعملون له ما يشاء، ويعذب ويسجن العصاة منهم. قال الله سبحانه وتعالى ممتنًا على سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص]، وقال الله سبحانه جلّ شأنه في سورة سبأ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ].

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٢) المصدر السابق، ص ١٣٥.

لكن هذا التسخير على هذا النحو كان كرامة واستجابة من الله القريب المجيب لدعوة سيدنا سليمان عليه السلام الذي قال في دعائه وأثبته القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص].

وهذه الدعوة هي التي جعلت سيدنا محمد ﷺ يحجم عن ربط الجني الذي جاء بشهاب من نار، يريد أن يقطع عليه الصلاة، وقد أوردنا هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه حين تحدثنا عن علاقة الجن بالبعثة المحمدية الشريفة.

ويستخدم الكهَّان الجن لأمور متعددة، أهمها محاولة معرفة الغيب، واستراق السمع، إلاَّ إن هذا أصبح مستحيلاً بعد البعثة المحمدية الشريفة.

عن ابن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ أنهم بينما هم جلوس ليلة مع النبي ﷺ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية»؟ قالوا: كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، قال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرًا سبَّح حملة العرش، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فيخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون بما جاءوا به على وجهه، فهو حق ولكنهم يقذفون فيه فيزيدون»(١).

والشائع بين عامة الناس وخاصة الجهلة منهم أن الجن يعلمون الغيب، فيذهبون إلى الكهان ومن يتعامل مع الجن طلبًا لمعرفة أمور مستقبلية، من موت وحياة وزواج وغير ذلك. والجن تحاول بكل ما أوتيت من قوة ودهاء أن تثبت هذا المعتقد الذي يؤدي بالإنسان إلى الكفر.

فعن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده.

(٢) المصدر السابق.

وتصديق الكهان كفر كما نقل عن أبـي هريرة رضي الله عنه إذ يقول: إن النبـي ﷺ قال: «من أتى عرافًا أو كاهنًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»[1].

وكان العربـي في الجاهلية إذا سافر وأدركه المبيت في مكان قفر مخيف يستعيذ بسيد المكان من الجن ومن سفهاء قومه، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه وينام. وعند سماع سفهاء الجن هذا الكلام تتعاظم نفوسهم، ويقولون خشيَنا هذا الإنسي، فيتراؤون له بأشكال مخيفة. وهذا ما أشار إليه الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن].

وقد بلغ من بعض الإنس مبلغًا أنهم عبدوا الجن. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في سورة الإسراء، عن ابن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم النفر من الجن وتمسَّك الإنسيون بعبادتهم، فأنزل الله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] »[2].

وقد ورد في بعض المصادر استخدام الإنس للجن في أمور الطب. وقد ذكرنا قصة الفتاة التي اختطفها الجن التي أوردها الشبلي في أحكام الجان والسيوطي في لقط المرجان تحت عنوان قدرات الجن، ففي هذه الرواية يسأل زوج الفتاة المختطفة الجني عن دواء لحمى الربع فيهديه الجني إلى الدواء.

كما أن بعض الإنس تستخدم الجن في معرفة الأمور المغيبة عنها وليست في حكم علم الغيب. وهذا من الممكنات بالنسبة للجن، لما لهم من قدرة على الطيران وقطع المسافات الطويلة بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝٣٩﴾ [النمل].

فقد ذكر الشبلي في باب جواز سؤال الجن عن الأحوال الماضية دون الأمور

---

(١) رواه أحمد في المسند.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

المستقبلية ما نصه: «قال أبو بكر القرشي: حدثنا عبد الله بن بدر، حدثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عمر بن محمد عن سالم بن عبيد الله قال: أبطأ خبر عمر على أبي موسى فأتى امرأة في بطنها شيطان فجاء فسألها عنه فقالت: حتى يجيء إليّ شيطاني، فجاء فسألته عنه فقال: تركته مؤتزرًا بكساء يهنأ إبل الصدقة وذلك لا يراه شيطان إلاّ خرَّ لمنخره، الملك بين يديه وروح القدس ينطق بلسانه»(١).

وسؤال الجن وتصديق كل ما يخبرون به وتعظيم المسؤول هو من المحرمات، وأما إن كان يسأل المسؤول ليمتحن حالته ويختبر باطن أمره وعنده ما يميزه به صدقه من كذبه فهذا جائز. وأرى أن الاتصال بهذا العالم الخفي أمر جد مكروه لا يأتي بخير أبدًا، والابتعاد عنه أسلم لدين المرء، لأن من يحضر من الجن غالبًا ما يكون من الكفرة أو الفسقة. وذلك لأن الجن المؤمن لا يمكن أن يقبل بالتسخير والعبودية للمحضِرين من الكهان والسحرة الأنجاس، وذلك لأن الجن المؤمن عزيز النفس يأبى الذلة كما يأباها الإنسي المؤمن تمامًا، وإن من يحضرون من الجن وإن ادعوا الإيمان والتقوى والطهارة فإنهم يتظاهرون بذلك لاستدراج المؤمنين السذج.

* * *

الشعراء وعالم الجن

من الأخبار التي تروى عن الشعراء أن لكل شاعر شيطانًا أو جنيًا يلهمه ويلقِّنه الشعر، ومسكن هذه الجن هو واد يقال له وادي عبقر. ويقال للشعر: رقي الشيطان. قال جرير في عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه:

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه ... وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وكذلك كل ما يتكلم به من كلمات الخلابة والتحميس قال:

ماذا يظن بسلمى إذ يلم بها ... مرجل الرأس ذو بردين وضاح

خز عمامته حلو فكاهته ... في كفه من رقى الشيطان مفتاح

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٨٠.

ولا يستبعد عقلاً أن تنطق الجن شعرًا أو تلقنه للإنس، وذلك لأنهم مخلوقات عاقلة مميزة كالإنسان تمامًا، واستنادًا لكتاب الله العزيز، نقول بأن الله سبحانه وتعالى قد تحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم. فلو لم يكن للجن القدرة الأدبية الرفيعة لما تحداهم الله سبحانه في قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

وقد نسب لكل شاعر تابع «فكان للأعشى مسحل، ولعمرو بن قطن جهنام، ولبشار سنقناق»[(١)]. «ولامرىء القيس عتيبة بن نوفل، ولطرفة عنتر بن العجلان، ولقيس بن الخطيم أبو الخطار، ولأبي تمام عتاب بن حبناءة، وللبحتري أبو الطيع، ولأبي نواس حسين الدنان»[(٢)].

وقد روى شهاب الدين الأبشيهي في فصل «المتشيطنة» كلامًا يذكر فيه نوعًا من الجن يقال له المذهب يخدم العباد، ومقصده من ذلك أن يعجبوا بأنفسهم، كما ينطقون الشعر ويتناشدون أشعار الإنس.

«قال بعض الصوفية: المذهب أصناف، منهم من يحمل الفانوس بين يدي الشيخ، ومنهم من يأتيهم بالطعام والشراب وغير ذلك، ومنهم من ينشد الشعر. وقال بعض المسافرين: أبق لي غلام فخرجت في أثره، فإذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير. قال: فدنوت منهم وسلّمت عليهم، فقالوا: ألك حاجة؟ قلت: لا، فقال بعضهم: تريد غلامك؟ قلت: وما أعلمك بغلامي؟ قال: كعلمي بجهلك، قلت: أو جاهل أنا؟ قال: نعم وأحمق، قال: ثم غاب وأتاني بالغلام مقيدًا، فلما رأيته غشي علي»[(٣)].

❏❏❏

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١١٤.

(٢) الأندلسي، ابن الشهيد، التوابع والزوابع، تحقيق بطرس البستاني، بيروت، دار صادر ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، من عدة صفحات.

(٣) الأبشيهي، شهاب الدين، المستطرف، ص ١٥٧.

الفصل التاسع

الجن وتحضير الأرواح

أوَّلاً ـــ طرق تحضير الأرواح:

قبل أن ندخل في البحث عن حقيقة ما إذا كانت أرواح الأموات تتخطَّى عالم البرزخ وتعود إلى العالم الحسِّي أم لا، لا بدَّ لنا من أن نُلقي الضوء على بعض الطرق التي يستعملها مدَّعي إحضار الأرواح:

❑ **طريقة الغيبوبة الذاتية**: في هذه الطريقة يغمض مدَّعي تحضير الأرواح عينيه ويحاول الذهاب في غيبوبة، وبعد مدَّة قد تطول أو تقصر، تصدر عنه حركات تشنُّجية، أو ابتسامة، أو تقطيب جبين، وقد يلقي السلام بصوت مغاير لصوته، وهذه الحركات، أو هذا الكلام، يدل على أنَّ الروح قد حضرت، وأنَّ الجلسة الروحية قد بدأت، وقد تخرج من جسده أجسام رقيقة هفهافة يدَّعي أنها تجسيد للروح التي حضرت.

❑ **طريقة التنويم المغناطيسي**: وهي التي يلجأ فيها المنوم إلى التأثير على الوسيط حتى ينام، فإذا نام الوسيط، فإنَّ المنوِّم يأمره بالانتقال من مرحلة نوم، إلى مرحلة نوم أعمق، حتى يصل إلى مرحلة النوم العميق التي لا يسمع معها سوى صوت المنوِّم، وينفِّذ أوامره، وإذ ذاك يأمره بأن يستحضر روحًا معيَّنة من الأرواح، بعد تلاوة التعاويذ التي تمنع الأرواح الشاردة الأخرى من أن تتدخل في الجلسة.

❑ **طريقة المندل**: في هذه الطريقة قد يلجأ من يدَّعي تحضير الأرواح إلى

تركيز نظره على كرة زجاجية لامعة، أو في فنجان ماء تطفو على سطحه نقطة زيت، فيأخذ مدَّعي تحضير الأرواح بالقيام بحركات وإيماءات تدل على أنَّ الروح قد حضرت، فيُقرؤها السلام، ويبدأ السؤال والجواب، وقد يستخدم مدَّعي تحضير الأرواح عوضًا عنه، صبيًا أو صبية دون سن البلوغ، للتحديق في الكرة الزجاجية أو فنجان الماء، ويتولَّى محضر الأرواح إدارة الجلسة.



أحد مدَّعي القدرة على معرفة الطالع
من خلال النظر في البلّورة الزجاجية (السِّحرية)

❑ **طريقة الفنجان المتحرِّك والحروف الأبجدية**: وتتلخَّص هذه الطريقة بأن يقوم مدَّعي إحضار الأرواح، بإعداد ورقة كبيرة عليها الأحرف الأبجدية على شكل دائرة، ويضع في وسط هذه الدائرة فنجانًا صغيرًا مقلوبًا، ثم يضع إصبعه (الشاهد) على قاعدة الفنجان ثم يأخذ بتلاوة التعاويذ، وبعد مدَّة يتحرَّك الفنجان باتِّجاه الأحرف، نتيجة لتشنُّج عضلات اليد، فتجمع هذه الحروف لتكون كلمات وجملاً.

❑ **إحضار الأرواح عن طريق الطاولة «تربيزة»**[1]: في هذه الطريقة يقوم مدَّعي إحضار الأرواح بوضع يديه الاثنتين على تربيزة صغيرة، ثم يأخذ بتلاوة بعض التعاويذ، ثم تبدأ التربيزة بالتحرُّك، وفي هذا إشارة إلى أنَّ الروح قد حضرت، فيبدأ السؤال والجواب، وتُدار الجلسة بعد أن يكون المدَّعي قد أعلم الحضور بأنَّ حركة التربيزة نحو اليمين تعني كلمة «نعم»، وأن حركتها نحو الشمال تعني كلمة «لا»، وأنَّ توقُّفها عن الحركة يعني أن «لا جواب». كما أنَّ مدَّعي إحضار الأرواح قد يستعين بإنسان غير بالغ، للقيام مقامه بتحريك التربيزة.

❑ **طريقة النقر على الطاولة**: في هذه الطريقة يجلس محضر الجلسة مع الحضور متشابكي الأيدي حول طاولة مستديرة، في جو هادىء، ونور خافت، ويعلمهم بأنَّ عليهم أن يركِّزوا أفكارهم، ويتمثَّلوا صورة الروح المطلوبة، وبعد مدَّة قد تطول أو تقصر تصدر أصوات النقر على الطاولة، معلنة حضور الروح، فتبدأ الأسئلة والأجوبة بعد أن تعلن القواعد التي على أساسها يتم التفاهم، كأن تكون النقرة الواحدة تعني «نعم»، والنقرتان تعني «لا»، والامتناع عن النقر تعني «لا جواب»، إلى آخر ما هنالك من قواعد التفاهم.

❑ **إحضار الأرواح عن طريق الرقص والغناء «الزَّار»**: في هذه الطريقة تقام حفلة راقصة، تُقرع فيها الطبول، وتُضرب بها الدفوف، وتتمايل فيها الأجساد، وتُنهك فيها القوى، ويُحرق فيها البخور، وتدور فيها الرؤوس، وتُسلب فيها الإرادة، ويضيع الإدراك، في هذا الجو المشحون بمختلف المؤثِّرات، تصدر عن مدَّعي تحضير الأرواح إشارة معلنةً حضور الروح.

❑ **إحضار الأرواح عن طريق السلَّة**: وخلاصتها أن يثبت في أسفل السلَّة قلمًا، وتحمل من قبل محضر الأرواح على راحتيه وتكون اليدان ممدوتين إلى الأمام بشكل أفقي، وبعد أن يقرأ حامل السلَّة التعاويذ، يشعر بثقل وبارتجاج في يديه، يتمثَّل بحركة السلَّة، بعدها يبدأ القلم بالكتابة على الورق الموضوع تحته.

---

(١) التربيزة: عبارة عن طاولة صغيرة خفيفة لها ثلاث أرجل.

وهنالك طرق عديدة أخرى لا تقع تحت دائرة الحصر يتَّبعها من يدَّعي تحضير الأرواح، يضيق المكان بذكرها، لكن كل الطرق السابقة التي ذكرت والطرق التي لم أذكر لا تخلو من نقاط ضعف، تثير الشك والريبة في صحة ادِّعاء إحضار الروح بواسطتها.

ولسوف أفنِّد أباطيل كل هذه الطرق التي ذكرت وكثير من أعمال السِّحر والشعوذة في مكان خاص من هذا العمل الذي أبتغي من ورائه مرضاة الله سبحانه وتعالى، من خلال كشف زمرة الدجَّالين والمحتالين وإخوان الشياطين، التي توقع في حبائلها العديد من الناس، من كل الطبقات والأعمار، فنجد من ضحاياها الجاهل والمتعلِّم، والغني والفقير، والذكر والأنثى.

ثانيًا ــ حقيقة حضور الروح:

لم يرد في كتاب الله سبحانه وتعالى، ولا في سنَّة رسوله محمد ﷺ، أيّ شيء يدل على إمكان استحضار الأرواح بالعزائم أو بآيات من الكتاب العزيز، أو بأيّ وسيلة أخرى. لكن الذي ثبت شرعًا هو بقاء الأرواح بعد موت الأجساد، وأنها تسمع السلام وتردّه وتزور الأحياء يقظة ومنامًا، ومن غير استحضار منا لها.

ولم يثبت شرعًا أنها تخضع للأحياء، يحضرونها حيث شاءوا، ويسخِّرونها حيث أرادوا، فالأرواح منذ اللحظة التي تفارق فيها الجسد تدخل إلى عالم جديد هو عالم البرزخ، حيث تخضع لقوانين ونواميس جديدة، غير التي نألفها في عالمنا المحسوس. قال الله سبحانه وتعالى في محكم آياته: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. والبرزخ هو الحاجز بين شيئين.

وكما أنه ليس في الشرع شيء يدل على إمكان استحضار الأرواح، فإنَّ في الشرع ما يدعم فكرة عدم إمكانية استحضاره. فالثابت شرعًا هو أنَّ هنالك السؤال والعذاب والنعيم في القبر. وسؤال الميت في القبر أمر ممكن عقلاً، وقد وردت بشأنه نصوص في الكتاب الكريم، وآثار في السنَّة النبويَّة العطرة، وأجمع عليه الجمهور فيجب الإيمان به.

أما في الكتاب، فقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم]. قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: الشهادة يُسألون عنها في قبورهم بعد موتهم. وقال عكرمة مولى ابن عباس وتلميذه في تفسيرها: يُسألون عن الإيمان بمحمد ﷺ وأمر التوحيد، فيجيبون بما يوافق ما ماتوا عليه من إيمان أو كفر أو شك[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر]، ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن عرض آل فرعون على النار غدوًّا وعشيًّا يكون قبل يوم القيامة بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

يقول في هذا المعنى محمد عبد الظاهر خليفة: «والظاهر أنَّ الإدخال في النار غير العرض عليها، لأنَّ العطف يقتضي المغايرة. وإذا كان الإدخال في يوم القيامة، كان العرض في غير ذلك اليوم قطعًا. وإذا لم يكن العرض يوم القيامة اتِّفاقًا كان قبله ضرورة وبداهة، ولا جائز أن يكون عرضهم على النار في حال حياتهم الدنيوية لأنه ما كان حاصلاً فيها. فتبيَّن أن يكون عرضهم على النار بعد موتهم إلى قيام الساعة وهو عذاب القبر. وإذا ثبت في حق آل فرعون ثبت في حق غيرهم»[2].

وهنالك آية أخرى يمكن أن يستدل بها على أنَّ ناسًا يعذَّبون في قبورهم أو في حياتهم البرزخية. يقول المولى عزَّ وجلّ: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥]. العطف بالفاء هنا يقتضي الترتيب مع التعقيب من غير تراخ، فالمعنى المترتب على هذه الآية أنَّ من لم يمتثل من قوم نوح لدعوته أغرقوا وأدخلوا النار عقب إغراقهم في الطوفان من غير تراخ، ولا يراد هنا إدخالهم نار الآخرة بعد حياة البرزخ، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، سورة إبراهيم، ٢/ ٥٣٥.

(٢) خليفة، محمد عبد الظاهر، الحياة البرزخية، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨٣، ط ٢، ص ١١٣ ـ ١١٤.

ونعود لنقول إنَّ من كان في حضرة الملائكة يتعرَّض للاستجواب، فلا إخال أن أحدًا يستطيع استخلاصه من بين أيديهم للتلهِّي بتفاهات وتُرَّهات.

وأما ما ورد في السنَّة النبوية العطرة: فنذكر ما رُوي عن سيِّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل»[١].

وحديث آخر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ العبد إذا وُضِع في قبره وتُولِّي عنه وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك في النار، أبدلك الله به مقعدًا في الجنة. قال النبي ﷺ. . فيراهما جميعًا. وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلَّا الثقلين»[٢].

ويُروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة، فقالت: إنَّ أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم، فكذَّبتها ولم أنعم أن أصدِّقها، فخرجتْ ودخل رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنَّ عجوزًا من عجائز يهود المدينة دخلت عليَّ فزعمت أنَّ أهل القبور يعذَّبون في قبورهم، قال: صدقت، إنهم يعذَّبون عذابًا تسمعه البهائم كلها. فما رأيته بعد في صلاة إلَّا تعوَّذ من عذاب القبر»[٣].

وأما ما ورد في نعيم القبر فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران]. من هاتين

---

(١) رواه أبو داود، وأخرجه البزار والحاكم، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي في تصحيحه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

الآيتين نستدل على أنَّ الله سبحانه وتعالى أثبت أنَّ للشهيد حياة غير حياة الدنيا عقب انتقاله من حياته الدنيا مباشرة.

أما ما نستند به من السنَّة المطهَّرة، ففي حديث لرسول الله ﷺ يقول فيه: «القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار»[1]. ومن كان في قبره ينعم بمنظر الجنَّة، ويشتم رائحتها فكيف يمتثل لتعاويذ محضِّري الأرواح فيأتيهم ليرد على أسئلتهم ويقطع نعيمه ولذاته؟ وكذلك من فرض عليه العذاب في قبره كيف يفرّ من هذا العذاب، هل يأخذ إجازة من معذِّبيه، أم هل يستأذنهم كي يلبِّي طلبات محضِّري الأرواح؟

وتحضير الأرواح المزعوم سبيله ليس واحدًا، فمنه ما هو كذب، يستعمل فيه الإيحاء النفسي والمؤثِّرات المختلفة، والحيل العلمية، ومنه ما هو استخدام للجن والشياطين، وخاصة قرين الإنسان الميت.

وقد كشف الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين في كتابه «الروحية الحديثة»[2] كثيرًا من خداع هؤلاء وتزويرهم للحقيقة، فهم لا يجرون تجاربهم كلها إلاَّ في ضوء أحمر خافت هو أقرب إلى الظلام منه إلى النور، وظواهر التجسيد والصوت المباشر ونقل الأجسام وتحريكها تجري في الظلام الدامس، ولا يستطيع المراقب أن يتبيَّن مواضع الجالسين ولا مصدر الصوت، ولا يستطيع كذلك أن يميِّز شيئًا من تفاصيل المكان كجدرانه أو أبوابه أو نوافذه.

وهنالك أمور تثبت كذب ادِّعاء محضري الأرواح، منها: أنَّ بعض الأرواح التي تستحضر إذا ما سُئلت عن حالها تقول: إنها في الجنة، وإنها مستريحة، وقد كان أصحابها على الكفر والفسوق والعصيان، فكيف ذلك؟ وكيف يكون من مات على غير ملَّة الإسلام والتوحيد سعيدًا ومستريحًا؟!!! وكيف يخبر أنه ناعم بالجنة؟ وكيف

---

(١) رواه الترمذي والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما، وسندهما ضعيف.

(٢) حسين، محمد محمد، الروحية الحديثة دعوة هدَّامة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ط ٢.

يكون طليقًا في ملك الله سبحانه وتعالى حتى يستحضر وهو حبيس في جهنم؟ ومنها أنَّ هذه الأرواح تتحدَّث عن نبوءات كاذبة رجمًا بالغيب، والأرواح لا تجترىء على الكذب والرجم بالغيب الذي استأثره الله بعلمه.

فإذا كان غير مقبول في الدين أن تدَّعي نفوس كافرة أنها في الجنة، وأن تكون طليقة وهي حبيسة في جهنم، وأن ترجم بالغيب، فلذا تكون مثل هذه الأكاذيب صادرة عن قرناء تلك الأرواح من الجن، أو عن جن عابر من عادته الكذب، وليست صادرة عن تلك الأرواح التي أريد استحضارها.

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أنَّ انتشار عملية استحضار الأرواح بين الناس ومحاولة الاستعانة بهم في معالجة مرضانا وحل شؤون دنيانا المستعصية، فيه إفساد لعقائد الناس وشؤون حياتهم، وتحويلهم من أناس إيجابيين إلى أناس سلبيين اتّكاليِّين ينتظرون العون والمدد من أناس قد ماتوا وانقطع عملهم.

وكذلك في عملية تحضير الأرواح إبطال للحكمة في خلق الموت والحياة، ووجود الحاجز أو البرزخ بين الأحياء والأموات إنما كان لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أنَّ في عالم الخفاء شرِّيرين ومفسدين وكفَّارًا وضالِّين مضلِّين، يقول القرآن الكريم نقلاً عن لسان الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن]، وأنَّ معرفة الأحياء والأموات من الإنس والجن محدودة بحدود المكان والزمان الذي لم يحيطوا به، ولا سبيل إلى الإحاطة به، فالله سبحانه وتعالى هو وحده الذي أحاط بكل شيء علمًا. فمن استنجد بالعوالم الخفية فقد أرهق نفسه وأشقاها وعرَّضها للمهالك وللكفر، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾﴾ [الجن]، ومن استعاذ بالله وتوكَّل عليه كفاه وأعانه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

يقول الدكتور محمد محمد حسين في أمر استحضار الجن: «أكمل الله سبحانه وتعالى للمسلمين دينهم وأتمَّ عليهم نعمته، فمن غامر بنفسه بعد ذلك في تلك المجازفات المهلكة التي تعرِّض سالكها للهلاك والبوار، فقد حملها على طريق اليهود الذين أنزل الله تعالى على نبيِّه في وصفهم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة].

وقد أغنى الله المسلمين عن التماس الهدى والخير في هذه المجازفات، فأنزل عليهم كتابًا لا يضلون إن تدبَّروه واتَّبعوه. فمن أعرض عنه والتمس الهداية والرشاد في سواه ضل وكان الشيطان له قرينًا، وساء قرينًا، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف]»[(١)].

وفي نهاية هذا الموضوع أقول أنه يمكن استخلاص الأمور التالية:

أولاً: إنَّ أرواح الناس بعد الموت في عالم البرزخ، إمَّا في نعيم وإمَّا في جحيم.

ثانيًا: إنَّ استدعاءهم أمر مستحيل شرعًا وعقلاً.

ثالثًا: إنَّ من يدَّعي إحضارهم إمَّا أن يكون منافقًا كذَّابًا لا يحضر أي شيء، أو أنه يحضر القرين، أو أي جنِّي كذَّاب.

---

(١) حسين، محمد محمد، الروحية الحديثة، ص ٨٤ ــ ٨٥.

رابعًا: إنَّ الاعتقاد بقدرة أرواح الموتى على مساعدة البشر هو اعتقاد وثني فيه شرك بالله سبحانه وتعالى.

خامسًا: إنَّ الابتعاد عن هذه الأمور أسلم لعقيدة ودين المسلم.



محتالة تُخرج من فمها أنسجة حريرية رقيقة مدَّعية أنَّ هذه الأنسجة عبارة عن روح متجسِّدة!
[كِتاب الإنسان روح لا جسد]

ثالثًا ــ حقيقة الصور التي تمثِّل الروح:

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]، هذه الآية الكريمة كانت ردًّا من الله سبحانه وتعالى على اليهود الذين أرادوا اختبار صدق الرسول ﷺ في دعواه، والقصة مشهورة لا داعي لذكرها، وما يهمّنا من هذه الآية الكريمة هنا هو أنها تثبت أنَّ معطيات الإنسان العلمية قليلة وغير كافية لإدراك كنه الروح وماهيتها. فما بال من يزعم أنه يصوِّر الروح؟ وبدون أدنى شك الصور التي تنشر عن الروح أو الأشباح تعتمد على الخداع والتزوير ووراءها شياطين الإنس قبل شياطين الجن!

يقول الدكتور روجه خوري[1]: «إنَّ هذه الحبوب المستعمَلة لألاعيب الخفة، يحتفظ بها بعض أصحابها ليخدعوا الباراسيكولوجيين عمدًا ويوهموهم أنَّ أعمالهم ناتجة عن تدخُّل الأرواح أو أنهم وسطاء بين عالم الأحياء والموتى، أو أنهم يتحكَّمون بالظواهر الباراسيكولوجية بملء إرادتهم. وعندما يخرجها الشخص من موضعها في الجسم أيًّا كان وبخاصة إذا وضعت داخل الفم بين الأسنان مثلاً وفي زاوية سن مريض.. إلخ، تصبح كدخان يتصاعد منه ويتَّخذ أشكالاً وصورًا تدهش المشاهدين خاصة إذا أُعِدَّت خصِّيصًا بشكل شبح أو إنسان معين. وإذا أراد أحد المشاهدين الاحتفاظ بعينة مما يرى، لتوصل إلى ذلك بسهولة، إذ أنه يستطيع أن يلتقط عينة من هذا الدخان أو الهيئة الخارجة من الفم وعند فحصها، يتراءى له أنها من الثياب الرقيقة أو النايلون أو مزيج من نوع آخر. وبكلمة واحدة، يظهر أنَّ الوسيط هو مخادع لا يستطيع أن يعيد إلى جسمه ما أصدره، لأنه ليس بإكتوبلازما[2] حقيقية وإنما هو شبيه بها»[3].

فالصور التي تلتقط للأرواح المتجسِّدة وتُنشر في الصحف والمجلات وبعض الكتب التي تهتم بالأمور الروحية، هي عبارة عن نسيج من الثياب الرقيقة والنايلون أو بعض المواد الكيمائية. إلاَّ أنَّ بعض الباراسيكولوجيين يفسِّر تجسُّد الأرواح بالإكتوبلازما الصادرة عن جسد الوسيط.

يقول الدكتور روجه خوري نقلاً عن بعض الباراسيكولوجيين: «إنَّ الإكتوبلازما هي السبب الحقيقي في إحداث الأشباح أو الأشياء المرئية أمام الحاضرين. تعلمنا السيدة «روس تشرش Ross Charch» التي رافقت أحيانًا الباحث كروكس في تجاربه مع الوسيطة كوك، أنَّ الحاضرين كانوا يحتفظون بقطعة ثياب للروح المتجسدة «كاتي كنغ» أثناء الجلسة في غلاف مغلق، وعند عودتهم إلى المنزل

---

(١) روجه خوري: طبيب لبناني بارع في الطب النسائي، مؤلف لكتاب «الباراسيكولوجيا في خدمة العلم»، نشر في بيروت، عام ١٩٨٠ على نفقته.

(٢) الإكتوبلازما: باعتقاد بعض الباراسيكولوجيين هي نوع من الطاقة المتجسِّدة يطلقها الوسيط من جسده.

(٣) خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ٣٤٩.

لم يروا شيئًا مما احتفظوا به، وهذا يذكر بجلسات بعض الوسطاء اللبنانيين «الدكتور داهش مثلاً».

ويعلمنا «هاريسون Harrison» أيضًا أنَّ الهيئة المتجسِّدة نفسها، انتزعت قطعًا عديدة من ثوبها وأعطتها للحاضرين، ثم بناء على طلبهم أعادتها إليها ورفعت الثوب الممزَّق وهزَّته بقوَّة، فبدا وكأنه لم يمزَّق من قبل. وبالفعل، تأكَّد الحاضرون من عدم وجود أي ثقب فيه.

في الحقيقة نستطيع تفهُّم الحدث، إذا لجأنا إلى شروح الباراسيكولوجي الجامعي كيفيد، عندما يصرِّح لنا أنَّ الإكتوبلازما هي المسؤولة عن التغيُّرات التي تحصل في ثوب الفتاة. فالإكتوبلازما تغطِّي الثوب كسحابة دخان بشكل أن ما تنتزع منه الوسيطة، ليس سوى مادة إكتوبلازمية خفيفة، بعكس ما يخيل للحاضرين. وإن احتفظ بها هؤلاء، فسوف تختفي بعد دقائق أو ثوان ربما، حتى ولو وضعوها ضمن غلاف مغلق. وذلك لأنَّ الجسم الذي يصدرها، لا بدَّ أن يستعيدها»[١].

إنَّ تفسير الباراسيكولوجيين بأن تجسُّم الأرواح ناتج عن طاقة صادرة عن الجسم تُدعى الإكتوبلازمة، هو أمر لا يقبل به العقل ولا المنطق السليم، وقد أثبتنا فيما سبق بأنَّ الأرواح لا يمكن أن تُستدعى من قبل أحد من الناس. وبما أنها لا يمكن أن تحضر، فبالتالي لا يمكن أن تؤخذ لها الصور. أما ما هو مصدر هذه الأشباح وهذه الصور؟ نجيب على ذلك أنَّ هنالك عدَّة افتراضات قد تكون كلها صحيحة أو بعضها تبعًا لثقافة وخلفية الوسيط العلمية.

أولاً: إنَّ ما يصدر عن الوسيط من أشباح أو صور، هي من نوع الخداع، الناتج عن قطع قماش من نسيج رقيق أو مادة النايلون، مخبَّأة في الفم، أو الأنف، أو الأذن، أو داخل ثياب الوسيط.

ثانيًا: يمكن أن تكون هذه الأشباح ناتجة عن مواد كيمائية تتبخَّر من جسد الوسيط فتظهر على شكل طبقة رقيقة من الدخان تحيط بالجسد، وما يؤكِّد ذلك هو

---

(١) خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ٣٦٢.

أنَّ هذه المادة لو حاول أحد الحضور الاحتفاظ بها لما تمكن، وذلك لأنها تتبخَّر كما تتبخَّر مادة النفتلين. وكما لا يمكننا الاحتفاظ ببخار الماء في إناء، إذ أنه لا بدَّ أن يتكثَّف حين تبرد درجة حرارته، أو كما لا يمكننا الاحتفاظ بدخان السيجارة في وعاء مغلق لمدَّة طويلة، إذ أنه لا بدَّ له من أن يتكثَّف فيتحوَّل من مادة مرئية إلى مادة غير مرئية.

ثالثًا: لا يستبعد أن تكون صور الأشباح أو الأرواح هي صور لبعض الجن التي تتجسَّد لدى استدعائها من قبل الوسيط. لكن هذا الافتراض وإن كان ممكنًا عقلاً، إلاَّ أنه قليل الحدوث، لأنَّ معظم من يقوم بأعمال كهذه يجهل طرق الاتِّصال بعالم الجن، والله أعلم.

رابعًا ــ ما الفائدة من تحضير الأرواح؟

إنَّ من يدَّعي تحضير أرواح الأموات يزعم أنَّ للأرواح قدرة فائقة وعظيمة على كشف الحاضر والماضي، بالإضافة إلى التنبُّؤ بالمستقبل، وكشف الأسرار، وشفاء المرضى، وحل المشكلات من أيِّ نوع كانت. لكن بعد أن أثبتنا فيما سبق بأنَّ أرواح الأموات لا تحضر، وإنما يمكن أن يكون القرين أو الجن هو الذي يدَّعي أنه روح الميت، وبما أنَّ الجن محدود القدرة كالإنسان تمامًا، فإنَّ ما يبني عليه مدَّعي تحضير الأرواح من الآمال هو مجرَّد وهم وتضخيم لما يمكن أن يصدر عن هذه المخلوقات.

كما يجب أن نشير إلى أنَّ الجن الذي يحضر، إن حضر، لا يمكن أن يكون من الجن المؤمن، إذ أنه لا سلطان للفسقة ممَّن يدَّعون تحضير الأرواح، على الجن المؤمن. وبما أنَّ الجن الذي يحضر غالبًا ما يكون من الجن الكافر، أو الفاسق، أو المنافق، الذي من طبعه الكذب والخداع والمراوغة، فلذلك لا يمكن الركون لكلامه، أو الاعتماد عليه.

وفيما يختص بمعرفة المستقبل، فهذا أمر مستحيل على الأحياء قبل الأموات، وهو علم اختصَّ به نفسه سبحانه وتعالى. يقول الله جلَّت قدرته في محكم آياته: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل]، وقال

تمجّدت قدرته: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤]. ويقول سبحانه وتعالى أيضًا في سورة الجن: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

هذه الآيات الكريمة تقطع الطريق على مدَّعي علم الغيب عن طريق الأرواح أو الجن المدلِّس. لا بل إنَّ القرآن الكريم يشير إلى أنَّ الجن لا يعلمون الغيب وحتى لو كان من النوع الذي يمكن أن يُعلم، كموت سيِّدنا سليمان عليه السلام دون أن تظهر عليه علامات الموت العادية. وقد اعترف الجن صراحة بجهلهم بموت سيِّدنا سليمان عليه السلام، قال الحي القيوم: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ].

أما قولهم بأنَّ أرواح الأموات يمكن أن تعالج الناس وتقوم ببعض العمليات الجراحية، فهذا أمر غير حقيقي، ولم يتم عليه دليل مقنع قط، وكل ما قيل وما كتب وما تحدَّثت عنه الصحف ووسائل الإعلام، هو من قبيل الإثارة والتشويق والتضليل المقصود أو غير المقصود.

ومن أشهر من تحدَّثت عنه الصحف في هذا المضمار، دجَّال برازيلي يدعى «أريغو»، واسمه الحقيقي «جوزي بادرو دي فرايطس Jose de Freitas». وقد قصده الكثير من الناس من الشرق والغرب وتكبَّدوا الكثير من المشاق وأضاعوا المال والوقت طلبًا للشفاء على يدي هذا الدجَّال العالمي. إنه يدَّعي أنَّ روح طبيب عيون شهير متوف تحل فيه فيقوم بإجراء العمليات الجراحية في العين، وبالفعل لقد انتقى هذا العضو خصِّيصًا، لأنَّ أغلب الوسطاء يبدأون ممارسة أعمالهم الجراحية في العين، لأنَّ العين عضو يلفت الانتباه أكثر مما سواه من الأعضاء. لكن يجب أن نلفت الانتباه إلى أنَّ العين تحتوي على سائل الدمع، وهو مادة مطهِّرة، تساعد هذا الدجال على تجنُّب الالتهابات الجرثومية خلال عملياته الاحتيالية.

ولنتبيَّن كذب ادِّعاء هذا الدجال، يكفي أن نعلم أنه رفض القيام بإجراء جراحة في العين لأخته، التي كانت تشكو سوادًا في عدسة العين، وأرسلها للبروفوسور «هيلتون روشا» الأخصائي في طب وجراحة العين في البرازيل.

يقول الدكتور روجه خوري: «والمعروف عن أريغو أنه لم يخاطر مرة بإجراء عملية لأخته التي كانت تشكو سوادًا في عدسة العين أو مرض ماء الزرقاء «Cataracte»، وإنما أرسلها إلى البروفوسور هيلتون روشا «Hilton Rocha» الاختصاصي في طب العيون في ساو باولو، هكذا أيضًا، لم يخاطر الجرَّاحون الروحيُّون مطلقًا بإجراء عمليات لأهلهم، كي لا يقتلوهم. إنهم كانوا يدركون فعلاً، أنه من الأصح أكثر، أن يداوي الطبيب الشرعي أقرباءهم بوسائله العلمية، ولا أن يشفوا نسبيًا بواسطة الإيحاء الذي لا يدوم شفاؤه طويلاً»[1].

وبما أنَّ هذه الأرواح ليست أرواح بشر حتمًا، وبما أنها كاذبة، وبما أنها لا تعلم الغيب ولا تقدر على شفاء المرضى، أو أن تقدِّم أيَّ نفع للإنسان، فلماذا نحاول اللجوء إليها والاستعانة بها؟ بل أليس الاستعانة بغير الله نوعًا من الشرك؟



عملية جراحية روحية، إنهم يستعملون الخداع والشعوذة، ونجد الكثير من الناس يقصدونهم (الفليبين). [كتاب الحاسة السادسة]

(١) خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ١٠٢.

خامسًا ـ من يقف وراء عمليات تحضير الأرواح؟

من أخطر أساليب الهدم في زماننا الحاضر وأخبثها، أسلوب ادِّعاء الروحية المزيَّفة، والظهور بمظهر المحارب للإلحاد والكفر، ويستعين على ذلك باستخدام مستجدَّات العلوم وتجاربه، ليثبت أباطيله، من مثل استدعاء أرواح الأموات، والاستنجاد بها والاستفادة من مشورتها، في حل معضلاتنا الحالية، لا بل تصل بهم الوقاحة إلى أنهم يحاولون معرفة الغيب والتنبُّؤ بالمستقبل.

وقد استخدم أصحاب الروحية الحديثة قفاز العلم، ليبعدوا عنهم الريبة والشك، وليظهروا بمظهر الباحث المتجرِّد، الذي يتوخَّى الحقيقة فقط، فتسلَّلوا بذلك إلى نفوس الكثير من الناس، من مختلف المستويات الفكرية والاجتماعية.

يقول في ذلك الدكتور محمد محمد حسين: «من أعجب أساليب الهدم في أيامنا هذه وأخبثها أسلوب التزيي بزي الروحية، ويظهر بمظهر المحارب للإلحاد والمادية ويتخذ ـ بزعم أصحابه ـ أسلوب العلوم التجريبية في استدعاء أرواح من مات ومناجاتهم واستفتائهم في مشكلات الغيب ومعضلاته، والاستعانة بهم في علاج مرض الأبدان والنفوس، وفي الإرشاد إلى المجرمين، وفي الكشف عن الغيب والتنبُّؤ بالمستقبل.

وللهدَّامين أساليب في الكيد وفي التسلل إلى قلوب الضعفاء وعقولهم تلائم كل عصر، وهذا العصر الذي نعيش فيه هو عصر العلوم التي كشفت تجاربها في القرن الأخير عن أعاجيب وأفانين لم تكن تخطر للخيال، مما دعم سلطانها في النفوس وأكَّد توقير الناس لها واحترامهم لكل ما يذهب مذهبها ويصطنع أسلوبها أو يحمل اسمها، وأصبح هذا الأسلوب بابًا واسعًا يدخل منه ذوو الأهواء والأغراض، فلبست يد الهدم قفاز العلم واستطاعت من وراء هذا القفاز أن تصافح كثيرًا من العقول، وأن تتسلل إلى كثير من البيئات والأوساط، دون أن يدخل الناس شك في أمرها، فرأينا الدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية تسخَّر

لهدم الدين والخُلق وبث الفوضى والانحلال»[1].

ويحاول أصحاب الروحية الحديثة الترويج لدين جديد عالمي يتخطَّى كل الأديان السماوية الموجودة ويشنِّعون على الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه، إذ يزعمون أنَّ هؤلاء الأنبياء ما هم إلاَّ وسطاء لهم روحية من نوع جيِّد! كما يدَّعون أنهم أصحاب رسالة من عند الله كبقيَّة الأنبياء.

جاء في العدد ١٢٦ من مجلة «عالم الروح» تحت عنوان (الروحية العالمية) وبتوقيع الدكتور علي عبد الجليل راضي ما يأتي: «إنَّ هذه المنظمة ستكون لكل البشرية، وعن طريقها سوف يضع لنا سكَّان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته. إنهم سوف يأتون لنا بالسلام والطمأنينة الروحية وبسعادة النفس والقلب. سوف يحطِّمون الحواجز بين الشعوب والأفراد، بين العقائد والأديان».

وورد في العدد ١٢٧ من نفس المجلة تحت عنوان حديث الروح الكبير «وايت هوك White Howk» ما يأتي: «يجب أن نتَّحد في هذه الحركة. في هذا الدين الجديد يجب أن تسودنا المحبَّة، ويجب أن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم».

ليس هذا فحسب، بل تبلغ بهم الوقاحة حدًّا يصرِّحون فيه أنهم أرقى وأعظم من الأنبياء. نشر فريد وجدي في عدد فبراير ١٩٢٠ من مجلة «المقتطف» تحت عنوان «إثبات الروح بالمباحث النفسية»، نقلاً عمَّن يدعى القس سنتون موزي الذي زعم أنه تلقَّى كلامه عن عالم الروح، قال محمد فريد وجدي فيما نقله عنه عن الأرواح المزعومة: «نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون قبلنا، غير أنَّ تعاليمنا أرقى من تعاليمهم، فإلٰهنا هو إلٰههم، إلاَّ أنَّ إلٰهنا أظهر من إلٰههم وأقل صفات بشرية وأكثر صفات إلٰهية».

ويطعن أصحاب الروحية الحديثة بالأديان السماوية، فيقولون بأنها أُنزِلت في أزمان متفاوتة ولأمم مختلفة ولأحوال خاصة، وأنَّ ليس فيها ما يصلح للبشر في كل

---

(١) حسين، محمد محمد، الروحية الحديثة دعوة هدَّامة، ص ١٣ ــ ١٤.

أدوار حياتهم وأجيالهم. ومن نفس المقال السابق نقتطع منه هذا الجزء الذي يتهجَّم على الأديان: «وتزعم الروح بأنَّ الأديان قد أوحيت في أزمان مختلفة لأمم خاصة احتوتها أحوال خاصة، وأن ليس فيها ما يصح الركون إليه في كل أدوار البشر وجميع أجيالهم».

كما أنَّ الشاعر اللبناني حليم دموس وقف شعره على تمجيد «داهش» الذي كانت السلطة اللبنانية قد طردته سنة ١٩٤٤، استجابة لطلب الدوائر الدينية الإسلامية والمسيحية على حدٍّ سواء، لما قام به من بث آراء وأفكار ضد الأديان السماوية. فقد أحاط حليم دموس هذا الرجل بهالة من التقديس ترفعه إلى مرتبة النبوة في سلسلة من المقالات نشرتها مجلة «عالم الروح» في القاهرة.

كما يطالعنا غازي براكس في محاضرة مبشِّرًا بدين جديد يحمل لواءه داهش: «فمن أصناف المعجزات التي تمَّت وما تزال تتم على يدي الدكتور داهش، بقدرة الروح العلي: شفاء الأمراض المستعصية شفاء فوريًا، والإنقاذ من الموت أو من أضرار الحوادث الجسمية، وتصوير وقائع الحياة وتسجيل أحاديث الناس الحرفية مهما كانت خفية وأينما كانوا، بصورة عجائبية، والتنبُّؤ بتفاصيل الأحداث المقبلة مهما تعقَّدت وتعدَّدت وتنوَّعت، ومعرفة الفكر والحلم وما يكتمه الإنسان، والتكلُّم بأية لغة كانت، وإحياء الجماد وميت الحيوان وتبسيم الصور، وتكوين الأشياء قبل وجودها المحسوس وإعادتها إلى الوجود بعد فنائها، وإنماء النبات، وإنضاج فج الثمار بلمح البصر، وتغيير طبائع الأشياء ووظائفها، وتكبيرها وتصغيرها وإطالتها وتقصيرها وتغيير أشكالها وألوانها، وتحويل المعادن العادية إلى معادن كريمة، والأوراق العادية إلى عملة فعلية، وتحويل أوراق «اليانصيب» الخاسرة إلى رابحة لشتى القيم، وإنَّ أعظم معجزاته، برأيي، هو تعدُّد شخصياته وقدرتها الروحية الخارقة»[1].

---

(١) براكس، غازي، معجزات الدكتور داهش ووحدة الأديان، محاضرة أُلقيت في الجامعة الأميركية ببيروت، ١٢/ ٥/ ١٩٧٠، منشورات دار النسر المحلِّق.

والأعجب من ذلك، فإنَّ من يدَّعي الروحية والغيرة على الأديان ويملأ مقالاته باستشهادات من القرآن الكريم، والإنجيل المقدَّس، نجده يمجِّد الشيوعية المادية، البعيدة كل البعد عن عالم الروح والروحية.

فقد ورد في العدد **١٢٣** من مجلة (عالم الروح) تحت عنوان الأرواح تنبَّأت بإطلاق القمر الروسي منذ عشرين سنة ما يلي: «إنَّ روسيا سوف تبرهن على أنها في عداد الأمم المتقدِّمة. قد يشك في نواياها، ولكن النتائج التي سوف تحصل عليها سوف تفتح عيون الذي ينقصون من عزيمتها... ومع ذلك فإنكم تسمُّونها دولة لا إلـٰهية، ألا إنَّ الله ينادي الإنسان دائمًا إلى الارتقاء».

يقول الدكتور محمد محمد حسين: «إنَّ مصدر هذا الخلط في كل صوره وأشكاله الصهيونية العالمية. وقد لا تكون الصهيونية هي المؤسِّسة للدعوة الروحية وأشباهها. فبعض هذه الدعوات نشأ مستقلاً عنهم بعيدًا عن سيطرتهم. ولكنهم تمكَّنوا من التسلل إليها وسيطروا عليها واستغلُّوها لصالحهم. وقد تكون الروحية من هذا الضرب، والشيء الذي لا شك فيه هو أن الروحية في وضعها الراهن هي شرك من شراك الصهيونية العالمية الهدَّامة، وآلة في يدهم يستخدمونها لهدم المسيحية والإسلام على السواء، وهدم العصبية بكل أشكالها قومية كانت أو دينية، لكي يمهِّدوا لقيام دولتهم الصهيونية التي يتوهَّمونها وسط أنقاض الخراب العالمي والانحلال الشامل الذي يسهِّل مهمتهم في السيطرة على العالم كله على ما يتخيَّلونه»[1].



(١) حسين، محمد محمد، الروحية الحديثة دعوة هدَّامة، ص ٦٦ ــ ٦٧.

الفصل العاشر
فكّ السّحر بالطرق الشرعية

أوّلاً ـ مشروعية فك السحر:

السِّحر نوع من البلاء يحل بالإنسان فيصيب بدنه، كما يمكن أن يصيب نفسه، وكما أن الشرع قد أوجب التداوي من المرض لقول الرسول ﷺ: «تداووا فإن الله الذي خلق الداء خلق الدواء»[1]. كذلك التداوي من السِّحر أمر مشروع، وأدلته مستقاة من سنَّة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، ومن أفعال بعض الصالحين، وكذلك العقل والمنطق يجيزان التداوي من السحر.

فأما في سنَّة الرسل عليهم السلام فقد ورد في العهد القديم والجديد ما يفيد أن الرسل قد قاموا بشفاء بعض حالات السِّحر والصرع عن طريق إخراج الجن والشياطين من بدن المرضى، ففي إنجيل متى: «وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدَّموه إليه، فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس»[2].

وكذلك يشير الإنجيل إلى أن بعض من كان يتألم من الصرع فيلقي نفسه حينًا بالنار وحينًا بالماء شفاه السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، ففي إنجيل متى ما نصه: «ولما جاؤوا إلى الجمع تقدم إليه رجل جاثيًا له قائلاً: يا سيد ارحم ابني فإنه يصرع ويتألم شديدًا ويقع كثيرًا في النار وكثيرًا في الماء، فانتهره يسوع فخرج منه

---

(١) رواه أحمد.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح التاسع: ٢٢ ـ ٢٣.

الشيطان، فشفي الغلام من تلك الساعة»[1].

كما يذكر إنجيل مرقص أن هنالك بعض الناس الصالحين لهم القدرة على إبراء المصروعين وذلك بإخراج الجن من أجسادهم بناء على تكليف من السيد المسيح عليه الصلاة والسلام. ففي الإصحاح الثالث: «ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه. وأقام اثني عشر ليكونوا معه ليرسلهم ليكرزوا، ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين»[2].

كما ورد عن تاج الرسل والأنبياء محمد ﷺ، أنه قد أخرج بعض الجن من أجساد المصروعين، وقد أوردنا العديد من الأحاديث من مثل الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود وأبو القاسم الطبراني من حديث أم أبان بنت الوازع عن الطفل الذي أخرج منه الرسول الجن بالضرب والانتهار.

كما أوردنا قصة جارية المتوكل التي عالجها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في أكثر من موضع في هذا البحث، والتي نقلها الشبلي في كتابه أحكام الجان.

أما الأدلة العقلية الدالة على مشروعية التداوي من الصرع والسِّحر فمنها أنه إذا كان التداوي من الأمراض الجسدية أمرًا مشروعًا حضَّ عليه الشرع فمن الأولى أن يتداوى الإنسان من السِّحر، خاصة وأن السِّحر له تأثير أشد أحيانًا من المرض العضوي نظرًا لما يشتمل عليه من حالات تشنج الأعصاب أو العضلات، وفقدان الصواب أو الضياع الذي يجعل أمر التكاليف الشرعية غير ممكنة.

وينقل الشبلي رأي أبي العباس ابن تيمية في هذا الموضوع فيقول: «وقد سئل أبو العباس ابن تيمية رحمه الله عن رجل ابتلي بمعالجة الجن مدة طويلة لكون بعض من عنده ناله سحر عظيم قليل الوقوع في الوجود وتكرَّر السِّحر أكثر من مائة مرة، وكاد يتلف المسحور ويقتله بالكلية مرات لا تحصى، فقابلهم الرجل المذكور

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح السابع عشر: ١٤ ـ ١٥.
(٢) إنجيل مرقص، الإصحاح الثالث: ١٢ ـ ١٥.

بالتوجه والصد البليغ ودوام الدعاء والالتجاء وتحقيق التوحيد وأحسن بالنصر عليهم، وكان المصاب يراهم في اليقظة وفي المنام ويسمع كلامهم في اليقظة أيضًا، فرآهم في أوائل الحال وهم يقولون: مات البارحة منّا البعض ومرض جماعة لأجل دعاء الداعي وسموه باسمه.

وكان بالقاهرة رجل هائل يقل وجود مثله في الوجود يجتمع بهم ويطلع على حقيقة حالهم، وله عليهم سلطان باهر مشهور، مشهود له، فسئل عن حقيقة منام المصاب، وعن خبر الدعاء، فأخبر بهلاك ستة ومرض كثير من الجن. وتكرر هذا نحوًا من مائة مرة، وتبين للرجل الداعي المذكور أن الله تعالى قهرهم له، فإنه كان يجد ذلك ويشهده ويعاضده منامات المصاب وسماعه في اليقظة أيضًا وأخبار صاحبهم المذكور، وبعد ذلك أذعنوا وذلوا وطلبوا المسألة.

فهل يجوز للرجل الداعي مواظبة الذب عن صاحبه المصاب المظلوم مع تحققه هلاك طائفة بعد طائفة والحالة هذه أم لا؟ وهل يجوز له إسلام صاحبه والتخلي عنه مع ما يشاهده من أذاه وقرب هلاكه أم لا؟ وهل هذا الغزو مشروع وعليه شاهد من السنَّة النبوية والطريقة السائغة أم لا؟

وهل تشهد الشريعة بصحة وقوع مثل ذلك كما تحققه السائل وغيره من المبشرين والمصدقين، أم ذلك ممتنع كما تقوله الفلاسفة وبعض أهل البدع؟ وهل تجوز الاستعانة عليه بشيء من صنع أهل التنجيم ونحوهم فيما يعملونه من الحجب، والكتابة والبخور والأوراق وغير ذلك، لأنهم يتحملون كبر ذلك، والمصاب وأهله يطلبون الشفاء وإن كان في ذلك كفر فيكون في عنق صاحبه الذي باع دينه بالدنيا وهذا من باب مقابلة الفاسد بمثله؟ أم يجوز ذلك لأجل تقوية طريقهم والدخول في أمر غير مشروع؟

وذكر السائل أسئلة أخرى أضربت عن ذكرها، والجواب في نحو كراسين وفيه بسط خارج عن مقصود الجواب واقتضاه اطراد الكلام وتشبث بعضه بأذيال بعض، وقد أثبت منه ملخصه المطابق للسؤال.

تلخيص الجواب: يستحب وقد يجب أن يذب عن المظلوم وأن ينصر، فإن نصر المظلوم مأمور به بحسب الإمكان. وإذا برىء المصاب بالدعاء والذكر وأمر الجن ونهيهم، وانتهارهم وسبهم ولعنهم ونحو ذلك من الكلام حصل المقصود، وإن كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم إذا كان الراقي الداعي المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم فيأمرون بقتل من لا يجوز قتله، وقد يحبسون من لا يحتاج إلى حبسه، ولهذا قد يقابلهم الجن على ذلك. ففيهم من تقتله الجن أو تمرضه، وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه. وأما من سلك في دفع عدوانهم مسلك العدل الذي أمر الله به رسوله ﷺ فإنه لم يظلمهم بل هو مطيع لله تعالى ورسوله ﷺ في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق، ومثل هذا لا تؤذيه الجن إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه.

وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه، فينبغي لمثل هذا أن يحترز بقراءة المعوِّذات، والصلاة والسلام والدعاء، ونحو ذلك مما يقوي الإيمان ويجنب الذنوب التي بها يتسلطون عليه، فإنه يجاهد في سبيل الله وهذا من أعظم الجهاد، فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه . . . إذا قرأت عليهم بصدق. والصائل المتعدي يستحق دفعه سواء كان مسلمًا أو كافرًا، فقد قال محمد ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد»، وورد دون دمه ودون حرمته ودون دينه. فإذا كان المظلوم له أن يدفع عن ماله ولو بقتل الصائل العادي، فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمته، فإن الشيطان يفسد عقله ويعاقبه في بدنه، وقد يفعل معه فاحشة، ولو فعل هذا بإنسي، ولم يندفع إلاَّ بالقتل جاز قتله.

وأما إسلام صاحبه والتخلي عنه فهو مثل إسلام أمثاله من المظلومين، وهذا فرض على الكفاية مع القدرة، فإن كان عاجزًا وهو مشغول بما هو أوجب منه أو قام غيره به لم يجب، وإن كان قادرًا وقد تعين عليه ولا يشغله عما هو أوجب منه لوجب عليه.

وقول السائل: هل هذا مشروع؟ فهذا من أفضل الأعمال، وهو من أعمال الأنبياء والصالحين. فما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، كما كان المسيح عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك...»[1].

ثانيًا ـ صفات المؤهَّل لفك السِّحر:

يتصدى للقيام بفك السِّحر أناس كثيرون، القليل منهم فقط له القدرة على هذا العمل الخطير الجليل. والكثرة منهم أناس لا يصلحون لهذا العمل، وتصديهم له إما أن يكون من باب الاحتيال، لكسب المال الحرام وخداع الناس، وإما لأنهم لا يدركون أبعاد وخطورة هذا العمل، الذي يحتاج إلى خبرة ودراية وأمور ليست متوافرة في الإنسان العادي، الذي يمكن أن يورط نفسه في المهالك، بالإضافة إلى إطالة عذاب المسحور وعذاب المحيطين به.

وأما من هو قادر على القيام بهذا العمل، فيجب أن تتوافر فيه بعض الصفات ليطمئن المرء إلى أن المسحور المعذب بين أيدي أمينة قادرة على فك السِّحر واختصار رحلة العذاب والإرهاق التي يعاني منها المسحور. أما هذه الصفات فهي:

أوّلاً ـ العلم.

ثانيًا ـ الجرأة.

ثالثًا ـ التقوى.

رابعًا ـ الخبرة.

خامسًا ـ الصحّة والعافية.

سادسًا ـ رجاحة العقل والذكاء.

سابعًا ـ كتمان السر.

ثامنًا ـ قدرته على الاحتراز من ضرر السحر.

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٤٧ ـ ١٥١.

تاسعًا ــ احتساب العمل لوجه الله سبحانه وتعالى.

عاشرًا ــ أن يكون متواضعًا.

حادي عشر ــ أن يكون متزوجًا.

العـلـم:

أن تتوافر بمن يتصدَّى لفك السِّحر صفة العلم، والعلم المطلوب هو علمان: علم شرعي، وعلم دنيوي مادي.

فأما العلم الشرعي فيتمثل في معرفة الحلال والحرام، لأن هذا العمل يتطلب الاطلاع على أسرار الناس، وأعراضهم، كما يتطلب العلم بأمور السِّحر وأنواعه وأسبابه ومسبِّباته، وطرق فك كل نوع منها بما شرعه الله سبحانه وتعالى، إذ أن الالتجاء في فك السِّحر إلى ما هو غير شرعي يؤذي ويؤدي إلى تفاقم حالة المسحور، أو توريط من يقوم بعملية فك السِّحر بما لا تحمد عقباه. كذلك يجب أن تتوافر فيمن يقوم بهذا العمل، دراية بعلم النفس، وبالأمراض النفسية، التي تتشابه أعراضها مع أعراض السحر. إذ أن الكثير من الناس يخلطون بين الأمراض النفسية وبين السحر.

يقول وحيد عبد السلام بالي في كتابه «وقاية الإنسان من الجن والشيطان»، تحت عنوان أعراض مس الجن للإنس: «مرض مس الجن للإنس كغيره من الأمراض له أعراضه الخاصة به، ولكن يجب التنبه على أن هناك لَبسًا بينه وبين بعض الأمراض العضوية، فقد جاءتني مريضة فقلت لها: ما الذي يؤلمك؟ فقالت: رجلي فقط فظننت أنه روماتيزم، ولكن قلت نقرأ عليها القرآن تأكيدًا، فما هو إلَّا أن نطق عليها جني وأخبرني بأنه يمسك رجليها، فأمرته أن يخرج طاعة لله، فخرج فقامت المرأة وقد ذهب ما بها من ألم والفضل لله وحده.

ومعرفة الأعراض أمر مهم بالنسبة للمعالج، وهذه الأعراض تنقسم إلى قسمين: أعراض في المنام، وأعراض في اليقظة.

فالأعراض التي في المنام هي:

١ ــ الأرق: وهو أن لا يستطيع الإنسان أن ينام إلَّا بعد مدة طويلة من الاسترخاء.

٢ ـ القلق: وهو كثرة الاستيقاظ بالليل.

٣ ـ الكوابيس: وهي أن يرى الإنسان في منامه شيئًا يضايقه وهو يريد أن يستغيث فلا يستطيع.

٤ ـ الأحلام المفزعة.

٥ ـ رؤية الحيوانات في المنام، كالقطط والكلاب والبعير والثعبان والأسد والثعلب والفأر.

٦ ـ القرض على الأنياب في المنام.

٧ ـ الضحك أو البكاء أو الصُّراخ في المنام.

٨ ـ التأوه في المنام.

٩ ـ أن يقوم ويمشي وهو نائم دون أن يشعر.

١٠ ـ أن يرى في منامه كأنه سيسقط من مكان عال.

١١ ـ أن يرى نفسه في مقبرة أو مزبلة أو طريق موحش.

١٢ ـ أن يرى أناسًا بصفات غريبة، كأن يلاحظ عليه طولاً مفرطًا، أو قِصَرًا مفرطًا، أو يرى أناسًا سودًا.

١٣ ـ أن يرى أشباحًا في منامه.

الأعراض في اليقظة:

١ ـ الصُّداع الدائم: بشرط أن لا يكون سببه مرضًا في العين أو الأذن أو الأنف أو الأسنان أو الحنجرة أو المعدة.

٢ ـ الصدود: وهو الصدود عن ذكر الله، وعن الصلاة، وعن الطاعات كلها.

٣ ـ الشرود: ويقصد به الشرود الذهني.

٤ ـ الخمول والكسل.

٥ ـ الصرع: وهو ما يسمَّى بالتشنجات العصبية.

٦ ـ ألم في عضو من الأعضاء عجز الطب البشري عن علاجه.

أنواع المس:

١ ــ مس كلي: وهو أن يمس الجن الجسد كله، كمن تحدث له تشنجات عصبية.

٢ ــ مس جزئي: وهو أن يُمسك عضوًا واحدًا كالذراع أو الرِّجل أو اللسان.

٣ ــ مس دائم: وهو أن يستمر الجن في جسده مدة طويلة.

٤ ــ مس طائف: وهو لا يستغرق أكثر من دقائق كالكوابيس»[١].

الجرأة:

إن من أهم صفات من يتصدَّى لهذا العمل هي صفة الجرأة، إذ لا يمكن أن يفلح الجبان في عمله، وخاصة إذا علمنا أن بعض حالات السِّحر يتدخل فيها الجن والشياطين، وقد يتمرَّدون على من يحاول إخراجهم من جسد المسحور أو المصروع، وقد يهدِّدونه أو يخيفونه فيظهرون له بأشكال مخيفة أو قد يحاولون ضربه أو خنقه أو التعرض لأولاده أو ممتلكاته بالضرر. كما أن بعض حالات إخراج الجن من بدن المصروع تتطلب الجرأة على الضرب لإخراج الجن من بدن المصروع، علمًا بأن الضرب هذا لو نال الإنسان العادي أو حتى الجمل لأهلكه.

التقوى:

كذلك يتطلب هذا العمل التقوى ومخافة الله، إذ أن هذا الأمر إذا لم تصاحبه التقوى لا ينجح، لأن الجن الفسقة تهاب الأتقياء، وترتعد فرائصهم منه، فيفرون من المصروع أو المسحور خوفًا من دعائه وتوجهه الخالص إلى الله سبحانه وتعالى، لا بل قد يبلغ خوفهم من الأتقياء إلى حد أنهم يفرون من طريقه، كما كان الحال مع خليفة رسول الله عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

عن سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يكلمنه. وفي رواية: يسألنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما

(١) بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٧٣ ــ ٧٥.

استأذن عمر فمن يبتدرن الحجاب، فأذن رسول الله ﷺ لعمر فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يضحكك؟ قال: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»... قال عمر: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلاَّ سلك فجًّا غير فجك»(١).

وقد سبق أن أشرنا إلى قصة جارية المتوكل التي صرعها الجن، وكيف أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه استطاع بتقواه أن يرعب الجن المارد، فإذا به يأمر المارد أن يخرج من جسد الجارية، فيخرج دون تردد، ويقول: لو أن أحمد أمرنا أن نغادر العراق لفعلنا، لأنه أطاع الله فأمرنا أن نطيعه.

لذلك علينا أن لا نعالج المسحور أو المصروع إلاَّ عند تقي نقي، كما يجب أن نبتعد عن الفسقة والكفار لأنه لا شفاء عندهم، وذلك لأن الشياطين تتنزل عليهم، فكيف تكون لهم القدرة على طردهم؟ يقول الله في كتابه العزيز: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء].

الخبرة:

الخبرة أمر ضروري يجب أن تتوافر فيمن يتصدَّى لفك السحر، إذ أن هذه الأعمال لا تحتمل التجربة والخطأ. كما يجب أن لا يتدرَّبوا بالمسحورين إذ أن حالتهم لا تسمح بأن نزيد عذابهم وآلامهم، بل هم أحوج ما يكون للتخلص السريع من السِّحر، لذلك وجب على من يتصدى للسحر أن تتوافر لديه الخبرة، وهذه الخبرة عادة يجب أن يكتسبها ممن هو أدرى وأقدم في هذا الميدان. كما أن من لا خبرة له قد يعرِّض المسحور للهلاك، أو قد يعرض نفسه للضرر.

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ومن كانت معلوماته وقدراته غير كافية فهو غير ملزم بهذا العمل الخطير، إذ أن الله لا يكلِّف الإنسان فوق طاقته. ورد في الكتاب العزيز: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

الصحة والعافية:

يجب أيضًا أن تتوافر فيمن يقوم بفك السِّحر الصحة والعافية، إذ أن هذه الأعمال مرهقة للجسد والأعصاب، فإذا لم يكن الجسد قويًا متينًا مُعافى، فإن الجن تتسلط عليه، وقد تؤذيه، كما أن ما يشاهده من مناظر مخيفة، وما يتعرض له من أهوال قد تؤثر في أعصابه إذا كان جسده ضعيفًا، فتمرضه وتعرضه للخطر، وقد يصل به الأمر إلى الجنون أو الانهيار العصبي، أو الشلل أو الأرق، أو إلى تسلُّط الخوف والرعب على قلبه.

رجاحة العقل والذكاء:

من الأمور الضرورية التي يجب أن تتوافر فيمن يحاول تخليص الناس من السِّحر أو الصرع رجاحة العقل والذكاء، إذ أن بعض الجن تكذب وتراوغ، وقد تدَّعي أنها مؤمنة، وقد تحاجج بأدلة ظاهرها الصدق وباطنها الكذب والخداع، وقد تحاول أن تثني المعالج عن عمله، وقد تغريه بأن تعرض عليه المال، أو أن تأتمر بأوامره، أو تفعل له ما يشاء، مقابل أن يدعها وشأنها مع المسحور.

كتمان السر:

قد يتفوَّه المسحور أو المصروع بأمور لا يمكن أن يتفوَّه بها وهو في حالة الوعي، فعلى المعالج أن يكتمها كما يكتم الطبيب أسرار مرضاه، وخاصة إذا كانوا في حالة اللاوعي أو التخدير قبل العمليات الجراحية أو خلالها أو بعدها مباشرة.

كما يجب أن لا يفشي أسماء من عالجهم من السحر، إذ أن في ذلك إحراجًا

للمسحور وجرحًا لكرامته، كما يجب أن يتكتم على أسماء من قام بعمليات السِّحر إذ أن إفشاء اسمه قد يكون سببًا للخلاف والصراع والمشاكل التي لا تحمد عقباها، بل على العكس من ذلك عليه أن يتوجه إليه ويرشده وينصحه ويعلمه بأن عمله هذا فيه شرك وكفر، وأن عليه أن يقلع عن هذا العمل ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى، وأن نعلمه أن حده الشرعي هو القتل فيما لو كان هنالك حكم إسلامي صحيح.

القدرة على صيانة نفسه من ضرر الجان والسِّحر:

وذلك بالالتجاء إلى الله والتوكل عليه سبحانه وقراءة الآيات القرآنية والأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ والتي فيها قوة الحماية والحفظ بإذن الله القادر. فليس محمودًا أن يخلص الآخرين من ضرر السِّحر ويوقع نفسه فيه.

احتساب العمل لوجه الله تعالى:

إن من يقوم بفك السِّحر عليه أن لا يأخذ أجرًا على عمله فهو من أفضل الأعمال وأجلها، وأكثرها تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى، فهو ضرب من ضروب الجهاد الخفي، فمن المعلوم أن من يقوم بهذا العمل يعرض جسده ونفسه وعياله وممتلكاته للخطر الشديد، وقد يواجه في بعض الحالات نوعًا عاتيًا من الجن الشرس المتمرد الذي لا يهاب شيئًا. فإذا لم يكن هذا العمل خالصًا لوجه الله تعالى فإن التوفيق قد لا يكون حليفه، أما إذا أخذ صاحب العمل أجرًا فلا بأس أن يكون هذا الأجر قليلاً، وذلك إذا كان المعالج فقيرًا وليس لديه ما يعتاش منه.

أن يكون متواضعًا:

إذ أن الله سبحانه وتعالى لا يحب المختال الفخور المغرور المعتد بنفسه وبقدرته، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء].

فإذا اغتر المعالج بنفسه، وادعى أن ما قام به من فك السِّحر كان بقوته وقدرته، أخذ الله منه هذه القدرة وتركه لشيطان نفسه لا يقوى على شيء.

أن يكون متزوجًا:

لأن المتزوج أكثر قدرة على تمالك نفسه، وغض بصره، والمحافظة على العرض والشرف، من غير المتزوج.

بهذه الصفات الإحدى عشرة يمكن أن نميز المخوَّل لفك السِّحر من المحتال الدجَّال. يقول وحيد عبد السلام بالي في كتابه محدِّدًا صفات المعالج: «لا يتسنى لأي إنسان أن يعالج المصروع، ولذا يجب أن يتصف المعالج بالصفات التالية:

١ ـ أن يكون معتقدًا عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم، تلك العقيدة الصافية النقية البيضاء الناصعة.

٢ ـ أن يكون محققًا للتوحيد الخالص في قوله وعمله.

٣ ـ أن يكون معتقدًا أن لكلام الله تأثيرًا على الجن والشياطين.

٤ ـ أن يكون عالمًا بأحوال الجن والشياطين.

٥ ـ أن يكون عالمًا بمداخل الشيطان، فانظر إلى شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال له الجن: أنا أخرج كرامة لك، قال: لا، ولكن طاعة لله ورسوله. فلولا أن شيخ الإسلام عالم بمداخل الشيطان ما قال ذلك.

٦ ـ يستحب للمعالج أن يكون متزوجًا.

٧ ـ أن يكون مجتنبًا للمحرمات التي بها يستطيل الشيطان على الإنسان.

٨ ـ أن يكون مواليًا بالطاعات التي بها يرغم أنف الشيطان.

٩ ـ أن يكون ملازمًا لذكر الله العظيم الذي هو الحصن الحصين من الشيطان الرجيم، ولا يتحقق ذلك إلاَّ بمعرفة الأذكار النبوية اليومية وتطبيقها، كالذكر عند دخول المنزل والخروج منه، ودخول المسجد والخروج منه، وعند سماع

صياح الديك أو نهيق الحمار، وعند رؤية القمر وركوب الدابة، وما شابه ذلك.

١٠ ــ أن يخلص النية في المعالجة.

١١ ــ أن يكون متحصنًا بالتحصينات. . . وبالجملة كلما ازداد الإنسان من الله قربًا ازداد من الشيطان بعدًا، بل وازداد عليه قوة وتأثيرًا. واعلم أنك إذا قدرت على نفسك وشيطانك فأنت على غيرها أقدر، وإذا عجزت عنها فأنت عن غيرها أعجز»[١].

ثالثًا ــ طرق فك السحر:

لفكِّ السِّحر طرق متعددة ومتنوعة، وذلك بسبب تعدد أنواع السِّحر، إذ أن لكل نوع من السِّحر طريقته للتخلص منه. فمن كان مسحورًا بمادة كيميائية لا يحسن أن يعالج بما يعالج به من هو مصاب بالصرع، ومن كان معيونًا لا يعالج كمن هو مصاب بالوسوسة، وهكذا.

رابعًا ــ القواعد الأساسية لفكر السِّحر:

أما القواعد العامة الأساسية لفك السِّحر فتعتمد على التالي:

أولاً ــ التوجه الكلي إلى الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا ــ انتقاء الشخص المناسب لفكّ السِّحر.

ثالثًا ــ المساعدة الإيجابية من المسحور.

❑ **التوجه الكلي إلى الله سبحانه وتعالى**: يجب أن يتوجه المسحور والمعالج إلى الله طالبين العون والمدد للتغلب على السِّحر، إذ أن السِّحر ما كان ليقع لولا مشيئة الله، وبدون مشيئة الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يرفع هذا البلاء.

يقول الله جلّت قدرته: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ

---

(١) بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٧٥ ــ ٧٦.

سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

والتوجه إلى الله والتوكل عليه فيهما تقوى، والتقوى تؤدي إلى النجاة والنصرة والفرج من كل غم وهمّ، وأي هم وغم أفظع من أن يكون الإنسان مسحورًا.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

والتوجه إلى ما سوى الله طلبًا للشفاء من السِّحر شرك وعمل باطل، كأن يتوجه إلى الجن يطلب العون والمدد منهم لحل عقدة السِّحر، علمًا بأن الجن في الغالب هم السبب غير المباشر للسِّحر. زيادة على ذلك فإن الجن حين ترى الناس تستعين بهم تشمخ نفوسهم، ويشعرون بالعظمة والغرور فتدعوهم نفوسهم الخبيثة إلى الخداع والتنكيل بالمستعين والمستعان له، فيزيدونهم رهقًا فوق رهقهم، وغمًّا فوق غمِّهم.

وقد أوردنا مرارًا آية ٦ من سورة الجن، التي تتحدث عن أن الإنسان يصاب بالإرهاق نتيجة الاستعانة بالجن.

❏ **انتقاء الشخص المناسب لفكّ السِّحر**: إن انتقاء الشخص الذي يقوم بفك السِّحر أمر بالغ الأهمية، إذ كثيرًا ما يقع المسحور وأولياؤه ضحية للمنافقين والدجالين وما أكثرهم، كما يمكن أن نقول أن هنالك شخصًا واحدًا يستطيع فك السِّحر مقابل عشرة آلاف دجال ومدَّع.

وللتعرف على الشخص المناسب لهذا العمل يمكن العودة إلى ما أسلفنا من

صفات الشخص المؤهل للقيام بهذه المهمة الجليلة، فكم من الأشخاص ذهبوا ضحية للدجالين والمشعوذين في كل مكان يتربصون بالضحية تربُّص الثعلب بالدجاجة، وهذا الصنف من الدجالين لا يرحمون بلاء الناس وضعفهم وجهلهم، فيزيدونهم بلاءً على بلاء، وكربًا على كرب، فيبتزون أموالهم، ويضيعون أوقاتهم، ويزيدون في إرهاقهم فوق الإرهاق المتأتي من السحر.

❑ **المساعدة الإيجابية من المسحور**: يقع على المسحور دور أساسي ورئيسي في المعالجة والشفاء من السحر، إذ عليه أن لا يقف موقفًا سلبيًا، بل عليه أن يجاهد ويساعد المختص بفك السِّحر، وذلك بالتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والصلاة والتسبيح وقراءة القرآن، وخاصة الآيات والسور المشهود لها في علاج السحر.

يقول وحيد عبد السلام بالي: إن الآيات التي تفيد في علاج السِّحر والصرع هي: «الفاتحة ــ أربع آيات من أول سورة البقرة ــ وهاتان الآيتان: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [آية: ١٦٣]، وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آية: ١٨]، وآية من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ [آية: ٥٤]، وآخر سورة المؤمنون: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [آية: ١١٦]، وآية من سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾، وعشر آيات من أول الصافات، وثلاث آيات من أول سورة الحشر، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، والمعوِّذتان، فهذه الرقية تؤثر على الجن إما بطرد وإبعاد، أو جذب وإحضار»(١).

أولاً ــ فك المتوهم بأنه مسحور: الكثير من الناس يتوهَّمون أن السِّحر قد أصابهم، أو أن أحدًا قد سحرهم، فتظهر عليهم دلائل المسحور من اضطراب أو خمول أو تشويش فكري، أو إغماء، أو تشنجات إلى آخر ما هنالك من مظاهر حالات السِّحر، وذلك دون أن يكون هنالك سحر حقيقي قد أصابهم.

---

(١) بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٧٧ ــ ٧٨.

وخلاصة الأمر أن هذا الشخص الذي يتوهم بأنه مسحور، يوحي لنفسه بطريقة لا شعورية أنه مسحور، ثم بعد مدة يقتنع بهذا الإيحاء، وهذا يسمَّى في علم النفس الحديث «الإيحاء الذاتي»، فإنه يكفي الإنسان أن يدعي المرض أو العلة ويتصرف كأنه مريض، فتصدقه نفسه وتتصرف على أساس أنه مريض، فتضطرب الأعضاء، وتختل وظائف الغدد، فتؤدي إلى حالة شبيهة بالمرض تمامًا، لها نفس الأعراض وتؤدي إلى نفس نتائج المرض الحقيقي.

أما المؤهل لعلاج هذا النوع من السِّحر الوهمي، فهم أطباء علم النفس، إذ أن المصدر الرئيسي للعلة كامن في شخصية المريض وبنيته النفسية. فإذا التجأ هذا الشخص إلى السَّحرة والكهنة ومدَّعي فك السِّحر فإنهم سوف يزيدونه مرضًا وخبالاً، وأقل ضرر يمكن أن يصيبه من الالتجاء إلى مثل هؤلاء الطغمة من المفسدين هو أنهم سوف يقنعونه بأنه فعلاً مسحور، وأنهم سوف يستخرجون له السِّحر ويبطلونه، فتزيد قناعته بأنه مسحور فعلاً، ويزداد خوفه وقلقه من السِّحر، وحتى لو تمكنوا من إقناعه بأنهم قد أبطلوا السِّحر، فإن قناعته بأنه قد سحر في المرة الأولى ستجعله أكثر سهولة لتقبل الإيحاء الذاتي من جديد، بأنه سوف يسحر مرة بعد مرة، وبمجهود إيحائي أقل، وهكذا يقضي هذا الشخص حياته معذبًا متألمًا بين نفس قلقة توحي إليه وتقنعه بما ليس حقيقيًا، وبين جهلة وقحين لا يخافون الله الرقيب، وكل همهم اقتناص الضحايا وسلب أموالهم.

أما أساس علاج هذا النوع فمبني على الإيحاء من قبل الطبيب النفسي للمريض بأنه ليس مسحورًا، فإذا أفلح الطبيب في إقناعه بأنه ليس مسحورًا، فيكون كمن يعطيه مصلاً مضادًا لمخاوفه، ثم بعد ذلك يلجأ الطبيب إلى الكشف عن سبب خوف المريض من السِّحر.

وأما نسبة هذا النوع من الناس المرضى بالوهم فهي مرتفعة جدًا، وذلك بسبب ضعف الإيمان بالله سبحانه وتعالى وعدم التوكل عليه، وقد أشار الله جلَّت قدرته إلى

ذلك من طريق خفي في القرآن المجيد حين قال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه].

ومعيشة الضنك تكون في الدنيا على شكل خوف واضطراب وقلق من أشياء لا حقيقة لها كالسِّحر والتوهم، وتكون من الشح والبخل، وتكون من ضعف البدن وفقر ذات اليد، وتكون من الحرص الشديد على الأشياء التافهة أو التفريط أو الاستهانة بالأشياء الثمينة التي فيها مصلحة الإنسان ونجاته، والله أعلم.

ونقول لمن يخاف ويتطير من السِّحر أن عدد الأشخاص المسحورين حقًّا قليل وقليل جدًّا، وهو في حكم النادر، وذلك لأن عدد السَّحرة قليل وقد انقرض معظمهم، وهم في تناقص من جيل إلى جيل.

ثانيًا ـ فك المسحور بالطعام والشراب: أما هذا النوع فهو الأكثر شيوعًا وانتشارًا من سائر الأنواع، وفي الحقيقة فإنه ليس سحرًا بالمعنى الحقيقي، وإنما سمِّي سحرًا لخفائه ولجهل متناول الطعام أو الشراب أن في طعامه أو شرابه شيئًا مضرًّا لبدنه أو نفسه، ولأن فاعله يتوخى كتمان الأمر عن الضحية، ويكون فكّ السِّحر في هذا النوع بأن يعالج الإنسان بمادة مضادة للمادة المضرة التي أعطيت له، أو بمادة تزيل آثار السموم التي تناولها الإنسان فأثرت في بدنه أو أعصابه.

وخير من يعلم بهذه الأمور هو فاعلها، فإن الذي يسحر الناس عن طريق دسّ بعض العقاقير المضرَّة في الطعام والشراب، هو نفسه يعلم العقّار أو المادة المضادة لها. فهو الذي يضر الناس ويؤذيهم بإعطائهم المواد المضرة من خلال الطعام والشراب ويأخذ مقابل ذلك مالاً، ثم يعود بعد ذلك فيعالج المسحور ويأخذ منه المال مقابل إعطائه عقارًا يقضي على السِّحر الذي كان قد دسه في الطعام أو الشراب.

ومن الذين يفقهون علاج هذا النوع من السِّحر العطّارون، إذ أنهم هم الذين يبيعون المواد التي تستخدم لهذه الأعمال ولهم بها خبرة ودراية، ولذا فإن استشارتهم

في بعض الأحيان تفيد وتغني عن الذهاب إلى الساحر الذي هو سبب في أصل العلة، كما أن من له خبرة بالطب الشعبي المعتمد على الأعشاب والنباتات، يمكن أن تكون لديه دراية ومعرفة بفك هذا النوع من السِّحر، وأن الكثير من المواد المستخدمة في إيذاء الناس تعتمد على خصائص بعض الأعشاب الضارة، ومقابل كل نوع من هذه الأعشاب الضارة يوجد نوع آخر من الأعشاب ذات الخصائص المضادة لها.

ثالثًا ـ فك المسحور بالطِّلَسْمات: هذا النوع من السِّحر نادر الوجود، وسبب ندرته هو أن من يستطيع أن يفعله قليل جدًّا، إذ أن غالبية من يدَّعون أنهم يسحرون عن طريق الطلسمات كاذبون مدَّعون، وهمهم الأول والأخير جمع المال من ضعاف الإيمان والعقول.

أما كيفية معالجة هذا النوع من السِّحر إذا كان حقيقيًّا، وهو نادر جدًّا كما أسلفنا، فيكون بالتوجه إلى الله جلَّت قدرته، وطلب العون والمدد منه، وذلك بالدعاء الخالص والتضرع وتلاوة المعوِّذتين، وآية الكرسي صباحًا ومساءً، ومسح الجسد باليدين بعد تلاوة هذه الآيات الشافية ومداومة الذكر، وملازمة الجماعة، والابتعاد عن رفاق السوء، والمحافظة على طهارة البدن والثوب، والتطيب بالروائح العطرة، إذ أن الجن الذين يخدمون هذا الطلسم الذي يؤذي إنسانًا معينًا لا يعجبهم هذا الحال، فهم يفضلون النفوس الخاوية من الإيمان، ويفضلون أصحاب الشهوات والنزوات البعيدين عن الطهارة وذكر الله.

أما أولياء الله من عباده الصالحين فلا سلطان لأحد من الفسقة أو السَّحرة أو الحاسدين عليهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس]، ويقول الله أيضًا في محكم آياته: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر].

كما أن من لم تكن له القدرة على القيام بما أشرنا إليه من دعاء وتعوذ وذكر، إما لجهله أو لصغره، أو لكبر سنه، أو لشدة ما نزل به من السحر، فعليه الالتجاء إلى رجل صالح أو ولي مشهود له بتقوى الله، فإن هذا الولي قد يفيده، وذلك بما لديه من

معرفة بأسرار الآيات واستخداماتها وتأثيراتها، وبما عنده من معرفة لسنَّة رسول الله ﷺ التي تعالج مثل هذه الأحوال.

أما الخطوات التي يتبعها الرجل الصالح لفكِّ السِّحر فتكون غالبًا على الشكل التالي:

أوَّلاً ــ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويتبعها بالبسملة والاستغفار من الذنوب والتوبة إلى الله، وذلك لأن الاستغفار يجلب المدد ويرفع العذاب، يقول الله الغفور في سورة الأنفال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ثانيًا ــ يقول لا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، لأن فيها الاعتراف بضعفه وقلة حيلته، والالتجاء الخالص إلى الله القوي الذي بيده مقاليد كل شيء، ومن يُقدم على فك السِّحر معتقدًا أنه بقوته وقدرته يفعل ذلك فإن الله يتخلَّى عنه، ومن يتخلى الله عنه أصبح بلا حول ولا قوة.

ثالثًا ــ بعد ذلك يقرأ على رأس المسحور المعوِّذتين، ففيهما استعاذة بالله من الوسوسة، ومن السحر، ومن الحسد، ويتبعهما بآية الكرسي إذ فيها من قوة التأثير ما فيها، ثم يتلو بعض آيات القرآن الكريم التي تشير إلى فشل السَّحرة، وبطلان السِّحر مثل:

﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طـــه]، و ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة] و ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [سبأ]. و ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾

إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

ثم يقرأ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس]، ثم يقرأ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس]، ويقرأ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف].

ويقـرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف]، ويقرأ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء]، ثم يقرأ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون]، وأخيرًا يقرأ على المسحور: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصِّلت].

ثم بعد ذلك يلقِّن المسحور الآيات التالية من سورة الأنبياء ليحفظها ويرددها كورد يومي وهي: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء]. فقد ذكر الترمذي من حديث إبراهيم بن مسعود بن أبـي وقاص عن أبيه عن جده عن النبـي ﷺ قال: «دعوة يونس إذ نادى في بطن الحوت: لا إلـه إلاَّ أنت، سبحانك، إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها مسلم في شيء إلاَّ استجيب له».

خامسًا ـــ علاج المصروع:

إن في معالجة المصروع احتكاكًا بالجن الذين هم السبب المباشر للبلوى، وفي الاحتكاك بهم تجب الحيطة والحذر، ومعرفة نقاط الضعف ونقاط القوة التي يتمتعون بها كي لا يتأذى المصروع أو المعالج. وفي علاج المصروع يجب أن نتبع خطوات متسلسلة:

أولها ـ أن نتبين فيما إذا كان المريض مصروعًا حقًّا أم به مرض عضوي أو نفسي.

وثانيها ـ أن نستدعي الجني ونتكلَّم معه، واستدعاؤه يتم بأن نقرأ في أذنه اليمنى آيات الاستحضار التي ذكرنا من قبل، ثم نتعرَّف على دينه، ونوعه، وسبب صرعه للمريض.

وثالثها ـ أن نحاول بأن نقنعه بأن فعله يسبب الضرر للمصروع، وأن الأديان كلها والشرائع والمنطق لا تسمح بذلك، وأن عليه أن يترك جسد المصروع، فإن خرج كان خيرًا، وإن احتج بأسباب كأن يقول بأن المصروع قد قتل له ولدًا، أو صبَّ عليه ماء ساخنًا، أو صدمه أو آذاه، فنرد عليه بأن المصروع قد فعل ذلك دون قصد منه، لأنه لم يكن يعلم بوجوده، وأن الحق يقع عليه، لأنه هو الذي وقف في طريقه. وإن كان الصرع من باب العشق والهوى أُعلم بأن ما يفعله من إيذاء للمعشوق حرام، فإن قال إنه يريد الزواج، أُعلم بأن الزواج يحتاج إلى التكافؤ والرضى من قبل الطرفين، وإن الإكراه في الزواج حرام، كما نعلمه أن جمهور الأمة قد أجمع على كراهية هذا النوع من العلاقة، لأنه مدعاة لفتح باب الفتنة والفساد، فإن لم يقتنع نتحول إلى الخطوة التي تليها.

ورابعها ـ أن نهدِّده بأننا سنشتكي إلى الله وندعو عليه، ونقول له بأن الله سوف ينصفنا، وقد يحل غضب عليه فيمرض أو يموت، ثم يدخل في الآخرة إلى النار بسبب ظلمه، فإن اقتنع كان خيرًا، وإلاَّ لجأنا إلى الخطوة التي بعدها.

وخامسها ـ نلجأ إلى تهديده بالضرب، ويجب أن نكون حازمين في كلامنا، كأن نحضر عصا غليظة ونلوِّح له بها، ونخبره بأن ضربنا سيكون مبرحًا وبلا رحمة ولا شفقة، فإما أن يخرج وإما أن يموت من شدة الضرب، وعلينا أن نحاول أن نقنعه بأن لا حيلة له سوى الخروج من بدن المصروع إذا أراد النجاة، فإن تمرَّد وهدَّد بأنه سوف يؤذينا زدنا في تهديدنا ولهجتنا وأعلمناه بأننا من عباد الله الذين لا نخاف إلاَّ

الله، فلا تهديده ولا وعيده يخيفنا، وسوف يرى ما يجعله عبرة لغيره، فإن اقتنع كان خيرًا، وإلاَّ لجأنا إلى الخطوة التي تليها.

وسادسها ـ أن نبدأ بضرب المصروع، عندها سوف نسمع صياح الجن لأن الضرب سيصيبه، ويأخذ بالاستغاثة ويحاول أن يفاوض، لكن علينا أن نحزم أمرنا وأن نأمره بأن ينصاع لما طلبنا منه دون نقاش، وغالبًا ما ينصاع تحت تأثير الضرب ويحاول الخروج، فنأمره بأن يخرج من مكان معين من جسد المصروع بحيث لا يؤذيه، وعندما يخرج من بدن المصروع نجد أن المصروع قد عاد إليه وعيه، لكنه لا يعلم شيئًا عن الضرب.

وخروج الجن من بدن المصروع يكون سهلاً كلما كان المعالج تقيًّا نقيًّا شديد الإيمان بالله متوكلاً عليه، ففي حالات كثيرة يكفي أن يسمع باسم المعالج حتى يفر من بدن المصروع اتقاءً لبطشه، ولعلمه بأنه ليس له سلطان على المؤمنين والصالحين.

يقول ابن تيمية: «والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الإنس أُخبروا بحكم الله ورسوله، وأقيمت عليهم الحجة، وأمروا بالمعروف، ونُهوا عن المنكر، كما يفعل بالإنس، لأن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

وذكر ابن تيمية أن واجب المؤمن نصرة أخيه المظلوم، وهذا المصروع مظلوم، ولكن النصرة تكون بالعدل كما أمر الله، فإذا لم يرتدع الجني بالأمر والنهي والبيان، فإنه يجوز نهره وسبه وتهديده ولعنه، كما فعل الرسول ﷺ مع الشيطان عندما جاء بشهاب ليرميه في وجه الرسول عليه السلام: أعوذ بالله منك، ألعنك بلعنة الله ثلاثًا.

وذكر أنه قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجني عنه إلى الضرب، فيضرب ضربًا كثيرًا جدًّا، والضرب إنما يقع على الجني ولا يحسه المصروع، حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس شيئًا من ذلك، ولا يؤثر في بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة أو أكثر أو أقل، بحيث لو كان على

الإنس لقتله، وإنما هو على الجني، والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة»[1]، ويذكر ابن تيمية أنه فعل هذا وجرَّبه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة كثيرين.

ويقول الشبلي في استخدام العزائم لإخراج الجن نقلاً عن ابن تيمية: «وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع استعماله إن كان فيه شرك فإن ذلك محرَّم، وعامة ما يقول أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرأون مع ذلك شيئًا من القرآن يظهرونه ويكتمون ما يقولونه من الشرك، وفي الاستشفاء بما شرعه الله تعالى ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله»[2].

ويُستعان على الجان الذي يصرع الإنسان بذكر الله وقراءة القرآن، ومن أعظم ذلك: «قراءة آية الكرسي، فإن من قرأها لا يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربه الشيطان حتى يصبح»[3].

ويقول ابن تيمية في فضل آية الكرسي: «ومع هذا فقد جرَّب المجربون الذين لا يحصَون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته، فإن لها تأثيرًا عظيمًا في دفع الشياطين عن نفس الإنسان وعن المصروع وعمَّن تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب، وأهل الشهوة والطرب، وأرباب سماع المكاء والتصدية، إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين، وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان، ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرُّف شيطاني، إذ كانت الشياطين يوحون إلى أوليائهم بأمور يظنها الجهال من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هي من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين»[4].

---

(١) ابن تيمية، مجموعة الفتاوى ١٩/ ٤٢.

(٢) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٥٠.

(٣) ورد في صحيح البخاري.

(٤) ابن تيمية، مجموعة الفتاوى ١٩/ ٥٥.

سادسًا ـ مرحلة ما بعد العلاج:

يقول وحيد عبد السلام بالي عن هذه المرحلة: «وهذه مرحلة حرجة، لأن الإنسي فيها معرَّض لرجوع الجني له مرة أخرى، ولذا يجب أن تأمره بالتالي:

١ ـ المحافظة على الصلاة في جماعة.

٢ ـ عدم سماع الغناء والتلفزيون والموسيقى.

٣ ـ الوضوء قبل النوم وقراءة آية الكرسي.

٤ ـ قراءة سورة البقرة في البيت كل ثلاثة أيام.

٥ ـ قراءة سورة الملك قبل النوم، أما الأمي فيكفيه أن يستمع إليها.

٦ ـ قراءة سورة يس في الصباح، أو الاستماع إليها كما سبق.

٧ ـ مصاحبة الصالحين، والبُعد عن الفاسدين.

٨ ـ وإذا كانت امرأة تأمرها بالحجاب الشرعي، لأن الشياطين أقرب للمتبرِّجة.

٩ ـ سماع ساعتين من القرآن المرتل يوميًا أو تلاوة جزء منه.

١٠ ـ يقول بعد صلاة الفجر: **(لا إلـٰه إلاَّ الله وحدهُ لا شريك له، لهُ الملك ولهُ الحمد وهوَ على كلِ شيءٍ قدير)** ١٠٠ مرة.

١١ ـ البسملة عند كل شيء.

١٢ ـ عدم النوم وحده.

١٣ ـ ثم تعطيه التحصينات «المذكورة في الفصل السادس[١]»، ثم تراه بعد شهر وتقرأ عليه الرقية مرة أخرى، فإن لم يعاوده فأمره بالمحافظة على التحصينات كي يكون في مأمن من الشياطين»[٢].

سابعًا ـ التفريق بين حالة السِّحر وحالة الصَّرع:

يقول وحيد عبد السلام بالي في كتابه: «أحيانًا تقرأ على المريض فلا يزيد على

---

(١) انظر كتاب: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، الفصل السادس ص ٢٥٣ ـ ٣٩١.

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ ـ ٨١.

البكاء الشديد، ولكنه في كامل قواه العقلية، وإذا سألته عن سبب بكائه فيقول لك أبكي رغم أنفي ولا أستطيع أن أتمالك نفسي، فهذه الحالة والله أعلم حالة سحر. وإذا أردت أن تتأكد من ذلك فعليك بقراءة هذه الآيات في أذنه.

١ ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس].

٢ ـ ﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

٣ ـ ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

تقرأ كل آية من هذه الآيات في أذنه ٧ مرات، فإن زاد في البكاء فتأكد من أنها حالة سحر»[١].

وفي بعض الحالات يوافق الجني على الخروج لكنه لا يستطيع، إما لقلة حيلته أو لصغر سنه، وقد يقول صراحة أنه لا يستطيع، في هذه الحالة تقرأ سورة يس ويؤذّن في أذن المصروع، فيخرج الجني بإذن الله سبحانه تعالى.



(١) بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٨٣ ـ ٨٤.

الباب الرابع

أثر السِّحر في حياة الشعوب والقادة

أثر السّحر في حياة الشعوب والقادة

تمهيد:

السِّحر قديم جدًّا، رافق الإنسانية منذ نشأتها الأولى، وداعب مخيلة كل الشعوب وأثر فيها، وحوّل بعض مساراتها، وترك كل شعب لنا مخلّفات أدبية وعلمية وأثرية تبيِّن التفاعل بينه وبين السِّحر.

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد العديد من الآيات البيِّنات التي تتحدَّث عن السِّحر والسَّحرة، وعن أباطيلهم وحيلهم واستغلالهم من قبل الملوك والحكَّام، لتثبيت حكمهم عن طريق تخويف واسترهاب الرعيَّة، بما لديهم من حيل السِّحر والشعوذة.

وما كثرة الآيات الكريمة التي تتحدَّث عن السِّحر والسَّحرة إلاَّ انعكاس لما لهما من أثر عميق في حياة الشعوب والأمم وخاصة الأمم القديمة، وما أظن أنَّ أحدًا من الناس يجهل قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وكيف تمكَّن السَّحرة بالإرهاب والتخويف من جعل الناس ترى العصي والحبال ثعابين وأفاعي ضخمة. يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف].

كما أنَّ من يُمعن النظر في مختلف آثار ومخلَّفات الشعوب القديمة يتبيَّن له أنَّ كل شعب من الشعوب كان له أسلوب خاص في تعاطيه وتعامله مع السِّحر.

فالبابليون والكلدانيون برعوا بالسِّحر عن طريق التنجيم وعلم الفلك واستخدام التماثيل الشمعية، والصينيون كانت لهم شهرة في استخدام المرايا السِّحرية،

والفراعنة كانت لهم التعويذات التي يخاطبون بها آلهتهم طالبين منها العون والمدد، وكانت لهم شهرة بالسِّحر الذي يعتمد على الكيمياء.

وإذا عدنا إلى كتب التاريخ، فإننا نجد العديد من الأخبار، التي تتناول القصص التي تثبت أنَّ العديد من الحكَّام والقادة قد اتَّخذوا الكثير من القرارات المصيرية الهامَّة، في ضوء نصائح الكهنة، والعرَّافين، والسَّحرة.



الفصل الحادي عشر
السّحر عند الشعوب البدائية والقديمة

أوّلاً ــ السِّحر في القبيلة:

كما أنَّ المجتمعات المتحضِّرة اليوم لا تخلو من وجود الكثير من مدَّعي السِّحر والكهانة وتوقن بقدرتهم المتفوقة، كذلك فالمجتمعات القديمة التي كانت وحدتها الاجتماعية هي القبيلة، لم تخل أيضًا من وجود هذه الطبقة التي كانت تحتكر جميع المهن والحرف ذات الطابع السرِّي.

وكانت القبيلة تعتقد أنَّ للسَّاحر قوّة تفوق الطاقة الإنسانية، مما يمكنه من تحريك العواصف، وإنزال المطر، والتأثير في كمية الصيد، وشفاء المرضى، والتكلُّم مع الآلهة وإخضاعها لرغباته، والتكلُّم مع الأرواح الطيِّبة والخبيثة، والتحكُّم بالجن والشياطين، وإنبات الزرع وإنضاج الثمار.

يقول أحمد الشنتناوي: «ولا يزال الثالوث الهندي المقدَّس إلى اليوم ــ ويتألَّف من برهما وفشنو وسيفا ــ يخضع للسَّحرة ويأتمر بأوامرهم. فهذه الآلهة الهندية تقوم بتلبية رغبات السَّحرة سواء كان منها في عالم السماء أو في العالم الأرضي، لأنها لا تقوى على مقاومة تعاويذ ورقى السَّحرة الهنود»(١).

وكان السَّاحر في القبيلة البدائية هو الكاهن في نفس الوقت، يقول كتاب فنون السِّحر: «نجد السَّحرة في القبائل الهمجية هم في الوقت ذاته كهنة هذه القبائل، أي

---

(١) الشنتناوي، أحمد، فنون السِّحر، ص ١١٤.

الرجال القائمون على شؤون الدِّين، فهم الذين يقرِّبون القرابين للآلهة لطلب عونها في الملمَّات والكوارث»[1].

والقاعدة أن نجد في كل قبيلة من يدَّعي القدرة على القيام بأعمال سحرية تمكِّنه من التحكُّم بالطبيعة، وكذلك القدرة على شفاء المرضى أو إلحاق الضرر بالغير عن طريق الرقى والتعاويذ، وغالبًا ما يتوارث السَّحرة هذه المهنة عن آبائهم وأجدادهم. والسَّاحر في القبيلة هو المرجع الأول والأخير لأفراد القبيلة جميعهم في كل شؤونها، إذ أنَّ الأفراد قبل أن يذهبوا إلى أعمالهم ذات الشأن كالصيد أو الغزو أو التجارة أو البحث عن مكان إقامة جديد ونحو ذلك، عليهم أن يذهبوا إلى السَّاحر ويطلبوا منه أن يعينهم على عملهم بسحره، وذلك من خلال طقوس يقوم بها.

والسِّحر في القبيلة الهمجية إمَّا أن يكون موجَّهًا لصالح فرد أو لصالح الكل، ففي الحالة الأولى يسمَّى السِّحر الخاص، وفي الحالة الثانية يسمَّى السِّحر العام.

وفي اعتقاد أفراد القبيلة الهمجية أنَّ السَّاحر له القدرة على تخليص الفرد من الأمراض والأرواح الخبيثة، كما أنه يستطيع إلحاق الأذى والضرر حتى إيقاع الموت. والسَّاحر في القبيلة البدائية قد يلجأ إلى الدمى الشمعية والتصاوير التي تمثل الشخص الذي يريد إلحاق الأذى به ويعمل فيها سحره الضار، فينتقل هذا السِّحر باعتقاده إلى الشخص المعيَّن.

يذكر الدكتور روجه خوري طريقة يعتقد بأنَّ ساحر القبيلة أو كاهنها الشَّمَان «Chaman» كان يستخدمها لشفاء مرضاه بطريقة الإيحاء النفسي الماكر، يقول في ذلك: «كثيرون من الناس يفكِّرون أنَّ الطب البدائي كان فعَّالاً، وكثيرًا ما نقرأ أنَّ ساحرًا في إحدى القبائل قد تمكَّن من شفاء مريض بشكل مفاجىء بعدما كانت صحته بالفعل سيِّئة، فيزعمون مثلاً، أنَّ «الشمان» أو كاهن القبيلة، اقتلع الروح النجس أو المرض الخبيث من الشخص وأدخله في الوقت نفسه في جسم حيوان، مما يجعل

---

(١) الشنتناوي، أحمد، فنون السِّحر، ص ١١٥.

صحَّة المريض تتحسَّن. ومتى؟ لحظة يبدأ الحيوان دور النزاع مع الحياة. وبالفعل، بعد ثوان، ينفق الحيوان أمام أنظار الناس وينهض المريض الإنسان وقد استعاد نشاطه وحيويته، فيخال عندئذ البعض، أنَّ السَّاحر قد شفى فعلاً المريض، الذي انتقل الداء منه إلى الحيوان التعس، وقد يخال البعض الآخر أنَّ المريض لم يشف إلاَّ بفضل تأثير السَّاحر عليه وعلى الحيوان المسكين الذي نفق أيضًا بفعل عمل السَّاحر النفساني.

أما الحقيقة، فهي أنَّ السَّاحر استعان بفضل خبرته الطويلة، بما يعلم عن فعل بعض الأعشاب السَّامَّة، التي تقتل الكائن الحي، حسب كميتها ووزنه بغية الوصول إلى هدفه، فعندما يود شفاء مريض ما، يعطي الحيوان قسمًا من الأعشاب أو من مسحوق سام. . . إلخ. وكما أنه يعرف في أي وقت سينفق الحيوان، يحضر حفلته السِّحرية بشكل أنَّ الشفاء يتم تقريبًا في الوقت نفسه الذي ينفق الحيوان، وعندما يرى المريض، أنَّ مرضه انتقل منه إلى كائن آخر (كلب ــ ماعز ــ غنم ــ إلخ. . .)، ويلاحظ بعينيه نزاعه ثم موته، عندئذ يستولي عليه الوهم ويخضع للإيحاء، فلا يعود يصعب عليه الشفاء السريع»[1].

ثانيًا ــ السِّحر في الصين:

لعلَّ السِّحر الصيني هو أقدم سحر عرفته الإنسانية، فقد نما هذا السِّحر وترعرع منذ ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد السيِّد المسيح عليه السلام. ويعتقد أنَّ كتاب «التغيرات» للحكيم الصيني كونفشيوس هو أقدم كتاب في هذا المضمار. كما أنَّ الكثير من أعمال السِّحر الأسود التي شهدتها أوروبا في القرون الوسطى، ترجع إلى جذور صينية، أو على الأقل تشبهها.

وأشهر وسائل السِّحر الصيني هي استخدام المرايا القديمة الكبيرة التي كان السَّاحر الصيني يستخدمها لمحاربة الجن والشياطين. وكان الاعتقاد بأنَّ السَّاحر

---

(١) خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ١٠٣ ــ ١٠٤.

الصيني إذا أفلح في عكس صورة الشيطان الذي تسبب في الضرر أو الإيذاء لإنسان ما، على المرآة ونظر إليها، فإن الضرر أو الإيذاء أو السِّحر يزول فورًا. وكان الاعتقاد بأنَّ هذه المرايا يجب أن تكون كبيرة وقديمة، كذلك يجب أن تحجب عن أنظار الناس ولا تستخدم إلاَّ لغرض السِّحر وإلاَّ بطل فعلها[1].

ثالثًا ــ السِّحر في مصر القديمة:

السِّحر في مصر قديم جدًّا، وهو مرتبط بشكل وثيق بالديانة التي كانت شائعة في ذلك الوقت، وقد ازداد التجاء الناس إلى السِّحر أثناء حكم الدولتين الوسطى والحديثة أكثر منه في الدولة القديمة، ويستدل على ذلك من النقوش والآثار التي خلَّفتها كل دولة من الدول المذكورة.

وقد بلغ السِّحر المصري شأوًا عظيمًا وتميُّزًا كبيرًا قياسًا لما كان عليه في الدول والأمم المعاصرة له، مما جعل السَّحرة في البلدان المجاورة يقصدون مصر لتعلُّم هذا الفن.

يقول كتاب فنون السِّحر في هذا المعنى: «ومن المعلوم أيضًا أنَّ اليونانيين والرومانيين وغيرهم من أهل العلم القديم كانوا يرون أنَّ السِّحر المصري أسمى بكثير وأكثر عمقًا من سحر البلاد الشرقية الأخرى. وكان سحرة البلاد القريبة من مصر يسعون جهدهم لتقليد أعمال السَّحرة المصريين والتشبُّه بهم في كل ما يصنعون»[2].

كما أنَّ القرآن الكريم قد تحدَّث عن سحرة فرعون مع موسى وعن أعمالهم التي بلغت حدًّا كبيرًا من الإتقان والتأثير في النفس، حتى قال عنهم ربّ العزَّة: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف].

---

(١) يراجع في هذا الشأن: كتاب فنون السِّحر، لأحمد الشنتناوي، فيما يتعلَّق بالسِّحر عند الشعب الصيني ص ٨ ــ ٩.

(٢) الشنتناوي، أحمد، فنون السِّحر، ص ٢٩.

ويقال إنَّ الوقت الذي تبارى فيه موسى عليه السلام مع سحرة فرعون، كان وقت بلوغ هذا الفن القمة. ولشيوع السِّحر في مصر القديمة، كان بعض الناس في الزمان القديم يعتقدون أنَّ مصر مسكونة بالسَّحرة الجبابرة، حتى وصل الأمر أن أصبح اسم مصر مرادفًا لكلمة سحر.

وقد حفظت لنا بعض الأساطير المصرية القديمة، الكثير عن السِّحر وأعمال السَّحرة، فقد كان السَّحرة يصنعون التماثيل الشمعية على هيئة تماسيح ويلقونها في الماء فتتحوَّل في أعين الناس إلى تماسيح حيَّة تمخر عباب الماء وتفترس كل من يقترب منها. كما تذكر الأساطير كيف كان السَّاحر المصري القديم يلمس ماء النيل فينفلق الماء ويبدو القاع. وتذكر الرِّوايات أنَّ من أشدِّ محبِّـي هذا الفن هو الملك «خوفو» مشيِّد الهرم الأكبر الذي كان يلتذ بمشاهدة أعمال السِّحر.

ومن أشهر ما برعت فيه سحرة مصر بالإضافة إلى التماثيل الشمعية، صنع التمائم والأحجبة خاصة الجعران المصنوع من الصلصال أو الحجر، وذلك رمزًا لإلـٰه الشمس ــ مصدر الحياة ــ وكان الاعتقاد بأنَّ هذا الجعران إذا ما وضع مع الميت في قبره كان كفيلاً بإعادة الحياة له.

وكان الاعتقاد في مصر أيضًا بأنَّ السِّحر ليس وقفًا على السَّحرة من البشر، بل أنَّ آلهة المصريين كانت تستخدم السِّحر أيضًا لتصريف أمورها ولقهر بعضها البعض، كما كانت «إيزيس» عندهم ربة السِّحر.

ومن التعاويذ المستخدمة عند قدماء المصريين في شفاء وتبريد الحروق هذه التعويذة: «ابنك حوريس يحترق على الأرض الجافة، هل هناك ماء؟ لا ماء هناك. إنَّ الماء في فمي ونيل يجري بين ساقي، إني آت لأطفىء النار»[1]. وهذه الكلمات مأخوذة من أسطورة «إيزيس وأوزوريس».

وكانت الناس تعتقد أنَّ للآلهة عندهم أسماء خاصة غير المتداوَلة، فإذا ما عرف

---

(١) الشنتناوي، أحمد، ص ٣٦.

السَّاحر هذه الأسماء واستخدمها؛ فإنَّ سحره يكون أقوى وأفعل ويكتسب بذلك قوَّة الآلهة ذاتها. ومن الطرق التي كانت شائعة في السِّحر المؤذي، أن تصنع التماثيل من الشمع أو الورق وتتلى عليها التعاويذ ثم توضع خلسة في بيت من يريدون إلحاق الضرر به.

ومع ما بلغته مصر من رقي وحضارة، إلَّا أنَّ الاعتقاد الراسخ والقوي بمفعول السِّحر الذي كان يعتقد به المصري القديم، من الإنسان العادي إلى الفرعون، قد أثَّر سلبًا على النشاط الفكري والعلمي والثقافي.

رابعًا ــ السِّحر في بابل وأشور:

تدلّ النقوش واللوحات المكتوبة بالخط المسماري على ما كان للسِّحر من أثر على الحياة والنفوس في بابل وأشور، والسِّمة العامة لهذه النقوش تظهر مدى الخوف الذي كان مسيطرًا على الفكر والوجدان في ذلك الوقت، خاصة الخوف من الجن والشياطين.

وكان موطن السِّحر الأساسي في بابل بمدينة «إردو» القديمة التي شعَّت منها الثقافة السومرية. وقد حفظت مكتبة ملك أشور «أشوربانيبال ٦٦٨ ــ ٦٢٦ قبل الميلاد» العديد من النصوص السِّحرية التي جمعها من المعابد المنتشرة في المدن القديمة وأغلبها باللغة المسمارية، وتحوي هذه النصوص ثلاثة موضوعات رئيسية، هي:

أوَّلًا ــ النصوص المتعلِّقة بالتنجيم، وتبيِّن الاعتقاد بألوهية الكواكب والنجوم وأثرها على مصائر الناس، ويشير القرآن الكريم إلى هذا الموضوع ويصدر حكمه على لسان سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام].

ثانيًا ــ اللَّوحات الخاصة بالوسائل المستعملة في الكهانة والتنبُّؤ بالغيب. وأيضًا نرى القرآن الكريم يصدر حكمه على طريقة الكهنة والكهّان الذين اتَّخذوا الأصنام آلهة تعبد من دون الله، فإذا بسيِّدنا إبراهيم عليه السلام يحطِّمها ويجعل الفأس في يد أكبر صنم لعلَّهم يقرُّون بطريقة عملية بأنَّ هذا الصنم لا يتحرَّك، ولا تصدر عنه الأفعال أو أي شيء آخر، وأنَّ هذه الأصنام التي حطمت والتي يعتقد بألوهيتها لا تملك الدفاع عن نفسها، فكيف يعتقد بقدرتها على النفع والضرّ؟

قال سيِّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنبياء].

ثالثًا ــ الرُّقى والتعاويذ التي كان السَّحرة يستخدمونها في طرد الأرواح الخبيثة من المريض، إذ كان الاعتقاد بأنَّ مصدر الأمراض هو الشياطين والأرواح الخبيثة، وأنَّ المريض لا يبرأ حتى تخرج الأرواح الخبيثة أو الشياطين من بدنه.

من هذه المجموعة الأخيرة نثبت هذه التعويذة البابلية لما تتضمَّنه من دلائل توضح مجمل الاعتقادات في السِّحر لدى بابل وأشور: «انهضي أيَّتُها الآلهة العظيمة واستمعي لشكاتي، امنحيني العدالة وخذي علمًا بحالي، لقد صنعت تمثالاً لساحري ولساحرتي، لقد وقفت ذليلاً أمامك وعرضت عليك قضيتي. إنه بسبب هذا الضرر الذي ألحقاه بـي وبسبب هذه الأشياء النجسة التي تناولاها فلتمت هذه السَّاحرة، وامنحيني الحياة أيتها الآلهة ولتتحطم تميمة هذه السَّاحرة وليفسد سحرها وليطهِّرني الغصن المقطوف من شجرة البينو وليخلصني هذا الغصن. ولتتبدد رائحة فمي الخبيثة في الهواء ولينظفني عشب المشتكل الذي يملأ الأرض، وقبل أن تجعلوني في إشراف عشب الكنكل فلأكن في نظافة عشب اللاردو وبهائه. إن تعويذة السَّاحرة

خبيثة ضارَّة فلترتد كلماتها إلى فيها وليقطع لسانها ولتبتليها آلهة الليل بآفة لسحرها. إن حراس الليل الثلاثة يبطلون سحرها الأثيم وليكن فمها شمعًا ولسانها عسلاً، ولتذب الكلمة التي قالتها وكانت السبب في تعاستي كما يذوب الشمع، ولتذب التعويذة التي عملتها كما يذوب العسل، ولتقطع عقدة السِّحر التي عقدتها إلى شطرين وليتلاشى كل ما صنعته»[1].

من هذه التعويذة يتبيَّن لنا أنَّ المسحور في بابل وأشور قد يلجأ إلى الآلهة طلبًا لنجدتها من السَّاحر أو السَّاحرة. وأنهم كانوا يصنعون التماثيل الشمعية ويستخدمون العقد وبعض الأعشاب والعسل في سحرهم.

خامسًا ـ السِّحر في بلاد الإغريق:

أمة الإغريق من أشهر الأمم التي شعَّت من أرضها الفلسفة والحكمة والشعر والفن إلى العالم بأجمعه. كذلك هذه الأمة لم تتخلَّف عن بقية الأمم والشعوب في موضوع السِّحر، فديانة أمة الإغريق وتاريخها وآدابها مليئة بالرموز والكنايات السِّحرية.

فالأساطير الإغريقية الكثيرة، مليئة بموضوعات السِّحر والسَّحرة، والكائنات التي تجمع بين خصائص البشر والآلهة، أو بين الإنسان والحيوان، وفي الإلياذة المشهورة ذكر لكاهن معبد أبولو ـ إلـه الشعر ـ الذي كان باستطاعته أن يقضي على الطاعون بأعماله السِّحرية.

والإسبارطيون الذين أعجب الفلاسفة بدستورهم ونظامهم التعليمي، كانت حياتهم حافلة بالطقوس والشعائر الممزوجة بالسِّحر، كما أنَّ المؤرِّخ اليوناني القديم هيرودوتس، الملقَّب بأبـي التاريخ، كان يميل إلى تدوين الأخبار المتعلِّقة بالتكهُّنات والهواتف التي تخرج من باطن الأرض، أو تنزل من كبد السماء، كما أنَّ كتابات أكسينيفون كانت هي الأخرى مليئة بأخبار الكهانة والرُّؤى والأحلام وما تنبىء عنه من خيرات أو شرور.

---

(١) الشنتناوي، أحمد، فنون السِّحر، ص ١٤ ـ ١٥.

ولا يتوقف ذكر أمور السِّحر عند المؤرِّخين، بل يتعدَّاه إلى الفلاسفة والحكماء. فأفلاطون قد ذكر الرقى والتعاويذ والأشربة التي تولد العشق والهيام وغير ذلك من الأعمال السِّحرية.

يقول كتاب فنون السِّحر عن تفسيرات أفلاطون في موضوع السِّحر: «ويحاول أفلاطون أيضًا أن يفسِّر السِّحر تفسيرًا طبيعيًّا أو عقليًّا، فهو يقول عن العرافة عن طريق الكبد: إن الكبد هو بمثابة المرآة التي تنعكس عليها أفكار المرء وصورة النفس. وهو يتحدَّث عن الحب الموائم بين العناصر على أنه مصدر الصحة والخصب للنبات والحيوان والإنسان، وأنَّ الحب المتهوّر بينها هو علَّة الطواعين والأمراض، وأنَّ دراسة وفهم هذين النوعين من الحب وصلتهما بدورات الأجرام السماوية وتغيير فصول السنة هو ما يسمَّى بعلم الفلك أو علم التنجيم، وأساس قانونه سيطرة الكواكب على المخلوقات الدنيا»[1].

وقد ذكرت بعض مصادر التاريخ فظاعات قام بها سَحَرة اليونان تشبه إلى حد كبير فظاعات السِّحر الأسود التي اجتاحت أوروبا في القرون الوسطى، كمضاجعة السَّاحرات لجثث الأموات الحديثة من الشبان في المقابر، وقتل وتعذيب الأطفال، وصنع وتركيب الأدهان المثيرة للغريزة والشهوة، مستخدمين فيها عصارات الأعشاب ودماء الضحايا البشرية، وصنع بعض السموم القاتلة من الأعشاب وبيعها لتجَّار الموت.

أما بعض القبائل البدائية الموجودة اليوم، في بقاع متفرقة من بقاع الدنيا، فلها اعتقاداتها وممارساتها السِّحرية أيضًا. ويكاد السِّحر يتدخَّل في كل نشاط من أنشطة القبيلة. فعند الهنود الحمر يحتاج المزارع إلى تمائم لينجو من الحشرات، يقول «كلود ليفي ستراوس»: «توقف بعد لحظات ثانية وكنا قد أسرعنا المسير لينزع سحلية

(١) الشنتناوي، أحمد، فنون السِّحر، ص ٢١.

صغيرة يصعب اكتشافها تحت الأعشاب الغضة وتسمَّى «ليام ليام Liyam Liyam» تستخدم كحرز سحري لطرد الحشرات والفطريات من الزرع»[١].

والهندي الأحمر لا يأكل لحم الزواحف والضفادع عادة، إلاَّ أنه يلجأ إليها للتداوي من الأمراض ومن السِّحر. يذكر كتاب الفكر البرِّي: «فليس للزواحف أي مردود اقتصادي بالنسبة للهنود، فهم لا يستهلكون لحم الأفعى أو الضفدعيات، ولا يستخدمون أي جزء من رفاتها إلاَّ في حالات نادرة، أي في التعاويذ التي ترد المرض والسِّحر»[٢].

كما أنَّ في اعتقاد الهندي الأحمر أنَّ كل أمر من أمور حياته بحاجة إلى رقية معينة. يقول كلود ليڤي ستراوس: «ويحدِّد الدليل أنه علينا أن نجد رقية لكل شيء نصادفه، لأنَّ «تيراوا Tirawa» الروح الأعلى يحل في كل الأشياء، وقد يعيننا على كل ما نصادفه في الطريق»[٣].

وللهندي الأحمر من قبيلة «أزودي Azaudi» فلسفة عجيبة غريبة بالنسبة للحوادث، فإنه يعزو سوء الطالع للسِّحر والشعوذة التي يقوم بها السَّاحر كانهيار كوخ أو وجود ثور هائج... إلخ.

يقول كتاب الفكر البرِّي في هذا المعنى: «يستدعي الفكر السِّحري بوصفه نظامًا يدخل في الفلسفة الطبيعية الفطرية نظرية في العليّة، فسوء الطالع ينتج عن الشعوذة التي تعمل بتناغم مع القوى الطبيعية. فإذا ما نطح ثور رجلاً أو وقع على رأسه قبو كانت قد نخرت ديدان الخشب دعائمه، أو إذا ما أصيب بالتهاب النخاع الشوكي، أكَّد «الأزودي» بحزم قاطع بأنَّ الثور والقبو والمرض أمور تضافرت مع الشعوذة، وتفاعلت معها لقتل الرجل.. فإذا كانت الشعوذة غير مسؤولة عن الثور

---

(١) ستراوس، كلود ليڤي، الفكر البرِّي، ترجمة نظير الجاهل، بيروت، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ط ١، ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠.

والقبو والمرض وهي توجد بذاتها فإنها مسؤولة عن ذلك الظرف الخاص الذي يضعها في علاقة مدمِّرة مع شخص معيَّن. فالقبو كان ليتهدَّم على كل حال، ولكن انهياره في لحظة معيَّنة على رجل محدَّد كان يستريح تحته في لحظة معيَّنة، لا يكون إلاَّ بفعل السِّحر»[1].

❑ ❑ ❑

(١) ستراوس، كلود ليڤي، الفكر البري، ص ٣١.

الفصل الثاني عشر

أساليب الممارسة السحرية عند الشعوب

أوّلاً ــ السِّحر وطرق محاولة استشفاف الغيب :

إن أي نشاط فكري لدى أي شعب من الشعوب، إنما هو وليد التفاعل بين الإنسان ومعتقداته، والتيارات الثقافية والفكرية التي تسيطر على البيئة التي يعيش فيها.

والأعمال السحرية التي يزاولها الإنسان، هي نوع من أنواع الأنشطة الفكرية المقرونة بالتطبيق العملي، وهي وليدة هذا التفاعل، وبما أن المجتمع الإنساني كبير ويشتمل على عدة بيئات، وكل بيئة لها خصائصها الدينية والاعتقادية والثقافية والفكرية، لذلك نجد أن كل شعب أو كل بيئة من البيئات لها خصائصها السحرية المتميزة عن غيرها. وهذا التمايز كان واضحًا وجليًا في المجتمعات والأمم القديمة، وذلك لأن وسائل الاتصال كانت محدودة وصعبة والمسافات طويلة، لكن مع تطور وسائل الاتصال المتمثلة بوسائل النقل الحديثة ووسائل الاتصال الفكري المتمثلة بالكتب والمجلات والروايات والأفلام السينمائية والڤيديو والراديو والتلفزيون، وأخيرًا استخدام الأقمار الصناعية عبر القارات، ألغى المسافات وساعد على مزج الثقافات المختلفة، وصهرها مع بعضها البعض، فأخرج شبه ثقافة عالمية موحدة. وتشابهت عطاءاتهم الفكرية والمادية ومن ضمنها أساليب السِّحر المتبعة حديثًا عند شعوب الأرض.

وما تميز أسلوب السِّحر عند أمة من الأمم الحديثة عن أمة أخرى إلاَّ بسبب تفاعـل الأمـة مع بيئتها المحلية وما تعتنقه من ديانة وما تتوارثه من أساطير وخرافات.

عن هذه الخصائص السحرية التي تتميز بها بعض الشعوب يذكر كتاب أنيس منصور ما يلي: «ويبدو أن ظهور هذا الرجل في بريطانيا «إدوارد كراولي ١٨٧٥ ـ ١٩٤٧» له علاقة بالطابع الخاص للإنجليز، فهو صاحب سحر عملي ولكنه غير مفيد. بينما نجد الإرلنديين أصحاب شفافية وقدرة على قراءة الفكر. ونجد الألمان أكثر الناس تقدمًا في فن التنجيم. ونجد الهولنديين أقدر الناس على الرؤية عن بعد ومعرفة الأحداث بأشكالها قبل أن تقع. أما الروس ففيهم قدرات روحية... مثل تولستوي ودستويفسكي وسولوفيف وفيدرف وبريائيف ومدام بلافتسكي ثم راسبوتين وجورجيف»[١].

ومن خصائص الغجر السحرية زعمهم معرفة الغيب، وذلك من خلال النظر في الأصداف البحرية. والهنود الحمر في أمريكا الشمالية يدعون لأنفسهم خاصية قراءة الرمل. ورد في كتاب حقائق وغرائب ما يلي: «ومن أقدم هذه الطرق قراءة الرمل، ففي بعض المجتمعات البدائية، وخاصة في قبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية يقوم رجال معيَّنون يسمَّى الواحد منهم «نافاهو» برسم صور لأشخاص وحيوانات على الأرض باستخدام الرمل الملون. وعن طريق ملاحظة ما يحدث لهذه الصور الرملية من عوامل التعرية يمكنهم التنبوء بأحداث المستقبل أو علاج المرضى»[٢].

وأما شعوب الشرق العربـي فالكثير من أفرادها يدَّعي القدرة على معرفة الأمور الغيبية والمستورة من خلال قراءة فنجان القهوة، أو من خلال استخدام الجن، أو من خلال استحضار أرواح الأموات. وأما ما تتميز به شعوب الهند فهو خاصية قراءة

---

(١) منصور، أنيس، أشباح وأرواح، بيروت/ القاهرة، دار الشروق، بدون تاريخ ط ٢، ص ٢٩٢.

(٢) العزب، موسى محمد، حقائق وغرائب، بيروت، دار ابن زيدون، بدون تاريخ، ص ٨١.

الكف، وتسلق الحبال المنتصبة في الهواء، والنوم على المسامير المدبَّبة، والسير على الجمر الملتهب والاتصال بالأرواح.

وأما شعوب البرازيل والفيلبين وسيرلنكا (سيلان)، وأندونيسيا، فيدعي سحرتها القدرة على الشفاء الروحي، والاتصال بأرواح الأموات والجن.

والشيء المشترك بين سحرة الأرض اليوم هو ادعاء التنبؤ بأمور المستقبل عن طريق التنجيم وعلم الفلك، فتكاد لا تخلو مجلة أو صحيفة أو محطة إرسال إذاعية أو تلفزيونية من زاوية أو ركن يكتب أو يتحدث من خلاله من يدعي علم الغيب بواسطة النظر في النجوم وحركاته وحلولها في منازلها أو أبراجها.

يا أمة الإسلام، يا أصحاب العقول النيرة والأفكار السليمة، انتبهوا انتبهوا، إنها بداية جاهلية ثانية وبداية ردة جديدة. إنهم يبشرون بأفكار ومعتقدات عفى عليها الزمن، معتقدات البابليين والأشوريين والكلدانيين الذين كانوا ينظرون إلى الكواكب والنجوم على أنها أرواح عليا، وأنها هي المحركة لمجريات هذا العالم.

ثانيًا ـــ طرق محاولة استشفاف الغيب:

إن من يتدبر آيات الكتاب الكريم يجد أن لا جدوى من محاولة معرفة الغيب، إذ أن هذا العلم من اختصاص الله علاَّم الغيوب، ولا سبيل إلى معرفته بأي طريقة كانت.

يقول المولى عزَّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان]، ويقول سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [مريم].

في هاتين الآيتين الكريمتين دليل قاطع على عدم إمكانية الإنسان الاطلاع على الغيب. لكن الله، لحكمة يعلمها سبحانه، قد يُطلع بعض الرسل على بعض الغيب كما جاء في سورة الجن، حيث يقول المولى عزَّ وجلّ: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ

غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن].

كما يشير القرآن الكريم إلى أن الرسل لا تعلم الغيب، ففي سورة الأعراف أمر من الله لرسوله الكريم محمد ﷺ أن يُعلم الناس بأنه لا حول له ولا قوة إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وإنه لا يعلم الغيب: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف]. فإن كان خير البشر محمد ﷺ لا يعلم الغيب، فكيف بمن هم دونه رتبة وشرفًا ومكانة؟

لقد أولع الناس منذ أقدم العصور بمحاولة معرفة الغيب وأمور المستقبل، واخترعوا لذلك وسائل كثيرة تعتمد في مجملها على ضروب من الحدس والتخمين، وإضاعة الوقت والعبث. وبالرغم من تيقن الكثيرين من استحالة معرفة الغيب، إلاَّ أنهم يواصلون ما جُبلوا عليه من هذا الولع جاهدين لاهثين وراء هذه الرغبة المستحيلة، مدفوعين بقوى كامنة في أعماقهم لمحاولة استشفاف الغيب ومعرفة المستقبل. فما تركوا وسيلة ولا طريقة إلاَّ اتبعوها، من هذه الطرق التي لا تعد ولا تحصى نذكر:

أولاً ـ طريقة التنجيم: وهي عبارة عن التنبؤ بواسطة النظر إلى الكواكب والنجوم ورصد حركاتها ومنازلها المقسمة على مدار أشهر السنَة، ومهما يكن من أمر هذه التنبؤات، فإننا نؤكد زيفها وكذبها، فإنه لا طائل تحتها ولا ترتكز على أي منطق علمي سليم. فالكواكب والنجوم في السماء لم تخلق لهذا الأمر، وإنما خُلقت وسخرت لأمور أوضحها القرآن الكريم منها: أن هذه النجوم خلقت لنهتدي بها في تنقلاتنا في البر والبحر، وحديثًا في تنقلاتنا في الفضاء الخارجي.

فإن قال قائل: نستخدم في رحلاتنا البوصلة عوضًا عن النجوم؟ نقول له: إن البوصلة لا تنفع خارج حدود الأرض، حيث لا جاذبية تسيِّر إبرتها، أو حيث تتدخل قوى جذب عدة غير جاذبية الأرض والشمس والقمر.

يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنعام]، وكذلك قوله سبحانه جلّت قدرته: ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل].

ومنها أن الشمس وهي نجم يستدل بحركاتها ومواقعها في السماء لمعرفة أوقات الصلاة في النهار، كما يستدلون ببعض النجوم الأخرى في الليل لتحديد اتجاه القبلة.

والله سبحانه وتعالى يمتن علينا بأن زين لنا السماء في الليل بالكواكب، حتى يستأنس الناس، وتزول مخاوفهم وتبتهج نفوسهم، بدل أن تكون السماء كلها بلون السواد، الذي يورث القلب والنفس الانقباض والضيق، يقول الله جلّ شأنه في ذلك: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحجر].

ويذكر القرآن الكريم أن النجوم جعلت رجومًا للشياطين، ففي سورة المُلك يقول المولى عزَّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك].

ومنها أن هذه النجوم والكواكب، بعلوها وبُعدها، ولمعانها ودورانها، وكثرتها وعدم تصادمها، وانتظام حركاتها تجعل الإنسان يتفكر في الخالق من خلال خلقه المتقن الصنع، يقول المولى عز وجل في محكم آياته: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران].

ثانيًا ـ التنبؤ عن طريق فنجان القهوة: وهي عبارة عن محاولة استشفاف الغيب، وذلك بواسطة النظر إلى الصور والأشكال التي ترسمها رسوبات القهوة في الفنجان بعد احتسائه.

وهذه الطريقة لا تمتُّ للعلم ولا للصدق بصلة أو نسب وكلها أباطيل، وهي مجرد خيالات وأوهام وجمل حفظها قارىء أو قارئة الفنجان، يخدعان بها الناس السذَّج وقليلي الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

وإذا أمعنا النظر في الجمل التي تقال، نجد أنها فضفاضة وعامة، ويمكن تأويلها على أكثر من معنى. كما أنها تنطبق على الكثير من أحوال الناس. لكن هنالك أمر يجب أن نشير إليه ونعترف به، وهو أن بعض ما يقال في بعض الحالات النادرة جدًا قد يكون حقيقة، ولكن أي حقيقة؟

إنه قد يخبر عن أشياء واقعة في الزمان الماضي، أو عن أشياء يعلمها شارب القهوة، أو أشياء لا يعلمها، إلاَّ أنها متزامنة الوقوع مع لحظة عملية قراءة الفنجان فما هو تفسير ذلك؟

في الحقيقة أن قلة من قارئي الفنجان، عندهم شفافية روحية وقدرة على قراءة الأفكار. فإذا ما نظروا إلى الرسوم والأشكال التي خلَّفتها رسوبات القهوة حصل عندهم تركيز فكري وانسلاخ مؤقت عن المحسوسات، وهذا التركيز وهذا الانسلاخ يساعدهم على قراءة أفكار الآخرين. وفي بعض الحالات النادرة جدًّا التي يكون فيها قارىء الفنجان مرهف الحس كثيرًا، قد تحدث عنده ومضات جلاء بصري فيرى أشياء بعيدة عنه، لا تُرى بالحواس المألوفة، وهذا هو ما يفسر بعض الصدق الذي يكون في كلام القلة النادرة من قارئي الفنجان.

ولكن ما الفائدة من ذلك؟ إذ أن أقصى ما يمكن الوصول إليه عند أقوى قارىء فنجان هو أن يقرأ الفكر أو يرى أشياء واقعة.

ومن المهم جدًّا أن نشير هنا إلى أن قارىء الفنجان لا يفقه ما يفعله، أو كيف يصل إلى قراءة الفكر أو الجلاء البصري. ويبقى الغيب من اختصاص ربِّ العالمين سبحانه وتعالى الذي يقول: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الطور].

ثالثًا ـ قراءة الكف: وهي عبارة عن النظر في الخطوط والتجاعيد والثنيات الموجودة في باطن الكف والأصابع، في محاولة لإعطاء معلومات عن ماضي وحاضر ومستقبل الإنسان، وأكثر من يلجأ إلى هذه الطريقة الهنود، والطريقة المتبعة لا تحمل في طياتها أي منطق أو تعليل علمي سليم، لما يقوم به قارىء الكف من

ربط بين خطوط الكف وأمور الماضي والحاضر والمستقبل. ومن يؤمن بهذه الأمور فإنما ينزل إلى مستوى منحط من التفكير والقدرة العقلية والإيمانية يتساوى فيها مع المجوس وعبدة البقر.

وكما قلنا في قارىء الفنجان حين يصيب في بعض الأمور الماضية أو الحاضرة على أنه قراءة للفكر، كذلك يوجد عند بعض قارئي الكف القدرة على قراءة الأفكار.

أما من يحاول أن يثبت أن القرآن الكريم قد نص على إمكانية قراءة خطوط الكف اعتمادًا على الآيتين الكريمتين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت]، إن هاتين الآيتين تشيران إلى أن نطق الجلد والبوح بما كسب الإنسان إنما يكون يوم القيامة، ويكون فقط بقدرة الله وحده، وأن ليس لأحدٍ سواه جلَّت قدرته، قدرة على إنطاق الجلد أو استنطاقه، مهما علا شأنه وتعاظمت قدرته ومكانته.

رابعًا ـ التنويم المغناطيسي: وهذه الطريقة شائعة جدًّا على المسارح في أوروبا وأمريكا وفي دول العالم الثالث، يدعي فيها المنوِّم أن الوسيط حين يستغرق في النوم، تحل فيه أرواح بعض الأموات فتساعده على معرفة المغيبات وأمور المستقبل.

وفي الحقيقة يجب أن نشير إلى أن أرواح الأموات لا يمكن أن تُستحضر إطلاقًا، إذ أن بينها وبين عالم الحياة برزخ لا يمكن أن تتخطاه. والقرآن الكريم يشير إلى ذلك: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون].

وكل ما يقوم به الساحر أو محضر الأرواح أو المنوم المغناطيسي من أمور لإقناع المشاهدين بصدق ادعائه، إنما هو عبارة عن تواطؤ واتفاق مع بعض الأشخاص أو مع الوسيط نفسه. وفي بعض الحالات التي لا يتم فيها هذا التواطؤ،

قد يحضر بعض الجن أو القرناء لتضليل البشر، وإضاعة وقتهم ومالهم وإيمانهم، أو قد تكون عند الوسيط شفافية لكنها نادرًا ما توجد عند الوسطاء.

خامسًا ـ استخدام الجن: إن استخدام الجن أمر ممكن وغير مستحيل شرعًا وعقلاً، لكن من يستطيع استحضارهم وتسخيرهم لا يزيد على قلة قليلة قد لا تزيد نسبتها على واحد في الألف من مدعي هذا الأمر. فالأغلبية منافقون ودجّالون همهم خداع الناس وإيهامهم لسلب أموالهم بالباطل، ومهما يكن حال مدّعي تحضير الجن صادقًا كان أم كاذبًا فلا يمكن أن يكشف الغيب، لأن الجن لا تعلم الغيب مطلقًا، وقد سجّل القرآن الكريم اعتراف الجن بذلك حين قالت: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن].

سادسًا ـ استخدام المندل: في هذا العمل يلجأ محضر المندل إلى فنجان صغير يضع فيه قليلاً من الماء ثم يضيف نقطة زيت ويطلب من ولد أو بنت دون سن البلوغ التحديق في نقطة الزيت اللامعة والطافية على سطح الماء. ويأخذ بالتمتمة والتلاوة، وبعد أن يقول للناظر إنك سوف تشاهد بعد قليل جنيًا فكلّمه واطلب منه استحضار أحد ملوك الجان، إلى آخر ما هنالك من الكلام.

إن استخدام المندل هذا فيه خداع وكذب كثير، فأما الخداع فيتمثل باستخدام الإنسان غير البالغ، وهذا يعني أنه غير مكتمل عقليًا، ويعني أيضًا أنه سريع التأثر بما يقال له، وأن ما يشاهده هو من قبيل الوهم والإيحاء. واستخدام نقطة الزيت التي تلمع وتعكس الأنوار والصور بشكل غير صحيح تتعب نظر المحدق إليها وتقلل من حيويته ونشاطه ووعيه، فتؤثر عليه فتريه الأشياء على غير حقيقتها، فيتوهم أن ما يراه هو الجن، ولو حاول أحد الحضور من البالغين العاقلين النظر إلى نقطة الزيت فإنه لن يرى لا جنًا ولا شياطين، لأنه ليس لها وجود أصلاً في نقطة الزيت، ومهما يكن من أمر حضور الجن أو عدم حضوره، فما الفائدة منه إذا علمنا بأن الجن لا تعلم الغيب.

سابعًا ـ استخدام القواقع البحرية: يكثر استخدام هذه الطريقة من قبل الغجر والعرب الرُّحَّل. يلقي مدعي علم الغيب القواقع «الودع أو الأصداف» على الأرض بعد أن يخضها بيديه عدة مرات، ويضمر ما يريد أن يكشف عنه ثم ينفخ فيها ويلقيها، ثم ينظر إلى وضعيتها وأشكالها على الأرض، ويأخذ بالتنبؤ، ثم يتناولها ثانية ويخضها وينفخ فيها ويلقيها ثانية، ويعود فيتابع تنبؤاته، وهكذا دواليك حتى يقول كل ما يريد أن يقوله من أكاذيب ودجل. وإن أصاب في بعض الأمور فإنما يكون عن طريق الصدفة أو الجلاء البصري أو قراءة الأفكار أو الفراسة، وكل ما يأتي به إنما هو من الأمور المعروفة أو الماضية، وأما الغيب فيبقى محجوبًا عنهم، وتبقى هذه الطريقة كسابقاتها من الطرق عاجزة عن دخول عالم الغيب وكشفه.

ثامنًا ـ محاولة معرفة الغيب عن طريق الفنجان المتحرك: وهذه الطريقة منتشرة في أوساط طلاب المدارس والجامعات، وأكثر الأوقات التي يلجأ إليها الطلبة إنما تكون عشية الامتحانات. فبدل أن تكون جهودهم منصبَّة على الدرس والتحصيل، نجدهم يضيعون الوقت في أمور سخيفة يخدعون بها أنفسهم.

وتتم هذه العملية على النحو الآتي: ترسم دائرة قطرها حوالي الربع متر، ويكتب على محيطها الحروف الهجائية على مسافات متساوية من بعضها البعض، ويوضع فنجان قهوة مقلوبًا في وسط الدائرة، ثم يطلب من إنسان أن يضع إصبعه على الفنجان، ويقوم مدير الجلسة بتلاوة بعض التعاويذ، ثم بعد قليل نجد أن الفنجان بدأ يتحرك نحو الأحرف بطريقة توحي بأن الفنجان يتحرك تلقائيًا، ثم تجمع الحروف التي تحرك نحوها الفنجان فتتألف منها الكلمات والجمل.

في الحقيقة أن أمر هذه الطريقة لا يعدو أن يكون مجرد خدعة نفسية وذلك لأن من يضع يده على الفنجان يحرك يده بطريقة لا شعورية نحو الأحرف التي يرغب في أن تكوِّن الكلمات والجمل، وبالتالي المعاني التي يتمنى في قرارة نفسه بطريقة لا شعورية أن تكون جوابًا لسؤاله المطروح.

وأكبر دليل على أن لا أرواح تحرك القدح أو الفنجان، وأن المحرك هو إصبع

الإنسان، يكفي فقط أن يرفع الإنسان إصبعه عندها لن يتحرك الفنجان أبدًا. وهنالك برهان آخر يمكن أن يثبت بأن العوامل النفسية لدى الشخص المحدد هي التي تحرك الفنجان، هذا البرهان يقضي بأن نعصب عيني الشخص الذي يضع إصبعه على الفنجان ونغير وضعية الأحرف، عندها سنجد أن تحرك الفنجان إن تحرك، يعطي أحرفًا لا ترابط بينها، أو لا يؤلف كلمات ذات معنى ولا جملاً مفيدة.

تاسعًا ـ محاولة معرفة الغيب عن طريق استخدام القرآن الكريم: والعملية تكون كالتالي: يوضع مفتاح كبير في وسط القرآن الكريم بحيث يكون مقبضه خارجًا من هذا الكتاب، ويحزم المصحف جيدًا كي لا يقع المفتاح إذا ما حمل المصحف من مقبض المفتاح، ثم يرفع القرآن بواسطة إصبعي شخص مركزين على أطراف مقبض المفتاح، مع تركيز الفكر وتلاوة بعض الآيات، ثم إضمار سؤال معين، وبعد قليل نجد أن الكتاب الكريم يتحرك إما إلى جهة اليمين أو إلى جهة اليسار، فإذا تحرك القرآن الكريم نحو اليمين يعتقدون بأن ما أضمره الشخص فيه الخير، وإذا تحرك القرآن الكريم إلى اليسار فإنهم يعتقدون عكس ذلك.

وفي الحقيقة إن هذه الطريقة في استشفاف الغيب هي من أخبث الطرق التي يقع في حبائلها البسطاء والجهلة من المسلمين، إذ أن في اتخاذ القرآن الكريم وسيلة للتبصير أو كشف الغيب، امتهانًا لهذا الكتاب العزيز. كما أن في استخدامه في أمر كهذا محاولة خبيثة ممن ابتدعها لتحويل انتباه المسلمين عن آيات الكتاب ومقاصده ومعانيه السامية إلى أمور باطلة سخيفة. علمًا بأن الحركة التي تحدث فتحرك الكتاب الكريم، إنما تكون بسبب عدم تساوي القوى التي ترفعه، وبسبب تعب أعصاب اليد، وليس لأن الكتاب هو القرآن الكريم المنزل من عند الله سبحانه تعالى، بدليل أنه لو وضعنا أي كتاب عادي لا يمت للقداسة بنسب أو سبب، فإن هذا الكتاب سوف يتحرك أيضًا، كما أن الكتاب سوف يتحرك يَمنة أو يَسرة دون إضمار أي سؤال ودون أي تلاوة، قرآنًا كان أو غير قرآن. لذلك نبهت إلى ذلك وبرَّأت ذمتي أمام الله، ولينقلها من يقرأها لمن يقوم بهذا العمل الذميم.

عاشرًا ـ معرفة الغيب عن طريق الأطفال والبُله: هنالك بعض الناس يحاولون استشفاف الغيب عن طريق سؤال الأطفال أو البله، لاعتقادهم بأن هاتين الفئتين البريئتين لهما القدرة على رؤية الأمور الغيبية.

وفي الحقيقة لا يوجد رابط بين البراءة والبلاهة من جانب، ومعرفة الغيب من جانب آخر، بدليل أننا لو سألنا طفلاً أو معتوهًا عن أمر من الأمور فقلنا له: هل فيه خير أم شر؟ فإنه سوف يقول: فيه شر، فإذا ما قلبنا له السؤال فقلنا له: هل فيه شر أم خير؟ فإنه سوف يقول: فيه خير. إذ أن الطفل أو الأبله غالبًا ما يجعل الإجابة مشتملة على آخر كلمة في السؤال، وهذا ما يفعله أيضًا الوسيط أثناء التنويم المغناطيسي. فغالبًا ما يستغل المنوم هذه الظاهرة ليؤثر على الجمهور، بحيث يتحكم بجواب الوسيط من خلال التحكم بصيغة السؤال. ولقد جربت ذلك بنفسي، وما أقوله في هذا الصدد إنما هو وليد التجربة والخبرة.

حادي عشر ـ الاستقسام بالأزلام: وهي طريقة قديمة جدًا كان العرب في الجاهلية يستخدمونها، وتتلخص بأن تأتي بثلاث أوراق، ورقة كتب فيها افعل، وورقة كتب فيها لا تفعل، وورقة تبقى بيضاء، أو ورقة فيها أمرني ربـي، وورقة فيها نهاني ربـي، وورقة تبقى بيضاء.

توضع هذه الأوراق في كأس وتخلط ثم يضمر الشخص أمرًا، ويمد يده فيأخذ من الكأس ورقة، فإذا خرجت ورقة أمرني ربـي فعل ما أضمره، وإذا خرجت ورقة نهاني ربـي أحجم عنه، وإذا خرجت ورقة بيضاء عاد فتناول ورقة من الورقتين الباقيتين ونفَّذ ما فيها من أمر أو نهي.

وقد نهى القرآن الكريم عن هذا الأمر، حين نهى عن بعض المحرمات من أنواع الطعام، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ [المائدة].

ثاني عشر ـ زجر الطير: وهذه الطريقة قديمة جدًّا، وقد كانت شائعة في الجاهلية، وملخصها بأن يرمى طائر بحصاة، فإذا طار نحو اليمين استبشروا وأقدموا، وإذا ما طار نحو الشمال تشاءموا وأحجموا، وإذا طار بخط مستقيم، أعادوا الكرة حتى يطير الطائر نحو اليمين أو نحو الشمال.

ولن أناقش بطلان هذه الطريقة سوى أن أقول بأن طيران الطائر يمينًا أو شمالاً أو إلى الأمام، يخضع لمشيئة الله، ولا يترتب عليه أي علاقة بمعرفة الغيب. ولسوف أكتفي بهذا العرض الموجز للطرق المستخدمة والمتبعة لمحاولة استشفاف الغيب وكشف زيفها، لأن ذكر كل الطرق الموجودة والمتبعة، يحتاج إلى مؤلفات ضخمة وعمل جبَّار، آمل في المستقبل أن أتصدى له بإذن الله.



الفصل الثالث عشر

أثر السّحر على المجتمع

أوَّلاً ــ السِّحر وعلاقته بأحوال المجتمع :

لا ريب بأنَّ السِّحر الذي سيطر على العقول والنفوس والقلوب وتصرُّفات المجتمعات في العصور القديمة، قد خفَّ أثره على الناس، وبالتالي على المجتمع في الوقت الحاضر، إلاَّ أنَّ أثر السِّحر ما زال كامنًا ومتأصِّلاً في العقل الباطني أو اللاشعور عند الأمم الحديثة، ويشكِّل قوَّة دفع كامنة وخفية تسيِّر المجتمعات باتِّجاهات معيَّنة ومحدَّدة. وهذه القوَّة الدافعة تخف أو تزداد بحسب أحوال المجتمع وتفاعله مع عدَّة عوامل أساسية، منها: العامل الثقافي، والعامل الاقتصادي، والعامل الأمني، والعامل الديني إلى آخر ما هنالك من عوامل مؤثِّرة.

فكلَّما كان المجتمع مثقَّفًا ومتعلِّمًا وواعيًا، ابتعد عن السِّحر وأمور الشعوذة واعتبرهما موضوعين لا يهمَّانه كثيرًا واحتقر متعاطيهما. وكلما كان المجتمع جاهلاً وغير متعلِّم تعلَّق بحبال السِّحر، معتقدًا بأنها حبال الخلاص أو حبال النجاة.

كما أنَّ الناحية الاقتصادية تلعب دورًا هامًّا في المجتمعات، ففي المجتمعات الفقيرة تكثر الاعتقادات بأمور السِّحر وبأمور الجن والغيلان والأحجبة والتمائم، ويكثر مدَّعو السِّحر والمشعوذون للتكسُّب وجمع المال من المغفَّلين والجَهَلة وضعاف النفوس وقليلي الإيمان. ويكثر الاعتقاد بأنَّ السَّاحر له القدرة على كشف الكنوز وتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، كما يزداد الاعتقاد بقدرة السَّاحر على

الإتيان بأمور هامَّة كإثراء الناس أو إفقارهم أو شفائهم أو التسبُّب لهم بمختلف أنواع العلل والأمراض.

بينما نجد المجتمعات الغنية أقل اهتمامًا بأمور السِّحر، وأقل اعتقادًا بأثره، وإن تعاطت هذه المجتمعات مع السِّحر، فإنها تتعاطى معه على أنه نوع من أنواع الترفيه والتسلية، أو تتعاطى معه من باب حب الاستطلاع أو قتل الوقت. لكن تجدر الإشارة إلى أنَّ علاقة الإنسان بالسِّحر فيما يتعلَّق بالأحوال الشخصية كالحبّ والكره والزواج والحسد والتنافس، هي نفسها في كلا المجتمعين: الفقير والغني.

أما الناحية الأمنية فتؤثِّر كثيرًا على العلاقة بين السِّحر والمجتمع، فالمجتمعات المضطربة أو الخائفة أو القلقة أو المقهورة نجدها تتعلَّق كثيرًا بأمور السِّحر، وتزدهر فيها أفانينه وطرق التعاطي به، وتلمع أسماء بعض السَّحرة وتشتهر ويزداد الإيمان والتسليم بأقوال السَّحرة والمشعوذين، ويزداد نفوذهم في المجتمع، وينظر إليهم نظرة المنقذ والمخلِّص وأصحاب الحلول التي لا تخطىء. وتبدو الصورة معكوسة إذا كان المجتمع مستقرًّا وآمنًا، أي أنَّ الاهتمام بأمور السِّحر إذ ذاك يفتر، والاعتقاد بقدرات السِّحر يتضاءل.

أما الناحية الدينية والإيمانية فهامَّة جدًّا في تحديد تعاطي الناس والمجتمع مع السِّحر، فإذا كان أمر الدِّين ظاهرًا ومؤثِّرًا وفاعلاً في المجتمع وبين الناس، يتضاءل أمر السِّحر والسَّحرة، وينصرف الناس بوجوههم إلى الله سبحانه وتعالى، إذ أنه ليست هنالك ديانة سماوية واحدة تحبِّذ السِّحر أو تهادنه، بل كل الديانات تحارب السِّحر والسَّحرة وتحذِّر منهما، وتُصدر أحكامًا قاسية محقَّة على السَّحَرة تتضمَّن الإعدام، وتحذِّر من يعتقد بأعمال السِّحر والسَّحرة من الكفر، أو الخروج من الدِّين.

ففي التوراة الموجودة بين أيدي النَّاس، أمر بالابتعاد عن الجن وأمر بعدم الاتِّصال بهم أو استخدامهم واعتبار التعامل معهم يجلب النجاسة المادِّيَّة والمعنويَّة. وقد أوردنا العديد من أقوال التوراة في الفصل الذي يذكر ما ورد في الكتب السماوية

عن السِّحر والسَّحرة فلا داعي لذكرها ثانية. كما اعتبرت التوراة السَّحرة والعرَّافين رجسًا كالأصنام، وأشارت إلى مشروعية التخلُّص منهم.

أما القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية فيصف ما يصنع السَّحرة بأنه خدعة وحيلة، يقول المولى عزَّ وجلّ في سورة طه: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾. ويخبر المولى سبحانه جلَّت قدرته بعدم فلاح الساحر فيقول: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس]، وتارة يصف القرآن الكريم أعمال السَّحرة بالكفر فيقول في سورة البقرة: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ﴾ [من الآية ١٠٢].

وتتضمَّن الآية السابقة بالإضافة إلى تكفير السَّاحر، إشارة إلى أنَّ السِّحر يفرِّق بين الرجل وزوجه، وهما نواة العائلة التي تؤلف مع بقية العائلات المجتمع.

كما يصف القرآن عمل السِّحر بالشر، ففي سورة الناس يقول المولى عزَّ وجلّ: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾، لكن إذا ضعف أثر الدِّين في النفوس، ظهرت البدع وتفرَّقت النَّاس إلى فرق وشيع وظهرت الأديان الملفقة. عندها يتنفَّس السَّحرة الصُّعداء فيكشِّرون عن أنيابهم وأظافرهم، وتظهر الضحكة الصفراء المميتة على وجوههم، وينهضون ليبذروا حب الفتنة والفساد في أرض المجتمع الغافل عن نداء السماء.

إنَّ هذه المقدمة الموجزة التي ربطت فيها بين السِّحر وحالة المجتمع من الناحية الثقافية والاقتصادية والأمنية والدينية كانت ضرورية كي تساعدنا على تصوُّر ما نحن فيه من علاقة راهنة بيننا وبين السِّحر والشعوذة. فالسِّحر اليوم رائج سوقه رواجًا يفوق التصوُّر، واعتقاد الناس بجدوى السِّحر عظيم جدًّا. وإن كان هذا الاعتقاد مغلَّفًا وغير ظاهر للعيان، فذلك يعود إلى التناقض الذي يعيش فيه إنسان اليوم بين المادية الصرفة القبيحة السمجة التي لا تؤمن بالغيبيات إطلاقًا، وبين

الروحية المشوهة التي تبحث عن الخلاص من خلال دروب وعرة معتمة مظلمة بعيدة عن هدي السماء وتعاليم الإلـه خالق الأرض والسماء.

فما من أمة من الأمم، ولا مجتمع من المجتمعات الحاضرة، إلاَّ وفيه من الأزمات الاقتصادية والأمنية والاعتقادية، والاضطرابات الفكرية والثقافية والدينية ما يكفيه، وهذه الاضطرابات ـ كما أسلفنا ـ تعبِّد الطريق أمام النفوس كي تحتضن وتتقبَّل السِّحر والسَّحرة بطريقة غير مباشرة ولاشعورية. وهذا ما يفسِّر أمر انتشار السِّحر في الوقت الحاضر في العديد من الدول والبلدان الراقية منها والنامية أو المتخلفة، والغنية منها والفقيرة، والمتديِّنة منها والملحدة، باستثناء بعض الدول الواعية القليلة في العالم التي تعلم خطر هذا الأخطبوط وهذا الداء على مجتمعاتها، فتشدَّدت في أمر ملاحقة السَّحرة والمشعوذين، واستخدمت أجهزة إعلامها لتوعية الناس والمجتمع، كما استخدمت أجهزة أمنها لتنقية المجتمع وتطهيره من رجس السَّحرة والمشعوذين.

ثانيًا ـ أمثلة وشواهد على أثر السِّحر في المجتمع الراهن:

أمَّا كيف يؤثِّر السِّحر على المجتمع في الوقت الحاضر ويسيِّر الأفراد بطريقة لاشعورية، فيمكن أن نتلمَّسه من المشاهدات اليومية الحيَّة التي نعيش. فالكثير من أعمالنا ونشاطاتنا التي نقوم بها لا نأتيها إلاَّ بعد أن نرجع إلى السِّحر والسَّحرة بطريقة من الطرق!!!

فمثلاً عندما تحاول العائلة انتقاء فتاة لأحد أفرادها بقصد الزواج، فإننا نلاحظ غالبًا أنَّ هذا الأمر لا يتم قبل أن يُستشار أحد العرَّافين أو السَّحرة عن إمكان أن يقع الوفاق بين طرفي الزواج. ويتم ذلك عن طريق حساب اسم الفتاة واسم أمها، وحساب اسم الشاب واسم أمه، فإذا أشار عليهم العرَّاف أو الساحر بأنَّ اسم الفتاة موافق لاسم الشاب استبشر أهل الشاب وبادروا إلى إتمام مراسم الخطبة.

وبعد أن تخطب الفتاة غالبًا ما تشير عليها إحدى العجائز أن تحمل حجابًا

للمحبة، وفي ليلة الزفاف تكسر قلَّة من الفخَّار وراء العروس، وهي تغادر منزل أهلها، وعندما تدخل بيت العريس تلصق فوق بوابة بيت الزوجية الجديد قطعة من العجين مع غصن زيتون صغير لاعتقادهم بأنها تجلب المحبة والبحبوحة والذرية. وإذا ما وقعت قطعة العجين هذه، فإنهم يتشاءمون من ذلك ويتطيَّرون.

وفي بعض حالات الزواج حين لا يفلح الرجل في الدخول بزوجته في ليلة الزفاف أو الليالي التي تليها، فإننا نسمع همسًا يقول بأن العريس مربوط، وأن لا سبيل إلى التخلُّص من هذه المشكلة إلاَّ بحلّ الربط عند أحد السَّحرة، متجاهلين كل الأسباب الأخرى التي يمكن أن تقود إلى هذا العجز.

وحين تشعر العروس بأنها حامل فإنَّ أمها أو إحدى العجائز تشير عليها بأن لا تخبر أحدًا خوفًا من الحسد، فإذا ما أحسَّت بالوحَم، وقد يكون أحيانًا على شكل كابوس يضايقها أثناء النوم، فيقولون لها إنَّ ما تشعرين به هو القرين، فترتعد فرائصها وتسأل ما القرين؟ فتخبرها العجائز وأصحاب الأفق الضيق بأنَّ القرين عبارة عن جني، وهذا الجني يسعى لقتل الجنين في أحشائها، فتزداد خوفًا ورعبًا، وتسأل عن السبيل للنجاة من هذه الحالة، فيشيرون عليها بالتوجه إلى السَّحرة والدَّجَّالين ليعملوا لها التمائم والأحجبة.

فإذا مرَّت فترة الوحَم وظهر أثر الحمل وما عاد بالإمكان إخفاؤه، نجد أنَّ هنالك من يشير على الحامل بأن تبخِّر نفسها خوفًا من العين. وذلك بحرق البخور في موقد فحم صغير، ثم تقوم بتخطِّيه عدَّة مرات جيئةً وذهابًا، وفي كل شوط يجب أن تتلفَّظ ببعض الكلمات والتعاويذ التي غالبًا ما تكون غير شرعية ومتضمِّنة لمعاني الكفر.

فإذا ما تخطَّت فترة الحمل ووضعت طفلاً، فإننا نجد من يسارع إلى تعليق تميمة على صدر الطفل تتمثَّل غالبًا بشبَّة وخرزة زرقاء اتِّقاءً للعين، أو تتمثَّل بكف من ذهب تتوسَّطه عين زرقاء من الخرز.

وإذا ما وقع خلاف بين الزوج وزوجته لأتفه الأسباب، فإننا نجد من يهمس في أذن الزوجة أو أذن الزوج بأنَّ الخلاف لا يمكن أن يطوَّق إلَّا إذا قضينا على أسبابه المتمثِّلة بالسِّحر أو الحسد الذي أصابهما. علمًا بأنَّ هذا الخلاف الذي يقع عادة بعد الولادة مردّه في كثير من الأحيان إلى تحوُّل في المعاملة والاهتمام.

فبعد أن يكون الاهتمام كلّه منصبًّا على الزوج من قبل الزوجة، يتحوَّل إلى المولود الجديد، فيشعر الزوج بالإجحاف والضيق وفقدان الأعصاب أحيانًا، فتثور ثائرته لأتفه الأسباب وأقلها، خاصة إذا لم يكن مدركًا سبب هذا التحوُّل في العلاقة.

وعندما يصاب الصغير بمرض فيطول مرضه، نسمع من يهمس أنَّ الطفل معيون أو محسود ولا سبيل إلى شفائه إلَّا بصبِّ الرصاص فوق رأسه للقضاء على الحسد. فما علاقة الرصاص الذائب بالحسد؟ ألا تكفينا سورة الفلق التي أُنزِلت من لدن حكيم عليم، أليس فيها الشفاء كل الشفاء من الحسد؟

كما أنَّ الرجل قد يشكو لأصحابه ازدياد مصروفه البيتي نظرًا لازدياد أفراد عائلته، فيشير عليه الأصحاب غالبًا بأن يعمل حجابًا لجلب الرزق، ومن يصنعه؟ غالبًا أفقر خلق الله وأشأمهم، إنه الكاهن أو السَّاحر مقابل دراهم قليلة يسدّ بها رمقه!

وقد تقع الخلافات بين الزوجة والحماة، وغالبًا ما تكون هذه الخلافات حامية جدًّا ومصيرية، وذلك لتناقض المصالح، فغالبًا ما يلجأ كل طرف إلى كل أنواع الأسلحة والإمكانيات والمهارات، يستعملها لبلوغ مأربه، وغالبًا ما يكون سلاح السِّحر هو الأبرز والأشد فتكًا. والزوج المسكين على الأرجح من يدفع الثمن من ماله ووقته وأعصابه واستقراره واستمرار حياته الزوجية.

* * *

نقد بعض كتب السّحر الشائعة

أوّلاً ــ كتاب شمس المعارف الكبرى[1]:

وهو أكثر كتب السِّحر رواجًا في العالم العربـي والإسلامي، وتطبعه وتوزِّعه أكثر من دار للنشر. وأول ما تطالعنا في هذا الكتاب أخطاء علمية بحتة، إذ يعد مؤلِّف الكتاب الشمس كوكبًا وهي على خلاف ذلك. ثم يعتقد بأنَّ الشمس هي أكبر الكواكب وهذا أيضًا غير صحيح. يقول البوني في ذلك: «اعلم أنَّ الكواكب السبعة تدور على اثنتي عشرة ساعة، وتقدم ذلك أول الكتاب، وأول ما خلق الله تعالى من الأيام يوم الأحد وله من الكواكب الشمس وهي أكبر الكواكب»[2].

كما يعتقد مؤلِّف هذا الكتاب بأنَّ الكواكب أرواح شريفة وهي المدبِّرة لشؤون الناس، ويجعل كوكب الشمس مدبِّرًا لشؤون يوم الأحد، وهذا اعتقاد معظم الفلاسفة الملحدين والزنادقة، كما أنَّ هذا الرجل يسهم في إفساد معتقدات الناس والعباد حين يعلمهم طرقًا للاتصال بالجن، وطرقًا لاستخدامهم وطلب العون منهم. أليس الله أحق أن نطلب منه العون والمدد؟ أو لم يقل الله سبحانه في سورة الجن إن الاتِّصال بهم وطلب عونهم يُرهق؟ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾.

ويقول البوني: «وإذا أردت اتِّخاذ إخوان من الجن المؤمنين يقضون حاجتك، ويسعون في مرضاتك، فابدأ بالصوم يوم الأربعاء إلى يوم السبت الرابع منه بعد أن تغسل الثوب والبدن، واقرأ سورة الإخلاص كل يوم ألف مرَّة، وسورة يس مرة، وسورة الدخان»[3]. كما يجب أن يُعلم بأنَّ الجن إذا حضروا فإنَّ من يحضر يكون من الجن الفاسق أو المدلِّس، لأنَّ الجن المؤمن الصالح لا يكون عبدًا لأحد سوى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) البوني، أحمد بن علي، شمس المعارف الكبرى، بيروت، المكتبة الثقافية، بدون تاريخ.

(٢) المصدر السابق، ٣/ ٣٣٥.

(٣) البوني، أحمد بن علي، شمس المعارف الكبرى، ١/ ٤٥.

ويقسِّم هذا الرجل ساعات النهار إلى اثنتي عشرة ساعة ويجعل لكل ساعة مدبرًا من الكواكب، ونوعًا معينًا من العمل يصلح لها. والعجيب في هذا الرجل أنه لم يجعل ساعة من ساعات النهار تصلح للدعاء أو للصلاة أو للزكاة أو عقد النية للحج أو لإصلاح بين الناس أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يجعل كل ساعة من الساعات تصلح لعمل مادي صرف مُنْسِيًا الناس الآخرة وعمل الخير.

فإذا بساعات يوم الاثنين مثلاً، تقتصر على عقد الألسنة وجلب القلوب، والسفر والزواج والمحاكمات والأعمال الباطلة، والتسبُّب للناس بالأمراض والهلاك، ولعمل السِّحر والفرقة والبغضاء بين الناس وإهراق الدماء.

يقول البوني في ذلك: «يوم الاثنين: الساعة الأولى للقمر: تصلح للمحبَّة وعقد الألسنة وجلب القلوب. الساعة الثانية لزحل: تصلح للسفر وتنجح الحوائج كلها. الساعة الثالثة: تصلح للزواج وكتب الكتاب والمحاكمات والسقم والهلاك وما أشبه ذلك. والساعة الخامسَة للشمس: تصلح لقضاء الحوائج وعقد الألسنة وجذب القلوب. والساعة السادسة للزهرة: تصلح لعمل الطِّلَسْمات وغيرها. الساعة السابعة لعطارد: تصلح لقضاء الحوائج وعقد اللسان وجذب القلوب. الساعة الثامنة للقمر: تصلح للزواج والصلح بين المتباغضين. الساعة التاسعة لزحل: تصلح للفرقة والبغضاء وشبهها. الساعة العاشرة للمشتري: سعيدة جدًّا تصلح لكل شيء. الساعة الحادية عشرة للمريخ: اعمل فيها للعداوة والبغضاء وإهراق الدم. الساعة الثانية عشرة للشمس: تصلح لعقد الألسنة»[1].

وما يقال عن يوم الاثنين يقال عن بقية أيام الأسبوع.

نعود فنسأله من أين جاء بهذا التقسيم والتحديد الغريب العجيب؟ وأين بقية ساعات اليوم؟ ولِمَ تصلح؟

كما أنَّ هذا الرجل يتطاول على الملائكة الكرام، فإذا به يحدِّد لكل ملك يومًا معيَّنًا يدبر الأمر فيه! وسبب هذا التحديد كما يعتقد البوني هو طبيعة الأيام من حيث

---

(١) البوني، أحمد بن علي، شمس المعارف الكبرى، ١/ ٣٢.

الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة. يقول البوني في ذلك: «ولهؤلاء الأربعة ملوك أيام تختصّ بهم، فلجبريل عليه السلام يوم الاثنين لأنه بارد رطب، ولإسرافيل عليه السلام يوم الخميس وهو حار رطب، ولعزرائيل عليه السلام يوم السبت لأنه بارد رطب، وطبعه التراب والموت والفناء. ولميكائيل عليه السلام يوم الأربعاء وهو ممتزج من الطبائع الأربع»[1].

ولو سلَّمنا جدلاً أن كلام البوني صحيح، فهذا يقتضي أن لا ينزل جبريل الأمين على قلب محمد ﷺ بالقرآن والوحي إلاَّ يوم الاثنين، فهذا الملك الجليل حسب زعم البوني يدبِّر شؤون يوم الاثنين فقط، هذا مع العلم أنَّ نزول جبريل الأمين كما ثبت في الروايات لم يكن مقتصرًا على يوم الاثنين، لذلك صار ادِّعاء البوني كاذبًا، وما يقال عن جبريل الأمين يقال عن بقية الملائكة الكرام. كما أنه يجعل لكل ملك من الملائكة الأربعة رمزًا أو صورة تُدعى «وفق» يستخدم لجلب هذا الملك، جاهلاً أو متجاهلاً أنَّ هذه الملائكة لا تأتمر بأمر الإنسان ولا تتنزل إلاَّ بمشيئة الرحمن، يقول الله في ذلك: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم].

يقول البوني: «ولهم أربعة أوفاق تختص بهم، وهو: المسبَّع لجبريل عليه السلام، والمربَّع لإسرافيل عليه بالسلام، والمثلَّث لعزرائيل، والمثمَّن لميكائيل عليه السلام»[2].

ثانيًا ـ كتاب «تسخير الشياطين في وصال العاشقين»[3]:

لقد أغرق صاحب هذا الكتاب الأسواق العربية ومكتباتها بكتبه المملوءة بأمور السِّحر والشعوذة والكفر والدجل، والصد عن سبيل الله سبحانه وتعالى.

---

(١) البوني، أحمد بن علي، شمس المعارف الكبرى، ١/ ٣٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٥.

(٣) الطوخي، السيد عبد الفتاح، تسخير الشياطين في وصال العاشقين، بيروت، المكتبة الشعبية، بدون تاريخ.

والغريب في أمر هذا الرجل أنه يُصدِّر كل كتاب بمقدمة يقول فيها أنه يرجو رحمة الله والفوز والنجاح والفلاح!! ألم يتفكَّر هذا الرجل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿... وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾ [البقرة: ١٠٢].

يذكر عبد الفتاح الطوخي في مقدمة كتاب «تسخير الشياطين في وصال العاشقين»: «يقول من يرجو من الله له النجاح والفوز والفلاح، الطوخي الفلكي عبد الفتاح ابن السيِّد محمد عبده غفر الله له ولمن قبله ولمن بعده.. هذا سفر جليل القدر جمعته من علم الأوَّلين والآخرين وأسميته تسخير الشياطين في وصال العاشقين»[١].

وبعد أن يطلب الفوز والنجاح والفلاح من الله سبحانه وتعالى، يعود في نفس المؤلَّف تحت باب «جلب سفلي» فيعلم الناس كيف يستعينون بإبليس اللعين على تهييج قلب إنسان على محبة إنسان آخر، يقول الطوخي: «تكتب الأسماء الآتية على بيضة بنت يومها وتلف عليها أثر المطلوب وتضعها في المجمرة وتتلى عليها الأسماء الآتية **٣١٣** مرَّة... وتوكَّل يا إبليس يا أبا سعيبورة وهيج واجلب كذا بمحبة ومودة كذا...»[٢].

كما أنَّ في كتابه هذا مخالفات شرعية كثيرة لا عدَّ لها ولا حصر، منها: حضِّه الناس على الاستعانة بإبليس اللعين، ومخالفة شرعية أخرى أنه يحضّ الناس على كتابة آيات القرآن الكريم بمادة نجسة وهي الدم. يقول في كتابه في باب «إخفاء»: «يؤخذ وطواط ويذبح وتكتب بدمه في زجاجة وبخره بعود واغسله بماء ورد واجعله في قارورة إذا أردت أن تخفي نفسك فخذ من القارورة قدر ما شئت وامسح به وجهك وانظر في مرآة، فإنك لا ترى لك وجه وهذا ما تكتب: «ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين...».

كما أنه في كتاب آخر اسمه «السِّحر الأحمر» يدعو صراحة إلى عدم احترام آيات الله حين يطلب أن تكتب آيات الله حرزًا، ويعلق على الساق يقول ذلك تحت

---

(١) الطوخي، تسخير الشياطين في وصال العاشقين، ص ٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٤.

باب «للوجاهة»: «بسم الله الرحمن الرحيم. تكتب. . . مرَّة، تكتب في حرير وتعلَّق على ساقه الأيمن، فإن كل من رآه أحبه حبًّا شديدًا بإذن الله تعالى»[(١)].

كما أنه لعنه الله لا يكتفي بدعوة حمل القرآن على الساق وفيها ما فيها من إهانة لآيات القرآن الكريم وتلويثها بالأوساخ التي تصيب الساق بل تصل به الوقاحة لكتابة آيات الله على العضو التناسلي! ففي نفس الكتاب يقول تحت عنوان «فائدة لحبس المرأة لا تجامع غيرك»: «تكتب الطلسم الآتي بدم فرخة بيضاء على. . . وتجامع المرأة، فإنك ترى العجب من محبتها. . .»[(٢)]، وفي الطلسم حرف «ق» الذي تفتتح به سورة من أعظم سور القرآن الكريم.

كما أنه لعنه الله يعلم الخلق في كتبه أمورًا تضر ولا تنفع مثل: عقد الرجل حتى لا يقرب المرأة، وللفرقة والبغضاء وحرق الدور ولإمراض الناس وللنزف والطلاق والتلبيس. كما أنه يضرب عُرض الحائط باستخارة رسول الله ﷺ، ويقدم بدلاً عنها استخارة شيطانية تضر ولا تنفع، فتحت باب «استخارة» يقول: «اكتب هذا الطلسم على خرقة جديدة وضعها تحت رأسك عند النوم فإنك ترى ما تريده وهذا هو الطلسم. . .»[(٣)]. ولقد أحصيت لهذا الرجل الذي يزرع الفساد والكفر عن طريق نشر كتب السِّحر، اثنين وثلاثين مؤلفًا[(٤)].

ثالثًا ــ كتاب «نوستراداموس[(٥)] ــ Nostradamus»:

وهو عبارة عن كتاب يشرح نبوءات ميشال دو نوتردام، المعروف بنوستراداموس الذي كان مستشارًا وطبيبًا للملوك هنري الثاني، وفرانسوا الثاني،

---

(١) الطوخي، السِّحر الأحمر، بيروت، المكتبة الشعبية، بدون تاريخ، ص ٥٥.

(٢) المصدر السابق، ١/٦٦.

(٣) المصدر السابق، ١/٨٦.

(٤) أسماء الكتب مثبتة في كتاب البداية والنهاية، لنفس المؤلف، المكتبة الشعبية، ٢/ ٢٨٧ــ٢٨٨.

(٥) برون، فون دو، نبوءات نوستراداموس، ترجمة أسامة الحاج، بيروت، دار التوجيه اللبناني، بدون تاريخ.

وشارل التاسع: «يضم كتاب نوستراداموس التنبؤي: الرسالة إلى قيصر، ابنه، (٢) الرسالة إلى هنري الثاني ملك فرنسا (٣) المئويات وعددها ١٢، وكل واحدة منها تضم مائة رباعية من الأبيات من عشرة أجزاء إلى أحد عشر جزءًا ما عدا السابعة والحادية عشرة والثانية عشرة التي تنطوي على ٤٤ رباعية، فرباعيتين إحدى عشرة، (٤) النبوءات Présages وهو ديوان آخر مؤلف من ١٤١ رباعية تتميز بأن كلاً منها تحمل اسم شهر من أشهر السنة، (٥) السداسيات، وهو نشيد أخير»[1].

نقد هذه النبوءات:

النبوءات التي تحدَّث عنها هذا الرجل وأثَّرت في مجريات تاريخ أوروبا، وقد استخدمت لأغراض الحرب النفسية إبان الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء والمحور على حد سواء. وما هذا الاستخدام المزدوج إلاَّ لأن ما كتب في هذه النبوءات فضفاض ويصلح لأن يكون ثوبًا لأي حادث، إذ أن كل ما هو مكتوب في هذه الرباعيات عبارة عن رموز وإشارات غير محددة، ولا تحتوي أسماء معينة ولا تواريخ محددة فاصلة.

والذي أعطى هذه النبوءات أهمية هم أصحاب الخيال الواسع المجنح، الذين فسَّروا النبوءات بما وقع من أحداث اجتماعية وسياسية ودينية وعسكرية واقتصادية مضت. ونحن كمسلمين نقطع ببطلان هذه النبوءات إن أتت من نوستراداموس أو من غيره، خاصة إذا تعلقت النبوءات بأمور مستقبلية كمعرفة يوم القيامة أو سنوات الجدب وسنوات الخصب، وما سيرزقه كل إنسان من أولاد ذكور وإناث، وما سيكسب كل امرىء من مال وجاه، ومتى سيقضي أجله. يقول علاَّم الغيوب:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان].

كان الرسول محمد أعز مخلوقات الله ومع ذلك لم يكن يعلم الغيب، فكيف بنوستراداموس وأمثاله من مُدَّعي علم الغيب؟ يقول العليم الخبير عن محمد ﷺ:

---

(١) برون، فون دو، نبوءات نوستراداموس، ص ٤٦.

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾ [الأنعام].

ولقد حاول نوستراداموس بما أوتي من الذكاء والدهاء وسعة الأفق والثقافة التي كان يتمتع بها، تضمين رباعياته معاني واقعية تحمل في طياتها فهمًا عميقًا لتسلسل أحداث وتطور التاريخ الاجتماعي والعسكري والاقتصادي... إلخ، فهاكم هذه الرباعية:

«من نسل عبيد أغانٍ وأناشيد والتماسات الأمراء أسرى والسادة في السجون في المستقبل من جانب حمقى فاقدي الأدمغة سوف يتم قبولها كصلوات إلـٰهية»[1].

هذه الرباعية تتنبأ بوثوب العبيد إلى السلطة واغتصابهم للحقوق، ونشر الآراء الفاسدة التي سوف يترتب عليها إهراق الدماء والانحلال الخلقي، وتخلي الناس عن دينهم.

إن هذه النبوءة فضفاضة وتنطبق على ما حصل أيام الثورة الفرنسية، كما تنطبق على كل عصر، وعل كل زمان، وعلى كل أمة من الأمم. فتاريخ الممالك والأمم عبر العصور يزخر بمثل هذه الوقائع، فأي جديد جاء به هذا الدجال؟ وما قيمة هذه النبوءة؟ ففي تاريخ معظم الدول تطالعنا أسماء من يغتصب الملك وينشر آراء ومبادىء مخالفة لسلفه، وفي كل تغيير مصاحب بسلب الحقوق، تزهق الأرواح وتهدر الدماء وتسود مبادىء جديدة تطغى على المبادىء القديمة التي يعتقد أصحابها أن حقهم مقدس وإلـٰهي.

كما أن هذا الرجل كان على دراية بأحوال السياسة والحرب وأحوال الأمم لاتصاله المباشر بالبلاط الملكي الفرنسي، فاستنتج بأن الحروب والخلافات الداخلية سوف تغري المسلمين بشن حرب على فرنسا، وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى ذكاء ولا إلى نبوءة. يقول نوستراداموس في هذا المعنى: «عبر الخلاف بين الغاليين

---

(١) برون، فون دو، نبوءات نوسترادامووس، ص ٧٨.

وإهمالهم سوف تفتح الطريق أمام محمد، سيبلل الدم أرض السين[1] وبحرها وتغطي الأشرعة والسفن مرفأ فوسن»[2].

ومن نبوءاته أيضًا هذه النبوءة الساذجة التي تنطبق على كل سلالة ملكية في العالم يطمع فيها أحد الأفراد بالوصول إلى الملك، يقول نوستراداموس:

«شقيقان ملكيان سوف يتحاربان بعنف بحيث إن الحرب بينهما ستكون شعواء وكل منهما سيحتل مواقع حصينة وتدوم معركتهما طيلة حكمهما وحياتهما»[3].

فهذه النبوءة العامة لماذا يراد منها أن تكون مفسرة لما حصل بين هنري الثالث وهنري دوغيز؟ أليس في هذا التفسير تحميلاً للمعنى أكثر مما يحتمل؟ وكل النبوءات التي كتبها هذا الدجال الخبير بأمور الممالك والأمم وأدوار حياتها من هذا النوع السخيف الذي لا يستحق أن يقف عنده المرء طويلاً ويضيِّع وقته الثمين.

رابعًا ــ كتاب «مطول الإنسان روح لا جسد»[4]:

إنه ليس كتاب سحر، لكنه أخطر من كتب السِّحر والشعوذة، إذ أنه يدافع عن السِّحر والسَّحرة والمشعوذين وعن المنافقين والدجَّالين، بأسلوب ظاهره العلم والتجرد والبحث عن الحقيقة لإثبات وجود الروح، وباطنه دعوة إلى التخلي عن القيم الدينية والروحية، والترويج لدين عالمي جديد يقوم على أنقاض الديانات السماوية وخاصة الديانة الإسلامية.

يطالعنا مؤلف الكتاب الدكتور عبد الرؤوف عبيد الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة عين شمس في الجزء الأول بقصائد مطولة لأمير الشعراء أحمد شوقي بعث بها من العالم الآخر أي من عالم الأموات ــ على حد زعمه ــ، وهذه القصائد تتناول

---

(١) السين قرب طولون.

(٢) برون فون دو، نبوءات نوسترادادموس، ص ٧٩ ــ ٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١١٨.

(٤) عبيد، رؤوف، مطول الإنسان روح لا جسد.

مناسبات اجتماعية قلَّما اهتم بها الأحياء، فإذا بأمير الشعراء يقوم بتعويض النقص الحاصل منهم وهو في عالم البرزخ. كذلك هناك في هذا الكتاب عدد من القصائد المخصصة لأغراض أخرى منها واحدة يستقبل فيها شوقي روح الدكتور إبراهيم ناجي، وأخرى يرد فيها على المشككين بعالم الروح ويرثي في واحدة أخرى أحمد فهمي أبـي الخير، وقصيدة نقد يرد فيها على أديب معروف وقصيدة نعم شوقي ليس جبانًا. . . إلخ.

نقول لرؤوف عبيد: إما أنك تجهل أن الإنسان إذا مات انقطع عمله في الدنيا مصداقًا لحديث رسول الله ﷺ والذي يقول فيه: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

ونحن نربأ بك عن أن تجهل هذا الحديث النبوي، فالحديث واضح بين بأن عمل ابن آدم ينقطع بموته، فكيف أجزت لأحد شوقي دوام السعي والعمل بعد الموت؟ وجعلته لا يدع مناسبة عائلية أو اجتماعية أو وطنية إلاَّ نظم فيها قصيدة، ولعلمك أن القصائد التي بهرت بها والتي أيدت صحتها من قبل أمثال الأستاذ محمد عزيز أباظة والدكتور أحمد الشايب والأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور أحمد الحوفي والأستاذ عادل الغضبان والدكتور بدوي أحمد طبانة والأستاذ علي الجندي هي قصائد تملى على الوسيط من قبل قرين شوقي، أو من أي جني شاعر يتلبس بالوسيطة فينطق على لسانها.

وإذا أردت معلومات أكثر فعد إلى الفصل الذي يتحدث عن تحضير الأرواح في هذا المؤلف لتعلم بأن روح الميت لا يمكن أبدًا أن تستدعى من عالم البرزخ، إذ أن كل نفس لها ما يشغلها عن عالمنا.

وأما حديثه عن تجسد الروح وعن الصور التي التقطت، فهذا أمر نجل الأستاذ الكريم أن ينخدع به، إذ أن ما يظهره الوسيط من أشباح وخيالات وسيالات روحية

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

تدعى الإكتوبلازم «Ectoplasm»، ما هي إلاّ مواد كيماوية يلجأ إليها الوسيط المحتال أو من يقف وراءه، وهذه المواد تباع في محلات مخصصة في أوروبا وأمريكا، وأما حديثه عن العلاج الروحي وما بلغه من شأو كبير، فنعيده أيضًا إلى الفصل الذي تحدثنا فيه عن حيل الأطباء الروحانيين ولا حاجة لنا أن نكرر هنا ما قلناه سابقًا.

وفي حديثه عن الظواهر الفيزيقية كتحريك الأجسام الصلبة أو الكتابة المباشرة، أو الأصوات المباشرة أو المجلوبات والمأخوذات الروحية، يحاول أن يظهر أن كل هذه الأمور تحدث بتأثير الروح أو بقوة الوسيط، متجاهلاً إمكانية فعل هذه الأمور من قبل الجن أو عن طريق حيل يلجأ إليها الوسيط أو المنوم المغناطيسي.

إن في إثبات الفعل لأرواح الأموات ونفي هذه الأفعال عن عالم الجن أو الإنس عن طريق الخداع، لهو أمر يدعو للشك والريبة في مقاصد هذا الرجل وأمثاله، فالقرآن الكريم أثبت أن للجن قدرة فعل هذه الأشياء، كما أثبت أن للأحياء القدرة على ذلك أيضًا، لكنه لم يثبت أن لأرواح الأموات هذه القدرة، وورد في القرآن الكريم: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل].

أليس في تمجيد أرواح الأموات والاعتقاد بقدراتها على مساعدتنا ونفعنا وضرِّنا وتوجيهنا وتدخلها في شؤوننا، والعودة إلى الدنيا والقيام بالواجبات الاجتماعية والدينية والسياسية، دعوة إلى دين جديد قديم؟ كدين الفراعنة وأمثالهم من الأمم البائدة. وللمزيد من معرفة ما في هذا الكتاب وأمثاله من خطورة على العقيدة وعلى المجتمع يجب العودة إلى كتاب «الروحية الحديثة دعوة هدامة» للدكتور محمد محمد حسين.

خامسًا ــ كتاب «معجزات الدكتور داهش ووحدة الأديان»[1]:

لداهش عشرات الكتب تحتكر نشرها دار النسر المحلق في بيروت، كما أن لأتباعه كتبًا أكثر، جل همها تمجيد هذا الرجل، عنيت به داهش، ونشر وبث الدعاية لآرائه في المجتمع اللبناني والعربي، وهذه الآراء تظهر حقيقة ونوايا هذا الرجل الذي شغل المشرق العربي ردحًا من الدهر، وكانت أعماله «وخوارقه» مدار أحاديث لوقت قريب.

سأحاول أن أنقد محاضرة ألقاها غازي براكس أحد أشد المؤمنين وأنشطهم في الدعاية لداهش، وذلك في الجامعة الأميركية ببيروت بتاريخ ١٢ أيار ١٩٧١، وفي الجامعة اللبنانية كلية الحقوق، بيروت، بتاريخ ٢١ أيار ١٩٧١ بعنوان: «معجزات الدكتور داهش ووحدة الأديان».

أوّلاً ــ إن غازي براكس يثبت لداهش المعجزة، ونحن نعلم يقينًا أن المعجزة لا تكون إلاّ لنبي، ومعجزات الأنبياء عليهم السلام انقضى زمانها وأوانها، فمن أين لداهش بالمعجزة؟ وداهش لم يكن نبيًا، فكيف له أن يأتي بمعجزة؟

يقول غازي براكس: «إن ما يتم من ظاهرات غريبة على يد الدكتور داهش هو خوارق ومعجزات حقيقية، لا يمكن أن تصنف بين ألعاب الخفة أو الإيهام أو السِّحر أو الفقر الهندي أو مناجاة الأرواح أو التنويم المغناطيسي، وليس الدكتور داهش هو الذي يصنع تلك الخوارق بمشيئته، لأن إرادته كإرادة أي إنسان خاضعة لقوانين الأرض التي فيها ولد. إنما يصنع تلك المعجزات قوة روحية غير أرضية، لا تخضع لقوانين عالمنا لأنها خارجة عنها، متفوقة عليها، وهذه القوة اتخذته وسيطًا روحيًا وإناء مختارًا»[2].

كما يثبت بأن الذي يوحي إليه ويتنزّل عليه هو من الملائكة، وذلك حين قال

---

(١) براكس، غازي، معجزات الدكتور داهش ووحدة الأديان.

(٢) براكس، غازي، معجزات الدكتور داهش ووحدة الأديان، ص ١١ ــ ١٢.

في الفقرة السابقة: «إنما يصنع تلك المعجزات قوة روحية غير أرضية، لا تخضع لقوانين عالمنا لأنها خارجة عنه». ونحن نعلم بأن الملائكة لا تتنزل إلاَّ بأمر الله، فكيف تتنزل على هذا الرجل الذي ليس بنبي وليس بوَلي؟

كما يظهر خطر هذه الدعوة جليًّا وواضحًا حين تكشف عن وجهها ومرماها الحقيقي، فتعلن بأن داهشًا صار منقذًا ومصلحًا للوضع المأساوي الذي تتخبط فيه الإنسانية. يقول غازي براكس: «إن الذي استدعى تجلِّي الروح وظهور الخوارق في هذا القرن هو وضع العالم البائس المأساوي وحاجته إلى منقذ، فالغاية إصلاحية روحية صرف»[1].

نقول لغازي براكس: إن في قولك هذا إيحاء بأن الديانات السماوية قد عجزت عن تأمين السعادة والطمأنينة للبشرية لذا فعليهم أن يكفروا بها ويعتنقوا الديانة الداهشية من أجل خلاصهم!!. كما أن غازي براكس يجانب الحقيقة حين يقول بأن الأطباء والمحامين والصحافيين وأساتذة الجامعة من أتباع داهش قد أكدوا أنها معجزات وليست أوهامًا، نقول له: إنه لم يكن من بين من شاهد أعمال داهش «وخوارقه» أي إنسان ممن زاول أعمال الخفة أو التنويم المغناطيسي، أو علماء النفس أو خبراء في علم الباراسيكولوجيا، أو رجال دين يعتد ويحتج بآرائهم ويوثق بكلامهم، ورجل الدين الوحيد الذي رأى داهشًا ورأى أعماله، وكلامه مثبت في كتاب، هو العلامة الشيخ عبد الله العلايلي الذي يقول في كتاب «كيف عرفت الدكتور داهش»: «بودي أن يكون لهذين تأمل غُرابيك... وأشار إليهما... وكان بصري قد انجذب إلى شيء لم أعد أدري ما هو... وهب من زعم أنهما تحركا حركة الحياة وأنهما نطقا، وكان أقرب الحضور من الغرابين، وكان في مظهره ما يدل على أنه رأى... أما أنا فلم أر وكان حظي غير سعيد. وتولاني دهش طفق يراودني عنه يوسف الحاج ويريني جانب اليُسر فيه، فمثله كحادث وقع هنا كثيرًا، وقصَّ علي قصَّة

(١) براكس، غازي، معجزات الدكتور داهش ووحدة الأديان، ص ١٢.

«صورة العصافير» وكانت معلقة وكيف هبت بحياة وزقزقة من مكانها في الظل المطبوع»[1].

هذا الرجل العلاَّمة رجل الدين العاقل الثاقب النظر الراجح العقل ما أثرت به أوهام داهش، فلم ير الغُرابين المحنَّطين يتحركان أو ينطقان كما رآهما أتباع داهش، لا شك إنه بفعل الإيحاء أثر داهش على أتباعه مع أنهم من أهل الخبرة والاختصاص كما وصفهم غازي براكس، ولم يؤثر على العلاَّمة الجليل.

يقول غازي براكس عن إمكانات داهش: «فمن أصناف المعجزات التي تمت وما تزال تتم على يدي الدكتور داهش، بقوة الروح العلي: شفاء الأمراض المستعصية شفاءً فوريًا، والإنقاذ من الموت أو من أضرار الخوادث الجسيمة، وتصوير وقائع الحياة وتسجيل أحاديث الناس الحرفية مهما كانت خفية، وأينما كانوا، بصورة عجائبية، والتنبؤ بتفاصيل الأحداث المقبلة مهما تعقدت وتعددت وتنوعت، ومعرفة الفكر والحلم وما يكتمه الإنسان والتكلم بأية لغة كانت، وإيحاء الجماد وميت الحيوان وتجسيم الصور، وتكوين الأشياء قبل وجودها المحسوس وإعادتها إلى الوجود بعد فنائها، وإنماء النباتات، وإنضاج فج الثمار بلمح البصر، وتغيير طبائع الأشياء ووظائفها، وتكبيرها وتصغيرها، وإطالتها وتقصيرها، وتغيير أشكالها وألوانها، وتحويل المعادن العادية إلى معادن كريمة، والأوراق العادية إلى عملة فعلية، وتحويل أوراق اليانصيب الخاسرة إلى رابحة لشتى القيم، ومعرفة الضائع واستحضاره بلمح العين، ونقل الأشياء المادية من مكان إلى آخر بطرفة جفن، وإن وزنت الأطنان وبعدت ألوف الكيلومترات وإن أعظم معجزاته، برأيي هو تعدد شخصياته وقدراتها الروحية الخارقة، هذا بعض من أصناف العجائب التي تجري على يدي رجل لبنان»[2].

---

(١) العلايلي، عبد الله، كيف عرفت الدكتور داهش، بيروت، دار النسر المحلق ١٩٧٩، ص ٣٠ ــ ٣١.

(٢) براكس، غازي، معجزات الدكتور داهش ووحدة الأديان، ص ١٦ ــ ١٧.

ونرد على غازي براكس، المندهش بداهش بما يلي:

أوَّلاً ــ الشفاء الفوري: إن وقع بتأثير داهش فهو إيحاء بالشفاء ولا يمكن أن يبرىء إلاَّ أصحاب الأمراض النفسية، هذا إن تمكن من شفائهم. أما أصحاب الأمراض العضوية فلا، ولا دليل عنده على شفائهم إذ أن الأمراض العضوية خاصة إذا أردنا لها الشفاء فإنها تحتاج إلى أشياء مادية لشفائها كالعمليات الجراحية أو الأدوية والعقاقير، وفي حالات نادرة جدًا يتم فيها الشفاء بمدد إلـٰهي، لكن هذا يستوجب وجود كرامة، والكرامة تستوجب وجود ولاية، وهذا الرجل أبعد الناس عن الكرامة والولاية.

ثانيًا ــ الإنقاذ من الموت: نقول لا أحد يستطيع أن ينقذ أحدًا من الموت إن جاء أجله يقول الحي القيوم: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف].

ثالثًا ــ عن تصوير وقائع الحياة وتسجيل أحاديث الناس، نقول إنه محض أكذوبة تفضحها الحادثة التي تعرض فيها الدكتور داهش للاحتيال من قبل عبد الرحيم الشريف الخليلي بتاريخ ٢٤ حزيران عام ١٩٣٥، وما علم بأن الخليلي قد احتال عليه إلاَّ بعد مرور خمسة أشهر تقريبًا، أي بالضبط بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٣٥، ومن أراد زيادة في التفاصيل عليه العودة إلى كتاب الشيخ العلاَّمة عبد الله العلايلي[1].

رابعًا ــ التنبؤ بالأحداث المقبلة: هذا رجم بالغيب، وأمره مبتوت ببطلانه دينيًا وعقليًا فلا حاجة إلى الخوض فيه.

خامسًا ــ معرفة قراءة الفكر أمر معقول وممكن: ويحدث إما نتيجة لرياضة معينة كالصوم أو الامتناع عن تناول أنواع معينة من الأطعمة، أو تعذيب النفس، وإما نتيجة لكرامة أو شفافية الروح، أو نتيجة لاستخدام الجن، أو نتيجة للفراسة. فإن

---

(١) العلايلي، عبد الله، كيف عرفت الدكتور داهش، ص ٦٨ ــ ٦٩.

كان داهش يملك هذه القدرة فلا شك أنه امتلكها بفعل ممارسة للرياضة أو استعانته بالجن ليس إلاَّ.

سادسًا ـ التكلم بعدة لغات ليس أعجوبة أو معجزة، فالكثير من المترجمين والسفراء يتكلَّمون ويتقنون العشرات من اللغات، وما قال أحد إن في ذلك إعجازًا.

سابعًا ـ عن إحياء الجماد وميت الحيوان، نقول: إن قدرة الإحياء هي لله وحده، فهو المحيي والمميت، وقد يظهرها الله على يد نبي إظهارًا لنبوته، كما فعل مع سيدنا موسى عليه السلام حين أحيا القتيل بضربه ببعض أجزاء من البقرة، وكما فعل مع سيدنا عيسى المسيح عليه السلام الذي أيده بمعجزة إحياء الأموات، فما بال داهش يدَّعي إحياء الأموات؟ ما هو بنبي ولا رسول!!

ثامنًا ـ بالنسبة لتجسيم الصور: تمكن داهش من تجسيم الصور بطريقة الإيحاء والتأثير النفسي، وهذا ما اعترف به لفضيلة الشيخ عبد الله العلايلي[1].

تاسعًا ـ عن تكوين الأشياء قبل وجودها المحسوس: ليسمح لنا أتباع داهش بأن نقول لهم بأن هذه الخاصية فوق مقدرة البشر وفوق مقدرة المخلوقات جميعها، إنها خاصية لربِّ العالمين وحده، إذ تشمل عملية خلق، والله وحده يخلق من العدم. يقول الخلاَّق العظيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر].

عاشرًا ـ إعادة الأشياء إلى الوجود بعد فنائها، من اختصاص الله سبحانه وتعالى، وليس بمقدور البشر أن يفعلوه وداهش من البشر، إذن هو مدَّعٍ غير صادق، فالله سبحانه يقول: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس].

---

(١) لقد أخبرني العلاَّمة الشيخ عبد الله العلايلي في مقابلة معه بحضور الصحافي اللبناني المعروف خليل برهومي، أن داهش قد اعترف له بأن الكثير من أفعاله إنما يحدثها بواسطة الإيحاء النفسي الجماعي.

حادي عشر ــ إنماء النبات وإنضاج الثمار بلمح البصر أمر غير ممكن: وإنما ما يراه أتباع داهش يكون بقوة الإيحاء التي يفرضها هذا الرجل على أتباعه ومريديه. لكن يمكن للنبات أن ينمو بسرعة مذهلة وذلك إذا وضع له تراب حصل عليه من قرية من قرى النمل، وذلك لأن النمل تفرز بعض المواد الكيماوية التي تساعد على النماء السريع للنبات. كما يمكن استخدام بعض المواد الكيماوية لإنضاج الثمار. لكن لا أحد سوى الله له القدرة على أن يقول للشيء كن فيكون، يقول الله العلي القدير: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

ثاني عشر ــ تغيير طبائع الأشياء ووظائفها، وتكبيرها وتصغيرها، وإطالتها وتقصيرها، وتغيير أشكالها وألوانها: أمور يفعلها داهش بواسطة الإيحاء والتأثير النفسي. ويذكرنا هذا الأمر بما يشعر به الإنسان عندما يكون مخمورًا أو مخدرًا جزئيًا، فما الذي يمنع من أن يكون داهش قد استخدم بعض الأدوية والعقاقير التي تؤثر على الإدراك فتظهر لعين المشاهد هذه التهيؤات، خاصة إذا علمنا أن داهشًا قد ربي في أحضان رجل ألماني في مدينة القدس، وهذا الرجل كان خبيرًا بالمواد الكيماوية[1].

ثالث عشر ــ تحويل المعادن العادية إلى معادن كريمة، وتحويل أوراق «اليانصيب» الخاسرة إلى أوراق رابحة: أمور لا يقدر عليها داهش، ولو كان الأمر بخلاف ذلك كما يقول ويدعي غازي براكس لكان داهش من أغنى أغنياء العالم، ولما احترق قلبه على العشرين ألف جنيه فلسطيني التي احتال بها عليه عبد الرحيم الشريف الخليلي، فعاهد نفسه على أن يشهِّر بهذا الرجل في كل كتاب يصدره هو أو أحد أتباعه.

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من العلاَّمة الشيخ عبد الله العلايلي الذي كان صديقًا شخصيًا لداهش.

رابع عشر ــ عن معرفة الضائع واستحضاره بلمح البصر ونقل الأشياء المادية من مكان إلى آخر بطرفة عين: نقول لغازي براكس ولأتباع داهش الحالمين: إذا كان سيدكم له القدرة على معرفة الضائع واستحضاره بلمح البصر، ونقل الأشياء المادية، فلماذا لجأ للأجهزة القضائية وطالبها باستعادة حقه الذي سلبه إياه عبد الرحيم الشريف الخليلي ولم يستعده بقوته الذاتية؟!

خامس عشر ــ وأما قوله بتعدد شخصيات داهش: فهذا أمر لم يثبت بالدليل المحسوس، ومن قبل أشخاص محايدين وأصحاب عقل راجح، وإنما كان يدعيه داهش ويصدقه أتباعه ومريدوه، وأكبر دليل على بطلان هذه المقولة هو أن داهشًا كان يعتمد على أشخاص لقضاء حوائجه الشخصية، فمثلاً كان عبد الرحيم الشريف الخليلي وكيلاً له لدى البنك العربي في القدس: وهذا هو نص التحرير الذي أرسله داهش لمدير البنك يلغي فيه وكالة الخليلي:

«حضرة مدير البنك العربي بالقدس المحترم:

عرفت بأن وكيلي عبد الرحيم الشريف الخليلي قد سحب من مبلغي المودع بتصرفكم مبلغ ٢٠ ألف جنيه فلسطيني. وهذا المبلغ قد اختلسه واغتاله لأنني لم أكلفه بسحب أي مبلغ. لهذا وبما أنني سأرفع عليه قضية جزائية ليأخذ الحق مجراه، أرجوكم أن تأخذوا علمًا بأنني ألغيت وكالته راجيًا منكم أن لا تعتمدوه بعد اليوم كوكيل عني. واقبلوا فائق تحياتي.

القدس ٢٢/ ١١/ ١٩٣٥م

الدكتور داهش»[(١)]

فلِمَ لم يرسل إحدى شخصياته للقيام بإبلاغ مدير البنك العربي بدل إرسال هذه الرسالة، خاصة وأن الأمر بهذه الأهمية؟

* * *

(١) العلايلي، عبد الله، كيف عرفت الدكتور داهش، ص ٦٩.

كشف بعض حيل الدجّالين

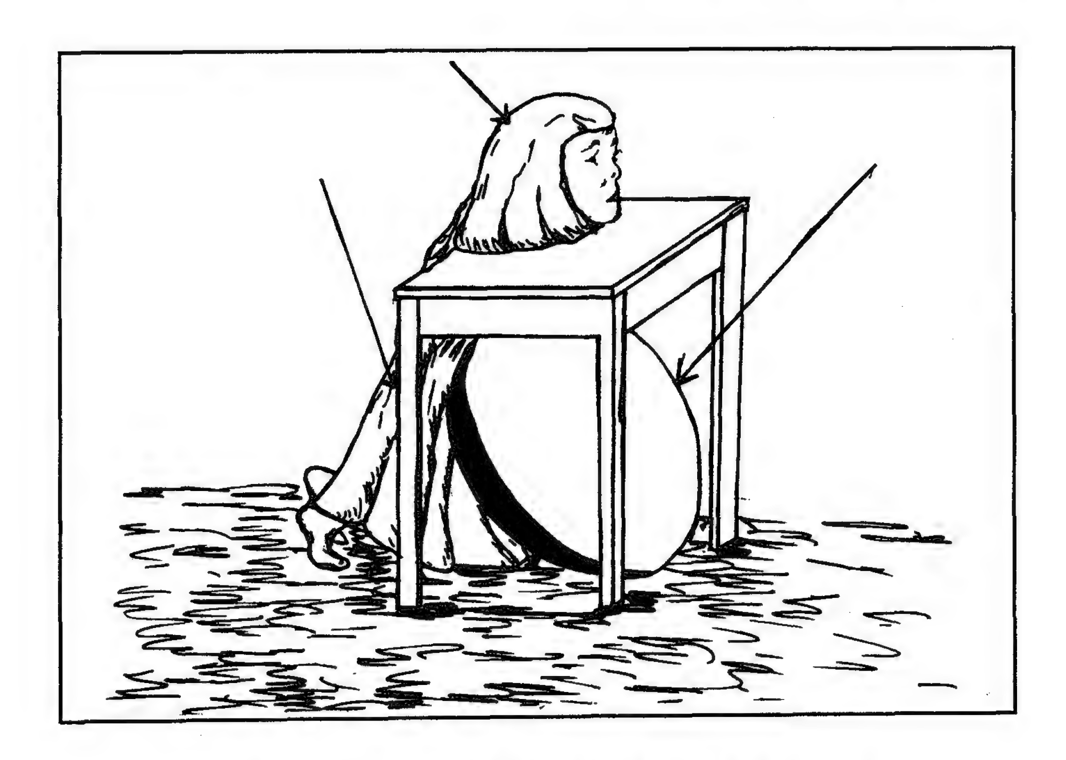
في الكشف عن حيل بعض السَّحرة والدجّالين، سأحاول أن أشرح بإذن الله أهم الأعمال التي تحيِّر عقول بعض الناس، ويقفون أمامها حائرين مندهشين، لا يفقهون لها تفسيرًا ولا تعليلاً، مع أنهم يعلمون بأن ما يشاهدونه خدعة!

أوّلاً ـــ الرأس المتكلِّم:

يقف صاحب الخفة في مواجهة الجمهور، ويقدم نفسه مدَّعيًا أنه يستطيع بواسطة علاقته مع الأرواح مخاطبة رأس إنسان مقطوع وموضوع على طاولة أو كرسي من الخشب أو فوق وعاء فارغ أو أي شيء آخر. كل هذا على مرأى من الناس الذين يبعدون عن المشهد أكثر من خطوات معدودة، وبطريقة بهلوانية يتراجع إلى الوراء في الوقت الذي يفتح فيه الستار، ويظهر للعيان رأس موضوع على طاولة ذات ثلاث أرجل، فيحدق به بكل احترام وإجلال ويأمره أن يستدير إلى اليمين وإلى الشمال، وبعد لحظات يرى الجمهور أن الرأس يتحرك ويجيب أيضًا على أسئلة صاحب الخفة أو أي شخص من الجمهور، وإذا أبدى أحد الجمهور شكًّا سمح له صاحب الخفة بالصعود إلى المسرح ولمس الرأس للتأكد من أنه رأس حقيقي. وبعد عدة أسئلة وأجوبة يقول صاحب الخفة إن الرأس قد تعب ويود العودة إلى عالم الأرواح، فيسدل الستار والكل حيران في تفسير ما رأى وتعليل ما سمع.

الشرح: إن هذا العرض هو في غاية البساطة، ويمكن لأي شخص القيام به إذا

أحسن تحضير المكان والمتطلبات اللازمة له. كل ما في الأمر هو انعكاس يحصل بواسطة مرآة مجوفة موضوعة بين قوائم الطاولة بحيث إن المشاهد إذا نظر إليها لكشف السر، لا يستطيع أن يرى سوى الستار الذي يحيط بالغرفة أو بمكان العرض المعتم قليلاً، والمرآة الموضوعة عمدًا بشكل خفي ومائل إلى أعلى بين قوائم الطاولة لا تسمح للجمهور بملاحظة الجسم المخبأ خلفها، بل تعكس منظر الستار مما يجعل المشاهد يظن أن الرأس يرتكز على الطاولة دون جسم، وليعلم القارىء أن شخصًا على اتفاق مسبق مع صاحب الخفة يكون جالسًا وراء المرآة على كرسي صغير، دون أن يدري به أحد واضعًا رأسه على الطاولة التي تسمح من خلال فتحة في وسطها من ظهور الرأس الذي يبدو وكأنه دون جسم(١).



صور توضيحية تظهر طريقة خدعة الرأس المقطوع. [رسم الباحث]

---

(١) انظر: خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦.

ثانيًا ــ رفع جسم في الهواء:

وتُعرف هذه بطريقة «ماسكلان»، يبدأ الممارس بتنويم امرأة، ساردًا قصة من ابتكاره، تشويقًا لجمهور المتفرِّجين. ثم تقرع الطبول وتعزف الموسيقى أو يسود الصمت، بعدها يأمر المنوم المرأة بالارتفاع عن الأرض رويدًا رويدًا، حتى علو مسافة تقارب المتر تقريبًا، ساعتئذ يدخل المنوم إطارًا حول جسم الفتاة كي يتأكد المشاهد بأن ليس هنالك أي سند يتكىء عليه جسم الفتاة، وربما يستطيع في النهاية، جعل الجسم النائم يتأرجح في الهواء.

الشرح: تكون الفتاة على اتفاق مسبق مع صاحب الخفة وفي ثياب خاصة، بحيث أنه إذا ارتمت على الأرض، تحول دون رؤية القالب الخاص الممدد خصيصًا لهذه العملية، ويكون هذا اللوح ملتحمًا بحديد يمتد إلى خلف الستار وينتهي بآلة صالحة لرفعه تشبه محرك السيارة. فعندما يأمر المنوم المرأة بالارتفاع عن الأرض، يحرك مساعده الآلة التي يجلس بقربها ببطء، فتبتدىء عملية الارتفاع. أما عندما يتأرجح جسم الفتاة في الهواء، فهذا يتم بفعل تحريك آلة أخرى، تختلف عن سابقتها بتعقيد تركيبها، وتجعل اللوح الخشبي المتصل بها بواسطة قضيب حديد يقترب أو يبتعد عنها. كل هذا مصنوع بحيث إن الزاوية التي ينظر منها المشاهد، لا تمكنه من رؤية ذلك الحديد ولا اللوح الخشبي حيث ترقد عليه المرأة وتغطيه بثيابها كليًا»[١].

ثالثًا ــ نشر صندوق بداخله امرأة:

هذه إحدى الحيل المدهشة التي تعرض على المسرح، فإن الجمهور يرى أمامه صندوقًا خشبيًا مستطيلاً تدخل فيه امرأة بحيث تظهر رأسها من طرف ورجليها من الطرف الآخر، ثم يأخذ الرجل في نشر الصندوق إلى نصفين، بمنشار كبير والسيدة في هذه الأثناء تبتسم وكأن شيئًا لم يحصل.

---

(١) انظر: خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ٤١٣ ــ ٤١٤.

الشرح: سر هذه اللعبة أن يكون في الصندوق امرأة أخرى قبل الشروع في العمل، ولكنها جامعة أطرافها حولها فلا تشغل إلاَّ نصف الصندوق، فلما تدخل زميلتها تضم أعضاءها أيضًا بحيث تشغل نصف الصندوق الآخر وتكتفي الأخرى بإخراج رجليها، بحيث يظهر رأس واحدة، ورجلا الأخرى فإذا قطع الصندوق لم يصبها ضرر[1].

رابعًا ـ ثني الملاعق والمعادن بواسطة تركيز النظر والفكر:

من أشهر من زاول هذه العملية «أوري جيلر».

يقول روجه خوري شارحًا طريقة ثني المعادن: «هيا الآن نعود إلى مسألة كيفية طي المعادن وطعجها من الناحية الكيمائية، لنعد إلى ما تقوله حول هذا الموضوع مجلة «Science Et Vie».

فقد عهدت هذه المجلة إلى مختبر خاص في الولايات المتحدة «US Naval Ordnance Laboratory Marylan» لصنع قطعة معدنية من النيتنول «Nitinol» المؤلف من ٥٠٪ من مادة النيكل «Nickel» و ٤٠٪ من التيتان «Titane».

إن هذه القطعة المعدنية، لها هيئة منحرفة أصلاً، غير أنها إذا وضعت تحت معدل الصفر، تصبح لينة الاستعمال والطي، حسب إرادتنا. وعندما تصبح الحرارة ٢٠ درجة مئوية «20C°»، أي في حرارة اعتيادية، تتخذ شكلاً عموديًا كالقلم، وعندما تتخطى الحرارة درجة ٢٧، وذلك بفضل لمسها يدويًا مرارًا عديدة تعود إلى شكلها الأصلي الملتوي»[2].

---

(١) انظر: كتاب كشف الألعاب السحرية وحيل الدجالين، لفئة من المتخصِّصين، بيروت/ دمشق، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ط ١، ص ٩.

(٢) خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ١٦٦.



مارك شيلي (٧ سنوات) يدَّعي القدرة على ثني المعادن عن بعد!
يا ترى من هو الشيطان الذي يقف وراءه؟ [كتاب الحاسة السادسة]

خامسًا ــ الحبل الهندي العجيب:

يخبرنا السائحون بأنهم حضروا عرض الفقير الهندي الذي يلقي بحبله في الهواء ويصعد عليه رجل قصير القامة ليختفي عن الأنظار.

الشرح: الدخان المتصاعد من النار، والناتج عن رمي المسحوق الأبيض، هو ضروري كي لا يرى الجمهور ما يحصل على المسرح.

فبينما يدور الهندي بطرف الحبل المشتعل ليطفئه بفمه وبهذه الطريقة يلفت نظر المتفرجين إليه، يكون مساعده الجالس على سطح المسرح قد رمى بحبل رفيع إلى الأرض، لا يراه أحد لتكاثف الدخان الأبيض.

وهذا الحبل الرفيع والقوي، يقع خلف دائرة النار حيث يوجد أحد الهنود الذي يربطه بالطرف الملقى سابقًا على الأرض. وعندما يلقي الفقير في الهواء طرف هذا الحبل الغليظ غير المشتعل ــ أي المربوط بالخيط الرفيع ــ يجذب المساعد الموجود على سطح المسرح الحبل الرفيع في الوقت نفسه. وهكذا يبدو الحبل عند رميه وكأنه منتصب في الهواء بأمر من الفقير، ثم يتسلقه هذا الأخير، كي يرتفع بواسطة المساعد

الذي يسحب الخيط وبالتالي الحبل فيختفي الفقير الهندي عن الأنظار[١].

سادسًا ــ قراءة كتاب بواسطة التركيز الفكري:

يتقدَّم صاحب الخفة من الجمهور وبيده كتاب، فيطلب من أحدهم أن يدخل دبوسًا في صفحات الكتاب المغلق حتى الرأس ـ أي إن إدخال الدبوس يتم حسب إرادة المتفرج، وذلك دون أن يفتح الكتاب، وبعد هذا يسير صاحب الخفة برفقة المتطوع ويعطي الكتاب لرجل آخر، ليفتحه على الصفحة التي تحتوي الدبوس، ثم يتراجع بضع خطوات ويضع رأسه بين يديه طالبًا من المشاهد الآخر أن يحدق بالصفحة وبالصور الموجودة فيها وأن يقرأ بينه وبين نفسه السطور، بينما هو في الوقت نفسه يحاول بكل عناية ودقة، معرفة رقم الصفحة ووصف صورها، ثم قراءة بعض الأسطر وتعداد المقاطع فيها.

الشرح: كان صاحب الخفة قد انصرف قبل العرض إلى قراءة الصفحة وإلى دس الدبوس فيها وإلى حفظ بعض أسطرها ورقمها ومحتويات الصور... إلخ، وبعد كل ذلك قدَّم الكتاب إلى المتطوع الأول طالبًا إليه أن يضع الدبوس في الصفحة التي يريد، دون أن يسمح له بلمس الكتاب بيديه، خوفًا من أن يرى الدبوس الآخر، ثم يتقدم إلى المتطوع الثاني، حاملاً الكتاب بين يديه بشكل طبيعي ودون أن يثير اهتمام الناس به، معلنًا باعتزاز أن باستطاعته، إذا حصر فكره أن يقرأ كل أسطر الصفحة المنتقاة. وهنا تنطلي الحيلة على الجمهور، إذ يلهيه بهذه العبارات ويدعه بعيدًا عن كنه اللعبة، عندئذٍ يحاول بواسطة أصابع يده أن ينتزع الدبوس الذي وضعه المراقب الأول، تاركًا الدبوس الذي ثبته هو قبل عرض اللعبة على الجمهور. ثم يتراجع محاولاً قراءة فكر الرجل المحدق بالكتاب، فيتلو الأسطر التي حفظها قبل العرض وكأنه يقرأها بفضل التركيز الفكري[٢].

---

(١) انظر: خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ٤١١ ــ ٤١٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٢١٧ ــ ٢١٨.

سابعًا ــ إدخال السكين في الرقبة:

يتقدم الممارس من الجمهور وبيده إبرة طويلة أو سكين، فيتناول بيده اليسرى رقبته من الأمام ويدخل طرف السكين الرفيع بسرعة خاطفة دون أن تنز منها أي قطرة دم، يفعل ذلك بكل جرأة وتباه، ومن أجل إثارة التشويق لدى الجمهور، يستل الطرف الغارز في الرقبة ويجره يَمنة ويَسرة، دون نزعها فعلاً، موحيًا للجمهور أنه يحاول قطع العنق. وبعد دقائق يعمد إلى نزع الطرف المغروز بجرأة متناهية.

الشرح:

(أ) على صاحب الخفة أن يحضر سكينًا معقمة وخالية من الجراثيم.

(ب) أن تكون لممارس اللعبة الجرأة الكافية لإدخال السكين دون تردد.

(ج) إن الأعصاب التي تنقل الإحساس بالألم لا وجود لها إلاَّ قليلاً جدًا في الموضع المختار لإدخال السكين أو الإبرة.

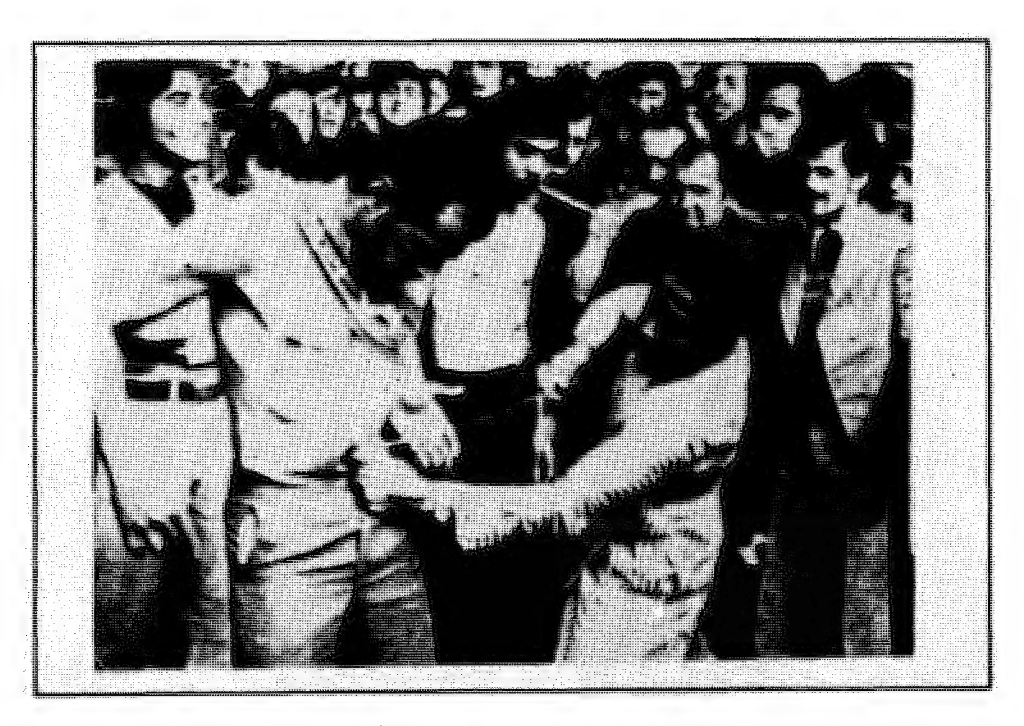
(د) إن الممارس لا يدخل السكين في الرقبة مجتازًا الزلعوم أو الوريد أو أي عضو حيوي، بل يدخله في الجلد فقط.

أمام هذا المنظر، يظن الجمهور المخدوع أن صاحب الخفة أدخل السكين فعلاً في عنقه، ولأن المسافة التي تفصل الجمهور واللاعب المدهش، هي مسافة غير قصيرة لا تمكن الجمهور من أن يفطن إلى حبائل هذه اللعبة وخيوطها المحكمة[1].

وما قيل عن هذه الخدعة يقال أيضًا عن بعض أصحاب الطرق الذين يضربون أنفسهم ومريديهم بالسيوف والقضبان الحديدية المدببة في البطون، لكن تجدر الإشارة إلى أن بعض المريدين قد يموتون إن لم تكن الضربة محكمة. ويعد أصحاب هذه الطرق هذا العمل ضربًا من ضروب الكرامة، وما هو في الحقيقة من الكرامة بشيء، بل هو لهو خطر درَّبهم عليه إبليس اللعين ليفتنهم عن الصراط المستقيم.

---

(١) انظر: خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ٧٥ ــ ٧٦.



أحد مشايخ الطريقة يدخل سيفًا
في أحشاء أحد المريدين، مدعيًا أن هذا العمل نوع من الكرامة.
[صورة حقيقية مأخوذة من احتفال في طرابلس، شمال لبنان]

ثامنًا ـــ إدخال إبرة في اللسان:

يقف اللاعب أمام الجمهور معلنًا بأنه سوف يدخل في لسان أحد المتطوعين إبرة طويلة، ويقول أيضًا إن هذا العضو محاط بالأعصاب المرهفة الحس وأن أي خطأ يحصل يؤدي إلى موت المتطوع. ثم يدخل الإبرة كلها في لسان المتطوع، ثم ينقلها من موضع إلى آخر، حتى يعجز المشاهد عن حل هذا اللغز المحيِّر. وبينما يكون الجمهور المخدوع مشدود الأعصاب شاخص البصر يستغل اللاعب الموقف فيعمد إلى نزع الإبرة من اللسان ويسلمها للمشاهدين ليتفحصوها وليتأكدوا منها.

الشرح: إن جلَّ ما في الأمر هو أن المتطوع قد ألبس لسانه لسانًا بلاستيكيًا بلون اللسان الحقيقي، وأن الإبرة حين تغرز لا تطال سوى اللسان البلاستيكي فقط.

تاسعًا ــ ظهور الأرواح:

كثيرًا ما يحاول الساحر أن يوحي لزوّاره بأن الأرواح قد حضرت، ولتأكيد هذا الحضور يريهم آثار أيدي الأرواح، فتظهر هذه الآثار على شكل بصمات كف أو قدم بلون الدم.

الشرح: يستعمل هذا الساحر خاصية بعض المواد الكيماوية على التلون حين تمزج مع بعضها البعض، كتلوّن مادة «الفينول فثالين» باللون الأحمر الذي يشبه الدم حين تمزج مع مادة قلوية مثل رائق الكلس. يحضر الساحر قبل العرض ورقة بيضاء مشبعة برائق الكلس، فيضعها أمامه على الطاولة، ثم يدهن يده بمادة «الفينول فثالين» التي لا لون لها ولا رائحة، وحين يحاول أن يثبت لزواره أن الروح قد حضرت يضع يده على الورقة المشبعة برائق الكلس. فيتفاعل مع مادة «الفينول فثالين» الموجودة على يده ويترك على الورقة أثرًا يشبه الكف بلون أحمر مشابه للون الدم[1].

عاشرًا ــ ادعاء إحضار الماء من حوض الكوثر:

بعض من يدعي الكرامة والمشيخة زورًا وبهتانًا، ويقيم حفلات الذكر، يتعمد إخلاء المكان من الماء، فإذا عطش المريدون التجأوا لشيخهم طالبين الماء، فيطلب وعاءً ثم يدور في الغرفة عدة دورات، يعود بعدها إلى مريديه وقد ملأ الوعاء ماء، مدعيًا أنه من حوض الكوثر!

يقول عبد الرحمن بن عمر الدمشقي المعروف بالجوبري: «إذا عمل السماع أخلى الزاوية من الماء، فإذا رقصوا عطشوا فيشتكون للشيخ ذلك فيقول هاتوا شيئًا وخذوا ماء للشرب فيعطونه إبريقًا أو غيره فيأخذه بيده ثم يفتح باعه ويدور في الطابق ثم يدفع لهم الوعاء ملآن ماء مبخرًا بمسك، فيقول هذا من نهر الكوثر ــ أخزاه الله ــ فيشرب الجماعة من ذلك الماء وقد حارت عقولهم من ذلك..

(١) من تحليل الباحث.

كشف ذلك: إنه يأخذ مصران غنم فيدبغه بعد غسله ثم ينقعه بماء الورد سبعة أيام، وبعد ذلك يأخذه فيربط طرفه الواحد ربطًا جيدًا ثم يجعل في طرفه الآخر عقدة قصب ثم ينفخه في الهواء حتى يجف فإذا جف رفعه عنده فإذا أراد العمل به أخذه ثم ملأه ماء وقد جعل فيه قليل مسك وماء ورد، ثم جعله في قميصه وقد عمل له حمالات من تحت قبة القميص من كمه الشمال إلى كمه اليمين، فإذا أراد أن يسقي الجماعة جعل رأس المصران في فم الوعاء، ثم وهو دائر من حيث لا يعلم به أحد، يفك رأس المصران بظفره فينزل الماء في الوعاء، فيدفع لهم الوعاء ويدعي ما أراد»[1].

وأكتفي بهذه الأمثلة العشرة التي تبين بعض الحيل، خوفًا من الإطالة والخروج عن المقصود من هذه الدراسة.

* * *

أشهر السَّحرة في العالم

من يتتبع سيرة السَّحرة في العالم يجد حشدًا كبيرًا من الأسماء لدى كل أمة من الأمم.

من هذه الأسماء الأم «شتون» التي وُلدت عام ١٤٨٨ وذاع صيتها كعرَّافة تتنبأ بالمستقبل، و«فريدريك أنطون مسمر» الذي وُلد في النمسا عام ١٧٣٤ واشتهر كمنوِّم مغناطيسي وشافيًا للأمراض بواسطة المغناطيسية الحيوانية، والوسيطان «إيرا ووليم دافنبورت» اللذين اشتُهرا في القرن التاسع عشر بطاقتيهما النفسية الخارقة، والأختان «مارغريت وكايت فوكس» اللتان ذاع صيتهما في أواخر القرن التاسع عشر بقدرتهما على استحضار الأرواح، والوسيطة الإيطالية «يوزيبيا بلادينو» التي اشتهرت

(١) الكتاب قديم وموجود في مكتبة العلاَّمة الشيخ أحمد العجوز رحمه الله تعالى، باسم المختار في كشف الأسرار، لعبد الرحمن بن عمر الدمشقي المعروف بالجوبري، وهو لا يحمل اسم بلد النشر، ولا اسم الناشر، ولا أي تاريخ.

بالطواف في الهواء، لكن التجارب التي خضعت لها عام ١٩١٨م أظهرت أنها محتالة.

و «هوديني» ١٨٧٤ ـ ١٩٢٦م الذي يُزعم أنه كان أعظم ساحر ومشعوذ عرفه التاريخ، إذ كان يتخلَّص من السلاسل المعدنية والأقفال بطريقة عجيبة، و «جيرار كراوزيه» الذي وُلد عام ١٩٠٩م اشتُهر بالتنبؤ لأشخاص بمجرَّد لمس أشياء تخصّهم، و «كونستانتين روديف» الذي ادَّعى بأنه طوَّر أسلوبًا مبتكرًا للاتصال بالأرواح، أقل قابلية للتأثر بالعقل الباطني، و «أرنول بلوكهام» المنوِّم المغناطيسي الذي ادَّعى أنه يستطيع أن يعيد الإنسان إلى حياة سابقة وأن يسجِّل على أشرطة كل هذه الأحاديث.

و «إدغار كايس» ١٨٧٧ ـ ١٩٤٥م الروحاني الأميركي الذي اشتهر بالمتنبىء النائم الذي كان لا يتنبأ إلاَّ وهو في حالة غيبوبة أو تحتْ تأثير التنويم المغناطيسي، و «روبرت ليفتويش» البريطاني الذي كان يدَّعي بأنَّ بمقدوره التنبؤ بمكان الماء تحت الأرض، وبأنه يستطيع أن يرى الطريق أمامه على بعد عدة كليومترات، و «أريغو» البرازيلي الذي اشتُهر بإجراء العمليات الجراحية الروحية، و «داهش» اللبناني الذي لعب بعقول الكثير من الناس في لبنان والعالم العربي في الأربعينات وحتى السبعينات من هذا القرن، حين ادَّعى المعجزات وادَّعى بأنّ له سبع شخصيات متعدِّدة، و «نوستراداموس» الفرنسي المتنبِّىء الذي لعبت نبوءاته دورًا بارزًا في الحرب العالمية الثانية وما زال الحالمون يبحثون بين رباعياتها عن تنبُّؤات لم تحصل بعد.

بعد سرد هذه الأسماء اللامعة في عالم السِّحر سنحاول التركيز على بعضها وتحليل وشرح الحيل التي لجأ كل واحد منهم إليها للتأثير على جمهوره. وكثير من هذه الحيل دفنت مع جثث أصحابها النتنة ولم يعلم بها أحد، لكن بقيت أخبارهم و «خوارقهم» أحاديث للناس يتسامرون فيها ويتناقلونها ويتبارون بذكرها مندهشين أمام هؤلاء المحتالين، فآليت على نفسي أن أبيِّن بعض هذه الحيل التي وفَّقني الله

سبحانه وتعالى لكشفها، وخاصة في ما يتعلّق بـ «أريغو» و «داهش» و «نوستراداموس» و «هوديني».

أوّلاً ـ أريغو:

في العشرين سنة الأخيرة طغت صرعة الجراحة الروحية على ما عداها من الصرعات والشعوذات في القرن العشرين، فإذا بالجرائد والمجلات وكل وسائل الإعلام تتسابق فيما بينها على كسب السبق لتتبع أخبار الجراحات الروحية التي تجري في بعض البلدان مثل البرازيل ودول جنوب شرق آسيا وأمريكا الوسطى والجنوبية.

وكانت وسائل الإعلام في معظمها لا تشك أبدًا بصدق الأخبار، أو تشك بقدرة من يدَّعي الشفاء الروحي، فإذا بأفواج المرضى المعذَّبين تنتقل كالحجَّاج أفواجًا أفواجًا، قاطعة المسافات البعيدة ومتحمِّلة مشاق السفر والإنفاق الكثير من أجل أن تجري جراحة روحية تنقذها من مرض ما.

ومن أشهر الدَّجَّالين في هذا الحقل: «أريغو» البرازيلي، واسمه الحقيقي: «جوزيه بادرو دي فرايطس Jose de Freitas».

كان هذا الدَّجَّال يُجري العمليات الجراحية العديدة في اليوم الواحد، مدَّعيًا أنَّ أرواح أشهر الأطباء الألمان تحلّ فيه، فيقوم بإجراء هذه العمليات، وكان يستعمل سكِّينًا عاديًّا وأدوات جراحية بسيطة غير معقَّمة.

وكان يتزاحم على أعتاب عيادته المرضى أصحاب العقول الصغيرة، كما كانت تنتظر دورها ألوف مؤلَّفة في شبكة الفنادق التي أعدَّها خصِّيصًا لهذا الغرض هو وإخوته في البرازيل، لزوَّاره من المرضى.

وسرّ هذا الدَّجَّال أنه اختار جراحة العين، لأنَّ العين عضو مُلفِت للنظر أكثر من غيره، ولكون العين تحوي سائل الدمع المعقِّم طبيًّا، فكان يتجنَّب بذلك مضاعفات الالتهابات التي يمكن أن تنتج عن تلوُّث الجروح، ولكن العين لا تحتوي على العديد

مـن الأعصـاب والشـرايين والأوردة خـارج الكـرة العينيـة «Eye Ball» ذات الأهميَّـة الكبيرة، فكان هذا الدجال يسحب الكرة العينية خارج محجرها، كما يفعل أطباء العيون تمامًا ثم يدس سكّينة تحت الجفون ويقطع بعض الأوعية الدموية الثانوية، أو يقطع بعض الزوائد اللحمية أو الجلدية، ثم يعيد الكرة العينية إلى موضعها بلمح البصر، أمام العديد من الناس.

لكن هذا الدَّجَّال كان كثير الحذر من الأطباء والاختصاصيين، وكان يحرص على عدم الدخول معهم في نقاش علمي أو جدل، مدَّعيًا أنَّ النقاش أو الجدل يغضب الروح التي تساعده في عملياته الجراحية، كما كان شديد الحرص على عدم إعطاء عيِّنات من الدم أو الأنسجة المتخلفة من العمليات التي كان يجريها خوفًا من افتضاح أمره. إذ أنَّ معظم هذه الدماء أو الأنسجة كانت لحيوانات وليست دماء أو أنسجة بشرية.

كما أنه حين يصف الدواء لمرضاه، غالبًا ما كان الدواء من النوع الذي لا يضرّ أو ينفع. ولجهله بمقادير جرعات الدواء كان يشير على مرضاه باتِّباع المقادير المكتوبة على الوريقة المرفقة بقارورة الدواء.

كما أخذ عليه أنه لم يخاطر بإجراء عملية الماء الزرقاء «Cataracte» لأخته، بل أرسلهـا إلـى طبيـب العيـون الشهيـر البـروفسـور هيلتـون روشـا «Hilton Rocha» فـي ساو باولو. ولقد افتضح أمر هذا الدَّجَّال حين موته إذ أنه كان يدَّعي بأنه لا يأخذ أجرًا امتثالاً لطلب الروح التي تعينه على عمله. فتبيَّن أنه يملك سلسلة ضخمة من الفنادق الفاخرة في ساو باولو بالإضافة إلى العشرات من الصيدليات التي كان يديرها إخوته، فمن الدخل الذي كان يأتيه من الفنادق التي ينتظر فيها المرضى دورهم للعلاج، ومن الأرباح التي كان يجنيها من الصيدليات التي يرسل المرضى لشراء الدواء منها، ما يكفيه مؤونة الطلب من مرضاه[1].

---

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب: خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ١٠١ وما بعدها.

ثانيًا ــ داهش:

مع بداية الأربعينات من هذا القرن لمع نجم سليم العشي الملقَّب بـ «الدكتور داهش» في لبنان والعالم العربي، وقيلت عنه أمور غريبة عجيبة بعضها صحيح وأكثرها من نسج الخيال.

وأصدر هذا الرجل الكتب الكثيرة، كما أُلِّفت عنه مؤلفات عديدة أكثرها من وضع أتباعه وأشياعه. وقد توفي هذا الرجل بمرض القلب سنة ١٩٧٦م، في غرفة العناية الفائقة بمستشفى الجامعة الأميركية[١]. ولقد تتبَّعت أخباره من خلال أصدقائه وزوّاره، ومن خلال ما كَتَبَ ومن خلال ما كُتِبَ عنه، ومن خلال اتِّصال غير مباشر بيني وبينه، سنأتي إن شاء الله على ذكره، الأمر الذي أهَّلني لمعرفة مقوِّمات شخصيته، وهي تتلخَّص بالآتي:

(أ) إنه كان مثقفًا مطلعًا على العديد من الكتب في مجالات كثيرة، وبشكل خاص كتب العلوم والفنون، كما كان مولعًا بالمطالعة ويملك مكتبة ضخمة تحوي العديد من المؤلَّفات في شتَّى العلوم والفنون. يقول الصحافي حافظ إبراهيم خير الله واصفًا هذه المكتبة: «والغرفة الثانية تبعد عن الأولى مسافة ممر، وأشبه بمكتبات الجامعات، وضعت فيها الكتب حتى السقف وتقدَّر بستين ألف كتاب»[٢].

(ب) إنَّ هذا الرجل كان مطَّلعًا على أسرار المواد الكيماوية وتفاعلاتها وتحوُّلاتها، وهذا ما أخبرني إياه العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في المقابلة التي أشرت إليها سابقًا، إذ رُبِّيَ سليم العشي في أحضان مصوِّر ألماني في مدينة القدس، وكان هذا المصوِّر خبيرًا بالمواد الكيماوية. وقد استغل «داهش» أسرار هذه المواد في ألعابه السِّحرية التي حيَّرت عقول أتباعه وزوّاره.

(ج) إنَّ هذا الرجل كان يتَّبع نظام طعام خاص يعينه على الصفاء الذهني

---

(١) أخبرني بذلك الصحافي خليل برهومي الذي كان يتتبع أخبار داهش.

(٢) خير الله، حافظ إبراهيم، ملحق النهار، بيروت، عدد ٨٩٨٦، ٢١ آذار، ١٩٦٥.

والجلاء البصري، كما يفعل بعض الفقراء الهنود. يقول روجه خوري: «طعامه في الغالب من الخضر، ونادرًا ما يأكل اللحم، لا يدخِّن ولا يشرب القهوة ولا يتناول المشروبات الروحية»[1].

(د) كان هذا الرجل يعتمد في التأثير على الحضور باستخدام «الإيحاء الجماعي»، فلذلك كان دائم الحرص على أن يحيط نفسه ببطانة من المثقَّفين من الأطباء والمهندسين ورجال الدِّين والصحافيين والقضاة. كما أنه كان يغري بعض الشخصيات وأصحاب المناصب الدينية والدنيوية بالمال لكي يجلبهم إلى مجلسه، فلقد أُخبِرتُ أنَّ داهشًا حاول إغراء المرحوم الشيخ العربـي العزوزي كي يحضر إلى مجلسه، فقال له بأنه سيدفع له ضعف ما تدفع له دار الفتوى من راتب، وقال له داهش: «إنه يكتفي منه بأن يحضر مجلسه مرَّة أو مرَّتين في الأسبوع فقط، وأن ليس عليه أن يعتنق المذهب الداهشي»[2]!

(هـ) لا يمكن أن ننكر أنَّ هذا الرجل كان يتمتَّع بقدرة فائقة تتمثَّل في أعمال الخفَّة، مثل تكبير ورق اللعب «الكوتشينه» وتصغير وتحريك بعض الأشياء. وليس في هذا الأمر ما يدهش، ففي أوروبا الآلاف ممن يقومون بهذه الأعمال يوميًا على المسارح وعبر شاشات التلفزة وفي السَّاحات العامة.

ولقد سألت الصحافي خليل برهومي، الذي كان قد زار داهشًا مرَّات عدَّة وشاهد بعض «خوارقه»، فما زاد على أن قال: «إنه قام بألعاب خفَّة تتمثَّل في أنَّ داهشًا طلب منه أن يختار ورقة من ورق اللعب دون أن يطلعه عليها، ثم أعادها إلى موضعها، فتمكَّن داهش من أن يعرفها»، وهذه اللعبة سخيفة وتافهة ويعلم سرّها العديد من الناس ولا يندهش لها إلاَّ من جهل سرّها. كما قام بألعاب خفَّة أخرى معروفة لدى الكثير من الناس.

---

(١) خوري، روجه، البارسيكولوجيا في خدم العلم، ص ٣٧٤.

(٢) أخبرني بهذه الحادثة الأستاذ سهيل العربـي العزوزي، ابن المرحوم الشيخ العربـي العزوزي.

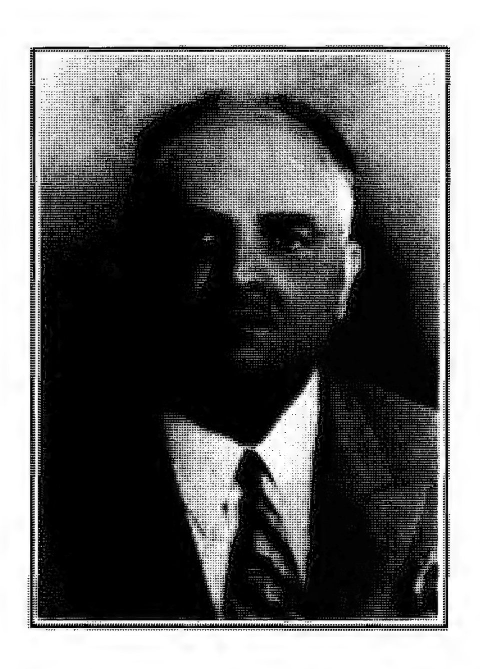
أما ما يقال عن معجزات أو أعمال خارقة تتمثَّل في إحياء الموتى أو أن ينزع رأسه، فهذا ما لم يشاهده أحد ممن اتصلت بهم من معاصري داهش وممن كان حريصًا على حضور مجالسه بما فيهم العلاَّمة الشيخ عبد الله العلايلي.

(و) كما كان هذا الرجل يستخدم علم النفس والإيحاء الذاتي في الإضرار ببعض البسطاء وأصحاب النوايا السليمة. وللدلالة على ذلك أروي للقارىء هذه القصة التي كنت فيها طرفًا: في ١٥ أيار سنة ١٩٧٤م اتصلت بي والدة إحدى تلميذاتي هاتفيًا وطلبت منِّي الحضور لمنزلها بأسرع ما يمكن، وقالت إنَّ تلميذتي «ن. س» والبالغة من العمر الثمانية عشر ربيعًا على وشك الجنون، وعندما وصلتُ إلى بيت التلميذة «ن. س»، وجدتها بحالة نفسية سيِّئة جدًّا، سألتها عن حالها فأجهشت في البكاء ولم تقل شيئًا، فقامت أمها بالتفضُّل وشرح القصة، فقالت إنَّ ابنتها قد ذهبت مع رفيقتها «هـ. ح» وهي تلميذتي أيضًا إلى زيارة الدكتور داهش، وقد رحب بهم هذا الرجل وهش وبش، وقام باستعراض لبعض ألعاب الخفة أمام الصبيَّتين الجميلتين، ثم في نهاية الجلسة قال لتلميذتي «ن. س»: إذا أردت مساعدتي والتزوُّد من طاقتي الروحية، فما عليك إلاَّ أن تأخذي هذه الوريقات فأعطاها ثلاثين ورقة عادية، وقال لها: عليك أن تحرقي في كل يوم ورقة عند المساء وتركزي فكرك على صورتي، فما أن يتم إحراق الأوراق الثلاثين حتى أحضر وأنفِّذ مطالبك بمجرَّد التفكير بي، وأرتني أمها بقية الأوراق، فإذا هي أوراق دفتر مدرسي عادي، فسألت تلميذتي عن سرّ خوفها فقالت: يا أستاذ إبراهيم، إنِّي عندما أحرقت ثلاث أوراق من هذه الأوراق تصوَّر لي شبح داهش فأخافني منظره وخاصة أنه أخذ يلاحقني من غرفة إلى غرفة، فما أشعر بالأمان حتى أنام في السرير بين أمي وأبي.

عند هذا الحد من الحديث بيني وبين تلميذتي «ن. س» تبيَّن لي حدود هذا الرجل وطاقته، الذي حاول أن يؤثِّر عليها من خلال الإيحاء النفسي الذاتي. وشرحت لتلميذتي بأنها لو فعلت نفس الأمر بإحراق الأوراق وتصوَّرت أيّ مخلوق غير داهش فإنها بعد تكرار هذا العمل ثلاثين مرة سوف تشاهده. ولأُذهب ما في

نفسها من خوف وشك أخذت بقية الأوراق ومزَّقتها قطعًا صغيرة ودستها بقدمي، وقلت لها: إن كان داهش حقًّا يستطيع أن يحضر فليحضر وليحاول إيذائي. . ثم انصرفتُ من بيتها بعد أن طلبتُ منها أن تتَّصل بـي في الغد، فإذا وجدت بأني على خير ما يرام فعليها أن تراجع حساباتها، وتعلم بأنَّ هذا الرجل مجرَّد إنسان عادي لا يقدر على شيء، وإن وجدتني قد أصبت بمكروه فلتبقي على مخاوفها وعلى قناعتها بهذا الرجل. وفي اليوم التالي اتَّصلت بـي باكرًا فأعلمتها بأني على خير ما يرام، فاطمأنَّ قلبها وعادت إلى حالتها الطبيعية.

هذا هو داهش، وهذا هو الرجل الذي حِيكت حوله الأساطير والقصص، لقد ضخمه الناس وجعلوا منه عملاقًا، بينما هو في الحقيقة لا يتعدَّى كونه رجل خفَّة، على دراية ببعض الأمور النفسية والتفاعلات الكيماوية.



صورة داهش الذي شغل الناس البسطاء في لبنان والعالم العربـي ردحًا من الزمن.
[من كتاب أضواء جديدة على مؤسس الداهشية]

ثالثًا ـ نوستراداموس:

أشهر عرّاف متنبّىء في التاريخ، اسمه الحقيقي ميشال دُى نوتردام، عاش في القرن السادس عشر، وكان عرّافًا فلكيًا ومستشارًا خاصًا لملكة فرنسا كاترين دمدتشي «١٥٤٧ ـ ١٥٨٩م»، فكانت لا تفعل شيئًا قبل الرجوع إليه واستشارته لفرط إيمانها بصدق نبوءاته. وضع هذا العرّاف كتابًا ضخمًا أسماه «القرون» ضمَّنه نبوءاته، وصدر للمرة الأولى عام ١٥٥٥م في مدينة ليون الفرنسية، فلاقى رواجًا كبيرًا وتُرجم إلى عدَّة لغات رغم أنَّ الكنيسة قد وضعته ضمن الكتب المحرَّم تداولها.

وكان نوستراداموس يعتزل في غرفة صغيرة في أعلى منزله من منتصف الليل وحتى خيوط الفجر الأولى كل يوم، يحدق في كوب يحوي بعض الماء، موضوع على طاولة ذات أرجل ثلاث، وبعد فترة تتراءى له الأحداث على صفحة الماء فيأخذ في تدوينها على شكل أبيات شعرية رباعية بطريقة رمزية حتى لا يغضب الكنيسة، ولا يثير الرعب بين الناس. وكان يكتبها في كشكول ضخم لا يفارقه أينما توجَّه، ويستمرّ على ذلك حتى ظهور الشعاع الأول من الفجر، فلا يعود يرى أو يسمع شيئًا.

ومع أنَّ عصر نوستراداموس كان يعترف بالتنجيم كفن، إلاَّ أنه قد اتهم بالتحالف مع الشيطان، وكادت توجَّه إليه تهمة السِّحر وعقوبتها الموت حرقًا، إلاَّ أنه نجا بفضل حماية القصر له، وكان هذا المتنبىء يحاول دومًا أن يسترضي الكنيسة، حين يقول بأن طبيعته مقدَّسة وأنه لا يتعامل إلاَّ مع الأرواح الخيِّرة، كما كان يقتبس بعض المقاطع من الإنجيل.

خصائص نبوءاته:

(أ) كانت نبوءات نوستراداموس ترتكز على الحدث وليس على تاريخ الحدث، وهذا مع جعل نبوءاته صالحة لأن يفسِّرها كل إنسان على ما يراه ويعتقد بأنه عين الصواب.

(ب) كان نوستراداموس يستخدم الرمزية في نبوءاته، فساعدت هذه الرمزية الناس على تفسير الأحداث بصورة تتّفق مع تخيُّلاتهم ورغباتهم وتصوُّراتهم، حتى إنَّ النبوءة الواحدة كانت تفسَّر في نفس الوقت من قبل فريقين متنافرين بمعنيين متغايرين تمامًا. وهذا ما حدث فعلاً إبّان الحرب العالمية الثانية التي يقولون بأنَّ نوستراداموس قد تنبَّأ بها.

وقد ذكرنا كيف استخدم الألمان نبوءات نوستراداموس للتأثير على الروح المعنوية للحلفاء، وكيف ردَّ الحلفاء بالمثل، وذلك في الفصل الذي تحدَّثنا فيه عن أثر السِّحر على مجريات التاريخ.

(ج) في المرَّات القليلة التي حاول فيها نوستراداموس وضع تواريخ لنبوءاته فشلت هذه النبوءات وظهر كذبها. «فقد تنبَّأ بأنه سيموت في نوفمبر ١٥٦٧، ولكنه مات قبل ذلك في يونيو ١٥٦٦»[١]. ويقال إنَّ نوستراداموس قد اطَّلع على كتاب بامبليكوس الإغريقي واستفاد من طريقته في التنبُّؤ. ورد في كتاب حقائق وغرائب: «ويقال إنَّ نوستراداموس استمدَّ طريقته في التنبُّؤ من كتاب قديم يسمَّى «الأسرار المصرية»، وضعه فيلسوف إغريقي عاش في القرن الرابع الميلادي يدعى «بامبليكوس»، وقد صدرت طبعة من هذا الكتاب في مدينة ليون عام ١٥٤٧. وفيه يؤكِّد مؤلِّفه أهمِّية ارتداء أرواب ذات صفات مميَّزة، واستخدام إناء من الماء «وتربيزة» ذات ثلاث أرجل كأدوات للتنبُّؤ»[٢].

في نهاية الحديث عن هذا الدَّجَّال التاريخي الذي شغل الفكر الأوروبي عدَّة قرون في رباعياته، فغاصوا في معانيها ومبانيها بحثًا عن مقاصدها وأهدافها علَّهم يصلون إلى ما ترمي إليه من أخبار الغيب.

---

(١) موسى، محمد العزب، حقائق وغرائب، ص ٩١.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٨.

نقول: الحمد لله الذي اختصَّ نفسه بعلم الغيب، فكفى المسلم مؤونة البحث والتنقيب عن هذا العلم الذي لا يمكن الوصول إليه أبدًا.

رابعًا ــ هــودينـي:

واسمه الحقيقي أريك فايس، من مواليد بودابست ١٨٧٤. نشأ في أمريكا، أما اسمه الفني «هوديني» فهو مشتق من سلفه الفرنسي هودان الذي كان معجبًا بأعماله كل العجب، بدأ حياته الفنية على المسارح كساحر يتقن ألعاب الخفة ثم تحوَّل بعد ذلك إلى دراسة الأقفال والسلاسل والخيوط الحديدية وطرق التخلُّص من عقدها، فأتقن ذلك واعتاد ربط نفسه بها بطرق معقَّدة ليفلت منها بسرعة مدهشة، حتى في أحرج الحالات وأصعب المناسبات، فكان يظهر على المسرح متحدِّيًا الجمهور بألاعيبه ومنتصرًا في كل مناسبة، وتوصَّل هوديني في هذا المضمار إلى حدود خيالية أذهلت معاصريه حين كان يتخلَّص من الرباط الذي تقيَّد به يداه وهي وراء ظهره، لا بل توصَّل إلى أن يسجن نفسه في تابوت من حديد محكم الإغلاق لا يدخله الهواء، ثم يُرمى في قعر نهر عميق، وبعد مدَّة يظهر هوديني على ضفة النهر دون مساعدة أحد.

وأما سر هذا الرجل الذي أذهل عقول الناس بقدرته على التخلُّص من السلاسل المعدنية، فهو أنه كان يمارس رياضة اليوغا التي ساعدته على التحكُّم بأعضائه وبحركات عضلاته كيفما شاء، لقد كان يتحكَّم بسريان الدم في عضلاته بواسطة رياضة اليوغا فتنتفخ، فإذا ما انتهى من ربطه عاد فأثر على سريان الدم فجعله بطيئًا فتتقلَّص العضلات فتسترخي السلاسل، ثم يؤثر على إفرازات الغدد العرقية فتفرز بغزارة، فتنزلق السلاسل بيسر وسهولة وبذلك يتخلص منها، وينال الإعجاب والتصفيق من المشاهدين الذين يجهلون الطريقة التي اتَّبعها للتخلُّص من السلاسل المعدنية.

وهذا ما استخلصته بعد تفكير عميق وطويل في أمر هذا الرجل، خاصة أني

متخصِّص في علم الطبيعيات، ومما شجَّعني على هذا التفسير هو ما وجدته في كتاب «عجائب العقل البشري»(١) من تفسير لخروج هذا الرجل من الصندوق الحديدي المغلق والملقى في قعر نهر عميق، إذ وجدت تفسير خروج هوديني من الصندوق، مطابقًا لما فسَّرت به تخلصه من السلاسل المعدنية.

يقول راجي عنايت تحت عنوان «اليوغا وشعوذة هوديني»:

«وقد أثارت هذه الظاهرة اهتمامًا واسعًا بممارسات اليوغا. فظاهرة التحكُّم الواعي في الوظائف اللاإرادية شائعة في عقائد اليوغا والصوفية وبعض العقائد الإفريقية. هذه الممارسات حققت لأصحابها القدرة على التحكُّم في معدَّل النبض والتنفُّس والهضم والوظائف الجنسية والميتابوليزم ونشاط الكلى. بل إنَّ بعض الممارسين المهرة، أمكنهم إبطاء ضربات القلب والوصول إلى حالة السكون الكامل، أو خفض درجة حرارتهم إلى ما يطلق عليه مستوى الموت، أو إبطاء التنفُّس بحيث يكتفون بشهيق وزفير واحد كل عدَّة دقائق، وهم يتحوَّلون إلى حالة شبيهة بحالة البيات الشتوي التي تعمد إليها بعض الحيوانات. وتمَّ الرجوع إلى ما سجَّله الإنجليز على مدى أكثر من مائتي عام خلال استعمارهم للهند، حول الحيل البارعة لأصحاب رياضة اليوغا الهنود، وما أظهروه من قدرة فائقة على التحكُّم في وظائف الجسم اللاإرادية.

كما أمكن تفسير ظاهرة السَّاحر الأمريكي الشهير هوديني. فقد كانت بعض ألعابه السِّحرية تتضمَّن وضعه في صندوق محكم، وإغلاق الصندوق بمفتاح من الخارج، ثم إلقاء الصندوق في البحر أو النهر. وكان هوديني يبهر الحاضرين، عندما يظهر بعد قليل عائمًا على سطح الماء.

فقد ثبت أنَّ الفضل في معجزة هوديني هو قدرته على التحكُّم في عضلات

---

(١) عنايت، راجي، عجائب العقل البشري، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٧٠م، ط ٢.

الجهاز الهضمي إراديًا. كان يبتلع مفتاحًا آخر قبل البدء في التجربة، وعندما يستقر في القاع يمارس قدرته على دفع المفتاح إلى فمه من معدته، ثم يفتح الصندوق من الداخل».

* * *



هاري هوديني (١٨٧٤ ــ ١٩٢٦)، هذا المشعوذ استخدم رياضة اليوغا لخداع الناس!
[كتاب الحاسة السادسة]

عدوى السّحر أو هستيريا السّحر

لا يتوقَّف أثر السِّحر على عامة الناس فقط، بل يتعدّاه إلى الخاصة، فقد يصل في بعض الأحيان إلى من ينصب نفسه زعيمًا وقائدًا للحرب ضد السِّحر والسَّحرة. فقد وصل أثر السِّحر في بعض فترات التاريخ الإنساني إلى رجال الدِّين، إذ أنَّ السِّحر يمكن أن نعده كالوباء الذي ما إن يفد إلى مكان ما حتى يفتك بأكثرية المجتمع غير مميِّز بين صغير أو كبير، أو بين متعلِّم أو جاهل، أو بين غنيّ أو فقير. فقد وصلت عدوى السِّحر في القرن السابع عشر وبالتحديد عام ١٦٢٠م، إلى الأديرة فأثَّرت على أعصاب الراهبات، وجعلتهن في حالة من الهستيريا والقلق، مدَّة سبع سنوات.

يقول كتاب «عالم غير منظور» ما يلي: «وأديرة الراهبات نفسها كانت تتعرَّض للتجربة وتقع في أحضان الشيطان، فحوالي سنة ١٦٢٠م جرت حوادث في دير الراهبات الأورسيليين في «لودن» نتج عنها ضجَّة قوية وهي: أنَّ الأخت الشابة جانيت عُيِّنت رئيسة للدير في حين عُهد إلى الأب «غرانديه» وهو شاب وسيم بإدارة الرعية في القرية، وفورًا شاعت الأخبار بأنه لا يسلك سلوكًا يتَّفق مع دوره الكهنوتي وكرامته الإكليريكية، وأنه يفسد الصبايا اللواتي يأتينه للاعتراف وهنَّ من عائلات كريمة.

ولما وصلت هذه الشائعات إلى الدير تأثَّرت بها الراهبة جانيت، رئيسة الدير، ورأت في الحلم الأب غرانديه، ولم تكن تعرفه، بشخص ملاك يوجِّه إليها كلامًا مذهلاً لا يصدر عن مخلوق سماوي، وعندما توفِّي الراهب معرِّف الدير سألت الرئيسة جانيت عن الأب غرانديه إذا كان يقبل أن يحل محله فرفض. وزاد تأثُّرها النفسي، فكانت ليلة بعد ليلة، تُقلق رفيقاتها بصراخها الهستيري، وخجلت من حالتها فطلبت عفويًا من زميلاتها الراهبات أن يخضعنها لأنظمة الدير القاسية. ولم ينفع هذا التدبير إذ أصيبت بعض الراهبات بنفس العوارض، واستغاث الدير بالكهنة المختصِّين بطرد الشياطين، فزاد اضطراب الرئيسة جانيت وشاهدها رفاقها ترتمي أرضًا وتنقلب على نفسها، فأصبحت زميلاتها تشعر الواحدة تلو الأخرى، أنها وقعت

فريسة لإبليس فتهذي وتستغيث، ولم يكن يفهم من أصواتهن سوى اسم غرانديه.

واتُّهم غرانديه بتضليل الراهبات، فلجأ إلى رئيس أساقفة بوردو الذي كان يعطف عليه، وأرسل رئيس الأساقفة طبيبًا قدَّم تقريرًا بعد إجراء الفحوصات يتضمَّن أن ليس بين الراهبات من هي مصابة بتسلُّط الأبالسة، فأمر رئيس الأساقفة بحجز الراهبات في غرفهن، وهدأت الحالة، ولكن لوقت قصير، إذ عادت الهستيريا الجماعية للراهبات، فأرسل الطبيب تقريرًا ثانيًا إلى رئيس الأساقفة يتضمَّن أنَّ الراهبات وقعن في حالة التجربة الدائمة، وهنَّ لا يرتدعن عن المطالبة بإلحاح بالأب غرانديه. وعاد إلى الدير الكهنة المختصون بطرد الشياطين غير أنَّ عملهم كان يحتاج لوقت طويل، وكانت حالة رئيسة الدير من أشد الحالات لأنَّ شيطان الملذَّات كان يبالغ في تعذيبها. ولم تهدأ الحالة نهائيًّا إلاَّ بعد مرور سبع سنوات تقريبًا. وفي هذه الأثناء كان الأب غرانديه قد مات، إذ اتُّهم بالتضليل وعُذِّب وكُسِرت أضلاعه ثم أُعدِم حرقًا»[1].



(١) زهَّار، يمنى، عالم غير منظور خارج القواعد العلمية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ط ١، ص ٢٨ ــ ٢٩.

الفصل الرابع عشر

أثر السّحر في مجرى التاريخ

إنَّ من يُمعن النظر في بطون كتب التاريخ وعلم الاجتماع، وسير الشعوب والقادة، يجد أن السِّحر كان وما يزال له بعض الأثر الفعَّال في صناعة وتوجيه الأحداث التاريخية، فالكثير من القرارات المصيرية للشعوب والأمم قد اتخذت تحت تأثير وإيحاء السَّحرة والمشعوذين والمنجمين. كما أن بعض المعارك وقعت أو أوقفت بناءً على نصائح السَّحرة والعرّافين. كما أن البعض يلوم السِّحر والسَّحرة ويحمِّلهم الذنب الأكبر في تأخير قيام تحولات اجتماعية هامة في أمة من الأمم، كما أن الكثير من أصحاب الحل والربط في المجتمع من القادة العسكريين والحكام كانوا ألعوبة أو دمية بيد السِّحر والسَّحرة عبر التاريخ الطويل للأمم والشعوب، فكانوا لا يتخذون القرارات ذات الشأن إلاَّ إذا استشاروا العرافين والسَّحرة، وقد تعاظم أثر هؤلاء في بعض الأحيان إلى درجة لم يكن معها الأمير أو الحاكم الذي كان يقود الأمة أو الشعب يرتدي ثوبًا أو زيًا من الأزياء، أو لونًا من الألوان، أو يأكل صنفًا من أصناف الطعام، إلاَّ إذا استشار العرّاف أو الكاهن.

أوَّلاً ـــ قصة حاكم آسيا الصغرى كريزوس مع قورش:

يروي المؤرخ اليوناني هيرودتس «Herodote» قصة عن حاكم آسيا الصغرى كريزوس «Crésus» الذي خاف من فتوحات قورش «Cyrus» الفارسي وكيف استعان بالسَّحرة والعرّافين لتحديد خطواته المصيرية أمام زحف جيش قورش.

ورد في كتاب «عالم غير منظور»: «عندما أقدم قورش ملك الفرس على غزو بعض البلدان اضطربت شعوب البحر المتوسط وخاف كريزوس حاكم آسيا الصغرى أن يصل الاعتداء إلى مملكته وتساءل عما إذا لم يكن من الأفضل أن يهاجم هو الفرس قبل أن يصبح الانتصار عليهم عسيرًا. فقرر أن يستشير في الموضوع العرَّافين، وأراد في بادىء الأمر امتحانهم فأوفد إليهم رسالة موعزًا أن عليهم بعد مرور مائة يوم من وصول الرسالة إليهم أن يعرفوا ماذا يفعل الحاكم في هذا الوقت بالذات فيسجلوا الأجوبة ويأتون بها إليه، وعندما عادوا اطلع على الأجوبة وكان واحدًا منها فقط مصيبًا، وهو جواب العرافة بيثيا «Pythia» الكاهنة في معبد «دلفي» «Delphe»، فقد أجابت هذه العرافة أنها تشعر برائحة لحم السلاحف مع لحم النعاج يطبخ في وعاء نحاس مقفل. وبالفعل فإن كريزوس كان قد اختار تعجيزًا للعرافين تحضير هذا النوع من الطعام»[١].

نشير هنا إلى أننا لا نستطيع أن نجزم بصحة هذه الرواية أبدًا، ولكن يمكن أن نتبين منها مدى تأثير السِّحر والكهانة على الحكام وعلى مجريات التاريخ، إذ أن الأساطير والروايات والقصص تعبر غالبًا عن واقع قناعات المجتمع والأمة.



صورة عرَّافة معبد دلفي،
رسم الفنان ليونار دافنشي!
[محفوظات جريدة النهار]

(١) زهار، يمنى، عالم غير منظور، ص ١٠.

ثانيًا ـ قصة فرعون موسى والسَّحرة:

ينقل لنا القرآن الكريم في محكم آياته صورًا صادقة حيَّة عن العصر الذي عاش فيه موسى كليم الله، وعن السِّحر الذي كان متفشيًا وشائعًا في المجتمع المصري الفرعوني، وكيف كان فرعون موسى يكره طائفة من الناس على تعلم السِّحر ليثبت بهم دعائم سلطانه، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة طه: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

ويشير القرآن الكريم إلى الطريقة التي كان فرعون يقود بها المجتمع المصري، ويثبت بها أركان عرشه وهي طريقة السِّحر، ورد في سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

ويصور القرآن الكريم كيف جرَّ السِّحر البلاء على جيش فرعون الذي استخف قومه ونسب إلى نفسه ألوهية كاذبة، فكذبوا موسى عليه السلام، فكان مصيرهم الغرق في الدنيا والنار في الآخرة. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء].

ثالثًا ـ أثر السِّحر على الرومان:

تأثَّر المجتمع الروماني بالسِّحر وتفاعل معه تفاعلاً عميقًا، إذ اهتم الرومان، أغنياءَ وفقراء، أحرارًا وعبيدًا، بالسِّحر والتنجيم وعلى رأسهم أباطرتهم. فها هو الإمبراطور أغسطس يضع علامة برجه «الجدي» على العملة التي صكَّها، لقد تنبأ له الكهنة والعرَّافون بأنه سيكون سيد العالم، فشدت هذه النبوءة من عزيمته وحفزته على أن يخط للرومان والمجتمع الروماني طريق الفتوحات والانتصارات.

ورد في كتاب حقائق وغرائب: «وفي زمن بطليموس لفت التنجيم اهتمام الرومان، أغنياء وفقراء، وأحرارًا وعبيدًا، فاعترفوا به وآمنوا بقدرة النجوم على التأثير في مصائرهم، وكان الإمبراطور أغسطس أول أباطرة الدولة الرومانية يؤمن بالتنجيم إيمانًا كاملاً، ويبدو أن السبب في ذلك أن أحد المنجمين تنبأ ساعة مولده

بأنه سيصبح سيِّد العالم، وكان أغسطس يضع علامة برجه «الجدي» على العملة التي يصدرها»[١].

كما يذكر التاريخ وقوع مواجهات بين السَّحرة والمسيحيين الأوائل، فكان حكام روما أمثال نيرون يساندون السَّحرة ويشجعونهم ويتصدّون للمسيحيين ويضطهدونهم تارة بالتعذيب والقتل، وتارة أخرى بالسجن. يذكر لنا كتاب «الإنسان والشيطان والسِّحر»[٢]، أن سايمون ماجوس كان مقربًا جدًّا من حاكم روما نيرون وذلك بفضل ألاعيبه السِّحرية التي كان يقوم بها خاصة الطيران في الهواء، كما يذكر هذا الكتاب قصة تصدي أحد المسيحيين الأوائل لهذا السَّاحر وإفشال سحره، فما كان من نيرون إلاَّ أن سجن المسيحي انتقامًا وكبتًا لهذا الدين الذي بدأ ينتشر في المجتمع الروماني الوثني.

رابعًا ـ نوستراداموس والملكة كاترين:

في القرن السادس عشر ظهر في فرنسا ميشال دي نوتردام الذي عرف فيما بعد بنوستراداموس، العرّاف والمنجم وصاحب كتاب «القرون»، الذي لعب دورًا هامًا في تاريخ شعوب أوروبا وملوكها وقادتها العسكريين، منذ ظهوره قبل أربعة قرون تقريبًا وحتى الآن، وخاصة في أيام الحرب العالمية الثانية.

لقد عاصر نوستراداموس الملكة الفرنسية كاترين دي مدتشي (١٥٤٧ ـ ١٥٨٩) وكان مستشارًا لها، وكانت الملكة لا تفعل شيئًا، ولا ترتدي ثوبًا، ولا تنتقي لونًا إلاَّ بعد أن تستشيره. أما كيف أثَّرت نبوءات نوستراداموس على مجريات التاريخ أثناء الحرب العالمية الثانية فيخبرنا عنها كتاب حقائق وغرائب، إذ ورد فيه:

(١) زهار، يمنى، حقائق وغرائب، ص ١٣٦.

(٢) انظر كتاب سعيد إسماعيل: «الإنسان والشيطان والسِّحر»، للاطلاع على تفاصيل هذه القصة ص ٧٩، وما بعدها.

«أثناء الحرب العالمية الثانية ــ وهي من الأحداث التي تنبأ بها نوستراداموس ــ وقعت نسخة من كتاب «قرون» في يد جوبلز وزير الدعاية النازي، فرأى فيه سلاحًا مؤثرًا يمكن أن يستخدم في الحرب، فكلَّف جوبلز مع رئيس الجستابو اختيار بعض نبوءات نوستراداموس وإعطائها تفسيرًا خاصًا يوحي بانتصار النازية وهزيمة معارضيها، وقامت الطائرات الألمانية في مايو عام ١٩٤٠ بإلقاء نسخ من هذه التفسيرات فوق فرنسا للتأثير على الروح المعنوية للفرنسيين، وردَّ الحلفاء بالمثل فكانوا يختارون الفقرات التي توحي بهزيمة الألمان في كتاب القرون ويقومون بإلقائها بواسطة الطائرات على المدن الألمانية»[١].

كما يتابع نفس الكتاب فيقول: «وكان الفلكيون العظام في أوروبا خلال القرنين ١٦ و ١٧ من أمثال جوهانز كبلر يمارسون التنجيم أيضًا ويقرأون الطالع للملوك والنبلاء، وكان كل ملك أو نبيل لديه فلكي أو منجم في بلاطه يعطيه النصائح في شؤون الحكم. لقد أصبح التنجيم في هذه الفترة هو «ملك العلوم» ولعب المنجمون دورًا بارزًا في الحروب الأوروبية خلال القرن السابع عشر، كانوا أشبه بخبراء الحرب النفسية في الوقت الحاضر، يطلقون النبوءات لرفع معنويات الجانب الذي يناصرون».

خامسًا ــ قصة انسحاب الإمبراطور فريدريش فلهلم الثاني من فرنسا:

وقصة الإمبراطور الألماني فريدريش فلهلم الثاني الذي انسحب من فرنسا بقواته ولم يجد المؤرخون سببًا يبرر هذا الانسحاب، نجد الإجابة عن ذلك عند مؤرخ القصر الذي سمع من الإمبراطور نفسه وهو على فراش الموت سبب انسحابه، وفي اعترافه يظهر أثر السِّحر عليه وعلى أفكاره وعلى تصرفاته.

يقول كتاب أرواح وأشباح: «فقرر أن ينزل إلى القبو الذي تراكمت فيه

---

(١) زهار، يمنى، حقائق وغرائب، ص ٩١.

زجاجات النبيذ وراح ينتقي ما يعجبه منه. أما لماذا راح يتساند على الزجاجات؟ فلأنه شعر بدوخة خفيفة ولم يكن قد شرب بعد. وفجأة لاحظ أن الزجاجات تتراقص وتتلوى ويتحول بعضها إلى كائنات بشرية. ومن بين هذه الزجاجات رأى واحدة تكبر وتتضخم وتستطيل وتستدير، إنها تشبه تمامًا الإمبراطور فريدريش الأكبر ونظر وتأمل ملء عينيه، وتأكد أنه هو الإمبراطور، وسمع الإمبراطور يقول له: اسحب قواتك من فرنسا... وإلاَّ حدث لك ما ليس في حسابك، وجلس الامبراطور فريدرش فلهلم الثاني ليستمع إلى عبارات أخرى مروِّعة. إسحب قواتك وإلاَّ ظهرت لك السيدة البيضاء[١]، إن بيني وبينها ثأرًا»[٢].

سادسًا ــ هتلر والسحر:

وهتلر كانت له أيضًا شؤون وشجون مع السِّحر والسَّحرة، فالأخبار الواردة تشير إلى أنه كان من أشد الناس تطيرًا وإيمانًا بالسحر، يقول كتاب حقائق وغرائب: «في أوائل الحرب العالمية الثانية، وبعد أن اجتاحت القوات النازية بولندا، كان من أهم ما يشغل بال هتلر أن تعتقل قواته رجلاً بولنديًا يدعى وولف ميسنج، وتأتي به إلى برلين حيًّا أو ميتًا، وكان قد اشتهر عن هذا الرجل أنه يتمتع بقوى خارقة كوسيط روحي وعرَّاف متنبىء، وكان قد تنبأ لهتلر قبل اجتياح بولندا بأنه سيخسر الحرب في النهاية ويلقى خاتمة شخصية سيئة، ولما كان هتلر من أشد المتطيِّرين الذين يؤمنون بالعرافة والتنجيم لذلك قد أسرَّها في نفسه، وعزم على الانتقام من ميسنج عندما يقع يومًا في قبضة يده. واستطاع ميسنج أن يهرب في آخر لحظة ويلجأ إلى موسكو. ولكنه كان كالمستغيث من الرمضاء بالنار، إذ نجا من قبضة دكتاتور ليقع في قبضة دكتاتور آخر هو ستالين الرهيب هذه المرة»[٣].

---

(١) زهار، يمنى، حقائق وغرائب، ص ١٣٧.

(٢) السيدة البيضاء هي تمثال العذراء الذي كان نابليون قد نقله من القصر العتيق في برلين.

(٣) منصور، أنيس، أرواح وأشباح، ص ٣٥.

سابعًا ـ نابليون بونابرت والسِّحر:

أما القائد نابليون بونابرت الذي هابه الكثير من القادة، والذي فتح العديد من البلدان والممالك، وقهر الكثير من الجيوش، بقي أسيرًا وخائفًا من نبوءات العرَّاف الفرنسي نوستراداموس صاحب كتاب «القرون».

يقول أنيس منصور: «ولكن عندما ذهب نابليون إلى ضواحي موسكو روى لرجاله أنه يرى أحيانًا دخانًا أبيض وسط الجنود.. وسط جنوده هو.. وكان الرد على ذلك سريعًا: إنه دخان الحرائق.. أو هو الضباب.. أو هو الإرهاق.. ولكن بعض مؤرخيه أكدوا أن هذه هي السيدة البيضاء ذات اللعنات السوداء، بل إن واحدًا من المؤرخين قد نقل إلى نابليون أن المتنبىء الفرنسي الشهير الذي اسمه نوستراداموس «١٥٠٣ ـ ١٥٦٦» قد ذكر في كتابه «القرون» الذي صدر في سنة ١٥٥٥ أن قائدًا فرنسيًا يغزو الشرق والشمال والجنوب سوف يرى أشباحًا مفزعة. وسوف يصاب برعب ولكن كبرياءه تمنعه من أن يروي ذلك لأحد»[1].

ثامنًا ـ الملكة فيكتوريا والسحر:

يذكر أنيس منصور قصة عن ملكة بريطانيا فيكتوريا التي كانت على علاقة بأحد الخدم، وذلك أنه كان يدعي بأن روح زوجها تحل فيه، فكانت الملكة فيكتوريا تتفرد بهذا الخادم لتناجي روح زوجها المتوفى.

«ومن أشهر الحوادث في التاريخ أيضًا ما جرى للملكة فيكتوريا، فقد كانت مثل ملكة هولندا الحالية وهتلر تؤمن بالأرواح والاتصال بها، وقد توفي الأمير ألبرت زوج الملكة التي فوجئت في يوم من الأيام بأن إحدى الصحف قد نشرت هذا الخبر: أحد الوسطاء قد تلقى رسالة من العالم الآخر. الرسالة من الأمير ألبرت، إنه يريد الاتصال بالملكة وأن يبلغها شيئًا خاصًا. وفرحت الملكة فيكتوريا بهذا النبأ وأرسلت اثنين من رجالها لحضور جلسة استدعاء روح الأمير. وكتب «الوسيط» الرسالة

---

(١) زهار، يمنى، حقائق وغرائب، ص ٥٧.

وفوجئت الملكة بأن خط الوسيط يشبه خط الأمير إلى حد كبير ثم إن توقيع الأمير لا يعرفه أحد سواها، وبعد ذلك طلبت الملكة من هذا الوسيط أن ينقل إلى الإقامة في داخل القصر. وكان هذا الوسيط ينقل إليها يوميًا رسائل من زوجها المحبوب كل يوم. ولكن روح الأمير طلبت إلى الملكة أن تستحضره من خلال رجل أو وسيط آخر. هذا الرجل كان خادمًا في أحد قصورها. ولكن هذا الخادم كان شرسًا ووقحًا في معاملته للملكة، وبدأت الشائعات تملأ بقية قصور الملوك والأمراء والنبلاء: إن الملكة على علاقة بأحط الناس في قصرها. وإنها لا تختار إلاَّ الخدم. ولا تحب إلاَّ الجلوس إليهم والانفراد بهم في ساعة متأخرة من الليل. ولم يعرف الناس ولا المؤرخون حقيقة هذه العلاقة، إلاَّ بعد أن كشفت الأسرة المالكة البريطانية أسرار وخفايا الملكة فيكتوريا بعد ذلك بمائة عام»[(١)].

تاسعًا ـ لنكولن والسحر:

ولتحرير العبيد في أمريكا أيضًا قصة مع السِّحر وتحضير الأرواح، ذكرها الكولونيل كيت في كتابه «تحرير العبيد كيف ومن الذي أعطاه للرئيس لنكولن سنة ١٨٦١».

يقول المؤلف: «إنه كان في مجلس النواب عندما تقدمت سيدة إلى الرئيس لنكولن تقول له: أرجوك الاتصال بـي في أقرب وقت، ويقول المؤلف: وسألت عن هذه السيدة، وعرفت مكانها، وذهبت وهناك فوجئت بالرئيس لنكولن ولم يكد يدخل حتى جاءت فتاة مغمضة العينين واتجهت إلى لنكولن. وألقت محاضرة طويلة عن أن الله خلق الناس متساوين وأن لا سلام ما لم تكن هنالك حرية، ولا حرية إلاَّ إذا تساوى الناس جميعًا، وقالت له: إن هناك مجلسًا روحيًا يحكم هذا العالم، وإن هذا المجلس قرر اختيارك في منصبك هذا لتكون جمهوريات كثيرة في العالم...

---

(١) منصور، أنيس، مجلة أكتوبر، القوى الخفية التي في أعماقك وأنت لا تدري، القاهرة سنة ١٩٧٤، سلسلة رقم ٩، ص ٤٦.

ويقول: وفوجئنا بأن هذه الفتاة قد أفاقت... ولما عرفت أن الواقف أمامها هو الرئيس لنكولن، أصيبت بحالة من الفزع. ثم أصدر الرئيس إعلانه الشهير بتحرير العبيد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٦٢، وتم تحرير أربعة ملايين من العبيد. وأصبح هذا الإعلان نافذًا من أول يناير سنة ١٨٦٣»[١].

لقد أثر قرار لنكولن على المجتمع الأميركي، وغير مجريات حياته، كما كان اقتناع الملكة فيكتوريا بأن روح زوجها تناجيها، قد غير سلوكها والكثير من قراراتها الشخصية والرسمية.

عاشرًا ـ راسبوتين والقياصرة:

وفي روسيا نجد الراهب الرهيب راسبوتين يصول ويجول في قصور القياصرة، وكانت له الكلمة الفاصلة في كثير من الأمور حتى اتهم في أنه قد أثر وجوده في تغيير الحكم. وورد في مجلة أكتوبر المصرية: «وفي السابعة والثلاثين من عمره وجد نفسه وراء عرش القيصرية. ووجد نفسه الحاكم المطلق الذي يشير على الامبراطورة.. ماذا تأكل وماذا تشرب وماذا ترتدي، وكيف تبدو أمام الناس.. وكانت الإمبراطورة سعيدة بذلك، وهو أكثر سعادة. في يوم قالت الإمبراطورة: لو أن زوجي عرف لون فستاني يومًا واحدًا لركعت أمامه ألف مرة في اليوم... أما أنت فتراني وتسعدني وتلمسني وتزلزلني من داخلي.. وأنا سعيدة بذلك»[٢].

كما أن رجال السياسة اتهموه بأنه أطال عمر الحكم القيصري، وأن الأسرة الحاكمة قد استخدمته لإلهاء المجتمع عن أمور هامة.

بعد هذه الصورة الموجزة عن أثر السِّحر على المجتمعات ونفوس الناس عبر عدة عصور، وكيف كان السِّحر والسَّحرة يتحكمون بمصير الناس والحكام على حدٍّ سواء، ويخططون لمستقبل الأمم من خلال نفوسهم الخبيثة المستعينة

---

(١) منصور، أنيس، القوى الخفية، ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق، سلسلة رقم ٧، ص ٤٤.

بالشيطان الرجيم وأعوانه الذين لا همَّ لهم إلَّا تحطيم الإيمان في النفوس وتحويل الناس إلى كفرة، كي يثبتوا أن الإنسان لا يستحق التكريم الذي منحه الله لآدم عليه السلام وذريته من بعده. يقول القرآن الكريم على لسان إبليس اللعين: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء].

وخلال هذه الفترات التاريخية، نجد أن الذي تصدَّى لهؤلاء هو الإيمان الصحيح الذي تمثل بالمؤمنين الأوائل، الذين اتبعوا الأنبياء والرسل من أمثال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وقلة من المتأخرين، هؤلاء الرجال وقفوا بوجه السِّحر والسَّحرة وقفة أبطلت خيالاتهم وإيحاءاتهم السَّامة التي لا يمكن أن تصمد في وجه الحق والصدق والنور المبين.

يذكر لنا التاريخ الإسلامي موقفًا جريئًا للصحابة رضوان الله عليهم في تصديهم للسِّحر والطلسمات التي أرهبت أممًا وشعوبًا كثيرة، وكانت سببًا غير مباشر في تحويل سير المعارك، لقد كان لكسرى طلسم قد جعله في الراية المتوجهة للحرب، وقد حكيت القصص والأساطير التي تقول بأن من يملك هذا الطلسم فإن النصر يكون حليفه.

وبفضل هذا الاعتقاد انهارت جيوش واندحرت أمم أمام هذه الراية وهذا الطلسم، حتى جاء دور المقاتل المسلم الذي دخل المعركة وهو يعتقد في قرارة نفسه، بأن النصر أو الهزيمة إنما يكونان بقضاء الله وقدره فقط، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران]، فدخل الجيش المسلم المؤلف من الصحابة رضوان الله عليهم معركة القادسية التي جرت في بداية خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه سنة ٦٣٥م وفي اعتقادهم أن الإيمان بالله ورسوله كفيل بأن يحل عقد الطلسم، وهكذا كان النصر حليفهم، فقتل رستم قائد الفرس وديست راية كسرى، وهزم الفرس شر هزيمة ما قامت لهم بعدها قائمة. وهكذا وقف الإيمان في وجه السِّحر

والسَّحرة، فبدلاً من أن يكون السِّحر هو الذي يخط للشعوب والأمم طريقها، كان الإيمان هو من يخط هذا الطريق.

ورد في مقدمة ابن خلدون: «ما ذكره المؤرخون، يدور حول قصة «راية كسرى» التي كانت تعرف باسم «زركش كاويان» والتي زعم عنها أهل الطِّلسْمات، أن من يحملها مكتوب له النصر والغلبة في الحروب، وكان ذلك خلال معركة القادسية التي قتل فيها المسلمون آنذاك المدعو رستم، وحيث أن سحر هذه الراية قد انحلت عقدها بفعل إيمان رسول الله وأصحابه»(١).

ويقابل هذه الصفحة البيضاء الناصعة في التاريخ الإسلامي، اعتقادات فاسدة دخلت إلينا من الأمم التي جاورتنا أو دخل أفرادها في الدين الإسلامي، فقد انتشرت المؤلفات الفلكية في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل، وخاصة في عهد الرشيد، وظهرت قناعة لدى بعض الخلفاء بأن قيام الدول وانحلالها، بل ومصير الإنسانية كلها، إنما هي أسرار محفوظة في ثنايا النجوم، وأنه من شأن الحكماء وحدهم حل رموزها والكشف عن خفاياها(٢).

فيذكر كتاب تاريخ الفلسفة الإسلامية: «فمن هنا كان اهتمام هؤلاء السلاطين البالغ بحيازة مؤلفات القدماء في التنجيم، ونقلها إلى العربية، حتى إن أكثر خلفاء العصر العباسي انفتاحًا نظير المأمون، لم يتحرر من الاعتماد على النجوم، ولم يكتف بأن ألحق بخدمته منجمًا خاصًا بالبلاط وحسب، بل كان لا يقوم بعمل عسكري أو سياسي هام إلَّا بعد أن يستشيره ـ أي يستشير المنجم ـ بشأنه أوَّلًا»(٣).

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٩٣٣ ـ ٩٣٤.

(٢) راجع الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩، ط ٣، ٦/ ٣٠ ـ ٣١، حول رأي العرب بالتنجيم وأقوالهم في النجوم.

(٣) فخري، ماجد، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة كمال اليازجي، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩، ص ٣٠.

أما في تاريخنا الحديث فنجد أن السِّحر ما زال يخط لبعض الدول والمجتمعات طرقًا، سواء كانت هذه المجتمعات متقدمة راقية أو متخلفة. يذكر كتاب حقائق وغرائب ما يلي: «وهناك حكومات ودول في آسيا لا تزال تعترف رسميًا بالتنجيم حتى الآن، منها نيبال وبورما وسريلنكا وسيكيم، ولا تزال حكومات هذه الدول تلجأ للمنجِّمين في تحديد المناسبات الهامة كأيام التتويج، وزواج الأمراء وتوقيع الاتفاقيات. وكان جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند من أشد المؤمنين بالتنجيم رغم عقليته العلمية وأفقه الواسع، ويقال إنه أصر عند مولد حفيده الأول عام ١٩٤٤ على استدعاء المنجِّمين لقراءة طالع الولد»(١).

ولقد صدر عن البيت الأبيض بتاريخ ٣/٥/٨٨ بيانًا يكذب الشائعات التي راجت في المدة الأخيرة، ومفادها أن نانسي زوجة الرئيس ريغان تستعين وتستشير السَّحرة والمنجمين قبل إقدام زوجها على أي مشروع هام.

نعلق على هذا الخبر بالمثل الشعبي القائل: «لا دخان بدون نار». وقبل أن نختم هذا الفصل نعود لنقول بأن القصص التي أوردناها وإن لم نستطع الوصول إلى مراجع نرتاح إليها، إلاَّ أن شيوعها يبيِّن ما للسِّحر من أثر على الفرد والمجتمع.



(١) زهار، يمنى، حقائق وغرائب، ص ١٣١.

الفصل الخامس عشر

السِّحر والفن

الفن عمل إنساني بديع، ينبع من الوجدان ومن أعماق النفس، نتيجة للتفاعل بين داخل المرء وخارجه، ويتمثَّل بعطاءات مختلفة، فقد تكون أدبًا أو رسمًا أو نحتًا أو غناء أو موسيقى أو تمثيلاً، إلى آخر ما هنالك من فنون جميلة.

والفن له مقاييس غير المقاييس الواقعية، وأبعاد غير الأبعاد المستخدَمة في القوانين العلمية البحتة، فالفن كلَّما كان خياليًا في بعض أصنافه كان أكثر تشويقًا وأكثر جمالاً.

من هذا المنطلق نجد أنَّ السِّحر الذي أكثره خيال وتوهُّم، والذي لا يعتمد على المقاييس والقوانين الطبيعية، يقدِّم أجنحة لكثير من الفنون ترفرف بواسطتها وتسمو عالية في سماء العطاء الإنساني. وقديمًا قيل: أعذب الشعر أكذبه، فكيف بالسِّحر الذي جُبِل بماء الكذب، لذلك نجد معظم الفنانين قد اتَّخذوا السِّحر مادة طبيعية ليظهروا من خلالها فنَّهم البديع، فظهر السِّحر في النحت والرسم والتمثيل والشِّعر والنثر والغناء والموسيقى، إلى آخر ما هنالك من فنون.

أوَّلاً ــ السِّحر والنَّحت:

إنَّ من أقدم ما خلَّفه الإنسان من صلة بينه وبين السِّحر، تماثيل من طين أو معادن تمثِّل السَّحرة أو أدواتهم في المغاور القديمة والكهوف، أو أشكال تماثيل منحوتة على قبور الأموات، وذلك لأنَّ بعض طقوس السِّحر كانت من صلب بعض الديانات الوضعية كما كانت بالنسبة للفراعنة.

ثانيًا ــ السِّحر والرَّسم:

أما في الرسم الذي هو أطوع من النحت، فقد وجد الكثير من الصور على جدران الكهوف القديمة تمثِّل السَّحرة وممارساتهم السِّحرية، كذلك وجدت في المقابر الفرعونية صور عدَّة للسَّحرة بأشكال وألوان، كما أنَّ العديد من الفنانين الكبار عبر العصور عبَّروا عن مكنونات أنفسهم تجاه السِّحر بصور ولوحات بديعة.

فها هو ألبير دورر يرسم لوحة تمثِّل أربع ساحرات يحضرن أنفسهن للقاء مع الشيطان، وكذلك الفنان العبقري ليونار دافنشي رسم صورة ساحرة تنظر في مرآة سحرية، ما تزال تعتبر من روائع الفن. وهنالك العديد من الرسَّامين رسموا الكثير من اللوحات تظهر الأعمال الخارقة التي كان يقوم بها بعض السَّحرة.



صورة تُظهر أحد السَّحرة يطير في الهواء!
[كتاب الحاسة السادسة]

وفي القرن التاسع عشر ظهرت صرعة الرسم التلقائي، وتتمثَّل في أنَّ الشخص الوسيط يتناول قلمًا أو ريشة ويأخذ برسم ما يشعر به من إيحاء من قبل أرواح الأموات من الرسامين والفنانين الكبار. ليس هذا فحسب، بل يذكر لنا كتاب «عجائب

وغرائب» شخصًا كان يرسم بيد ويكتب بيد أخرى، بإيحاء من أرواح الأموات![1].

كما يذكر نفس المصدر قصة صائغ إنجليزي أصبح رسَّامًا شهيرًا بفضل إيحاء الأرواح: «وفي إنجلترا ذاعت، في سنة ١٩٠٥م، أخبار ما جرى للسيِّد فريدريك تومبسون، وهو صائغ لم يظهر عليه شيء من الميل للرسم والتصوير، إذ أحسَّ في إحدى الليالي ميلاً شديدًا للتصوير، ومن ثم أخذت الهواجس تصوِّر له مناظر طبيعية وأشجارًا لم يسبق له أن شاهدها، فاتَّخذها أنموذجًا لممارسة التصوير الذي عجز عن صد هوايته، ولكنه استغرب أن يكون قد تمكَّن من تصوير ما تخيَّله من مناظر دون أيّ جهد منه، وكأن سواه يقوم بالعمل، وبعد سنة تقريبًا، ذهب مدفوعًا بنفس الهواية لمشاهدة معرض لوحات تصوير للمصوِّر الأميركي روبير جيفور الذي توفي فجأة دون أن يتم عمله، وعند تأمُّله اللوحات أحسَّ بميل غريب لإتمام عمل المتوفى، وعندما أتمَّ العمل تبيَّن للخبراء أنَّ اللوحات تمثِّل مناظر من إفريقيا لا يعرف عنها شيئًا سوى جيفور المتوفى، وأنَّ طريقة التصوير التي اتَّبعها تومبسون هي نفس طريقة جيفور»[2].

وكانت بعض عمليات الرسم التلقائي تتم في الظلام الدامس وبسرعة كبيرة جدًّا! أليس هذا ما يدعونا إلى الشك في صحَّة من يدَّعي هذه القدرة؟. يقول كتاب عجائب وغرائب: «إنَّ الوسيط البولوني مارجان كروزاسكي كان متخصِّصًا بهذا النوع من التصوير التلقائي، إنه دُعي إلى مؤسسة العلوم النفسية في باريس فقام بتصوير لوحات زيتية في ظلام كامل مع إشراف قاس من قبل المؤسسة العلمية، غير أنَّ المتفوق في هذا المضمار كان الوسيط الألماني نوسلان معاصر تومبسون الذي صوَّر ألفي لوحة في مدَّة سنتين، وكان لا يحتاج في تصوير اللوحة الصغيرة لأكثر من ثلاث أو أربع دقائق. أما اللوحات الكبيرة فكان إنجازها يستغرق ثلاثين أو أربعين دقيقة على أبعد تقدير، كما كان يصوِّر أشخاصًا لا يعرفهم ويكتفي بإجراء ذلك بالحصول

---

(١) زهار، يمنى، حقائق وغرائب، ص ١٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٠.

على أمتعة أو أشياء يملكونها»[1].

والشيء المشترك بين هؤلاء الذين يدَّعون الرسم التلقائي هو أنهم ما كانوا يمارسون الرسم في بداية حياتهم، ولكن فجأة وبدون مقدِّمات يشعرون بميل جارف لا يقاوم نحو الرسم فيرسمون دون أن تكون إرادتهم هي التي تملي عليهم.

ثالثًا ـ السِّحر والشِّعر:

أمَّا في الشِّعر، فإننا نجد الكثير من الأشعار الجميلة التي نظمها الإنس ونسبوها إلى الجن، كما نسبوا لكل شاعر شيطانًا، وجعلوا وادي عبقر مقرًّا لشعراء العرب يلتقون فيه مع الجن الذين يلقنونهم فن الشعر. ومن يرجع إلى كتاب رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي يجد فيه الكثير من هذه الأشعار، وعلى سبيل المثال نذكر منها هذه الأبيات التي نسبت إلى زهير ابن نمير من الجن كعزيمة لاستحضاره:

«وإلى زهير الحب يا عز، إنه ... إذا ذكرته الذاكرات أتاها

إذا جرت الأفواه يومًا بذكرها ... يخيل لي أني أُقبل فاها

فأغشى ديار الذاكرين، وإن نأت ... أجارع من داري، هوى لهواها»[2]

كما نجد أشعارًا على شكل حوار بين الإنس والجن في بطون كثيرٍ من كتب الأدب، يذكر كتاب «أحكام الجان» القصة التالية:

«كان عبيد بن الأبرص وأصحاب له في سفر، فمرُّوا بحيَّة وهي تتقلَّب في الرمضاء وتلهث عطشًا، فهمَّ بعضهم بقتلها، فقال عبيد: هي إلى من يصب عليها نقطة من ماء أحوج. قال: فنزل فصبَّه عليها، قال: فمضوا فأصابهم ضلال شديد حتى ذهبت عنهم الطريق، فبينما هم كذلك فإذا هاتف يهتف:

يا أيها الركب المضل مذهبه ... دونك هذا البكر منا فاركبه

حتى إذا الليل تولى مغربه ... وسطع الفجر ولاح كوكبه

فخلّ عنه رحله وسببه

---

(١) زهار، يمنى، حقائق وغرائب، ص ١٢٣.

(٢) الأندلسي، ابن شهيد، رسالة التوابع والزوابع، ص ٩٠.

قال: فسار به من الليل حتى طلع الفجر مسيرة عشرة بلياليهن، وقال عبيد بن الأبرص:

يـا أيهـا البكـر قـد أنجيت مـن غمـر ... ومـن فيـافي فضـل الـركب بـالهـادي

هـلاَّ تخبـرنـا بـالحـق نعـرفـه ... مـن الـذي جاء بـالنعمـاء فـي الـوادي

وقال مجيبًا له:

أنـا الشجـاع الـذي أبصـرتـه رمضًـا ... فـي ضحضـح نـازح يسـري بـه صـادي

فجـدت بـالمـاء لمـا ضـنَّ شـاربـه ... رويـت منـه ولـم تبخـل بـإنجـاد

الخيـر يبقـى وإن طـال الـزمـان بـه ... والشـر أخبـث مـا أوعيـت مـن زاد»[1]

وهنالك قصة أخرى ذكرت في نفس المرجع السابق، فيها حوار بين الجن والإنس زمن بعثة النبي محمد ﷺ:

«قال حزيم بن فاتك: وأنا أضللت إبلاً لي فَخَرَجَتْ، فَخَرَجْتُ في طلبها، حتى إذا كنت ببارق العراق فأنختُ راحلتي ثم علقتها ثم أنشأت أقول: أغوث بسيِّد هذا الوادي، أعوذ بعظيم هذا الوادي، ثم وضعت رأسي على الجمل، فإذا بهاتف من الليل يهتف ويقول:

ألا فعـــذ بـــالله ذي الجـــلال ... ثـــم اقـــرأ آيـــات مـــن الأنفـــال

ووحِّـــــد الله ولا تبـــــال ... مـــا هـــول الجـــن مـــن الأهـــوال

فانتبهت فزعًا فقلت:

يـــا أيهـــا الهـــاتـــف مـــا تقـــول ... أرشـــدٌ عنـــدك أم تضليـــل

فأجابني:

هـــذا رســـول الله ذو الخيـــرات ... أرسلـــه يـــدعـــو إلـــى النجـــاة

وينـــزع النـــاس عـــن الهنـــات ... يـــأمـــر بـــالصـــوم والصـــلاة»[2]

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٤٠ ــ ١٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٣.

كما نجد لكثير من الأدباء المعاصرين أشعارًا تتحدَّث عن الجن والسِّحر، فهذا عميد الأدب العربي طه حسين يرصع قصَّته «شجرة البؤس» بأشعار على لسان الجن يقلن فيها:

«يـا سـاريـات فـي السَّحـر	يسعيـن فـي ضـوء القمـر
إذا بـدا الصبـح الأغـر	فقلـن يـا «نشـر الـزهـر»
إنَّ «أبـا يحيـى عمـر»	أصـابـه سهـم القـدر
فهـو صـريـع محتضـر	هـل لـك فيـه مـن خبـر»[1]

وكما عند العرب، كذلك عند بقية الشعوب، خُلِّدت أعمال السِّحر والسَّحرة بأشعار كثيرة، فها هو السَّاحر العالمي الألماني «فاوست Faust»[2]، الذي عاصر السَّاحر أجريبا Agrippa Von Nittisheim»، والذي شغل الفكر الأوروبي ردحًا من الدهر، قد خلِّد بأعمال أدبية كثيرة، منها حوالي الخمسين عملاً مسرحيًّا، بعضها مسرحيات شعرية غنائية نقتطف منها ما يلي: «لا تطلب التشبُّه بالله، ما دام قدرك هو أن تتابع مسيرة الحج على الأرض. مشقَّة رهيبة ومرارة قاتلة أن يحمل المرء في داخله إعصارًا من المشاكل، بينما في الخارج يسود صمت كصمت الموت، وإرادة عنيدة ترفض أن تجيب علينا أبدًا ــ ويرثي حاله فيقول: أنا إذن مفرد خارج نفسي معذَّب دائمًا بالشكوك مشدود، غريب بلا هدف ولا وطن أترنَّح في دوار وأسير بغباء بين الهاوية الحزينة لنفسي وبين الجدار الصخري الرهيب لهذا العالم، على المعبر الضيِّق المهتز للشعور»[3].

كما أنَّ الشاعر الإنكليزي الرائد كريستوفر مارلو «Christopher Marlowe» وضع مسرحيَّة شعرية تخلِّد أعمال فاوست، نقتطف منها ما يلي: «سأجعلهم يطيرون

---

(١) حسين، طه، شجرة البؤس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ١٢، ص ١٤٠ ــ ١٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٠ ــ ١٤١.

(٣) جيته، جون ولفكن، فاوست، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت، وزارة الإعلام، يناير ١٩٨٩، ص ٨٦.

إلى الهند طلبًا للذهب، ويفتّشون في أعماق المحيط عن لؤلؤ الشرق، ويجوبون أنحاء العالم الجديد لتحضير الفاكهة اللذيذة والأطايب الجديرة بالإطراء... إنَّ الأرواح تخبرني بأنها تستطيع تجفيف البحر نعم، كل الثروة التي أخفاها أجدادنا في داخل الأحشاء الضخمة للأرض... وسأقيم جسرًا خلال الهواء المتحرّك لأعبر المحيط مع عصابة من الناس»[1].

كما أنَّ الشاعر الإنكليزي الفذّ وليم شكسبير لم تخل مسرحيّاته الكثيرة الشعرية من الحديث عن السِّحر والسَّحرة والكهنة والعرَّافين والأشباح والأرواح والنبوءات.

وكما ظهرت صرعة ادِّعاء الرسم التلقائي ظهرت أيضًا صرعة قول الشعر التلقائي، أي بوحي من أرواح الشعراء الأموات! إنه معتقد مشابه تمامًا لمعتقدات العربي الجاهلي بأنَّ جن وادي عبقر هي التي تلقِّن الشعراء الشِّعر.

فمن أعجب وأغرب ما وقعت عليه من الشعر التلقائي، هو ما نقلته السيِّدة حرم الدكتور سلامة سعد، عن لسان أمير الشعراء أحمد شوقي، وذلك أثناء حالة الجلاء السمعي «Clair Audience» التي كانت تشعر بها، وقد بدأت هذه الحالة منذ عام **١٩٥٢** واستمرَّت قرابة العشرين عامًا، وبلغت القصائد المنسوبة زورًا وبهتانًا لأمير الشعراء أحمد شوقي آلاف الأبيات، وهذه القصائد تعالج فنونًا من الشِّعر كان قد طرقها أحمد شوقي في حياته. كما أنَّ الكثير من القصائد التي تدَّعي هذه السيِّدة أنَّ روح أمير الشعراء توحي بها تتناول موضوعات وأحداثًا معاصرة ومستجدَّة، وقعت بعد وفاة الشاعر، مثل قصيدة إلى ولده علي يقول في مطلعها:

«يا ابن الأمير فداك حسن ما أنا	في المنتأى أو في التراب فقدته
ما كنت يومًا للزوال فريسة	«شوقي» سما للخلد مذ ودعته»[2]

---

(١) حسين، طه، شجرة البؤس، ص ٤٠ ــ ٤١.

(٢) عبيد، عبد الرؤوف، مطول الإنسان روح لا جسد، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، سنة ١٩٦٨، ط ٣، ص ٧٧٣.

وقصيدة أخرى تدَّعي السيِّدة الآنفة الذِّكر أنَّ روح شوقي بعثت بها لحفيدته مهنِّئة لها بزواجها!

«الحب في عرض الزمان وطوله ... «بولا» فديتك من ضنا حياله
لو أنَّ عشق الروح ربك فانعمي ... تعلو الشمائل في صفاء ظلاله»[1]

ونثبت بيتين من قصيدة تدَّعي نفس السيِّدة أنَّ روح أحمد شوقي قالتها ترحيبًا في ذكرى وفاة الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي:

«يا ناشرًا خبر الأفلاك في سحر ... ما قضَّ ذكرك بالأجداث والحفر
نفس الأديب إلى العليا مطلعها ... بالتيه تخطر كالعذراء في خفر»[2]

ومن الغريب أنَّ هذه السيِّدة تنسب أبياتًا لأمير الشعراء يناقض فيها ما قاله في حياته، حيث كان في حياته يتهكَّم على من يدَّعي مناجاة الأرواح، فإذا به بعد موته يرسل بقصيدة يعترف فيها بخطئه تجاه هذه المسألة!

«إن كنت في أمس غدوتُ جهالة ... تطغى على فتح العلا وعُجابه
وأبحث في الدنيا والشكوك وثيقة ... يوم ارتهنت العلم في محرابه»[3]

هكذا تستمر هذه السيِّدة في ادِّعاء نقل القصائد عن روح أحمد شوقي في مناسبات عديدة لا عدَّ لها ولا حصر، والأغرب من ذلك أن الذي كان يدير هذه الجلسات هو رؤوف عبيد الدكتور والأستاذ بكلِّية الحقوق بجامعة عين شمس!!! ألم يكن أجدر بهذا المربِّي والقانوني الكبير أن يكون قدوة ومشعلاً ينير الدرب أمام أجيال المستقبل، بدلاً من أن يقود الأجيال الصاعدة من موقع المسؤولية القيادية الجامعية إلى طريق الشيطان والتخبُّط في الجهل والتبشير بدين جديد، خاصة في الظروف العصيبة التي كانت مصر تتخبَّط فيها بعد النكسة عام ١٩٦٧.

---

(١) عبيد، عبد الرؤوف، مطول الإنسان روح لا جسد، ص ٧٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٨١.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٠ ــ ٤١.

رابعًا ــ السِّحر والنَّثر:

إنَّ من يبحث في التراث النثري عند أمة من الأمم، قديمها وحديثها، يجد الكثير والكثير جدًّا من أخبار السِّحر والسَّحرة والمشعوذين والدَّجَّالين مسجَّلة على شكل أساطير أو تاريخ أو أدب شعبي إلى آخر ما هنالك من أنواع التدوين النثري، فإذا تطلَّعنا إلى التراث العربي مثلاً فإننا نجد الكثير من أخبار الجن والشياطين والسَّحرة والسِّحر والغيلان والعنقاء والأشباح، مدوَّنة في قصصهم وملاحمهم التي يتناقلونها، كقصة عنترة، والزير سالم، وقصص السندباد البحري، وقصص ألف ليلة وليلة، وليس في الأدب القديم فقط بل إنَّ الكثير من مادة الأدب النثري الحديث تزخر بأخبار السِّحر.

فها هو عميد الأدب العربي طه حسين في قصته الشهيرة شجرة البؤس يتحدَّث عن اعتقادات أهل الأرياف بالجن في مصر، فيخبر عن جنِّيَّة متزوِّجة من إنسي جاءها، مفاده أنَّ أخاها يُحتضر فما كان منها إلاَّ أن ألقت بنفسها في التنور وهو أقصر طريق لكي تصل إلى أخيها قبل أن يفارق الحياة.

يقول طه حسين: «كانت جنِّية، تمثَّلت لأبي عثمان امرأة، فتزوَّجها وولدت له ابنه عثمان، ثم جاءها النبأ بأنَّ أخاها يُحتضر فأسرعت للقائه قبل أن يموت، وسلكت إليه أقرب الطرق وهو التنور حين يكون ملتهبًا. والجنيَّات يألفن التنُّور، ولذلك لا ينبغي أن يحمى التنُّور دون أن يذكر اسم الله عند إشعال النار، فإنَّ ذلك يطرد منه الشياطين، ويؤذن المسلمات من الجن بأنه سيحمى، فيخرجن منه قبل أن يدركهن شيء من النَّار»[١].

وها هو أنيس منصور الصحافي المصري يضع كتابًا سمَّاه: «أرواح وأشباح»، يذكر فيه العديد من قصص الجن والعفاريت والبيوت المسكونة، وفنونًا عديدة من أفانين السِّحر. كذلك كتب العديد من المقالات المتسلسلة في مجلة أكتوبر المصرية

---

(١) حسين، طه، شجرة البؤس، ص ١٤٠ ــ ١٤١.

عام ١٩٧٤م، تناول فيها جوانب عديدة من أخبار السِّحر في العالم، وركَّز الأضواء أكثر ما يكون على الأثر الاجتماعي لموضوع السِّحر.

وفي لبنان هنالك دار للنشر اسمها «دار النسر المحلِّق» متخصِّصة بنشر كل شيء عن ساحر عاش في لبنان اسمه «الدكتور داهش». وقد نشرت هذه الدار ما يقارب الخمسين كتابًا، كلها تمجِّد داهش، وتتحدَّث عن أعماله و «خوارقه»، بالإضافة إلى بعض الأشعار التي قالها داهش أو قيلت عنه من قبل أتباعه ومعتنقي ديانته التلفيقية! كما أنَّ بعض الكتب التي صدرت عن هذه الدار تشرح مذهب داهش الديني الذي أراد به أن يستبدل الديانات السماوية الثلاث.

وكما نجد موضوع السِّحر في النشر العربي، كذلك نجده في النشر العالمي محتلاًّ مكانة بارزة من ضمن الموضوعات المطروقة. ففي الأدب القديم للشعوب، نشير إلى القصص والأساطير النثرية، كما أنَّ العصور الوسطى شهدت كتابات أدبية خاصة في أوروبا تهاجم السِّحر والسَّحرة، وتصفهم بأبشع الصفات، وتتحدَّث عن اجتماعهم في الغابات والكهوف، وتتحدَّث عن حفلاتهم التي تقام كي يعمدهم الشيطان ويعطيهم العهد، على أن يخدمهم مقابل الكفر بالله، وإيذاء الناس وتدنيس المقدَّسات والقيم الإنسانية، وقتل الأطفال وشرب دمائهم وارتكاب أعمال الشذوذ والرذيلة المختلفة والابتعاد عن الطهارة[١].

أما في بداية القرن التاسع عشر، فظهرت طفرة أدبية ملخَّصها أنَّ أرواح الأموات تحل في بعض الوسطاء وتملي عليهم أخبارًا وقصصًا وتوجيهات، ومن أشهر هؤلاء: الراهبة «آنا كاتارينا إيميريش Anna Catharina Emerich التي أصدرت عدَّة كتب بهذه الطريقة أولها: «آلام سيِّدنا يسوع المسيح» سنة ١٨٣٣م، ثم كتاب «حياة العذراء مريم».

---

(١) لمزيد من المعلومات يمكن العودة لكتاب: فنون السِّحر، لأحمد الشنتناوي، ولكتاب: أشباح وأرواح، لأنيس منصور.

ثم انتقلت هذه العدوى إلى أمريكا حيث يذكر كتاب عالم غير منظور ما يلي: «إنَّ أحد الوسطاء الأميركيين أكمل بالكتابة التلقائية مخطوطًا كان قد بدأه القصصي الإنجليزي الشهير تشارلز ديكنز عنوانه: «أسرار إدفان دود» وأصيب بنزيف دموي في الدماغ خلال شهر تموز سنة ١٨٧٠م أدَّى لوفاته قبل إنجاز عمله، وكان الوسيط الأميركي يتلقَّى إيحاء الكتابة من المؤلِّف ديكنز، وعند إتمام العمل الذي تضمَّن القسم الأكبر من القصة تبيَّن لعارفي القصصي ديكنز، بعد نشر الكتاب، أنَّ طريقة التفكير والكتابة تؤكِّد أنَّ الإيحاء كان من صنعه»[1].

وهنا علينا أن نشير إلى أنَّ مضمون هذه الفقرة يتنافى مع ما نعتقد به، وهو استحالة إحضار أرواح الأموات، والثاني: أنَّ الإنسان إذا مات انقطع إنتاجه العملي في هذه الدنيا.

وجاء في نفس المصدر السابق: «وفي نفس الوقت شاع في روسيا ذكر سيِّدة أديبة تُدعى كريشا نوفسكار روشستر، التي كانت تعيش في أوستانيا، وهذه السيِّدة كتبت لا أقل من أربعين قصة عن أمور خفية ادَّعت أنها تلقَّت مضمونها بواسطة انتقال الأفكار عن شخص هندي مجسد، وكانت الكتابة تجري بسرعة تمنعها من فهم معنى ما تكتب، وكانت تكتب أحيانًا بالفرنسية مع أنها لا تتقن هذه اللغة. وقد أدهشت العلماء المختصِّين بما ورد في مؤلفها المصاغ بالكتابة التلقائية بعنوان «عجائب الماضي» من دقَّة في التعبير وفي وصف الحفلات والطقوس الدينية في مصر القديمة، مما حمل المجمع العلمي الفرنسي على منح المؤلِّفة وسامًا تقديرًا لإيضاحاتها التاريخية الدقيقة»[2].

لكن الكتابة التلقائية ما وقفت عند هذا الحد، بل لقد ظهر أيضًا من يكتب تلقائيًا بيد ويرسم تلقائيًا باليد الأخرى، تقول يمنى زهَّار: «إنَّ بعض الوسطاء كان

---

(١) زهَّار، يمنى، عالم غير منظور، ص ١١٧ ــ ١١٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٨.

يمارس الكتابة التلقائية بإحدى يديه، والرسم أو التصوير بالأخرى، وهذا ما حصل للوسيط ستانتون موزيس، إذ شعر أثناء وجوده عند أحد الأصدقاء في لندن بتاريخ ٢١ شباط ١٨٧٤، بدافع يجذبه للرسم، فطلب ورقة وقلمًا وبدأ يرسم على الورقة ويكتب ما أوحي به إليه، فكان الرسم يمثِّل جوادًا يجر عربة والكتابة تقول أنَّ شخصًا يريد إذاعة خبر انتحاره، ولدى التحقيق عن صحَّة الخبر تبيَّن أنَّ شخصًا رمى بنفسه منتحرًا في صباح ذلك النهار، في محلة «باكر ستريت» تحت دولاب عربة مخصَّصة لرصّ البحص على الطرق، كما تبيَّن أنَّ في مقدمة العربة قطعة من النحاس تدل على مكان صنعها، وعلى قطعة النحاس صورة جواد يشبه تمام الشبه الجواد الذي سبق للوسيط رسمه»[1].



(١) زهَّار، يمنى، عالم غير منظور، ص ١٢٣.

الفصل السادس عشر
السّحر والقانون

أوَّلاً ــ لماذا وقف القانون السماوي والوضعي ضد السِّحر؟

السِّحر عمل قبيح ضار بصاحبه قبل أن يكون ضارًا بالآخرين، والساحر إنسان ميت الضمير، وجوده ضار بالمجتمع وهو كالسوس الذي ينخر الخشب، ومن الصعب عليه أن يتوب، أو يقلع عن أعماله الشيطانية التي تنبع من نفسية شريرة لا خير فيها ولا أمل ولا رجاء في إصلاحها.

وكيف يكون فيه أي ذرة من الخير وقد تعاهد مع الشيطان على السمع والطاعة والولاء الكامل مقابل أن يعينه الشيطان وذريته على أعمال خسيسة، تتمثل في إلحاق الضرر بخلق الله من إنسان وحيوان ونبات.

إزاء هذا الضرر الذي يسببه السِّحر والسَّحرة كان لا بد للشرائع السماوية من الوقوف بوجه هذه الوحوش البشرية المتعطشة بطبعها للفساد، فكان القانون السماوي العادل، وكان القانون الوضعي المدني في البلدان التي تخلَّت عن عدل السماء فاختارت قوانين وضعية من صنع الإنسان تصيب وتخطىء. وكان هنالك أخيرًا القانون الجماهيري الغوغائي الذي لا يستند إلى قانون السماء ولا إلى قانون الأرض، بل يستند إلى مزاج من يحرك الجماهير ويقودها نحو أي هدف يريده. وهذا ما تمثل ببعض محاكم التفتيش التي سادت في معظم المجتمعات الأوروبية في القرن السادس عشر وما بعده.

ولسوف أقصر البحث على الحديث عن السِّحر والقانون بما يتعلق بالقانون المدني أو الوضعي والقانون الجماهيري الغوغائي، على أن أبحث في القانون السماوي في الفصل الخاص الذي يبحث بموقف الأديان من السِّحر والسَّحرة.

ثانيًا ـ القانون الوضعي اللبناني:

بحثت في القانون اللبناني عما يتعلق بالسِّحر والسَّحرة والمنجمين والمشعوذين، فوجدت المادة ٧٦٨ من قانون العقوبات اللبناني تنص على ما يلي: «يعاقب بالتوقيف التكديري[1] وبالغرامة من خمس إلى عشر ليرات[2] من يتعاطى بقصد الربح مناجاة الأرواح والتنويم المغناطيسي والتنجيم وقراءة الكف وقراءة ورق اللعب وكل ما له علاقة بعلم الغيب، وتصادر الألبسة والعدد المستعملة. ويعاقب المكرر بالحبس من ستة أشهر وبالغرامة حتى مائة ليرة، ويمكن إبعاده إذا كان أجنبيًا».

تعسًا لهذا القانون الوضعي الذي يعاقب مرتكب جرم الدجل والشعوذة والاحتيال وتفسيخ المجتمع وتفكيكه والفساد في الأرض، بغرامة من خمس إلى عشر ليرات لبنانية لا غير! علمًا بأن ما يتقاضاه الساحر أو الدجال من الضحية الواحدة يفوق هذا المبلغ أضعافًا مضاعفة. كما أن العقوبة بالحبس لمدة ستة أشهر في حال تكرار الجرم والغرامة التي تصل إلى مائة ليرة أمر لا يتناسب مع الجرم الشنيع والقبيح ومع الفساد الذي يتأتى عن مرتكب السِّحر والشعوذة، وهذا العقاب ليس بالعقاب الرادع لأمثال هؤلاء الفجرة الكفرة. وهذا ما يفسر كثرة السِّحر والمشعوذين في لبنان، إذ أنه ليس من قانون رادع يحول بينهم وبين أعمالهم الشنيعة.

ففي بيروت مثلاً نجد في كل شارع من شوارعها تقريبًا ساحرًا أو عرَّافًا يتزاحم على بابه الناس، أكثر مما يتزاحم على أبواب العيادات الطبية. ليس هذا فحسب، بل

---

(١) التوقيف التكديري: بمعنى توقيف من يوم إلى عشرة أيام.

(٢) بسبب تدني قيمة الليرة اللبنانية، فإن القضاة اليوم يحكمون بعشرة أمثال هذا المبلغ.

إن معظم الصحف والمجلات التي تصدر في لبنان ومعظم أنحاء العالم لا بد لها من باب يتحدث عن الأبراج والنجوم والحظ هذا اليوم، أو هذا الشهر، كما أن معظم الإذاعات وأجهزة التلفاز تخصص برنامجًا أو أكثر لهذه الأمور، كما أنها تستضيف مدَّعي علم الغيب والمنجمين ومدعي مناجاة الأرواح باستمرار وخاصة في مطلع كل عام ميلادي، تطلب منهم التنبؤ بأحداث العام الجديد.

أليس هذا مخالفًا لقانون العقوبات اللبناني رقم ٧٦٨ أيها القيِّمون على القضاء في لبنان، أين أمانة الوظيفة، واليمين الذي أقسمتم حين دخلتم سلك القضاء؟

كما أن الكثير من المجلات والصحف الصادرة في لبنان، تُفرد في باب الإعلانات المبوبة مساحات كبيرة لهؤلاء الدجالين والمنافقين، كما أنها تنشر لهم صورًا وكلامًا يعاقب عليه القانون صراحة، والأغرب من ذلك فإن هنالك بعض الإذاعات التي تفتتح بثها وتنهيه بالقرآن الكريم وتنقل صلاة الجمعة من مساجد بيروت ومع ذلك، لا تتورع عن الحديث عن الأبراج والحظ، وكأنه أمر صحيح ومشروع، ولا عجب في ذلك فلا رادع هناك ولا حسيب من قبل القانون الوضعي الذي ارتضاه ضعاف الإيمان بدلاً من القانون السماوي الذي فرضه الله علينا سبحانه وتعالى.

وما يقال عن الإذاعات الملتزمة دينيًا يقال أيضًا عن جرائد ومجلات تحمل نفس الالتزام الديني.

ثالثًا ـ القوانين الوضعية في بلاد أخرى والسِّحر:

الوضع عندنا في لبنان أفضل حالاً من بعض الدول التي لا تزال تعترف رسميًا بالتنجيم حتى الآن كنيبال وبورما وسريلانكا وسيكيم، كما لا تزال حكومات هذه الدول تلجأ للمنجمين في تحديد المناسبات الهامة كأيام التتويج، وزواج الأمراء وتوقيع الاتفاقيات!

«ومن القوانين الوضعية الموجودة في بريطانيا فيما يتعلق بالسِّحر وأمور الغيب والشعوذة قانون يعاقب من يطلق شائعة على بيت من البيوت فيقول بأنه مسكون بالجن والعفاريت»(١).

كما أن «إحدى محاكم لندن قضت في سنة **١٩٥٢** بتخفيض بدل إيجار أحد البيوت بحجة أن البيت مسكون بالجن والأشباح»(٢).

رابعًا ـ السِّحر والقانون الوضعي الغوغائي:

وهذا النوع الأخير من القوانين المتعلقة بالسِّحر جاء عن طريق محاكم التفتيش التي نعتبرها نوعًا من حكم المجتمع والجماهير الغوغائية، والتي انتشرت في طول أوروبا وعرضها، خاصة في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا منذ أوائل القرن الخامس عشر وحتى نهاية القرن السابع عشر، حيث كان الناس في حالة شبه هستيرية يتعقبون السَّحرة في طول البلاد وعرضها ويقدِّمونهم لمحاكم التفتيش التي كانت تتفنَّن في تعذيب المتهمين، وتصدر أحكامًا مزاجية على من تثبت عليه التهمة. وأغلب أحكامها كانت تشمل في طياتها الحكم بالموت إما حرقًا أو شنقًا أو غرقًا أو تعذيبًا حتى الموت.

ويذكر لنا تاريخ محاكم التفتيش أن أحد القضاة وضع كتابًا يتحدث فيه عن طرق التفنن في تعذيب المتهمين بجرم السِّحر وعن أساليب ملاحقتهم وإرغامهم على الاعتراف. ورد في ذكر كتاب فنون السِّحر: «ونذكر من بين القضاة الذين عاملوا هؤلاء السَّحرة بمنتهى القسوة والوحشية، هنري بوجيه قاضي قضاة كونتيه برجاندي. فقد نشر هذا القاضي في عام **١٦٠٣** كتابًا عن السَّحرة وما يجب على القاضي أن يتبعه من التعليمات عند محاكمته للسَّحرة. وهو يذكر في هذا الكتاب بصراحة متناهية أعمال القسوة التي قام بها في محاكماته للسَّحرة.. وقد شعرت أسرته بعد وفاته

---

(١) منصور أنيس، أرواح وأشباح، ص ١٨٨.

(٢) زهار، يمنى، عالم غير منظور، ص ١٦.

بالخجل لما قام به هذا القاضي من أعمال تتنافى والإنسانية، لذلك أعدمت جميع نسخ هذا الكتاب التي أمكنها الحصول عليها.

ولا يقل عنه شهرة في هذا الميدان القاضي «مارتن دلر ربو» أحد قضاة مجلس الدم الذي أنشأه دوق ألفا لمطاردة السَّحرة في بلاد الفلاندرن. وهناك آخرون من غير القضاة نشروا عدة كتب خاصة بأنواع العقوبات التي يجب إنزالها بالسَّحرة والمشعوذين، كما قام بعض رجال الدين المسيحيين بنشر الرسائل الخاصَّة عن هذا الموضوع ذاته. وفي إنجلترا قام الملك هنري الثامن والملكة إليصابات باضطهاد السَّحرة وتعذيبهم بمنتهى العنف والقسوة. ولا ننسَ في هذا المقام الملك جيمس الأول الذي كتب بخط يده رسالة في اضطهاد السَّحرة نشرت في هانوفر عام ١٦٠٤»[١].

كما انتشرت الوشايات في تلك الآونة ووقع أناس كثيرون ـ أبرياء ومذنبون ـ بين أيدي محاكم التفتيش التي لم ينج منها مذنب ولا بريء، فالكل سواسية، والنتيجة واحدة هي أن المتهم مصيره الموت بطريقة من طرق التعذيب التالية: الحرق، الإغراق، الخنق، أو الموت على الخازوق.

أما القوانين المدنية الوضعية في أوروبا قبل تاريخ بدء محاكم التفتيش فكانت متساهلة بحق السَّحرة في أحكامهم إذا ما قارناها بالعقوبات المنصوص عليها في الشريعة الموسوية التي تقول: «لا تدع ساحرة تعيش»[٢]، فكثيرًا ما كانت غرامات مالية أو نفي السَّاحر من البلاد، أو إخراج المذنب من حظيرة الكنيسة.

يقول كتاب فنون السِّحر: «ومن المؤكد أن العقوبات التي كانت تفرضها القوانين الأوروبية المتقدمة على السَّحرة، كانت أهون بكثير من العقوبات المنصوص عنها في الشريعة الموسوية، إذ كثيرًا ما كانت تفرض الغرامات المالية على من يُتَّهم بالسحر.

---

(١) الشنتناوي، أحمد، فنون السحر، ص ١٠٣.

(٢) الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح الثاني والعشرون: ١٨.

ونجد أيضًا أن المجامع الدينية مثل مجمع لوديسيا الذي عقد في عام ٢٦٢ للميلاد، وكذلك مجمع برخمستد الذي عقد عام ٦٩٧، كانت تقنع في أحكامه بإخراج السَّاحر أو السَّاحرة من حظيرة الكنيسة المسيحية، أو فرض غرامة مالية عليه. كذلك لم يغال القضاة المدنيون في العصور الوسطى في الحكم على هؤلاء السَّحرة دون سبب معقول»[١].

❑ ❑ ❑

(١) الشنتناوي، أحمد، فنون السِّحر، ص ١٠١.




الباب الخامس

السِّحر في ميزان الشرع

الفصل السابع عشر : موقف الديانتين اليهودية والنصرانية من السحر .

الفصل الثامن عشر : موقف الإسلام من السِّحر .

الفصل التاسع عشر : قصص السِّحر في القرآن الكريم .

الفصل العشرون : الفرق بين الكرامة والسِّحر .



السّحر في ميزان الشرع

تمهيد:

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن، فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء: من مات لم يشرك بالله شيئًا، ولم يكن ساحرًا يتبع السَّحرة، ولم يحقد على أخيه»[1].

من هذا الحديث الشريف يتبيَّن لنا أن السِّحر أمر فظيع منكر يأتي من فظاعته وبشاعته توًّا بعد الكفر بالله، لذلك لم يهادن دين من الأديان السماوية السِّحر، ولم يتعايش معه، بل كان الدين في جانب الحق والعدل، والعقل والمنطق، وكان السِّحر في جانب الباطل والظلم والضلالة والشيطان.

والصراع بين الدين والسِّحر قديم قدم وجود الإنسان، فمنذ فجر التاريخ حين جاءت الأنبياء والرسل بالوحي السماوي الذي فيه خلاص البشرية، جاء إبليس اللعين وطرح حبائله وشراكه في طريق الناس لاصطياد أكبر عدد منهم وحرمانهم من التوجه إلى الله بالعبادة والشكر، فكان له بعض ما أراد عن طريق السِّحر اللعين الذي ظاهره حلو جذاب برَّاق، وباطنه مرٌّ كريه منفِّر، تمامًا كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا ما وصل إليه لم يجده شيئًا، بل وجد الشيطان مقهقهًا ساخرًا منه، فيطلب العودة إلى حظيرة الإيمان فلا يقدر، لأن الشيطان قد أخذ منه عهدًا لا رجوع فيه عن الكفر، فتزهق روحه وقد خسر الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه الطبراني.

فالسَّاحر حين يقدم على تعلم السِّحر يريد من تعلمه هذا العلم العزة، ولو تفكر لعلم أن العزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين. ويريد المال، ولو تدبَّر لعلم أن الله هو الرزاق الكريم. ويريد معرفة الغيب، ولو تأمل في القرآن الكريم لعلم أن الله علَّام الغيوب. ويريد أن يمسخ الناس كلابًا وقططًا، ولو نظر بتعقل لعلم أن الله وحده هو الخلاق العظيم. ويريد أن يوقع العداوة بين الناس، وما علم أن الله يقول: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

لكن الشيطان استحوذ عليه، وصوَّر له أن بإمكانه أن يحقق له كل ذلك ، وما كان للشيطان سلطان سوى أن دعاه، فاستجاب هذا الإنسان القليل العقل العجول، الذي يريد أن يصل إلى مبتغاه من أقصر الطرق وأقلها عناءً ومشقة. هذا هو حال الإنسان الذي يدعى بالساحر.

ونختم هذه المقدمة القصيرة بحديث كريم كما بدأناها، بقول رسول الله ﷺ: «من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء فصدَّقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»[1].



(١) رواه مسلم في صحيحه.

الفصل السابع عشر

موقف الديانتين اليهودية والنصرانية من السِّحر

أوَّلاً ـ موقف الديانة اليهودية من السِّحر :

إذا عدنا إلى العهد القديم الموجود اليوم بين أيدي الناس، والذي يجب أن نقر بأنه لم يسلم من يد التبديل والتحريف والحذف الذي لحقه عبر التاريخ الطويل، فإننا نجد فيه أوامر ونواهٍ تتعلق بالسِّحر والسَّحرة والجن. يمكن أن نستخلص منها بعضًا من مواقف هذه الديانة تجاه موضوع السِّحر، ففي سفر اللاويين نجد ما يلي: «لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم، أنا الرب إلـٰهكم»[1].

إن هذا الأمر الموجه إلى بني إسرائيل بعدم الالتفات إلى الجان أي عدم الاهتمام بهذا العالم الخفي، وعدم محاولة الاتصال بهم، والتحذير من استخدامهم والتعامل معهم، والتعاطي مع الجن يقع معظمه تحت باب السِّحر والإيذاء، ولا يحمل في طياته الخير كما وضح ذلك القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن].

وكلمة «تتنجسوا» تحمل في طياتها معاني النجاسة المادية والنجاسة المعنوية، لأن من يستحضر الجن ويتصل بهم من أجل السِّحر لا بد وأن يبتعد عن طهارة البدن والثوب والمكان. لأن الجن الذي يعاهد الساحر على خدمته لا بد وأن يشترط عليه ألا يكون طاهرًا، وذلك كي لا يدعه يفكر في تلاوة كتاب الله، أو الصلاة التي لا تصح إلاَّ بالطهارات الثلاث.

---

(١) الكتاب المقدس، سفر اللاويين، الإصحاح التاسع عشر: ٣١.

وأما النجاسة المعنوية فتتمثل في أن من يتعاطى السِّحر يدخل في زمرة الكفرة والمشركين بالله، ومن كان كافرًا مشركًا بالله فهو نجس وفقًا لحكم القرآن الكريم الذي يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة].

وفي سفر الخروج حكم على الساحر بالموت: «لا تدع ساحرة تعيش»[1].
وفي سفر اللاويين نفس الحكم، ولكن بصيغة مختلفة: «وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل، بالحجارة يرجمونه، دمه عليه»[2]. والمقصود بالرجل الذي به جان أو تابعة هو الساحر، فالساحر، إنما يفعل ما يفعل بواسطة الجان والتوابع، والحكم هو الرجم بالحجارة حتى الموت ثم يردم عليه بالتراب.

وفي سفر التثنية أيضًا تأكيد على حكم قتل السَّاحر: «إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلَّمك عنها قائلاً لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم لأن الرب إلـٰهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلـٰهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم وراء الرب إلـٰهكم وتسيرون وإياه تتقون ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون، وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلـٰهكم الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلـٰهكم أن تسلكوا فيها فتنزعون الشر من بينكم»[3].

إن المتنبيء هنا أو مدَّعي النبوءة يستخدم السِّحر لإظهار بعض الخوارق والأعاجيب كيما يؤثر على ضعاف العقول من الناس فتصدق نبوءته وتتبعه، فحكمه الموت.

---

(١) الكتاب المقدس، سفر اللاويين، الإصحاح الثاني والعشرون: ١٨.
(٢) المصدر السابق، سفر اللاويين، الإصحاح العشرون: ٢٧.
(٣) المصدر السابق، سفر التثنية، الإصحاح الثالث عشر: ١ ــ ٥.

وفي نفس السفر أيضًا نجد أن الله سبحانه وتعالى يشير إلى أن اليهود يستمعون إلى كلام الكهّان والعرّافين بينما هو أمر غير مسموح به: «إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرّافين، وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا»[1]. كما يذكر سفر الملوك الثاني كيف أباد الملك يوشيا في السنة الثامنة عشرة من ملكه السَّحرة والعرافين في أرض اليهود، وذلك تطبيقًا للشريعة المكتوبة في السفر الذي وجده حَلْقِيا الكاهن في بيت الرب: «ولكن في السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا عمل هذا الفصح للرب في أورشليم وكذلك السَّحرة والعرّافون والتراقيم والأصنام وجميع الرجاسات التي رئيت في أرض يهوذا وفي أورشليم أبادها يوشيا ليقيم كلام الشريعة المكتوبة في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن في بيت الرب»[2].

وكما يوجد في القرآن الكريم سورة الفلق التي يتعوذ بها من الحاسد ومن شر حسده، كذلك نجد في سفر الأمثال ما يشبه ذلك: «لا تأكل خبز ذي عين شريرة ولا تشته أطيابه لأنه كما شعر في نفسه هكذا هو يقول لك كل واشرب وقلبه ليس معك. اللقمة التي أكلتها تتقيأها وتخسر كلماتك الحلوة»[3]. وقوله: «تتقيأها وتخسر كلماتك الحلوة»، تشير إلى أن الحاسد أو ذا العين الشريرة يحدث مرضًا جسمانيًا يتمثل بالتقيؤ، ومرضًا نفسيًا يتمثل بخسرانه الطلاقة وقول الكلام الجميل والشعور بالسعادة.

ثانيًا ـ موقف الديانة النصرانية من السِّحر:

من يقرأ العهد الجديد أو الأناجيل الموجودة اليوم بين أيدي النصارى، يجدها خالية من الأحكام الشرعية المتعلقة بالسَّاحر وأعماله القبيحة، لكن يجد أن السيد المسيح عليه السلام قد أخرج شياطين كثيرة من أجساد الناس وشفاهم من تسلط الجن عليهم. كما أنه أجاز لبعض تلاميذه فعل ذلك، وقصة إخراج الجني بانتهاره

---

(١) الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر: ١٤.

(٢) المصدر السابق، سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثالث والعشرون: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) المصدر السابق، الإصحاح الثالث والعشرون: ٦ ـ ٨.

التي أوردناها سابقًا والمثبتة في إنجيل متى الإصحاح السابع عشر: ١٤ ــ ١٨ تشير إلى مشروعية استخدام الغلظة مع الجن الذين يصرعون الإنسان.

وهكذا نجد أن الإنجيل خال من الأحكام الشرعية تجاه السَّحرة، لذا أخذت الكنيسة الأحكام من الديانة الموسوية، لكنها في العصور الوسطى أعطت لنفسها حق التشريع، فأفتت بالسجن وبالتعذيب ومصادرة الأموال والطرد من البلاد والقتل حرقًا لكل من يرتكب جرم مزاولة السِّحر أو من يثبت أن بداخله جنًّا يسيرونه ويجعلونه يوقع الأذى والضرر بالناس. فكانت محاكم التفتيش، وكان العقاب الصارم بحق الساحر أو حتى من تقع عليه شبهة السِّحر من العلماء والفلاسفة والأدباء، ومن رجال الدين أنفسهم، فقد ورد في كتاب عالم غير منظور ما يلي: «ومن يقدم على ذلك يعرِّض حياته للخطر باصطدامه بالسلطة الدينية، وهذا ما حصل للفيلسوف والطبيب الإيطالي «بياترو دابانو» الذي درس في جامعة باريس ثم سافر إلى سردينيا والقسطنطينية، وترجم من العبرية بعض المؤلفات كما ترجم بعض مؤلفات أرسطو، ثم ألف كتبًا في موضوع علم الفلك، ورؤية الغيب، وكشف المستقبل، والسحر. وقد وشى به البعض لدى ديوان التفتيش الذي أمر بحرق كتبه، وقد تملَّص من الإعدام حرقًا غير أن جثته لم تنج من الحرق بعد وفاته»[١].

وقد أوحت الكنيسة في القرون الوسطى للناس بأن السَّحرة هم عملاء الشيطان ومنفذو أغراضه، وأنهم هم سبب كل بلاء وشقاء يحصل للأفراد والعائلات والمدن، لذلك يجب مطاردتهم وإبادتهم عن وجه الأرض. يقول المرجع السابق:

«وقد أدت عقائد الكنيسة منذ بدء القرون الوسطى إلى قناعة عامة بوجود السَّحرة والمشعوذين، وأنهم بصفتهم عملاء الشيطان يجلبون الشقاء للأفراد وللعائلات وللقرى وتجب مطاردتهم، وقد حارب البعض هذه الخرافات ومنهم الملك شارلمان وبعض أحبار الكنيسة، ولكن المنطق لم ينتصر وصدرت بالتتابع

(١) زهار، يمنى، عالم غير منظور، ص ٢٥ ــ ٢٦.

تشريعات ضد هؤلاء السَّحرة والمشعوذين ودعت الكنيسة عناصر التفتيش لمعاونتها في تتبع الأشخاص المذكورين مما زاد عند الشعب حدة تلك الاعتقادات الخرافية. وكان سلاح الأساقفة للتحري عن المارقين «الهراطقة» ومعاقبتهم، دوائر التفتيش التي أنشأها البابا غريغوار التاسع، استلم إدارتها في سنة ١٢٣٣ الرهبان الدومينيكيون، وكانت العقوبة التي يصدرها ديوان التفتيش متناسبة مع درجة الإلحاد وتتراوح بين الإلزام بالحج إلى الأماكن المقدسة، والعقوبة البدنية، والحرم، والحبس المؤبد، والإعدام حرقًا.

وأول حكم صدر بالإعدام حرقًا بإيحاء من الكنيسة ضد السَّحرة كان عام ١٢٧٤، وكان أول رقيم تحريض للتشدد من محاكم التفتيش صدر عام ١٤٨٤ من قبل البابا إينوسان الثامن. أشار في هذا الرقيم إلى أنه عرف بمزيد الأسف والأسى والحزن بوجود السَّحرة الكفرة المتعاونين مع الشيطان، وعرف بأفعالهم الشنيعة المتمثلة بقتل الأطفال والحيوانات الصغيرة، وإتلاف المحاصيل الزراعية وإيقاع الأذى بالنساء والرجال، ومنعهم الرجال والنساء من القيام بالواجب الزوجي. وأعلم المسيحيين أن الله يعاقب من يشك بوجود السَّحرة والسَّاحرات. وتنفيذًا لهذا الرقيم صار انتداب شخصين من رجال التفتيش للتحري على مرتكبي الإلحاد ومعاقبتهم وإبادتهم، فوضع الرجلان قانونًا يرجعون إليه في تنفيذ المهمة، وكانت الوشاية تكفي للمحاكمة، ووسيلة إعادة المذنب إلى صوابه تقوم على تعذيبه. ثم صدرت على التوالي براءات بابوية تتضمن تطبيق هذا القانون في سائر بلاد أوروبا، فجرى إنشاء محاكم خاصة في إيطاليا وفرنسا وإنكلترا على غرار ما جرى في ألمانيا، وأصبح لكل مدينة جلادها ومراكزها للإعدام حرقًا، وكان الشعب يخشى الساحرات وكأنه واقع في كابوسهن»[1].

والقسم الأكبر من الذين حوكموا ظلمًا وأحرقوا بموافقة الكنيسة ومُثِّل بجثثهم كانوا من الناس المرضى نفسيًا، وذلك بشهادة الطبيب جان وير (١٥١٥ ــ ١٥٨٨)

---

(١) زهّار، يمنى، عالم غير منظور، ص ٢٦ ــ ٢٧.

الذي أصدر كتابًا نشر عام ١٥٦٩ يقول فيه: إن الكثير ممن أعدم بتهمة السِّحر ليسوا بسحرة، بل هم أناس مرضى بشتى أنواع الأمراض العصبية، فهم لا يستأهلون هذه العقوبة الشديدة. ولعل هذا الكتاب قد أيقظ ضمير بعض المجتمعات التي صحت على هول ما فعلت من ظلم وفظاعة فتناقص على أثر ذلك عدد المحاكمات تدريجيًا.

يقول كتاب فنون السِّحر: «قام طبيب مشهور يدعى جان وير ولد عام ١٥١٥ وتوفي عام ١٥٨٨ وأصدر كتابًا نشر في عام ١٥٦٩ دل فيه على أن كثيرًا من الذين يتهمون بالسِّحر ليسوا سحرة، إنما هم مرضى بمختلف الأمراض العصبية فلا يستأهلون هذا العقاب الذي يحل بهم. ولعل تناقص عدد السَّحرة الذين حوكموا وعذبوا في عهده، يرجع إلى هذا الكتاب الذي ترك أثرًا عميقًا في نفوس الناس فجعلهم يفكرون ويبحثون طويلاً قبل اتهام شخص بالسِّحر وإنزال العقوبة به»[١].

ولعل أشهر المحاكمات التي وقعت في فرنسا قد تمَّت خلال القرن السابع عشر، وكان المحكوم عليه بالإعدام حرقًا راهب اسمه جود فري إذ اتهم بأنه سحر راهبة. ورد في نفس الكتاب السابق: «ولعل أشهر محاكمات السَّحرة التي تمت في فرنسا خلال القرن السابع عشر محاكمة جود فري أحد القساوسة، إذ اتهم بأنه سحر راهبة من الراهبات تدعى ماجدولين ماندل، فحكم عليه بالحرق حيًّا عام ١٦١١. وقد اعترف هذا الراهب أثناء المحاكمة أنه قد حضر اجتماعًا من اجتماعات السَّحرة التي أشرنا إليها سابقًا وكان ذلك جرمًا لا يغتفر»[٢].

ولعل أصغر من حوكم بتهمة السِّحر وحرق، فتاة تدعى «كاترين ناجوي»، كما أن محررة فرنسا «جان دارك» قضت حرقًا بتهمة السِّحر.

❑❑❑

---

(١) الشنتناوي، أحمد، فنون السِّحر، ص ١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٦.

الفصل الثامن عشر

موقف الإسلام من السّحر

أوّلاً ــ عالم الغيب:

الغيب نوعان، **غيب مطلق**: وهو الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، كما ورد في سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

وكما ورد في سورة الأنعام: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول الفخر الرازي: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ يدل على كونه تعالى منزَّهًا عن الضدّ والندّ، وتقديره: أنَّ قوله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ يفيد الحصر، أي عنده لا عند غيره. ولو حصل موجود آخر واجب الوجود لكان مفاتح الغيب حاصلة أيضًا عند ذلك الآخر، وحينئذ يبطل الحصر»[1].

والنوع الثاني: **غيب مقيد**: وهو الغيب الذي يعلمه البعض ويجهله البعض الآخر، مثال ذلك إذا تقدَّم إنسان لمباراة لملء وظيفة ما في إحدى الدوائر الرسمية فنتيجة المباراة تكون بالنسبة له غيبًا، بينما تكون بالنسبة للهيئة أو للَّجنة الفاحصة معروفة، وذلك بعد تصحيح المسابقات وجمع العلامات، وقد تكون بالنسبة لإنسان

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ١٣/ ١٢.

آخر معروفة، كأن يكون على اتصال بأحد الخدم الموجودين في مكان فرز النتائج. كذلك إذا سرق إنسان مثلاً شيئًا فالسارق غيب بالنسبة لك لجهلك بالفاعل، ولكنه ليس غيبًا بالنسبة للسارق، أو لمن عاونه في السرقة، أو لمن شاهد الحادث.

وهذا الغيب المقيَّد يمكن أن يصنَّف تحت حكم المجهول أو الذي لا يخضع مباشرة لحواس الإنسان، إذ يمكن بالتحرِّي أو بوسائل معيَّنة كشفه، وهو غير الغيب الذي خصَّ به الله نفسه سبحانه وتعالى. كما أنَّ هنالك نوعًا من الغيب يطلع الله بعضًا من خلقه عليه، كما ورد في سورة الجن: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

وهذا الإنسان الذي يطلعه الله على شيء من الغيب لا يعلم كل الغيبيات بل يعلم ناحية معينة أراد الله سبحانه وتعالى، لحكمة معينة، أن يطلعه عليها.

ويفصِّل الشيخ محمد متولِّي الشعراوي موضوع الغيب بالنسبة للزمن فيجعله ثلاثة أنواع: غيب ماض، وغيب حاضر، وغيب مستقبل. يقول في ذلك: «والغيب حدث في الماضي أو حدث في المستقبل، فعندما يخبرك بشيء مضى فيكون قد خرق حجب الزمان الماضي، وعندما يخبرك بالمستقبل يكون قد خرق حجاب المستقبل، أما الحاضر فإنه خرق للمكان فيخبرني شخص بشيء حدث في الإسكندرية وهو جالس معي هنا في القاهرة في نفس زمان الحدث»[1].

بعد أن بيَّنا نوعي الغيب وهما: الغيب المطلق، والغيب المقيَّد، نستنتج أنَّ محاولة معرفة الغيب المطلق أمر مستحيل، لأنَّ هذا الغيب اختص الله سبحانه وتعالى نفسه به، وأن مدَّعيه يكون كافرًا، وذلك لتكذيبه آيات الله التي أنزلت على قلب المصطفى ﷺ، كأن يدَّعي أنه يعلم أجل أحد الناس، أو أنه يعلم بأنَّ فلانًا سيُرزَق في الغد مبلغ كذا من المال، أو يخسر كذا من عرض الدنيا، أو أن يدَّعي بأنَّ الفتاة

---

(١) الشعراوي، محمد متولي، الفتاوى، القاهرة، مكتبة القرآن، بدون تاريخ، ٧/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

الفلانية سوف تنجب كذا من البنين وكذا من البنات حين تتزوَّج، أو أن يدَّعي معرفة مكان موت إنسان معيَّن.

فالرسول محمد ﷺ وهو أعظم الخلق وأحبهم إلى الله سبحانه وتعالى لا يعلم الغيب، والقرآن الكريم يصرِّح بذلك في سورة الأنعام: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

وهنالك معتقد عند الكثير من الناس بأنَّ الجن تعلم الغيب، وهذا أمر أيضًا باطل بدليل النص القرآني الوارد في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾.

هذه الصورة ينقلها لنا القرآن الكريم عن الجن، فيصوِّر لنا استراقهم السمع، وكيف جوبهوا مع بداية البعثة المحمدية الشريفة بالشهب تحول بينهم وبين خبر السماء، وكيف أنَّ الجن تقول قولاً لا لبس فيه أنها لا تدري أشرّ أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربّهم رشدًا. أي أنهم يتبرَّأون من علم الغيب.

كما أنَّ هنالك آية أخرى صريحة واضحة تبيِّن عجز الجن عن معرفة الغيب، وأي غيب ليس غيب السماوات بل غيب شيء بسيط جدًّا وقريب ومشاهد، ومن نوع الغيب المقيد. فهم لم يعلموا بموت سيِّدنا سليمان عليه السلام حين مات، بل ظلّوا لفترة يخدمونه وينفذون أوامره حتى خرَّ على الأرض بعدما عملت السوسة نخرًا في عصاه. يقول المولى عزَّ وجلّ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ].

وهنا يحضرنا سؤال عن جواز سؤال الجن عن الأحوال الماضية دون الأمور المستقبلية، أي: الغيب المقيد. يقول الشبلي في ذلك نقلاً عن أحمد بن حنبل في «فضائل الصحابة»: «حدَّثنا داود بن رشيد، حدَّثنا الوليد ـ يعني ابن مسلم ـ عن عمر بن محمد، حدثنا سالم بن عبد الله قال: راث على أبـي موسى الأشعري خبر عمر وهو أمير البصرة، وكان بها امرأة في جنبها شيطان يتكلَّم، فأرسل إليها رسولاً فقال لها: مري صاحبك فليذهب فليخبرني عن أمير المؤمنين، قالت: هو باليمن يوشك أن يأتي فمكثوا غير طويل. قالوا: اذهب فأخبرنا عن أمير المؤمنين فإنه قد راث علينا، فقال: إنَّ ذلك الرجل ما نستطيع أن ندنو منه؛ بين عينيه روح القدس، وما خلق الله شيطانًا يسمع صوته إلاَّ خرَّ لوجهه. وفي خبر أنَّ عمر أرسل جيشًا فقدم شخص إلى المدينة فأخبر أنهم انتصروا على عدوّهم وشاع الخبر، فسأل عمر عن ذلك فذكر له. فقال: هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن، وسيأتي بريد الإنس، فجاء بعد ذلك بعدَّة أيام»[1].

وينقل الشبلي عن أحمد بن تيمية ما نصُّه: «أما سؤال الجن وسؤال من يسألهم، فهذا إن كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به، والتعظيم للمسؤول فهو حرام كما ثبت في الصحيح عن معاوية بن الحكم أنَّ النبـي محمدًا ﷺ قيل له: إنَّ قومًا منَّا يأتون الكهَّان؟ قال: «فلا تأتوهم». وفي صحيح مسلم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»»[2]، وأما إن كان يسأل المسؤول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه، فهذا جائز كما ثبت في الصحيحين أنَّ النبـي محمَّدًا ﷺ سأل ابن صياد فقال: ما يأتيك؟ قال: يأتيني صادق وكاذب، قال: ما ترى؟ قال: أرى عرشًا على الماء، قال: فإني قد خبَّأت لك خبيئًا، قال: هو الدخ، قال: اخسأ فلن تعدو قدرك، فإنما أنت من إخوان الكهَّان.

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٨٠.

(٢) الحديث رواه أحمد، ومسلم. وقال السيوطي: صحيح.

وكذلك إذا كان يسمع ما يقولون، ويخبرون به عن الجن، كما يسمع المسلمون ما يقوله الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم، وكما يسمع خبر الفاسق، فيتبيَّن ويتثبت فلا يجزم بصدقه ولا بكذبه إلاَّ إذا تبيَّنه كما قال الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنَّ أهل الكتاب كانوا يقرأون التوراة ويفسِّرونها بالعربية، فقال النبي ﷺ: إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم، فإمَّا أن يحدِّثوكم بحق فتكذِّبوه، وإما أن يحدِّثوكم بباطل فتصدِّقوه، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم، وإلٰهنا وإلٰهكم واحد، ونحن له مسلمون، فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه وإن لم يصدِّقوه ولم يكذِّبوه، ثم ساق حديث بريد الجن الذي قدَّمناه، وحديث أبي موسى الأشعري المتقدِّم»[(١)].

أما سؤال العرَّافين والكهَّان عن الغيب فهو أمر مبتوت بطلانه لأسباب، منها: أنَّ العرَّافين والكهَّان لا يمكن أن يعرفوا الغيب المطلق الذي هو من اختصاص الله سبحانه وتعالى، كما أنهم أبعد الناس عن الرسالة أو التقوى أو الكرامة، فلذلك خبر السماء محجوب عنهم وممتنع عليهم بالكلية، كما أنَّ ما يأتيهم من أخبار إنما يتلقونها من الجن والشياطين، وإما يلفِّقونها من تلقاء أنفسهم.

ورد في سورة الشعراء: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾، والجن والشياطين محجوبون عن السمع لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾، ولاعتراف الجن أنفسهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [الجن]، فالسماء محروسة وممتنعة عليهم، فمن أين لهم بخبر السماء؟ وأما ما يلفقون فلا يعدو كونه تخمينًا ورجمًا بالغيب، لذلك يمكن أن نقول أنَّ ما ينطق به الكهان إما أن يكون وحيًا من الجن والشياطين وهؤلاء لا يمتلكون علم الغيب، وإمَّا من ابتداعهم وتلفيقهم، وهذا لا يمتُّ إلى الحقيقة بصلة أو نسب، لأنَّ نفوس الكهَّان جُبِلت على

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٨٠ ـ ١٨١.

الكذب والتضليل، وإما أن يكون كلام الكهَّان مزيجًا من كلامهم وكلام الجن، فقد يلقي الجن بكلمة قد اختطفها من السماء إلى الكهان بعدما يزيد عليها مائة كلمة، ثم يقوم الكاهن بزيادة على كلام الجن فتكون النتيجة كلمة صدق وحق في بحر كبير وواسع من الكذب والتدجيل.

يقول كتاب عالم الجن والشياطين: «وصدقهم في الأمور الجزئية إما أنه يرجع إلى الفراسة والتنبُّؤ، وإما أن تكون هذه الكلمة الصادقة مما خطفه الجن من خبر السماء. ففي الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن الكهَّان؟ فقال: ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدِّثون بالشيء يكون حقًّا! فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن، فيقرّها في أذن وليّه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة.

وإذا كانت القضية التي صدق فيها من الأمور التي حدثت كمعرفة السرقة، أو معرفته باسم الشخص الذي يقدم عليها لأول مرة وأسماء أبنائه وأسرته، فهذا قد يكون بحيلة ما، كالذي يضع شخصًا ليسأل الناس وتكون عنده وسيلة لاستماع أقوالهم قبل أن يمثلوا بين يديه، أو يكون هذا من فعل الشياطين، وعلم الشياطين بالأمور التي حدثت ووقعت ليس بالأمر المستغرب، فهو بحكم الغيب المقيَّد»[1].

وأحسن ما يمكن أن نورده في نهاية المطاف عن هذا الأمر الآية القرآنية، حيث يقول المولى عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه].

ثانيًا ـ حقيقة السِّحر من خلال القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة المطهَّرة:

ورد لفظ السِّحر ومشتقَّاته في ثلاثة وخمسين موضعًا من القرآن الكريم، ومع ذلك اختلف العلماء فيه، هل هو حقيقة أم مجرَّد وهم وتخيُّل؟ بعضهم قال: إنه مجرَّد توهُّم وتخيُّل وحِيل مستندين إلى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي توحي بذلك.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ١٤٤.

ومنهم من أكَّد حقيقة السِّحر، وأكَّد وجوده وفعله، مستندًا أيضًا إلى إثباتات من الكتاب والسنَّة النبويَّة العطرة، فقد «حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السِّحر، قال: وربما كفَّروا من اعتقد وجوده»[1]، «وقال أبو عبد الله القرطبي: وعندنا أنَّ السِّحر حق وله حقيقة، يخلق الله ما يشاء، خلافًا للمعتزلة، وذكر عن أبي حنيفة أنه يقول: بأن لا حقيقة للسِّحر. نقل ذلك ابن كثير عن كتاب «الإشراف على مذاهب الأشراف».

يقول ابن كثير: «وقد ذكر الوزير أبو المظفَّر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه «الإشراف على مذاهب الأشراف» بابًا في السِّحر، فقال: أجمعوا على أنَّ السِّحر له حقيقة، إلاَّ أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده»[2].

وقد استدلَّ هؤلاء بآيات من القرآن الكريم، نذكر منها: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٤.

ففي هذه الآيات دلائل وإشارات واضحة على أنَّ السِّحر المذكور هنا محض تخيل وتوهم، بدليل قول فرعون مخاطبًا موسى عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾، أي يا موسى، إنَّ الخداع الذي جئت به «السِّحر» سنواجهك بخداع مثله بل ويفوقه لنكشف زيف أمرك. فاستخدام كلمة سحر هنا بمعنى الخداع والكذب والتمويه. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾، والافتراء هنا بمعنى الكذب وإلباس الشيء غير حقيقته، وهو فعل السِّحر، ويشير موسى عليه السلام مسبقًا إلى نتيجة المباراة بينه وبين السَّحرة حين يقول لهم: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾، أي أنكم ستفشلون بسحركم المفترى لأنه باطل ولا حقيقة له.

وفي قوله: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾، دليل ثابت أنَّ السِّحر هنا غير حقيقي، بل هو ضرب من التخيُّل ناتج عن كيد السَّحرة وإتقانهم لهذا الصنف من الحيل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾، دليل صريح من الله سبحانه وتعالى أنَّ هذه الحيَّات التي رآها موسى إنما هي نوع من التخيُّل والتمويه والكيد من قبل السَّحرة وليست بحقيقة، بدليل رفع الله سبحانه صفة الفَلاح عن أعمالهم.

وفي قوله: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾، دليل قوي على اعتراف السَّحرة بأنَّ فعلهم لم يكن حقيقيًا بدليل أنَّهم لمَّا رأوا حيَّة موسى علموا أنها حقيقية من دم ولحم وعظم، وليست كحيَّاتهم الوهمية، لأنَّ السَّاحر حين يجعل الناس ترى الحبل ثعبانًا لا يراه هو ثعبانًا بل يظلّ يراه حبلاً، وما يراه الناس من فعل السَّاحر إنما يكون بسبب الإيحاء والإرهاب الذي يفرضه على أعين الناس، أي الإيهام والتخويف.

والدليل الأخير هو قول السَّحرة: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾، هنا اعتراف صريح من السَّحرة بالخطيئة، وهي خطيئة

الكذب الذي هو السِّمة الأساسية للسِّحر، فالسِّحر لا يمكن أن يتم بدون استخدام الكذب، وكلمة «أكرهتنا» دليل على شناعة فعل السِّحر وقبحه، ودليل على أنَّ فرعون كان يجبر بعض النجباء من الفتيان على تعلُّم هذا الباطل، أي السِّحر، كي يثبت أركان ملكه بأباطيلهم «وخوارقهم».

ونذكر أيضًا ما جاء في سورة الأعراف توضيحًا لنفس الحادثة: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ (١٠٨) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ (١٢٠) ﴾.

يُستقى من هذه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) ﴾، أنَّ الثعبان كان حقيقيًّا خلافًا لثعابين السَّحرة الخيالية، والتي هي عبارة عن حبال متحرِّكة.

وفي قول الله تعالى عن السَّحرة: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) ﴾، إشارة واضحة على عجز السحرة وقلَّة حيلتهم واستجدائهم العطاء من فرعون، إنهم يستجدون الأجر على سحرهم، فإن كانوا يستطيعون حقيقة تحويل الأشياء كما يظهر للناس من تحويل الحبل إلى حية، فلما لا يحوِّلون التراب إلى ذهب أو طعام يغنيهم عن ذل المسألة؟

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ﴾ [الأعراف]، دليل على أنهم سحروا أعين الناس، أي حوَّلوها عن رؤية الأشياء على حقيقتها، وقوله: واسترهبوهم، أي أنَّ هذا السِّحر تمَّ بواسطة التخويف والاسترهاب الإيحائي عن طريق الكلمة والحركة، واستخدام صفات

المادة. ومع أنَّ السِّحر هو أمر باطل وغير حقيقي، إلاَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى قال عنه سحر عظيم، وذلك لما بلغه السِّحر زمن فرعون من دقَّة وقدرة على الإيحاء والتأثير على أعين الناس وعقولهم.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [النمل]. في هذه الآية إظهار لنقيضين أولهما آية إلهية واضحة صحيحة صادقة، مقابل سحر قائم على الكذب والتوهُّم والافتراء.

﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص]، هنا يعترف الكفَّار بأنَّ السِّحر هو نوع من الكذب والتمويه وإظهار الشيء على غير حقيقته. ونفس المعنى تحمله الآيتان التاليتان من سورة غافر: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

وفي الحديث ما يدعو إلى الابتعاد عن السِّحر والسَّحرة والعرَّافين، ذلك لأنَّ ما يقولونه هو مجرَّد وهم وكذب واحتيال، نذكر منه: «من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء، فصدَّقه بما قال، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»[1]، وقوله: «فصدَّقه» دليل على أنَّ السَّاحر أو الكاهن كاذب، وأنَّ ما يقوله هو مجرَّد وهم، لأنَّ من يصدِّق الشيء الحقيقي لا ذنب عليه، وإلى نفس المعنى يشير الحديث النبوي التالي: «من أتى كاهنًا فصدَّقه بما قال، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان، فقال: «ليسوا بشيء»، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحيانًا بشيء فيكون حقًّا؟ فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرّها في أذن وليّه، فيخلطون معها مائة كذبة»[3].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه البزار بإسناد جيّد قوي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وعن صفية بنت أبـي عبيد، عن بعض أزواج النبـي ﷺ ورضي الله عنهن، عن النبـي ﷺ قال: «من أتى عرّافًا فسأله عن شيء، فصدَّقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»[1].

وقد أوَّل منكرو السِّحر قول الرسول ﷺ: «إنَّ من البيان لسحرًا»، بمعنى المدح حينًا وبمعنى الذمِّ حينًا آخر. ينقل ابن كثير عن منكري حقيقة السِّحر فيقول:

«وقوله عليه السلام: «إنَّ من البيان لسحرًا»، يحتمل أن يكون مدحًا كما تقول طائفة، ويحتمل أن يكون ذمًّا للبلاغة قال: وهذا أصح، قال: لأنها تصور الباطل حتى يتوهَّم السامع أنه حق كما قال عليه الصلاة والسلام: «فلعل بعضهم أن يكون ألحن بحجَّته من بعض فأقضي له» »[2].

وأما من قال بأنَّ السِّحر له حقيقة، فمنهم أهل السنَّة، لكنهم قالوا إنَّ خلق الفعل إنما يكون بقدرة الله وليست بقدرة السَّاحر. يقول ابن كثير: «وأما أهل السنَّة فقد جوَّزوا أن يقدر السَّاحر أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمارًا والحمار إنسانًا، إلاَّ أنهم قالوا إنَّ الله يخلق الأشياء عندما يقول السَّاحر تلك الرقى، والكلمات المعينة، فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا، خلافًا للفلاسفة والمنجِّمين والصابئة»[3].

وينقل ابن كثير قول القرطبـي فيقول: «وقال أبو عبد الله القرطبـي: وعندنا أنَّ السِّحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء»[4]، وينقل أيضًا عن الوزير أبـي المظفَّر يحيى بن محمد بن هبيرة، صاحب كتاب «الإشراف على مذاهب

---

(١) رواه مسلم ورواه أحمد، وفي مسند الفردوس للحافظ حديث: «من أتى عرَّافًا فصدَّقه لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»، رواه مسلم عن حفصة بنت عمر.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ١٤٧.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٤٤.

(٤) المصدر السابق، ١/ ١٤٧.

الأشـراف»، فيقـول: «أجمعـوا علـى أنَّ السِّحر لـه حقيقـة إلاَّ أبـا حنيفـة فـإنَّـه قـال: لا حقيقة له عنده»[1].

وقد استند معظم من قال بحقيقة السِّحر من أهل السنَّة إلى ما جاء في سورة البقرة، الآيتان ١٠١ و ١٠٢. ففي قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [الآية ١٠٢] إثبات فعل السِّحر بدليل قدرته على التفريق بين المرء وزوجه. لكن من يثبت حقيقة السِّحر لا يجعل السِّحر أو السَّاحر يضرّ بقدرته، بل إن أمر الفعل يخلقه الله، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، كما أنَّ النار لا تحرق بحد ذاتها بل الله يخلق فيها قدرة الإحراق فتحرق، بدليل تعطل فعلها حين حاولوا إحراق سيِّدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد أثبتت هذه الحادثة بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء]، فلم تحرق النار مع تأجُّجها وشدَّة التهابها سيِّدنا إبراهيم عليه السلام.

وهنا نذكر لطيفة جميلة، وإن كانت خارجة عن الموضوع، وهي أنَّ الله سبحانه وتعالى قال للنار: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ ولم يقل بردًا فقط، لأنَّ البرد لو أصبح خاصية للنار فقط دون السلام لآذت النار سيِّدنا إبراهيم من شدَّة تدنِّي حرارتها، بل أرفقها المولى عزَّ وجلّ بقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ حتى لا يتأذَّى هذا النبـي الكريم من شدَّة البرودة، والله أعلم.

والمستند الثاني الذي يلجأ إليه مثبتو حقيقة السِّحر، هو ما ورد عن قصَّة سحر الرسول ﷺ: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسولَ الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم. حتى كان رسول الله ﷺ، يخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله. حتى إذا كان ذات يوم، دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا ثم دعا ــ أي دعا ربه مرَّات ــ ثم قال: «يا عائشة، أشعرت أنَّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ ــ أي

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٤٨/١.

أجابني فيما طلبت ــ جاءني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي:

ما وجع الرجل؟

قال: مطبوب ــ أي مسحور ــ.

قال: من طبه؟

قال: لبيد بن الأعصم.

قال: من أي شيء؟

قال: في مشط ومُشاطة ــ أي شعر سقط عند التسريح ــ وجفّ طلعة ذكر ــ أي غشاء الطلع ــ.

قال: فأين هو؟

قال: في بئر ذي أروان».

قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: «يا عائشة، والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين».

فقلت: يا رسول الله، أَوَلا أحرقته؟

قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شرًّا، فأمرت بها فدفنت»[1].

نعقب على هذه الحادثة فنقول: إنَّ السِّحر قد وقع على رسول الله ﷺ، إنما وقوعه كان بتأثيره على الجسد دون الروح والعقل، فوقوع السِّحر على جسد الرسول ﷺ أمر ممكن، كوقوع المرض أو الأذى الجسدي، فروي أنَّ رسول الله ﷺ قد وقع وكُسِرت رباعيته، كما أنه مرض قبل وفاته بأيام قليلة، لكن أن يؤثِّر السِّحر على نفسه وقلبه وعقله فلا، لأنَّ الله سبحانه وتعالى تعهَّد هذا الرسول بالحفظ والعصمة، من أن ينال منه الناس بأذى يؤثِّر في قواه العقلية، وبالتالي من الرسالة والشرع الشريف.

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ويقول أيضًا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

هـذه الآيـات تذهب أي شـك يمكن أن يتأتى من هذا الحديث في أنَّ السِّحر هنا قد أثَّر فقط في جسده الشريف دون عقله الراجح وقلبه الطاهر ﷺ. وهذا هو الرأي الذي قال به الفخر الرازي في تفسيره للقرآن الكريم، يقول في ذلك: «أما قوله: الكفار كانوا يعيبون الرسول عليه السلام بأنه مسحور! فلو وقع ذلك لكان الكفار صادقين في ذلك القول، فجوابه أنَّ الكفار كانوا يريدون بكونه مسحورًا أنه مجنون أزيل عقله بواسطة السِّحر، فلذلك ترك دينهم، فأما أن يكون مسحورًا بألم يجده في بدنه، فذلك مما لا ينكره أحد، وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلِّط عليه لا شيطـانًا ولا إنسيًّا ولا جنِّيًّا يؤذيه في دينه وشرعه ونبوَّته، فأما في الإضرار ببدنه فلا يبعد»[1].

بينما نجد سيِّد قطب ينسف قصَّة السِّحر من أساسها فيقول في «الظلال»: «ولكن هذه الروايات تخالف أصول العصمة النبوية في الفعل والتبليغ، ولا تستقيم مع الاعتقاد بأنَّ كل فعل من أفعاله ﷺ، وكل قول من أقواله سنَّة وشريعة، كما أنها تصطدم بنفي القرآن عن الرسول ﷺ أنه مسحور وتكذِّب المشركين فيما كانوا يدَّعونه من هذا الإفك. ومن ثم نستبعد هذه الروايات. وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة. والمرجع هو القرآن. والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد. وهذه الروايات ليست من المتواتر، فضلاً على أنَّ نزول هاتين السورتين في مكة هو الراجح مما يوهن أساس الروايات الأخرى»[2].

نعقب على الرأيين السابقين ـ أي الرأي المثبت لحقيقة السِّحر، والرأي النافي له ـ، فنقول: بأنَّ كل أنواع السِّحر لها تأثير، ولكن الخلاف يكمن في نقطة مهمة

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) قطـب، سيِّـد، فـي ظـلال القـرآن، بيـروت، دار الشـروق، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ط ٥، ٣/ ٢٩٢.

وهي: هل يتغيَّر جوهر الأشياء بفعل السَّاحر أم لا؟ نفصل ذلك فنقول: إنَّ من يقوم بألعاب الخفَّة لا يغيِّر الجوهر، فإذا حوَّل العصا أو الحبل إلى ثعبان فإنما تبقى العصا عصًا والحبل حبلاً، ولكن الناظر إليهما يراهما ثعبانًا، ومن يحوِّل التراب إلى ذهب فإنما يبقى التراب ترابًا، بدليل أنَّ السَّحرة أو أصحاب الخفَّة، هم أفقر أهل الأرض قاطبة.

وأما من يقول بتحوُّل الجوهر على يد السَّاحر، أي من يقلب الإنسان حمارًا والحمار إنسانًا فنقول فيه ما يلي: إنَّ هؤلاء ـ أي من قال بقلب الجوهر ـ إنما ردُّوا الفعل لله سبحانه وتعالى وما يقوم به السَّاحر هو فقط قول التعزيمة، ونحن لا نشك بقدرة الله سبحانه وتعالى على فعل ما يشاء، لكن الله سبحانه وضع في الأرض نواميس وقوانين لا يستطيع أن يخرقها ساحر محكوم عليه بالكفر والإلحاد، فحكم الله في فعل السَّاحر يكمن في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾، فإذا كان الله سبحانه قد قال فيه: «لا يفلح»، أي لا يقدر ولا ينجح على تغيير الجوهر، فمن ذا الذي يقول بعد ذلك أنه يفلح؟

لكن النواميس والقوانين الطبيعية يمكن أن يخرقها الله لنبـي، إظهارًا لصدق نبوَّته، فيحوِّل الجوهر بقدرته على يد النبـي، كما فعل لنبيِّه موسى عليه السلام حين حوَّل العصا ثعبانًا مبينًا، من لحم ودم وعظم، يسعى ويأكل الحبال التي ما استطاع سحرة فرعون الذين بلغوا ما بلغوا من الدرجات العلى في فن السِّحر من تحويل الحبال إلى حيات حقيقية. قال الله في سورة طه: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه].

كما أنه لو كان بمقدور أيّ ساحر قلب الجواهر لوجدنا مئات الحمير من أصل إنساني! أو لوجدنا مئات الناس من أصل حيواني. وكذلك لم تثبت في ملفات المحاكم على مرّ العصور والدهور أنَّ أحدًا من البشر قد ادَّعى على ساحر في تحويل أخ أو أخت أو قريب له إلى حمار، كما أنه لم تثبت دعوى السَّحرة في قلب التراب

إلى ذهب. ولو ثبت ادِّعاؤهم، لكان السَّحرة أغنى الناس بالمال ولاستغنوا عن طلب المال من السُّذَّج.

ومن الناحية الشرعية نقول إنه لو استطاع السَّاحر أن يفعل نفس فعل النبي أو الرسول، لوقع الخلط بين المعجزة والسِّحر ولحارت الناس بين النبي والسَّاحر، فما تدري أيّهما على حق.

وبقي أن نشير أخيرًا إلى أنواع أخرى من السِّحر لها حقيقة وتأثير كما هو الحال حين يعطي السَّاحر إنسانًا مادة ما فتؤثِّر في بدنه كما يؤثِّر الدواء الذي يعطيه الطبيب. كما أنَّ السِّحر الذي يعتمد على استخدام الجن له حقيقة وتأثير، إلاَّ أنه يجب أن لا يتبادر إلى أذهاننا أنَّ الجن تستطيع قلب الجوهر والحقيقة، لكن يجب أن نعلم أنَّ في الجن سحرة كسحرة الإنس تمامًا.

ثالثًا ــ موقف الإسلام من السَّحرة:

لقد اعتمد معظم من أصدر الأحكام على السَّحرة على ما ورد في سورة البقرة، الآيتان ١٠١ و ١٠٢، كما اعتمد على أحاديث الرسول محمد ﷺ، وأشهرها ما يلي: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلَّق بشيء وُكل إليه»[١].

وحديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[٢].

وحديث آخر: عن ابن عباس رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من تطيَّر أو تطيِّر له، أو تكهَّن أو تكهِّن له، أو سحر أو سُحِر له. ومن أتى كاهنًا

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

فصدَّقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن، فإنَّ الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء: مَن مات ولم يشرك بالله شيئًا، ولم يكن ساحرًا يتبع السَّحرة، ولم يحقد على أخيه»[٢]. وعنه ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم»[٣].

وأخيرًا، فقد روى الترمذي من حديث إسماعيل بن مسلم عن الحسن، عن جندب الأزدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حدّ السَّاحر ضربه بالسيف»، ثم قال: لا نعرفه مرفوعًا إلاَّ من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم يضعف هذا الحديث[٤].

وكذلك اعتمد على سيرة الخلفاء الراشدين، فقد «روى عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب، أنَّ عمر رضي الله عنه أخذ ساحرًا فدفنه إلى صدره، ثم تركه حتى مات. وروى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن حزم عن بجالة التميمي قال: كنت كاتبًا لعديٍّ بن معاوية عمّ الأحنف بن قيس، فأتانا كتاب عمر قبل موته بسنة: أنِ اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر»[٥]. وروي «أنَّ جارية لحفصة أم المؤمنين رضي الله عنه سحرتها، فأخذوها فاعترفت بذلك، فأمرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عثمان فأنكره، فجاء ابن عمر فأخبره بأمرها، وكأنَّ عثمان إنما أنكر ذلك لأنها قتلتها بغير إذنه»[٦].

وعند الإمام الشافعي رحمه الله: لا يكفر السَّاحر بسحره. فإن قتلَ بسحره وقال: سحري يقتل مثله وتعمدت ذلك، قتل فورًا، وإن قال: قد يقتل، ويخطىء،

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه ابن حبان.

(٤) ورد في تفسير ابن كثير، ١/ ١٤٤.

(٥) الهلاوي محمد، فتاوى وأقضية عمر، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٤٠٥هـ، ص ١٩٧.

(٦) الزواجر، ص ٥٠٥

لم يُقتل وفيه الدية[1]، وقال: إنما يُقتل السَّاحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ الكفر. فإن عمل عملاً دون الكفر، فلم نر عليه قتلاً[2].

وعند الشافعي أيضًا: لا يستتاب السَّاحر ولا تقبل توبته، لأنَّ السِّحر أمر يستسرّ به كالزنديق والزاني، ولأنَّ الله تعالى سمَّى السِّحر كفرًا بقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، ويقول بهذا الرأي أيضًا أحمد بن حنبل، وأبو ثور، وإسحاق، وأبو حنيفة[3]. وقال الإمام أحمد بن حنبل: «صح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ في قتل السَّاحر»[4].

ويعتقد ابن كثير أنَّ الشافعي يعتبر السِّحر شركًا اعتمادًا على قصة عمر وحفصة رضوان الله عليهما. يقول في ذلك: «وحمل الشافعي رحمه الله قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركًا، والله أعلم»[5].

وأمَّا السَّاحر غير المسلم، فعند الشافعي: لا يُقتل، وهو قول مالك وأحمد أيضًا، وذلك استنادًا لقصة لبيد بن الأعصم. ورد في كتاب «الروضة النديَّة شرح الدُّرر البهيَّة» في حق السَّاحر غير المسلم ما يلي: «لا شكَّ أنَّ من تعلَّم السِّحر بعد إسلامه وكان يفعل السِّحر يعتبر كافرًا مرتدًّا ــ إذا كان مسلمًا ــ وحدّه حدّ المرتد، وقد ورد في السَّاحر بخصوصه أنَّ حدّه القتل، ولا يعارض ذلك ترك النبي ﷺ لقتل لبيد بن الأعصم الذي سحره ــ غير مسلم ــ وقد يكون ذلك قبل أن يثبت أنَّ حدّ السَّاحر القتل، وقد يكون ذلك لأجل خشية معرَّة اليهود، وقد كانوا أهل شوكة حتى أبادهم الله وفلَّ شوكتهم وأقلَّهم وأذلَّهم، وقد عمل الخلفاء الراشدون على قتل السَّحرة وشاع ذلك ولم ينكره أحد»[6].

---

(١) انظر: تفسير آيات الأحكام، ١/ ٨٥.

(٢) انظر: نيل الأوطار، للشوكاني، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ص ١٧٧.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٤٨.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ١٤٤.

(٥) المصدر السابق، ١/ ١٤٤.

(٦) القنوجي، أبو الطيب الحسيني، الروضة الندية شرح الدرر البهية، بيروت، دار الندوة =

وأما السَّاحرة فحكمها حكم الرجل عندهم ـ أي الشافعية، ومالك، وأحمد ـ .

«أما الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ فقد رُوي عنه أنه قال: السَّاحر يُقتل إذا عُلم أنه ساحر ولا يستتاب، ولا يقبل قوله: إنِّي أترك السِّحر وأتوب منه، فإذا أقرَّ أنه ساحر فقد حلَّ دمه، وكذلك العبد المسلم، والحرّ الذميّ من أقرَّ منهم أنَّه ساحر فقد حلَّ دمه»[1].

ورد في تفسير الألوسي: «قال ابن شجاع: الحكم في السَّاحر والسَّاحرة حكم المرتد والمرتدَّة، وقال ـ نقلاً عن أبي حنيفة ـ: إنَّ السَّاحر قد جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد، إذا قَتَلَ قُتل»[2].

وأمَّا عند الإمام مالك رحمه الله: فالمسلم إذا ارتكب عمل السِّحر لا يستتاب، بل يقتل، لأنَّ السِّحر ارتداد باطني لا يمكن التأكُّد من توبته. وأما ساحر أهل الكتاب فلا يُقتل إلاَّ أن يضرّ المسلمين.

ورد في تفسير آيات الأحكام نقلاً عن مالك: «المسلم إذا تولى عمل السِّحر قتل لا يستتاب، بل يتحتَّم قتله، لأنَّ المسلم إذا ارتدَّ باطنيًا لم تعرف توبته بإظهاره الإسلام، فأما ساحر أهل الكتاب فإنه لا يُقتل عند مالك إلاَّ أن يضرّ المسلمين فيُقتل»[3].

وفي الجامع لأحكام القرآن لمالك في موضوع الإرث يقول فيه: «ولا يرث السَّاحر ورثته لأنه كافر ـ إلاَّ أن يكون سحره لا يسمَّى كفرًا»[4].



= الجديدة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ط ٢، ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(١) نيل الأوطار، ٧/ ١٧٧.

(٢) تفسير الألوسي، ١/ ٣٤٠.

(٣) تفسير آيات الأحكام، ص ٨٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٤٨.

الفصل التاسع عشر

قصص السّحر في القرآن الكريم

أوّلاً ـ قصة هاروت وماروت:

ذكر هاروت وماروت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة البقرة، فدار حول طبيعتهما جدل طويل ومناقشات عريضة حامية، بعضهم قال: بأنهم من الملائكة، وبعضهم قال: إنهم من الإنس، وآخرون قالوا: هما إسمان لقبيلتين من الجن. واحتج كل فريق بحجج، فمنهم من أخذ من الإسرائيليات والخرافات دليلاً على صحة رأيه، ومنهم من أثبت رأيه بآيات الله سبحانه وتعالى، ومنهم من دعم حجته مستخدمًا ومستعينًا بالناحية اللغوية.

أما الآية التي ذكر فيها هاروت وماروت فهي من سورة البقرة آية ١٠٢.

سبب نزول الآية:

قال ابن الجوزي رحمه الله في سبب نزول هذه الآية قولين:

أحدهما: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي ﷺ عن شيء من التوراة إلاّ أجابهم، فسألوه عن السِّحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أن «ابن داود» كان نبيًّا؟ والله ما كان إلاّ ساحرًا، فنزلت هذه الآية[1] ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟...﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) انظر: الصابوني، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ط ٢، ١/ ٧٢.

وجوه القراءات:

أوّلاً ـ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾، قرأ الجمهور: «ولكنَّ الشياطين» بتشديد نون «لكن» ونصب نون «الشياطين»، وقرأ حمزة والكسائي: «ولكنْ الشياطين» بتخفيف النون من «لكن» ورفع نون «الشياطين».

ثانيًا ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، قرأ الجمهور «المَلَكين» بفتح اللام والكاف مثنى «مَلَك». وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير «المَلِكين» بكسر اللام مثل «مِلك»، قال ابن الجوزي: وقراءة الجمهور أصح[١].

قال القرطبي: وحُكي عن بعض القراء أنه كان يقرأ: «وما أنزل على الملكين»، يعني به رجلين من بني آدم[٢].

ثالثًا ـ قوله تعالى: ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾، قرأ الجمهور بفتح التاء، وقرأ الحسن والزهري برفعهما على تقرير «هما هاروت وماروت»[٣].

أما ما يتضح لنا مما ورد في الآية «١٠٢» من سورة البقرة فهو التالي: فساد عقيدة اليهود باتباعهم سبل الشيطان الذي دلهم على السِّحر وزين لهم أن سليمان عليه السلام ما ملكهم إلاَّ بسحره، فجاء القرآن الكريم مبرئًا سليمان عليه السلام من تهمة السِّحر، وبيَّن الله حكمه الشرعي فيمن يتعاطى السِّحر في أنه كافر، وتعاطي السِّحر كفر، وبين أن السِّحر مؤثر، إذ يفرق بين المرء وزوجه، وبيَّن أن تعلم السِّحر مضر ولا يأتي بخير لصاحبه لقوله جلَّ وعلا: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾، ووضَّحت الآية بأن الساحر سوف يتبين له في النهاية أنه قد باع آخرته بدنياه حين اختار وفضل السِّحر على الدين والشرع الحنيف الذي جاءت به الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ١/ ٦٤٩.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، دمشق، المكتب الإسلامي ١/ ١٢٢.

(٣) انظر: الصابوني، تفسير آيات الأحكام، ص ٧٢.

هذا ما أجمعت عليه الأمة، إلاَّ أن الخلاف وقع على تحديد طبيعة هاروت وماروت، وطبيعة تعليمهما للناس.

فعلي بن حزم الظاهري ينفي عن هاروت وماروت صفة الملائكة، كما ينزِّه الملائكة عن فعل الزنا وقتل النفس والعصيان وتعليم السِّحر للناس، يقول في ذلك: «وقد ذكرنا قبلُ أمرَ هاروت وماروت، ونزيدها بيانًا في ذلك وبالله تعالى التوفيق أن قومًا نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأت به قط... وإنما هو كذب مفترى من أنه تعالى أنزل إلى الأرض ملكين وهما هاروت وماروت وأنهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر وحكما بالزور وقتلا النفس وزنيا وعلَّما زانية اسم الله الأعظم فطارت به إلى السماء فمسخت كوكبًا وهي الزهرة وأنهما عذبا في غار بابل وأنهم يعلمان الناس السِّحر وحجتهم على ما في هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول، مرة يقال له: النخعي، ومرة يقال له: الحنفي، ما نعلم له رواية إلاَّ هذه الكذبة، وليس أيضًا عن رسول الله ﷺ ولكنه أوقفها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذبة أخرى في أن حد الخمر ليس سنَّة رسول الله ﷺ وإنما هو شيء فعلوه، وحاشا لهم رضي الله عنهم من هذا»(١).

ثم عدد ابن حزم الكثير من البراهين مؤيدًا صحة اعتقاده يضيق المكان بذكرها، وإلى هذا يذهب الحسن البصري والضحاك وابن عباس(٢).

ورد في تفسير الفخر الرازي للقرآن الكريم ما يلي:

«قرأ الحسن «ملِكين» بكسر اللام، وهو مروي أيضًا عن الضحاك وابن عباس ثم اختلفوا، فقال الحسن: كانا علجين أقلفين ببابل يعلمان الناس السِّحر، وقيل كانا رجلين صالحين من الملوك»(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ط ٢، ٤/٣٣.

(٣) نقل عن ابن عباس رأيان.

وينقل ابن كثير رأيًا آخر عن الحسن البصري يقول فيه:

«نعم أنزل الملكان بالسِّحر ليعلِّما الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس، فأخذ عليهم الميثاق أن لا يعلِّما أحدًا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر»[1].

أما من قال بأن هاروت وماروت من الملائكة نذكر منهم: الزجَّاج الذي قال: «وردني عن علي رضي الله عنه أنه قال: أي الذي أنزل على الملكين هاروت وماروت، فإنه تعليم إنذار من السِّحر، لا تعليم دعاء إليه. وهذا القول عليه أكثر أهل اللغة والنظر. ومعناه: أنهما يعلمان على النهي فيقولان لهم لا تفعلوا كذا»[2]، وبهذا يقول ابن قتادة: «كان أخذ عليهما أن لا يعلمان أحدًا حتى يقولا إنما نحن فتنة أي بلاء ابتلينا به فلا تكفر»[3].

ويذهب إلى نفس القناعة الفخر الرازي موضحًا أسباب كونهما من الملائكة فيقول: «السبب في إنزالهما وجوه:

أحدها: أن السَّحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت أبوابًا غريبة في السِّحر وكانوا يدعون النبوة ويتحدُّون الناس بها، فبعث الله تعالى هذين الملكين لأجل أن يعلما الناس أبواب السِّحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدعون النبوة كذبًا، ولا شك أن هذا من أحسن الأغراض والمقاصد.

وثانيها: أن العلم بكون المعجزة مخالفة للسِّحر متوقف على العلم بماهية المعجزة وبماهية السِّحر. والناس كانوا جاهلين بماهية السِّحر فلا جرم هذا تعذرت عليهم معرفة حقيقة المعجزة فبعث الله هذين الملكين لتعريف ماهية السِّحر لأجل هذا الغرض.

وثالثها: لا يمتنع أن يقال إن السِّحر الذي يوقع الفرقة بين أعداء الله والإلفة بين أولياء الله كان مباحًا عندهم أو مندوبًا، فالله تعالى بعث الملكين لتعليم السِّحر لهذا

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣/ ٢٣٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٩٨.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، محفوظ العلي، ج ١، بدون تاريخ، ص ١٢٠.

الغرض، ثم إن القوم تعلموا ذلك منهما واستعملوه في الشر وإيقاع الفرقة بين أولياء الله والإلفة بين أعداء الله.

ورابعها: أن تحصيل العلم بكل شيء حسن، ولما كان السِّحر منهيًا عنه وجب أن يكون متصورًا معلومًا لأن الذي لا يكون متصورًا ممتنع النهي عنه.

وخامسها: لعل الجن كان عندهم أنواع من السِّحر لم يقدر البشر على الإتيان بمثلها، فبعث الله الملائكة ليعلموا البشر أمورًا يقدرون بها على معارضة الجن.

وسادسها: يجوز أن يكون ذلك تشديدًا في التكليف من حيث إنه إذا علمه ما أمكنه أن يتوصل به إلى اللذات العاجلة ثم منعه من استعمالها كان كما ابتلي قوم طالوت بالنهر على ما قال: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾[1]، فثبت بهذه الوجوه أنه لا يبعد من الله تعالى إنزال الملكين لتعليم السِّحر، والله أعلم»[2].

وهنالك رأي ينقله ابن حزم الظاهري حين ينفي كون هاروت وماروت من الملائكة فيقول: لعلهم قبيلتان من قبائل الجن، وإن «ما» في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾، نفي لأن ينزل على الملكين، ويكون هاروت وماروت حينئذٍ بدلاً من الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت، ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا تعلمان الناس السِّحر، وقد روينا هذا القول عن خالد بن أبي عمران وغيره[3].

وفي نهاية هذا الكلام الذي نقلنا عمن انبرى ليوضح طبيعة هاروت وماروت وطبيعة عملهما، نقول الله ورسوله أعلم بذلك.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٩٨.

(٢) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣/٢٣٨.

(٣) انظر: ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل، ص ٣٣.

ثانيًا ـ قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سحرة فرعون[1] :

تبدأ قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون والسَّحرة قبل ولادته الشريفة بزمن، وذلك أنه إثر رؤية فرعون لرؤيا أفزعته مفادها: أن نارًا عظيمة كعنق البعير أتت من جهة بيت المقدس ودخلت مصر فأحرقت كل من فيها ولم يسلم منها أحد سوى بني إسرائيل، فأتى فرعون بالكهنة والمعبرين لتفسير رؤياه فقالوا: يخرج رجل من بني إسرائيل فيكون هلاكك وهلاك ملكك على يده. فعندها أمر بقتل أطفال بني إسرائيل الذكور.

وقد يكون سبب قتل فرعون لأطفال اليهود نبوءة حملتها الرسالات السماوية السابقة لزمن موسى عليه السلام، كما هي حال نبوءة الإنجيل بمبعث محمد ﷺ.

وإذا تتبعنا الآيات التي تتحدث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم في سور عدة، يمكننا أن نجمعها لتعطينا صورة متناسقة منسجمة متسلسلة عن ولادة هذا النبي، وكيف أنه حين ولد خافت عليه أمه، فأوحى إليها الله سبحانه وتعالى أن تضعه في التابوت وتقذفه في اليم:

ورد في سورة القصص: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

ثم يتابع القرآن الكريم سرد قصة موسى عليه السلام وكيف كانت أخته ترقب التابوت والأمواج تتقاذفه حتى وصل قرب قصر فرعون: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [القصص].

ويذكر القرآن الكريم كيف أنزل الله محبة موسى في قلب آسية زوجة فرعون حتى أنجاه الله من بطش زوجها المتأله: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه].

---

(١) يعتقد أنه الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبـي نمر بن الهلواس بن ليث بن هران بن عمر بن عملاق. . . إلخ، هكذ ورد في كثير من كتب التفسير. لكن لم يثبت علميًا بعد اسمه الحقيقي.

ثم يخبر القرآن الكريم كيف أن الله منع موسى من قبول ثدي غير ثدي أمه، وكيف أعاده إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القصص].

ثم يشير هذا الكتاب السماوي إلى فترة تعهد فيها فرعون موسى بالتربية والإعداد: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الشعراء]، وهذه التربية التي ربي عليها موسى تحت إشراف فرعون تدحض كلام فرعون الكذاب الذي اتهم موسى عليه السلام بالسحر، فكان من عادة الفراعنة والملوك القدماء انتقاء أطفال نجباء وتعليمهم السِّحر كي يكونوا لهم عونًا على استرهاب ما تحتهم من رعية، ولكي يؤمنوا لهم حفلات السمر والترفيه في سهراتهم، أو حين يستضيفون أحد الملوك أو العظماء من ممالك أخرى.

فلو كان موسى قد تعلم السِّحر في مدرسة فرعون لأتى فرعون بمدرِّسيه ومعلِّميه ليشهدوا عـليه بأنه كان تلميذًا عندهم في مدرسة السِّحر، لكن الله يشير إلى أن فرعون ما فعل ذلك بل أرسل في المدائن حاشرين، أي أرسل رسله يبحثون في كل مملكته والممالك المجاورة عن أمهر السَّحرة لمجابهة موسى عليه السَّلام: ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشعراء].

ثم يتابع الكتاب الكريم سرد القصة فيصف فرار موسى من فرعون حين قتل نفسًا خطأً، حين وكز أحد المصريين دفاعًا عن رجل إسرائيلي من شيعته: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشعراء].

من هذه الآيات يظهر صدق موسى عليه السَّلام المطلق، ها هو عليه السلام يعترف بقتل المصري صراحة، لكنه يندم على فعلته ويشير إلى خوفه من سوء العاقبة، ومن كانت هذه نفسيته وسجيته وفطرته فلا يمكن أن يلجأ إلى السِّحر الذي ينبني أساسًا على وجود نفس خبيثة خسيسة ضعيفة، تخاف من مواجهة الحق والاعتراف بالذنب. ثم تشير آيات الكتاب الكريم إلى لقاء موسى بشعيب وزواجه من

إحدى ابنتيه ثم عودته بأهله بعد انقضاء الأجل الذي ضربه لشعيب.

ثم تشير الآيات القرآنية إلى تكليم الله سبحانه لموسى عليه السلام في الوادي المقدس وتحميله الرسالة، وإعطائه تسع آيات بينات كي يواجه بها سحر وكذب وافتراء فرعون وسحرته: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۢ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [الإسراء]، وما يهمنا من هذه الآيات، آية واحدة وهي العصا، التي جابه بها موسى عليه السلام سحرة فرعون، فأول ما تعرَّف موسى إلى هذه الآية أو المعجزة حين كلَّمه الله سبحانه وتعالى خاف وارتعد: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [طه].

من هذه الآيات البينات يظهر الفرق بين السِّحر والمعجزة النبوية، فالسَّاحر حين يوحي للناس بأن العصا قد انقلبت حيَّة فإنه يظل يراها عصًا لأن فعله لا يقلب الأعيان والجوهر، بل ينحصر عمل الساحر بسحر العيون أي تحويلها عن رؤية حقيقة الأشياء نتيجة لكلامه الذي يؤدي إلى الإيهام والتخويف، فترى العيون ما يريد أن يريه الساحر، بينما في المعجزة فإن الأعيان تنقلب، فالخشب انقلب إلى حية حقيقية تسعى، من لحم ودم وعظم، أخافت موسى عليه السلام، ولم يطمئن ولم يهدأ روعه حتى أمَّنه الله وطمأنه فقال له: ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [طه]، بينما في حالة السِّحر فإن الساحر لا يخاف الثعبان لأنه لا يرى ثعبانًا، بل يرى خشبًا أو يرى حبلاً يتحرك، والذي يخاف هم المشاهدون الذين جاز عليهم السحر.

ثم تتابع الآيات القرآنية سرد وقائع لقاء التحدي بين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، والباطل الذي يتزعمه فرعون مدعومًا بهامان الخبيث، وبطانة السوء، فعند دخول موسى عليه السلام على فرعون لتبليغه أمر الله، أظهر الله سبحانه وتعالى معجزتين عظيمتين على يده وهما تحويل العصا إلى حية، وانبعاث النور من يد موسى لشدة بياضها دون أن يكون البياض نتيجةً لمرض: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ

مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف].

فوجىء الملأ أي بطانة السوء التي تحيط بفرعون بهاتين المعجزتين الباهرتين، ولم يكن باستطاعتهم التحدي الفوري، لأن تحول العصا إلى حية وانبثاق النور القوي من اليد كان أمرًا مدهشًا حقًّا، ولأن من كان في القصر الفرعوني من السَّحرة أضعف من أن يجابهوا هذا الأمر بافتراءاتهم وكذبهم. فأشارت بطانة فرعون عليه بأن يتمهل في الرد، ويحضر له تحضيرًا جيدًا، لأن ما جاء به موسى ليس بالأمر الهيِّن المعهود لديهم، فأشاروا عليه باستمهال موسى وهارون عليهما السلام واستدعاء أمهر السَّحرة وأشدهم دهاءً، وذلك في قولهم: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف]، أي أن هذا الأمر لا يمكن أن يتصدَّى له أي ساحر عادي.

ثم تُتابع الآيات الكريمة سرد قصة التحدي فتروي أن فرعون امتثل لأمر بطانة السوء وعلى رأسهم هامان، فأمر أن تحشر إليه أمهر السَّحرة من كافة المدن والأقطار ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [طه]، وساعة التحدي يوم الزينة وقت الضحى، يقف موسى عليه السلام مخاطبًا السَّحرة واعظًا إياهم وداعيًا إلى الله سبحانه وتعالى وإلى ترك السِّحر الذي هو كيد وكذب وإيهام، وفيه صد عن سبيل الله سبحانه، لكن السَّحرة أصروا على فاحشة السِّحر طمعًا بالتقرب إلى فرعون ونيل مرضاته ونوائله ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه].

وبعدها تشير الآيات البينات إلى بداية الإيهام واستخدام السِّحر والتأثير وما خلفه من أثر في نفس موسى وفي نفوس المشاهدين، وهذا الأمر لا يفقهه أو يتنبه إليه إلاَّ من مارس السِّحر أو التنويم المغناطيسي أو كان على دراية عظيمة بعلم

النفس، وهو أن السَّحرة أرادوا أن يشعروا بأنهم هم الأقوى، وأنهم غير خائفين، فخيَّروا موسى بأمر الإلقاء أي بداية العمل: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾ [طه].

وهنا كان جواب موسى عليه السلام المؤيد من قبل الله سبحانه وتعالى بأن أشار عليهم بأن يلقوا وفي ذلك إلهام إلـهي، فإن السَّحرة حاولوا أن يشعروا بخبثهم بأنهم غير خائفين ولا متهيِّبين من عمل موسى عليه السلام، فرد عليهم موسى بنفس أسلوبهم وفي ذلك إيحاء بأنه غير خائف من نتيجة عملهم ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [طه]، نعم إن سحرهم ودهاءهم قد جاز على هذا النبي الراجح العقل وعلى الناس، فتخيل أن الحبال تسعى، أي أن الحياة قد دبَّت فيها فخاف، ولهذا قال الله سبحانه إنه سحر عظيم مع أنه باطل، وذلك لشدة التأثير الناتج عن منتهى الإتقان لهذا العمل: ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف].

وهنا لطيفة هامة أيضًا هي أن موسى عندما خاف نتيجة توهمه من أثر كيد السَّحرة ومكرهم، أبقى هذا الخوف في نفسه ولم يظهره لكي لا يفتن الناس بأعمال السَّحرة: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ وجاءه توًّا المدد الإلـهي مثبتًا له: ﴿ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ [طه]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ بشارة بالنصر وتثبيت لفؤاد النبي موسى عليه السلام، وبعد هذه البشارة بالنصر أوحى الله لنبيه عليه السلام بأن يلقي عصاه، والفرق بين إلقاء موسى وإلقاء السَّحرة، أن إلقاء السَّحرة لحبالهم سبقته حملة إيحاء وإخافة وإيهام وتمويه حتى سحروا أعين الناس، فأثروا فيهم فجاز عليهم السِّحر، بينما موسى عليه السَّلام ما قام بأي عمل إيحائي أو إيهامي أو استرهابي الذي هو ضرورة أساسية من ضروريات نجاح السِّحر.

فلما ألقى موسى عصاه تحوَّلت بإذن الله إلى ثعبان مبين فأخذ يمر على الحبال ويلتقمها الواحدة تلو الأخرى حتى ما أبقى منها حبلاً واحدًا، فبطل بذلك عمل السَّحرة المرتكز على الإيهام والخداع، وأشار الله سبحانه إلى أن الساحر محكوم

عليه بالفشل في كل أعماله لقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه].

وعند هذا الحد رأى السَّحرة عصا موسى تتحول إلى حية بدون استعمال الإيهام فأدركوا بأن هذا الأمر ليس بسحر بل هو معجزة، وزيادة على ذلك أن هذه الحية التقمت حبالهم، ثم عادت إلى سيرتها الأولى، إذ ذاك صدع السَّحرة لأمر الحق فآمنوا. وليس هذا بمستغرب على السَّحرة، فهم أخبر الناس بالسِّحر وأنواعه وحيله، لقد أدركوا بأن ما قام به موسى ليس بسحر، بل هو أمر معجز لا قبل للبشر بأن يأتوا بمثله إن لم يكونوا أنبياء أو رسلاً مؤيدين من الله سبحانه وتعالى.

بهذه النتيجة خرج السَّحرة من المبارزة، فانقلبوا مؤمنين نادمين على ما فرطوا من قبل بمزاولتهم للسِّحر وخداع الناس وصدهم عن سبيل الحق سبحانه وتعالى، ثم تحوَّلوا بكليتهم إلى موسى غير آبهين بتهديدات فرعون وإنذاراته التي وصلت إلى حد أنه أنذرهم بأنه سوف يقتلهم ويمثل بهم، بصلبهم إلى جذوع النخل وبقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن لم يعودوا إلى طاعته، يقول القرآن الكريم في ذلك: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢﴾ [طه].

لقد آمن السَّحرة إيمانًا عظيمًا وقضوا شهداء وكان إيمانهم بهذه العظمة لأنه إيمان نابع عن تجربة واقتناع، فهم أهل خبرة ودراية بالسِّحر فما أثر فيهم قول فرعون: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ﴾ [طه]، فهم يعلمون يقينًا أن فرعون كاذب في ادعائه، ليس هذا فحسب بل جرفهم تيار الجرأة الإيماني إلى تحدي فرعون فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝٧٣﴾ [طه].

وهكذا انتهت المواجهة بين موسى المؤيد بالله القادر وبين فرعون المؤيد بالسَّحرة ومن ورائهم إبليس اللعين، بانتصار موسى عليه السَّلام، وإيمان السَّحرة

واستشهادهم الرائع، وخزي فرعون وهامان ومن ورائهما إبليس لعنه الله الذي يحرض الناس على الكفر والفسوق والعصيان.

ثالثًا ـــ قصة المعوِّذتين:

المعوِّذتان سورتان قصيرتان مدنيتان[١]، خُتم بهما القرآن الكريم، تحملان معاني وتوجيهات ربانية للإنسان تتعلق بأمور خفية جلها غير مادي لا يقع تحت الحس المباشر، كما لا يمكن للإنسان التثبت من وجودها بمختبراته التي لا تقيس ولا تختبر ولا تثبت إلَّا الأشياء المادية[٢] الصرفة، وضمن حدود ضيقة من الإدراك الإنساني.

والمشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوِّذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ، ولم تبلغا عنده حد التواتر، ثم رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة، فإن الصحابة رضوان الله عنهم أثبتوهما في المصاحف الأئمة التي أنفذوها إلى سائر الآفاق.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه، وقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له: «قل أعوذ برب الفلق فقلتها، قال: قل أعوذ برب الناس فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي ﷺ»[٣].

وقد ذكر الكثير عن سبب نزول هاتين السورتين المباركتين منها: أن عفريتًا من الجن كان يحاول إيذاء الرسول، فأنزل الله سبحانه وتعالى المعوِّذتين لرد كيده.

---

(١) وقيل إنهما مكيّتان.

(٢) بعض معامل الاختبار التي تجري على الأشياء غير المادية تبقى نتائجها ضمن حدود التخمين والتقدير الذهني ليس إلَّا، كما هي حال مختبرات علم النفس الحديثة.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٥٧١.

ومنها: أن الله سبحانه جلّت قدرته أنزلهما ليكونا رقية من العين بدل ما كان يرقي به الناس من كلام قد يحمل بين طياته الكفر والشرك. ومنها: قول جمهور المفسرين أنها نزلت عقب حادثة سحر الرسول ﷺ من قبل اليهودي لبيد بن الأعصم، إلاّ أن المعتزلة أنكرت قصة سحر الرسول ﷺ.

يقول الفخر الرازي في تفسيره: «أولها: روي أن جبريل عليه السلام أتاه ــ أي محمدًا ﷺ ــ، قال: إن عفريتًا من الجن يكيدك، قال: إذا أويت إلى فراشك قل: أعوذ برب السورتين.

«وثانيها: أن الله تعالى أنزلهما عليه ليكونا رقية من العين. فعن سعيد بن المسيب أن قريشًا قالوا: تعالوا نتجوّع فنَعين محمدًا. ففعلوا، ثم أتوه وقالوا: ما أشد عضدك، وأقوى ظهرك، وأنضر وجهك. . فأنزل الله تعالى المعوذتين.

«وثالثها: وهو قول جمهور من المفسِّرين، أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة في وتر ودسه في بئر يقال لها ذروان، فمرض رسول الله ﷺ واشتد عليه ذلك ثلاث ليال، فنزلت المعوِّذتان لذلك، وأخبره جبريل بموضع السِّحر فأرسل عليًا عليه السلام وطلحة وجاءا به، وقال جبريل للنبي: حل عقده، واقرأ آية، ففعل، وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة، فكان يجد بعض الخفة والراحة»[1].

وينقل الفخر الرازي رأي المعتزلة في قصة سحر الرسول محمد ﷺ ويحاول أن يوفق بين رأي المعتزلة وجمهور المفسرين فيقول: «واعلم أن المعتزلة أنكروا ذلك بأسرهم، قال القاضي: هذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول بصحتها، والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، وقال: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾؟ ولأن تجويزه يفضي إلى القدح بالنبوة، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى الضرر لجميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣٢/ ١٨٧.

لأنفسهم، وكل ذلك باطل، ولأن الكفار كانوا يعيِّرونه بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب، ومعلوم أن ذلك غير جائز. قال الأصحاب: هذه القصة قد صحَّت عند جمهور أهل النقل، والوجوه المذكورة قد سبق الكلام عليها في سورة البقرة. أما قوله: الكفار كانوا يعيبون الرسول عليه السلام بأنه مسحور، فلو وقع ذلك لكان الكفار صادقين في ذلك القول، فجوابه: أن الكفار كانوا يريدون بكونه مسحورًا أنه مجنون أزيل عقله بواسطة السِّحر، فلذلك ترك دينهم، فأما أن يكون مسحورًا بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره أحد. وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانًا ولا إنسيًا ولا جنيًّا يؤذيه في دينه وشرعه ونبوته، فأما في الإضرار ببدنه فلا يبعد»[1].

ونجد صاحب «الظلال» سيد قطب، ينفي قصة سحر الرسول ﷺ من أساسها وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

رابعًا ـ فضل المعوِّذتين:

عن قتيبة قال: حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبـي حازم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»[2].

ويخبر الرسول ﷺ عن فضل هاتين السورتين المباركتين، فبيَّن أن لهما أثرًا في الإجابة، قال النسائي: أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن أبـي عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ قال: يا عقبة قل، قلت: ماذا أقول؟ فسكت عني ثم قال: قل، قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: قل أعوذ برب

---

(١) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن أبـي خالد عن قيس بن أبـي حازم عن عقبة وقال الترمذي: حسن صحيح.

الفلق، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها»[1].

ويخبر المصطفى ﷺ أن المعوذتين هما أفضل ما يتعوّذ به الإنسان، «قال النسائي: أخبرنا محمد بن خالد، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله عن ابن عباس الجهمي أن النبي ﷺ قال له: يا ابن عباس ألا أدلك ـ أو أخبرك ـ بأفضل ما يتعوّذ به المتعوّذون؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، هاتان السورتان»[2].

وتخبر عائشة أم المؤمنين أن الرسول ﷺ كان يستخدم المعوذتين كرقية حين يشتكي شيئًا من جسده، قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى شيئًا من جسده قرأ: قل هو الله أحد، والمعوذتين، في كفه اليمنى ومسح بهما المكان الذي يشتكي»[3].

وروي عن عائشة أيضًا أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ ينفث على نفسه إذا اشتكى بالمعوِّذات ويمسح بيده، فلما اشتكى رسول الله ﷺ وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث عليه بالمعوِّذات التي كان ينفث بها على نفسه». وعنه عليه السلام: «أنه كان إذا أخذ مضجعه نفث في يده وقرأ فيها بالمعوِّذتين، ثم مسح بهما جسده»[4].

خامسًا ـ تفسير سورة الفلق:

إن قول الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، أمر وتوجيه للرسول الكريم بالاستعاذة بالله الذي هو رب الفلق، والفلق قالوا فيه: «إنه

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٥٧٢.

(٢) المصدر السابق، ٤/ ٥٧٢.

(٣) الفخر الرازي، تفسير القرآن الكريم، ٣٢/ ١٨٩.

(٤) المصدر السابق، ٣٢/ ١٨٩.

الصبح، وقالوا فيه أيضًا: إنه الخلق، وقالوا فيه: إنه بيت في جهنم، وقالوا: الفلق اسم من أسماء جهنم، قال ابن جرير: والصواب القول الأول إنه فلق الصبح»[1].

وأما ما يأمر الله رسوله ﷺ بالتعوذ منه فهو ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾، أي من كل شيء خلقه الله وفيه أذى. وهنا لطيفة هامة هي أننا إذا استعذنا بالله من الأشياء التي خلقها الله فلن يبقى بعدها شيء يمكن أن يؤذي، لأنه لا خالق سوى الله سبحانه وتعالى.

كما يأمر الله جلَّت قدرته نبيه الكريم أن يتعوذ «من شر غاسق إذا وقب»، «قال مجاهد: غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس، حكاه البخاري عنه، وكذا ابن عباس ومحمد بن كعب القرطبي والضحاك وخصيف والحسن وقتادة أنه: الليل إذا أقبل بظلامه، وقال الزهري: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾: «الشمس إذا غربت»[2]، وقيل إنه القمر لما روي عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ أخذ بيدها فأراها القمر حين طلع، وقال: تعوَّذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب»[3].

أما ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾، فهو التعوُّذ من شر السَّحرة الذين يلجأون إلى عقد العقد والنفث فيها مع ذكر كلام يتقربون فيه إلى الشيطان، ويذكرون فيه المسحور بالسوء، وأشهر من يعقد وينفث هم الإناث من السَّحرة.

وقوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾، فيأمر الله نبيه ﷺ أن يتعوذ من الحاسدين، والحاسدون نوعان، فقد يكون الحاسد إنسيًّا كما يمكن أن يكون جنيًّا.

في هذه السورة تعوُّذ من الغاسق والنفاثات في العقد والحاسد، وهذه الأمور تثير المخاوف في النفس بطريقة خفية لا شعورية أحيانًا، فمن منا لا يخاف من الظلمة إذا كان منفردًا في مكان بعيد عن العمران وعن الإنس، وكم من الناس أصيب

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٥٧٣.

(٢) المصدر السابق، ٤/ ٥٧٣.

(٣) رواه الترمذي والنسائي.

بالجنون أو بالمشيب أو بالإنهيار العصبي أو الجنون نتيجة لفزعه وجزعه من الظلام. وكم حل السِّحر أواصر العلاقات الإنسانية، خاصة بين الزوجين وبين الأهل والأحباب والأصحاب، وهدم بيوتًا عامرة وشرَّد أولادًا بعد أن كانوا تحت جناحي الأب والأم، وكم من عليل وعليلة علتهم ناتجة عن السِّحر وما يدري بها، وكم من إنسان لا تقبل صلاته، وكم من إنسان خرج من ملة الإسلام وهوى إلى قعر جهنم، كل ذلك بسبب السِّحر والنفث الذي أمرنا الله سبحانه أن نتعوذ منه.

وأما الحسد فإن لم يكن ماديًا ظاهرًا كظهور أثر الغاسق والنفاثات فهو في الحقيقة موجود، وله أثر شديد قوي على الناس وعلى مصائرهم، فكم من إنسان ابتلي بآفة الحسد، أضرَّ نفسه وأضرَّ الآخرين، والمجتمع المبتلى بالحسد متفكِّك ضعيف وهذه الآفات الثلاث ــ الغاسق والنفاثات والحسد ــ أمور لا توليها المدنية الحاضرة المادية ولا العلم الحديث كبير اهتمام، وذلك لأنها أمور صعبة القياس إذا ما قورنت بالأمور المادية العادية.

سادسًا ــ تفسير سورة الناس:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، أمر إلـهي للنبي ﷺ بالالتجاء والاستعاذة برب الناس أي مربيهم، وملك الناس أي مالكهم، فكل الخلق من إنس وجن وملائكة هو ربهم ومالك مصائرهم وأرزاقهم وسعيهم، ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ أي المعبود بحق، وهنا نجد ثلاث صفات من صفات الله عزَّ وجلّ وهي: الربوبية والملك والألوهية، فهو رب كل شيء ومليكه وإلـهه، والناس هنا ليست محصورة في الجنس البشري بل تطلق أيضًا على الجن، ككلمة رجل تطلق على الإنس والجن على السواء، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن]، وككلمة أمم فإنها تطلق على أمم الإنس والجن لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾ [الأعراف].

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ فالاستعاذ بالله هنا من شرِّ الوسواس الخناس، والوسواس الخناس هو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم ـ إلاَّ وله قرين يزين له عمل السوء والفاحشة.. «فعن عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: ما لك يا عائشة، أغرت؟ فقالت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك؟ قلت: يا رسول الله أومعي شيطان؟ قال: نعم، وقلت: مع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم»[1].

كذلك الأمر فيما «روي عن أنس في قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال رسول الله ﷺ: على رِسلكما إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا ـ أو قال شرًا ـ »[2].

فإذا عرفنا أن لكل إنسان قرينًا يزين له عمل السوء، وجب أن نستعيذ بالله من هذا القرين، فلا ملجأ من هذا الوسواس إلاَّ بالالتجاء إلى الله، فخالقه هو القادر على كبح جماحه وإخناسه. فإذا التجأ الإنسان إلى ما سوى الله تعاظم هذا الشيطان حتى يصير كالجبل، وصال وجال وقال: بقوتي صرعته.

«قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن عاصم، سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال: عثر بالنبي ﷺ حماره فقلت: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ: لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: بسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب»، تفرد به أحمد وإسناده قوي.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾، أي أن الشيطان يلقي كلامه الذي يوسوس به في القلوب الموجودة ضمن الصدور. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الشياطين لا يقتصر نوعهم على الجن فقط، بل يتعداه إلى النوع البشري، وذلك لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام].

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾، قيل: فيها تفصيل وشرح، لقوله السابق: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾، أي أن الناس ناسان هما جنس الإنس والجن، والله سبحانه أعلم.

بعد أن عرضنا لتفسير المعوِّذتين نعود فنوجز ما تقدم من أن الله سبحانه وتعالى بيَّن لنا في هاتين السورتين الكريمتين أمورًا خافية لا يمكن أن تدرك بيسر وسهولة نظرًا لأن علومنا وحواسنا قد تعوَّدت على إدراك الأشياء المادية، بينما الأمور الخفية واللامادية، تحتاج إلى معين يعيننا على إدراكها، فأعاننا المولى المعين بكرمه، فكشف لنا عن أمور يمكن أن تؤذينا مع أن بعضها لا تدركه حواسنا وعقولنا بيسر وسهولة، كالخوف من الظلمة وما يترتب عليها من أمراض وعقد نفسية، وكالسِّحر الذي رمز إليه بالنفث وبالعقد والحسد والحاسد.

كما نبهنا الله سبحانه وتعالى في سورة الناس إلى أثر الوسواس الخناس الذي لا ينفك يوسوس ليلاً ونهارًا، محاولاً إخراج الخلق عن الفطرة السليمة التي فطرهم الله عليها. ليس هذا فحسب، بل لقد شخص الله سبحانه الأمراض الخفية هذه، ووصف العلاج الذي لا علاج ناجحًا سواه، وهذا التعوذ والالتجاء إليه سبحانه وتعالى، فمن ابتغى علاجًا لهذه الأمراض خارج ما وصف الله فإنه لن ينال الشفاء، لأن هذه الأمراض خبيثة ولا علاج مجديًا لها البتة، والله أعلم.

لم تقتصر محاولات أعداء التوحيد والإيمان والنور والحق على محاولة إيذاء الرسول ﷺ بواسطة السِّحر، بل تعدته إلى اتهامه بأنه ساحر! عجبًا لهم، ساعة يحاولون سحره، وساعة يتهمونه بأنه ساحر. يقول الله سبحانه وتعالى في

أمر هذا الاتهام: ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأعراف].

ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة المؤمنون: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون].

كيف يكون محمد ﷺ نبيًا ورسولاً وفي نفس الوقت ساحرًا؟ كيف تجتمع في رجل واحد الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى الشيطان في نفس الوقت؟ كيف تكون الرسالة المحمدية ضد السِّحر وحامل لوائها ساحر؟

إنه حقًّا لمنطق أعوج لا يقبل به عقل سليم. لقد طار صواب أهل الشرك والكفر، فما عادوا يدرون ما يقولون في أمر محمد ﷺ فاتهموه بالشيء وبنقيضه.



الفصل العشرون

الفرق بين الكرامة والسِّحر

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

قبل أن نخوض في أمر الفرق بين الكرامة والسِّحر، سنحاول تعريف الكرامة، ونحاول التعرُّف على مقوِّماتها وإمكانية حدوثها وشواهدها، ومن تحصل له. أما السِّحر فقد سبق وعرَّفناه واستفضنا في تفصيلاته العديدة في فصل سابق.

تعريف الكرامة

هي الأمور الخارقة للعادات غير المقرونة بالتحدِّي ولا بدعوى النبوة، يجريها الله على يد بعض الصالحين والأتقياء الملتزمين والمجتهدين في أمور الشريعة، والبعيدين عن الشذوذ والتطرُّف والتزمُّت غير المأمور به، والله يحدث هذه الكرامات كدليل على إمكانية حدوث المعجزة التي يؤيِّد الله بها أنبياءه ورسله.

ومن صفات الكرامات أنها أقل مستوى من المعجزات، كما أنَّ الكرامة ليست للعرض أمام جمهور كبير من الناس، وأنَّ من يفعلها يعزو حدوثها لمشيئة الله سبحانه وتعالى وقدرته، كما يجب أن يكون من الملتزمين بأمور الشرع الحنيف.

* * *

إمكانية وقوع الكرامة

الكرامة من الأمور الممكنة عقلاً، وما كان ممكنًا عقلاً، يجوز أن تتناوله القدرة الإلـٰهية بالخلق والإبداع والإيجاد. فما المانع من أن يتفضَّل الله سبحانه وتعالى بالتكرُّم على بعض خلقه الصالحين بأن يجري على يديهم بعض الخوارق للعادات التي نسمِّيها الكرامات، فالله سبحانه وتعالى فعَّال لما يريد.

وما يؤيِّد ذلك جملة أمور، منها: ثبوت الكرامات بنصِّ القرآن الكريم، ففي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة]، وأنَّ من يتَّق الله يفيض عليه بإحسانه، فيكرمه بنعمة العلم، أي ييسِّره له ويسهِّله عليه. فكم من إنسان صالح طيِّب له عقل راجح، وفكر نيِّر ثاقب، وعلم غزير، مع أنَّ جلّ ما حصَّله في دنياه من العلم قليل جدًّا، وذلك لأنَّ في تقوى الله عونًا ومددًا إلـٰهيًّا تجعل الذهن يتفهَّم ويتقبَّل المعاني والكلمات على حقيقتها في يسر وسهولة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. . .﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، نستشف دليلاً على الكرامة التي يمنحها الله لبعض أوليائه. فهاتان الآيتان تعنيان أنَّ الله يكرم أتقياءه بالرزق دون أن يكون الشخص محتسبًا له أو منتظرًا قدومه، فهذا الرزق يأتي من باب خفي يفتحه الله بكرمه لأوليائه المتَّقين.

وفي القرآن الكريم دلائل كثيرة جدًّا على أناس وقعت على أيديهم كرامات مثل أهل الكهف، والسيِّدة مريم، وكرامة الذي عنده علم من الكتاب في زمن سليمان عليه السلام، وبراءة عائشة أم المؤمنين. . . إلخ.

أوَّلاً ـــ أما أصحاب الكهف:

فكانوا فتية آمنوا بربهم وخافوا الفتنة وفرّوا بدينهم، فأنامهم الله في الكهف ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعًا، وهذا النوم الطويل والحفظ الإلـٰهي لهم في الكهف، وتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال كي لا تأكل الأرض أجسادهم هو من الأمور

الخارقة للعادة، وهي كرامة لهؤلاء الفتية الأتقياء. يقول الله سبحانه وتعالى في حق هؤلاء الفتية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢﴾ [الكهف].

ثانيًا ـ كرامات السيِّدة مريم:

ورد في سورة آل عمران: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ [آل عمران]، يذكر القرآن الكريم صراحة أنَّ مريم كان يأتيها طعامها إلى محرابها المنعزل، كرامة من الله دون أن يحضره أحد من البشر.

وتشير نفس السورة إلى كرامة أخرى لمريم وهي حملها بعيسى عليه السلام دون أن يمسّها بشر: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٤٧﴾ [آل عمران]. كما يثبت نفس الكتاب في سورة مريم كرامة أخرى للسيِّدة مريم، وهي تأمين الرطب لها كطعام حين اقتربت ساعة الوضع، يقول الله سبحانه: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥﴾.

ثالثًا ـ كرامة الذي عنده علم من الكتاب:

يقال بأنه آصف صاحب سليمان عليه بالسلام، فقد أكرمه الله بأن أعانه على نقل عرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى بيت المقدس في أقل من طرفة عين. وورد في سورة النمل: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل].

يجنح بعض المفسِّرين إلى القول بأنَّ الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان

عليه السلام نفسه، لكن سياق القصة كما وردت في هذه السورة يؤكِّد أنَّ الذي فعل ذلك ليس سليمان عليه السلام.

رابعًا ـ براءة عائشة أم المؤمنين:

إنَّ في نزول براءة عائشة أم المؤمنين في القرآن كرامة من الله لزوجة الرسول ﷺ، وذلك على أثر حادثة الإفك. فقد جاء في سورة النور: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[1].

وكما أثبت القرآن الكريم الكرامات لبعض الأتقياء والأولياء فإنَّ الأحاديث المروية عن الرسول الكريم ذكرت بعض الكرامات للعديد من الأولياء والصالحين، وهذه الأحاديث متواترة بشكل يقطع بوقوعها. نذكر منها على سبيل المثال قصَّة الثلاثة الذين سُدَّ باب الغار عليهم، ثم قصة الغلام الذي فضَّل العابد على السَّاحر، ثم قصة العابد جريج:

(أ) قصَّة الثلاثة الذين سُدَّ باب الغار عليهم:

ومفادها أنَّ هؤلاء النفر دخلوا غارًا فتدحرجت صخرة عظيمة سدَّت باب الغار، بحيث امتنع عليهم الخروج منه، فأخذ كل واحد منهم يدعو الله بصالح أعماله، فكلما دعا واحد انفرجت الصخرة قليلاً عن الباب، وما إن دعا الثالث حتى انفرجت الصخرة عن الباب بحيث تمكَّن الثلاثة من النجاة.

فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلاَّ أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجل منهم:

---

(١) النووي، أبو زكريا، رياض الصالحين، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ط ٢، ص ١٠ ـ ١١، والحديث متفق عليه.

اللَّـٰهُمَّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً. فنأى بـي طلب الشجر يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت ــ والقدح على يدي ــ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غَبوقهما. اللَّـٰهُمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللَّـٰهُمَّ إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب النَّاس إليَّ ــ وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجل النساء ــ فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمَّت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها ــ وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها ــ قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلاَّ بحقه، فانصرفت عنها، وهي أحب النَّاس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللَّـٰهُمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللَّـٰهُمَّ استأجرتُ أُجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين وقال: يا عبد الله، أدِّ إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله، لا تستهزىء بـي! فقلت: «لا أستهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللَّـٰهُمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

من هذا الحديث نجد أنَّ الله بقدرته قد أكرم هؤلاء النفر الصالحين فزحزح لهم الصخرة ونجَّاهم من الموت في باطن الجبل، أي أنه جعل لهم مخرجًا من هذا الغم الذي كانوا فيه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ. . .﴾ [الطلاق: ٢ ــ ٣].

---

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين، ص ٢٥ ــ ٢٨.

(ب) قصَّة الغلام الذي فضَّل العابد على السَّاحر :

ومفادها أنَّ أحد ملوك حِمْيَر أرسل غلامًا لتلقِّي علوم السِّحر على يد ساحر هرم خوفًا من زوال هذا العلم مع موت السَّاحر، فكان هذا الغلام يمرّ في طريقه على عابد فيأخذ عنه، وشرح الله صدره للإيمان، فكان يختلق الأعذار كي يمرّ على العابد ويتهرَّب من السَّاحر، وقد وصل هذا الغلام إلى مراتب عليا من الإيمان التي صاحبتها بعض الكرامات.

عن صهيب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلامًا أعلِّمه السِّحر، فبعث إليه غلامًا يعلِّمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى السَّاحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى السَّاحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت السَّاحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني السَّاحر.

فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم السَّاحر أفضل أم الرَّاهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللَّـٰهُمَّ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر السَّاحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الرَّاهب: أي بُني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك سَتُبْتَلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ، وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء ـ بإذن الله ـ. فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟! قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني وقد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال:

إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى، فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقَّه حتى وقع شقَّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقَّه به حتى وقع شقَّاه، ثمَّ جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلاَّ فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللَّـٰهُمَّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسَّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلاَّ فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللَّـٰهُمَّ اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟ فقال: كفانيهِم الله تعالى، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. فقال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خُذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله ربّ الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر منه قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخُدَّتْ وأُضِرمت فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها ـ أو قيل له: اقتحم ـ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمَّاه اصبري فإنَّك على الحق»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

من الكرامات التي ذُكِرت في هذا الحديث:

(أ) من كرامات هذا الغلام: أنه كان يدعو الله ويبتهل إليه لشفاء بعض المرضى فيبرأون بإذن الله.

(ب) والكرامة الثانية: هي أنَّ هذا الغلام لمَّا دعا الله أن يكفيه شرّ جند الملك حين أرادوا أن يلقوه من شاهق الجبل، رجف الجبل فوقع الجند ثم عاد الغلام إلى الملك سالمًا.

(ج) أما الكرامة الثالثة: فهي غرق الجند الذين وُكِّلوا بأغراقه إذا لم يرجع عن دينه، فأنجاه الله وعاد إلى الملك سالمًا.

(د) أما الكرامة الرابعة: فهي قول الغلام للملك: إذا أردت أن تقتلني فلن تفلح إلاَّ إذا قلت بسم الله رب الغلام. إذ أنه بدون هذه التسمية وهذه النية لن يموت، وهكذا كان، فحين ذكر الملك ربّ الغلام آمن الناس وكفروا بدين الملك.

(هـ) وهنالك كرامة: ليست لهذا الغلام ولكنها لطفل رضيع نطق مثبتًا أمه على الإيمان، وذلك حين انتقم الملك من الذين آمنوا فحفر الأخاديد في الأرض وملأها حطبًا، وأخذ يلقي فيها الناس الذين تركوا دينه، فلما رأى هذا الرضيع أمه تتردَّد في الوقوع خوفًا عليه قال لها: اصبري فإنك على الحق.

(ج) قصَّة العابد جريج:

ومفادها أنَّ جريج كان ناسكا يعيش في صومعة، فجاءته أمه وهو يصلِّي، فنادته فما ردَّ عليها من شدَّة خشوعه لله، فدعت عليه أمه أن لا يموت حتى يرى وجوه الموسات. وهكذا كان إذ تعرَّضت له امرأة فأبى فأمكنت من نفسها راعيًا فلما وضعت طفلاً أتت به قومها وقالت إنه من فعل جريج، فقام الناس إلى جريج فهدموا صومعته وأهانوه، فما كان منه إلاَّ أن صلَّى وابتهل إلى الله، فأنطق الله هذا الرضيع فقال: أبي الراعي. وهكذا نطق الرضيق كرامة من الله للناسك جريج، وتبرئة لساحته من هذه التهمة الشنيعة.

عن أبـي هريرة رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ قال: «لم يتكلَّم في المهد إلاَّ ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عابدًا، فاتَّخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلِّي، فقالت: يا جريج، فقال: أي رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فلما كان من الغد أتته وهو يصلِّي فقالت: يا جريج، فقال: أي رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللَّـهُمَّ لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات. فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثَّل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننه، فتعرَّضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك، قال: أين الصبـي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلِّي، فصلَّى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي، فأقبلوا على جريج يقبِّلونه ويتمسَّحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا»[1].

وليست الكرامات في التراث الإسلامي العريق وقفًا على القرآن الكريم وحده أو الأحاديث النبوية فقط، بل إننا نجد في سير أصحاب الرسول محمد ﷺ أمثلة كثيرة لكرامات أكرموا بها، وذلك لشدَّة إيمانهم وتقواهم واتِّباعهم سنن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع.

فمن هذه الكرامات: تكثير الطعام لأبـي بكر رضي الله عنه[2]، ومشاهدة عمر لجيشه الذي كان بقيادة سارية على بعد آلاف الأميال وإيصال صوت أمير المؤمنين

---

(١) انظر: مشكاة المصابيح، حديث رقم ٥٩٤٦.

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة، ورواه ابن عساكر وغيره بإسناد حسن.

إلى سارية عبر هذه المسافة الشاسعة[1]، ومن هذه الكرامات إضاءة العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر في ليلة مظلمة، فعن أنس: «أنَّ أسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدَّثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان، وبيد كل واحد منهما عُصية، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه، حتى بلغ أهله»[2].

ولمزيد من التفاصيل في أمر الكرامات يمكن العودة إلى كتاب رياض الصالحين خاصة في باب كرامات الأولياء وفضلهم، وإلى كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لتقيِّ الدِّين بن تيمية، كما يمكن الرجوع إلى التفسير الكبير للفخر الرازي خاصة في تفسيرة سورة الكهف.

يقول ابن تيمية في فتاويه: «وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنَّة والجماعة، وقد دلَّ عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، إنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم، لكن كثيرًا ممن يدَّعونها أو تدعى له يكون كذَّابًا أو ملبوسًا عليه. وأيضًا، فإنها لا تدلّ على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتِّباعه في كل ما يقوله، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره من الكفَّار والسَّحرة بمؤاخاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وإنه يقتل واحدًا ثم يحييه، وإنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة. ولهذا اتفق أئمة الدين على أنَّ الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام، حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ»[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ص ٦٠٠.

(٣) انظر: العقيدة الإسلامية، لعبد الرحمن حبنَّكة، بيروت ـ دمشق، دار القلم، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ط ٢، ص ٤١١.

مما تقدَّم نستنتج أنَّ الكرامة أمر ثابت قطعًا ولا يحتمل الشكّ نظرًا للأدلة الشرعية والمؤيِّدة لها والممثَّلة بالقرآن والسنَّة النبويَّة المطهَّرة ولتواتر أخبار الأولياء وكراماتهم. كما يجب أن نلفت النظر هنا إلى أنَّ الكرامة التي تحصل لبعض الناس لا يترتَّب عليها إثبات أو نفي لأحكام شرعية، إذ أنَّ لهذه الأخيرة مصادرها الخاصة. كما يجب أن لا تكون الكرامة بابًا يتقاضى به الأجر، أو سببًا لتحصيل المال أو الجاه وإلاَّ تكون باب استدراج ومصيبة على صاحبها. كما يجب أن نتحقَّق من دين من تظهر عليه بعض الخوارق فإذا كان ملتزمًا بالكتاب والسنَّة والشريعة اعتقدنا بكرامته وإلاَّ فهو محتال أو ممن يتَّخذهم الشيطان طُعمًا كالسُّذَّج من الناس ليصرفهم عن الطريق السوي والشريعة السمحاء.

ونقل عن الشافعي رحمه الله أنه قال: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنَّة[1].

وإلى هذا يشير ابن تيمية في حربه على من لا يتبع الكتاب والسنَّة، ثم يدَّعي أنه من أصحاب الكرامات والصوفية. يقول في كتابه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»: فإنَّ ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنَّة كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وأمثالهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين»[2]. ويشير ابن تيمية في فتاويه مبيِّنًا حال الولي أو صاحب الكرامات، فيقول:

«أولياء الله هم المؤمنون المتَّقون، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]، وهم على درجتين، إحداهما: درجة المقتصدين أصحاب اليمين، الذي يؤدُّون الواجبات

---

(١) ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٤٤.

(٢) رواهما أهل السنن.

ويتركون المحرمات. والثانية: درجة السابقين المقرَّبين. وهم الذين يؤدُّون الفرائض والنوافل، ويتركون المحارم والمكاره، وإن كان لا بدَّ لكل عبد من توبة واستغفار يكمل به مقامه، فمن كان عالمًا بما أمره الله به وما نهاه عنه، عاملاً بموجب ذلك، كان من أولياء الله، سواء كانت لبسته في الظاهر لبسة العلماء أو الفقراء أو الجند أو التجار، أو الصنَّاع أو الفلاَّحين، لكن إن كان مع ذلك متقرّبًا إلى الله بالنوافل كان من المقرَّبين، وإن كان مع ذلك داعيًا غيره إلى الله هاديًا للخلق، كان أفضل من غيره من أولياء الله، كما قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة]، قال ابن عباس: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة. وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء، لأنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[1] رواهما أهل السنن.

إذا تبيَّن ذلك فمن كان جاهلاً بما أمره الله به وما نهاه عنه لم يكن من أولياء الله، وإن كان فيه زهادة وعبادة لم يأمر الله بهما ورسوله، كالزُّهد والعبادة التي كانت في الخوارج والرهبان ونحوهم، كما أنَّ من كان عالمًا بأمر الله ونهيه ولم يكن عاملاً بذلك لم يكن من أولياء الله، بل قد يكون فاسقًا فاجرًا، كما قال ﷺ: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيِّب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيِّب وطعمها مرّ.

ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مرٌّ ولا ريح لها. ويقال: ما اتَّخذ الله وليًا جاهلاً، أي جاهلاً بما أمره به ونهاه عنه، فأما من عرف ما أمر الله به وما نهى عنه، وعمل بذلك فهو ولي الله، وإن لم يقرأ القرآن كله، وإن لم يحسن أن يفتي الناس، ويقضي بينهم، فأما الذي يرائي بعمله الذي ليس بمشروع، فهذا بمنزلة الفاسق الذي ينتسب إلى العلم، ويكون علمه من الكلام المخالف لكتاب الله وسنَّة

(١) ابن تيمية، مختصر فتاوى ابن تيمية، ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩.

رسوله ﷺ. فكل من هذين الصنفين يبعد عن ولاية الله تعالى، بخلاف العالم الفاجر الذي يقول ما يوافق الكتاب والسنَّة، والعابد الجاهل الذي يقصد بعبادته الخير، فإنَّ كلاًّ من هذين مخالف لأولياء الله من وجه دون وجه»[1].

هل في الكرامة تحويل للجوهر:

لا ريب أنَّ ما ظهر على يد الولي من كرامة حقيقي، أي أنَّ المادة تنقلب وتتحوَّل، وذلك لأنَّ ما يأتيه الولي إنما يأتيه بتأييد الله سبحانه وتعالى، فإذا ما قلب التراب ذهبًا، فإنما يقلبه على الحقيقة، وإذا ما مدَّ يده في الهواء وتناول طبقًا من أطباق الطعام الساخن، فإنما يتناول شيئًا حقيقيًّا وليس وهمًا وإيهامًا للناس أو تمويهًا.

مقارنة بين كرامات الوليّ «وخوارق» السَّاحر:

إنَّ الفرق كبير بين كرامات الوليّ «وخوارق» السَّاحر، يشبه الفرق بين الإيمان والكفر، فالكرامة لا يمكن أن تتأتَّى إلاَّ عن إيمان وتقوى واتِّباع الشرع الحنيف، بينما السِّحر يتأتى عن كفر وفسوق وعصيان ومخالفة الشرع الحنيف. وصاحب الكرامة يتوجَّه إلى الله سبحانه وتعالى، ويتقرَّب إليه بالعبادة الخالصة والنية الحسنة، حين يود الحصول على الكرامة، بينما يتوجَّه السَّاحر إلى الجن والشياطين بنية ملؤها الكفر والحسد وسوء النية، حين يود إتيان السِّحر. والولي إنسان مستقيم صالح هيِّن ليِّن لا يؤذي أحدًا، وعمله خالص لوجه الله سبحانه وتعالى، ويحب الناس ويحب الخير للجميع بينما السَّاحر إنسان سيِّء الطبع، فظّ مفزع، لا يألف ولا يؤلف، لا يكف أذاه عن الناس إذ أنَّ عمله قائم على الأذى والضرر وكره الجميع.

والولي إنسان حيي خجول لا ينسب حصول الكرامة لنفسه أبدًا، بل ينسبها دائمًا إلى الله جلَّت قدرته. وغالبًا ما نراه منزويًا متقشِّفًا، بينما نجد السَّاحر في أغلب الأحيان إنسانًا وقحًا متبجِّحًا يحاول فرض نفسه على الجميع ويتسلَّط عليهم، وينسب

---

(١) ابن تيمية، مختصر فتاوى ابن تيمية، ص ٥٥٨ ــ ٥٥٩.

ما يأتيه من السِّحر لنفسه وقدرته وجبروته، والسَّاحر دومًا يحب الظهور ويتوسَّط المجالس، ويحب أن تكون له الكلمة المسموعة في مجتمعه، وكلما فعل شيئًا تباهى وافتخر ونفخ صدره وتبسَّم بسمة صفراء تخفي وراءها المكر والخداع.

والكرامة أمر حقيقي يقلب الجوهر ويحوِّله فعلاً، وذلك لأنَّ وراء الكرامة إلـه قدير. بينما السِّحر في أغلبه تمويه وخداع واحتيال، وما كان حقيقة فإنما يتوصَّل إليه بالتوجُّه إلى الجن والشياطين بالتقرُّب والعبادة، ومع كل هذا فإنَّ الجن والشياطين لا تستطيع أن تقلب الأعيان أو الجواهر. وإذا وقع تحدٍّ بين الولي والسَّاحر فالغلبة دومًا للولي، لأنَّ الله سبحانه قال: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه].

والولي لا يأخذ أجرًا على فعله، بينما السَّاحر طمَّاع دائمًا يمدّ يده طالبًا الأجر على عمله، اُنظر ماذا طلبوا من فرعون مقابل مساعدته على موسى عليه السلام: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأعراف]، وبما أنَّ فرعون كان يتعامل معهم ويفهم نفسيَّتهم وجشعهم، فإنه وعدهم بأكثر مما طلبوه، فقال لهم: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأعراف].

وصاحب الكرامة حين تظهر الكرامة على يديه يشكر الله ويحاول إخفاءها قدر استطاعته كي لا يفتن الناس به أو كي لا يغترّ بثناء الناس ومديحهم له. ثم نجده غالبًا ما يسجد شكرًا على عطاء الله، بينما حين يحاول السَّاحر القيام بأعماله، نجده يحرص على حشد أكبر قدر من الجمهور، وحين ينجح في التمويه والخداع يقف متباهيًا منتظرًا ثناء الناس وإطراءهم له.

والوليّ دائمًا يتسلَّح بالطهارة المادية المتمثِّلة بالنظافة والوضوء، وبالطهارة المعنوية، المتمثِّلة بحفظ اللسان والجوارح مما يغضب الله سبحانه وتعالى، بينما نجد السَّاحر يعتمد النجاسة والقذارة المادية والمعنوية، فتراه يبتعد عن الاغتسال ويأكل المحرمات كلحم الخنزير، ويشرب المحرمات كالخمر والدم، ويلازم الأماكن القذرة، ويحتفظ بالحيوانات النجسة حوله تقرُّبًا للجن والشياطين التي تعينه

على عمله. والولي صاحب الكرامات إنسان ملتزم دينيًا، يحترم الكتب السماوية ويجلُّها، بينما نجد السَّاحر إنسانًا كافرًا مستهزئًا بالأديان والكتب السماوية، وكثيرًا ما يتعمد كتابة نصوص هذه الكتب بمداد نجس ويضعها على عورته، وقد يكتبها بطريقة مقلوبة استرضاء للجن والشياطين. كما نجد أن الولي إنسان قوي لا يهاب أحدًا مهما علت مرتبته وشأنه، ويقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، بينما نجد السَّاحر عبدًا لمن فوقه فرعونًا على من تحته.

وحين يموت الولي نجد الجميع يخرج في جنازته ويودِّعه وقد تشتم الروائح الطيبة من فراشه أو من جثته، ويكون وجهه مبتسمًا، ويذكره الجميع بالخير، بينما نجد السَّاحر لا يموت غالبًا إلاَّ ميتة شنيعة قبيحة لا يحسده عليها أحد، فقلَّما يموت ميتة طبيعية، فإما أن يوجد السَّاحر مذبوحًا من الوريد إلى الوريد، أو مخنوقًا، أو متردِّيًا من شاهق جبل، أو غريقًا، أو يُلقى القبض عليه فيحاكم ويحكم عليه بالموت حرقًا. وقد يقضي أواخر أيَّامه معتوهًا تلحقه الصبية في الأزقة والشوارع لترجُمَه بالحجارة، وحين ينظر إلى وجهه ساعة موته نراه عابسًا مقطبًا.

وهكذا دائمًا نهاية الكافر الذي لا يخاف الله، لأنَّ الجن والشياطين لا عهد ولا ميثاق لها، فإنها تعين السَّاحر طالما كان قويًا وفتيًا ونشيطًا، فإذا ما أحسَّت منه الضعف أو التحوُّل عن عبادتها، انقضت عليه فخنقته أو أغرقته أو ذهبت بعقله.

لذلك نرى أنَّ الفرق كبير جدًّا وبعيد بين الكرامة والسِّحر.






الباب السادس

السِّحر والخوارق



السّحر والخوارق

تمهيد:

الباراسيكولوجيا هي فرع من فروع السيكولوجيا أو علم النفس، تدرس الظواهر التي تبدو لأول وهلة مستحيلة التفسير أو فوق مستوى الفهم، فتعمل على تحليلها ومعرفة أسبابها الطبيعية قدر المستطاع.

وكلمة «بارا» تعني قرب أو بجانب، وهذا ما يوضح لنا تسمية هذا العلم بالباراسيكولوجيا، إنه علم قريب من علم النفس، إلاَّ أنه يحاول درس الظاهرات العجيبة أو الغريبة التي لا يتناولها علم النفس مثل: الجلاء البصري «Clair voyance»، والجلاء السمعي «Clair Audiance»، وتحريك الأشياء بواسطة التركيز الفكري «Psychokineses»واستحضار الأشياء المادية «Teleportation»، والطب الروحي «Psychic Healing»، والارتفاع في الهواء «Levitation»، والتراسل الفكري «Telepathy»، وقراءة الأثر «Psychometry».

وقد واجه هذا العلم صعوبات جمة في طريقه، خاصة أن التجارب المخبرية بالنسبة لهذا العلم صعبة جدًا، لأن الظواهر الباراسيكولوجية، ظواهر تلقائية بصفة أساسية، وغالبًا ما ترتبط بأحداث معينة كالمحن والمعاناة النفسية من مشاكل معينة، وإذا كان الأمر كذلك فإنه من شبه المستحيل إخضاع هذه الظواهر للتجارب المخبرية، ولكن ذلك لم يثن الباحثين عن عزمهم لمواصلة البحث عن طرق وأساليب يمكنهم بواسطتها استثارة النفس الإنسانية كي تظهر مكنون قواها التي تدهش العالم.

وفي أيامنا الحاضرة توجد شبكة من المراكز المتخصصة لدراسة الباراسيكولوجيا منتشرة في أنحاء متعددة من العالم، يقول الدكتور روجه خوري: «إن هناك أكثر من مئتي مركز تعلل الظواهر الباراسيكولوجية وتتوزع على جامعات ومؤسسات ومختبرات وجمعيات. . . إلخ.

ففي الولايات المتحدة، نجد خمسة وعشرين مركزًا تهتم بهذه الأمور، وفي الهند عشرة مراكز، وفي الفاتيكان أُعِدَّ قسمٌ خاص في الجامعة البابوية لدراسة هذه العوامل بإشراف الأب ريش وذلك منذ سنة ١٩٧٢، وفي هولندا هناك خمس مؤسسات مختصة، ومنذ سنة ١٩٣٢ تعطى في هذه البلاد دروس في الباراسيكولوجيا، وفي إنكلترا عشرة أو أحد عشر مركزًا، وفي ألمانيا خمسة أو ستة، وفي كندا عشرة، وفي أوستراليا ونيوزيلندا أكثر من سبعة وفي الأرجنتين ثمانية.

وهناك العديد منها في بلاد فرنسا والدانمرك وروسيا وبلغاريا وإيطاليا وإسبانيا والبرازيل وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبولونيا والتشيلي والمكسيك وفي بعض البلاد المجاورة لنا.

إنما يجدر ذكر المختبر الكبير الموجود في شمال كارولينا في جامعة ديوك، كما في لينينغراد وموسكو، والتي توليها الدولة اهتمامًا خاصًا. وليكن في علمنا أيضًا، أن الجمعية الأميركية للتقدم العلمي، احتضنت المؤسسة الباراسيكولوجية الدولية، التي تعد أكبر مؤسسة للعلوم النفسية في عصرنا، وهذه الخطوة تشير إلى المرتبة العلمية التي وصلت إليها دراسة هذه الظاهرات الغريبة»[1].



(١) خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، بيروت، روجه خوري ١٩٨٠، ص ٤٤٩.

الفصل الحادي والعشرون

الرؤية عن بُعد
التراسل الفكري، والقراءة الإصبعية

أوّلاً ــ الرؤية عن بُعد أو الجلاء البصري:

يذكر التاريخ قصة مفادها أنه بينما كان الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب في المدينة المنورة، على منبر رسول الله ﷺ قطع خطبته ونادى: يا سارية الجبل الجبل، وكرَّر ذلك مرارًا ثم تابع خطبته كالمعتاد. بعد الخطبة سئل عمر رضي الله عنه عما بدر منه، فقال إنه رأى سارية وهو قائد مسلم يحارب الروم في جهات الشام وقد أحاط به الأعداء فأشار عليه بالاحتماء في جبل قريب منه، وبعد مدة عاد سارية من حربه مع الروم فأخبر أنه سمع صوتًا يشبه صوت أمير المؤمنين عمر يدعوه للاحتماء في الجبل ففعل ذلك، وكان هذا سببًا في نجاة سارية ومن معه من جند المسلمين من طوق كان يعده الروم لهم[1].

«ويروى عن العالم السويدي عمانوئيل سويدانبرغ «Swedenborg» أنه خلال سنة ١٧٥٦ أثناء سفره وتوقفه في بلدة غوتبورغ «Goteborg» رأى ما يحصل في ستوكهولم عاصمة بلاده التي تبعد عن محل وجوده خمس مئة كيلومتر، وكان الأمر يتعلق بحريق هائل انتشر بسرعة ولم يتمكن أحد من إخماده وكان صاحب الرؤية من

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة»، ورواه ابن عساكر وغيره بإسناد حسن.

العلماء البارزين في عصره، يصف لمرافقيه، وعيناه جاحظتان مصوَّبتان إلى الأفق، هول الفاجعة وكيف أن ألوف السكان يولولون هاربين من النار»[1].

إن هاتين القصتين وقصصًا أخرى كثيرة مماثلة تظهر لنا بوضوح بأن الحواس الخمس التي تعرف، ليست وحدها مصدر إدراكنا ومعرفتنا لما يدور حولنا من حوادث. إن ما يحصل لنا من معرفة للأمور بغير طريق هذه الحواس يعزوه الناس لوجود حاسة سادسة لا يعلمون ما هي بل يدركون بعض نتائجها وتأثيراتها على أنفسهم وعلى الآخرين.

أما تعليل هذه الحاسة التي مكنت سيدنا عمر رضي الله عنه، والعالم السويدي من رؤية الأشياء البعيدة والمتمثلة بالجلاء البصري، فيختلف العلماء في تعليلها. فمنهم من يقول: بأن الإنسان كان في القديم يتمتع بهذه الحاسة وحواس أخرى، لكن بسبب المدنية والطمأنينة وانتفاء الحاجة إلى مثل هذه الحواس ضعفت وتلاشت عند معظم الناس، وما نشاهده في بعض الحالات الإفرادية الشاذة اليوم إنما هو من بقايا هذه القوى التي فقدها الإنسان تدريجيًا.

وهذا ما يذهب إليه العالم النفسي الكبير كورت تسلر عبر كتابه «وراء الحدود الحسية»، فهو يروي في كتابه قصة رجل كان يعيش في أوغندة، هذا الرجل قرر أن يقيم خيمة في الغابة المفتوحة، أي في الغابة التي تعج بالوحوش من كل نوع، واشترط أن يوجد معه بعض الحرس، وكان من بين الحرس حارس له حاسة غريبة تدله على اقتراب الوحوش من أي اتجاه فيقول: هناك أسد، إنه على مسافة مائتي متر، هناك نمر على مدى مائة متر، هناك ثعبان على مدى عشرة أمتار، يقول ذلك وهو في داخل الخيمة المغلقة وفي ظلام الليل، ويكون ذلك صحيحًا!

ويقول الدكتور تسلر: «لا بد أن هذه هي الحاسة التي كانت لدى الإنسان عندما كان يعيش في الغابة. ولو لم تكن للإنسان هذه الحاسة لأكلته الوحوش، وانقرضت

---

(١) زهار، يمنى، عالم غير منظور، ص ١١ ــ ١٢.

البشرية. ولكن مع ظهور الكهوف والأسلحة، لم يعد الإنسان يعتمد على حاسته هذه، تمامًا كما أننا لا نعتمد على حواس السمع والبصر الآن. فليس من الضروري أن تكون لدينا أذنا ذئب أو عينا صقر. لسنا في حاجة إلى ذلك، فالمسافات قصيرة والبيوت أمان»[1].

لكن هنالك من يعتقد بأن هذه الحاسة، أي حاسة الجلاء البصري وبقية الحواس الخارجة عن نطاق الحس إنما تكتسب اكتسابًا وليست نتيجة لحاسة مضمحلة سابقة كما يقول أصحاب نظرية التطور أمثال دارون «Darwin» ولمارك «Lamark»، بل إن الإنسان يملك إمكانيات وقدرات غير مستغلة، فمثلاً إن الإنسان العادي لا يستخدم سوى عشرة بالمئة من خلايا دماغه، في أقصى الحالات نجد العلماء يستخدمون حوالي ثلاثين في المئة منها، كما أن خلايا الدماغ لها تخصصات ووظائف مختلفة لم تكشف بعد.

وحالات الجلاء البصري توجد بكثرة عند الفقراء الهنود، وامتلاكهم لهذه الخاصية إنما تم بتدريب النفس عن طريق الصوم والرياضات الشاقة والتركيز الفكري.

لكن ما كان للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يكن من هذا القبيل، بل يفسره الحديث القدسي الذي يقول: «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب. وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه»[2].

---

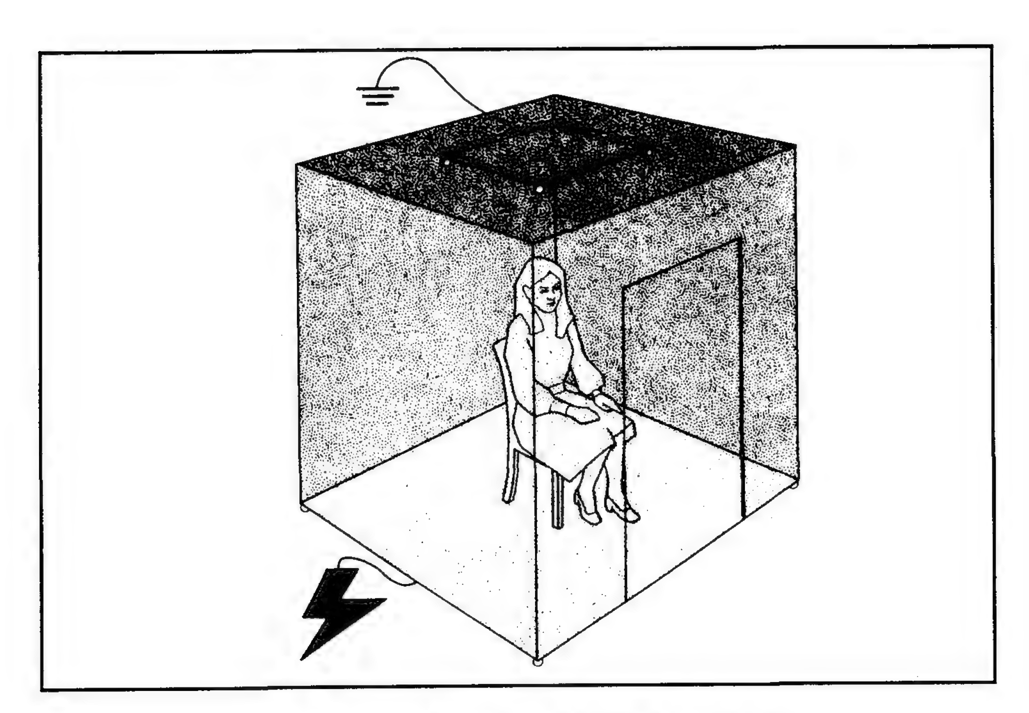
(١) انظر: أنيس منصور، مجلة أكتوبر، سنة ١٩٧٤، سلسلة رقم ٨، ص ٤٤.

(٢) رواه البخاري، وفي رواية أخرى: «فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي».

إن الجلاء البصري الذي تحلَّى به أمير المؤمنين إنما كان من باب الكرامة الناتجة عـن اجتـهـاد في العبادة وتقوى وورع. والجلاء البصري إنما يكون عادة نتيجة لعلاقة وثيقة بين الناظر والمنظور إليه، وخاصة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لم تكن لديه خاصية جلاء بصري فحسب، بل تعدتها إلى أنه تمكن بعد أن شاهد الجند على بُعد آلاف الأميال من مخاطبتهم عن طريق التراسل الفكري بدليل أن سارية القائد المسلم سمع صوت أمير المؤمنين، يحذره ويطلب منه الاحتماء بالجبل.

وما خاصية هذا الاتصال؟ أهو اتصال صوتي عادي مؤلف من اهتزازات هوائية؟ نجيب بالنفي، لأن الإشارة الصوتية لا بد لها من أن تتلاشى بعد عدة أمتار. أم هي رسالة كهرمغناطيسية صادرة عن نشاط خلايا الدماغ؟ بالطبع إن هذا التصور قد ثبت بطلانه بعد تجارب عديدة توصل إليها العلماء اليوم، منها أنه ثبت لهم من خلال تجارب «التلباثي» «Telpathy» أي التراسل الفكري، أن المسافة لم تكن العامل المؤثر في التقاط الرسالة، فإنه قد جرت مراسلات فكرية بين شخصين تفصل بينهما مسافة عدة آلاف من الكيلومترات، فكانت الرسالة تصل واضحة وجلية، فلو كانت الرسالة مادية صرفة لما تخطت هذه المسافة الطويلة، إذ من المعلوم أن الطاقة الكهربائية أو الكهرمغناطيسية تضعف كلما بعدت المسافة، كما أن الطاقة الناتجة عن نشاط خلايا الدماغ ضعيفة جدًّا، وبالكاد تلتقطها أجهزة الرصد التي توصل إلى جسد الشخص الذي يقوم بالتفكير أو الشخص المرسِل.

كما أن تجارب أجريت على أشخاص وُضعوا في مكان لا يمكن للإشارات الكهرمغناطيسية أو أي إشارات مادية أخرى اختراقه، وهذا المكان يسمَّى بلغة الفيزياء «غرفة أو قفص فرادي»، وهذه الغرفة مصنوعة من أسلاك نحاسية دقيقة مشحونة بتيار كهربائي لا يمكن لأي إشارة من خارجه أن تتخطاه، ومع ذلك كانت النتيجة أن قابلية الالتقاط أو الإرسال تحسَّنت إلى حدٍّ كبير!!!



غرفة فارادي، أو الغرفة المعزولة عن الموجات الكهربائية!
[كتاب الحاسة السادسة]

إزاء هذه النتائج المذهلة التي لم تُثْبِت أساسًا ماديًا للتراسل الفكري، وقف العلماء الروس حائرين في تفسير ما وصلوا إليه، فهذا يعني أن هنالك قوى غير مادية، بينما أساس فلسفتهم مبني على أن كل شيء في الكون مادي وينبع من المادة. لكنهم ــ أي علماء الاتحاد السوفياتي ــ كابروا فقالوا بأنهم إذا لم يتوصلوا اليوم إلى أساس مادي للتراسل الفكري، فلسوف يتوصلوا إليه في يوم من الأيام»[1].

كما ورد في كتاب «الحاسة السادسة» عن طبيعة عمل هذه الحاسة ما يلي: «ما يزال فهم طبيعة الحاسة السادسة مستعصيًا على الباحثين، فمنذ زمن ليس ببعيد كان الاعتقاد الراسخ أنها نتيجة تأثير كهربائي أو مغناطيسي، غير أن بعض التجارب

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب روجه خوري، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ٢٤، وما بعدها.

البارعة أظهرت أن ذلك الاعتقاد خاطىء. فكل طاقة كهربائية تضعف كلما بعدت المسافة، ولكن الحاسة السادسة برهنت على أنها تعمل بقطع النظر عن المسافة. وقد تمكن بعض «المرسِلين» من نقل صور وأفكار عبر المحيط الأطلسي إلى «ملتقطين» على بُعد آلاف الأميال، كما تمكن رائد الفضاء إد ميتشل من إرسال «تخاطرات» من مدار مركبته حول القمر، وكانت هذه تجربة خاصة غير تابعة لرعاية وكالة «ناسا»، ثم جاءت تجربة «قفص فرادي» تؤيد تلك النتائج. هذا القفص المصنوع من الأسلاك المشحونة كهربائيًا يمنع وصول جميع أشكال الإشعاع تقريبًا من بلوغ الوسيط داخل القفص. بل على نقيض ذلك، إنه يحسن أداء الوسيط الموجود داخله لأنه يحجب جميع الأصوات والمداخلات الكهربائية الخارجية.

ومن بين التجارب الكثيرة الأخرى التي أجريت للحصول على أدلة تبين طبيعة الحاسة السادسة تلك التي يحاول بها الوسيط أن ينقل كلمة أو صورة يكون المرسل يتمعَّن فيها ويركز عليها. ومن الجدير بالذكر أن التجارب كثيرًا ما ترمز إلى الهدف بدلاً من أن تصفه بدقة. مثلاً، رسم قارب له شراع مثلث قد ينقل بشكل هرم أو باخرة. فكأن المعلومات ترسل إلى الدماغ بشكل رسالة بالشيفرة، ثم يقوم الدماغ بترجمتها إلى أقرب صورة يتخيلها. ربما أيضًا أنه بدلاً من نقل المرسال مثل الهاتف تقوم الحاسة السادسة بتشغيل ذكرى مطابقة موجودة بالدماغ وقد لا تكون مماثلة للهدف تمامًا»[1].

ومن الملاحظ أن الجلاء البصري والتراسل الفكري يحدثان عادة بين أشخاص لهما علاقة حميمة كالتوائم المتشابهة خاصة، أو بين الأم وأولادها، أو بين الإخوة أو الأقارب، أو بين الرجل وزوجته، أو بين المتحابين أو المتباغضين أيضًا. يضيف كتاب الحاسة السادسة فيقول:

«هذه الصلة الوثيقة بين التوائم أثبتت بسلسلة من التجارب الفريدة.

---

(١) الحاسة السادسة، بيروت، مكدونلد الشرق الأوسط، ص ١٦.

فقد جرى ربط التوائم إلى أسلاك آلة تسجيل الأمواج الصادرة عن الدماغ «Electroencephalograph» والتي تقيس المجاري الدقيقة فيه. فعندما كان أحد التوائم يرتاح وتتراخى أعصابه وتبدأ الآلة بتسجيل الخطوط الدالة على استرخاء دماغه، كانت الآلة الأخرى المربوطة بدماغ توأمه تبدأ حالاً بتسجيل نفس الخطوط.

فهاتان الآلتان لم تظهرا تبادل أية مراسيل بين الدماغين، بل فقط التغير في حالة الدماغ نتيجة التخاطر الطبيعية. كما قام الروس بإجراء بعض التجارب فأخذوا جراء أرانب مولودة حديثًا في غواصة إلى عُرض البحر وقتلوا هذه الجراء الواحد بعد الآخر على فترات منتظمة، بينما كانوا يسجلون تخطيط دماغ الأرنب الأم على اليابسة، على بعد أميال عديدة. وظهر في التسجيل تغيرات في موجات الدماغ في كل مرة كان يموت فيها أحد الجراء»[1].

إن التجربة الأخيرة التي طبقت على الأرانب توحي أن للحيوانات حواس أخرى كما للإنسان.

ثانيًا ـــ القراءة الإصبعية:

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم آياته: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الصافات]، لقد أعلمنا الله في القرآن الكريم حين أنزل على قلب رسول الله محمد ﷺ في سورة فصِّلت أن جلود الناس تنطق وتخبر وتشهد على أصحابها يوم القيامة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

---

(١) الحاسة السادسة، ، ص ١٢ ــ ١٤.

لقد آمن الناس عند نزول هذه الآيات بهذا الخبر كما جاء في القرآن الكريم دون أن ترتاب قلوبهم لأنه مستقى من السماء عن طريق الروح الأمين، عن طريق الرسول الصادق محمد ﷺ. لكن من كان في قلبه مرض استهزأ وشك في صحة نطق الجلد.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: إن هذا النطق وهو الشهادة التي يشهدها الجلد، إنما يكون يوم القيامة ، ولكن غير ممتنع عقلاً أن ينطق الجلد أو يقرأ في الدنيا في بعض الحالات الخاصة كآية من الآيات التي وعد بأنه سيظهرها «في الآفاق وفي أنفسهم» سبحانه وتعالى، دلالة على صدق قرآنه وتثبيتًا للمؤمنين وتفنيدًا لحجج الكافرين.

والآن من أين جاء الخبر اليقين ليثبت صدق الآيات الربانية القرآنية؟ لقد جاء من دولة تتزعم الإلحاد والكفر في العالم، لقد جاء من الاتحاد السوفياتي وعلى لسان أحد أكبر علمائها الدكتور ليونيد ڤاسيليف «Leonid L. Vasiliev»، يقول الخبر:

«اكتشفت موهبة نيليا كولاجينا «Nilia Kolagina» في الاستحراك بواسطة الدكتور ڤاسيليف أثناء قيامه بفحص ظاهرة خارقة أخرى تملكها هذه السيدة هي القدرة على الرؤية بأصابعها. والواقع أن القراءة بالأصابع أو القراءة بدون نظر تعد من الاهتمامات البارزة في الأبحاث الباراسيكولوجية السوفييتية، وكانت نيليا كولاجينا قد اكتشفت لديها هذه المقدرة ذات يوم في أوائل الستينات عندما كانت تقضي فترة نقاهة من المرض في مستشفى لينينغراد، فقد كانت تمضي الوقت في أعمال التطريز، ووجدت أن في استطاعتها أن تعثر على الخيط ذي اللون المطلوب داخل كيس الخيوط دون أن تنظر إلى محتويات الكيس، فكانت تلتقط بأصابعها من داخل الكيس أي لون تريده بين عشرات الخيوط والألوان المتماثلة في الحجم والملمس، وحدث بعد ذلك أن قرأت نيليا مقالاً في إحدى المجلات عن سيدة شابة في مدينة تاجيل بجبال الأورال قيل إنها تستطيع أن ترى

بأصابعها فأبلغت نيليا تجربتها الخاصة إلى طبيبها الذي لفت بدوره نظر ڤاسيليف إلى هذه الحالة.

وكانت هذه السيدة الشابة من مدينة تاجيل، تدعى روزا كوليشوفا، قد ذهبت إلى طبيبها ذات يوم في عام ١٩٦٢، وأبلغته أنها اكتشفت أن في استطاعتها أن تميز بين الألوان وأن تقرأ الحروف المطبوعة باستخدام أصابعها، وبالطبع لم يصدق الطبيب إلى أن عرضت روزا قدراتها عليه فاقتنع بها، وأبلغ زملاءه الأطباء باكتشافه. ومن بين هؤلاء البروفسور إبرام نوڤوميسكي الذي اختبر بنفسه قدرات روزا وشهد بأنها حقيقة، وسرعان ما استدعيت هذه القروية التاجيلية لتقوم بعرض قواها أمام فريق من أكبر علماء موسكو، في معهد الطبيعة الحيوانية بأكاديمية العلوم السوڤيتية، وأجرى العلماء عليها تجارب صُمِّمت بحيث تستبعد احتمال تفسير الظاهرة بالتراسل أو الاستبصار، وأكدوا بعد ذلك أن روزا تملك حاسية خاصة في جلدها تمكنها فعلاً من الرؤية بأصابعها!

وكان من الممكن اعتبار حالة روزا كوليشوفا غير ذات أهمية كبيرة لو أنها كانت حالة نادرة، غير أن الأبحاث والتجارب التالية التي أجراها البروفيسور نوڤوميسكي وفريقه أظهرت أن الرؤية بالجلد إمكانية يمكن تنميتها لدى الكثير من الناس، وقد تمكنت روزا نفسها من تنمية هذه القدرة تدريجيًا، ففي أول الأمر كانت تستطيع أن ترى بأصابع يدها اليمنى فقط، ولكنها تعلَّمت فيما بعد أن ترى بأصابع يديها الاثنتين وبأجزاء أخرى من جسدها كالمرفق، ووجد نوڤوميسكي أن واحدًا على الأقل من بين كل ستة أشخاص يستطيع خلال نصف ساعة فقط أن يتعلم كيف يفرق بين لونين بواسطة اللمس، وبعض الأشخاص استطاعوا تمييز الألوان كلها»[1].

لكن العلماء الروس كعادتهم يفسِّرون كل أمر أو كل ظاهرة بطريقة مادية، فقالوا بأن الألوان ترسل إشعاعات، وهذه الإشعاعات تتفاعل مع الحقل الكهربائي

---

(١) منصور، أنيس، أشباح وأرواح، ص ٦٤ ـ ٦٥.

المحيط بالجلد، ونتيجة لهذا التفاعل يحصل الإحساس باللون. ولكن نقول لهم: هذا بالنسبة لألوان متعددة، فما تقولون بالنسبة للأحرف المطبوعة بنفس اللون؟ ألن تعطي نفس الإشعاعات فكيف تفسّرون قراءتها؟

ونرد على هؤلاء الذين يخافون على فلسفتهم المادية ويختبئون وراء أصابعهم بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج].

❑ ❑ ❑

الفصل الثاني والعشرون

التحكُّم بالمادة بواسطة الفكر، التصوير بواسطة التركيز الفكري، والجراحة الرُّوحية

أوَّلاً ــ التحكُّم بالمادة بواسطة الفكر :

«Psychokineses» أو «Pk»، وهو الرمز المتعارف عليه لوصف المقدرة الرهيبة التي يمتلكها بعض الخارقين القلائل لتحريك الأشياء والأجسام بقوَّة العقل أو الفكر أو الإِيحاء النفسي وأحيانًا بدون قصد.

أما أحجام الأغراض التي تذكر القصص أنهم يحركونها فتتراوح بين أشياء صغيرة كالسجائر أو النقود المعدنية أو أشياء كبيرة كلوحات على حائط أو طاولات.

ويدَّعي أصحاب هذه القدرات أنَّ الحركة المتولدة إنما تكون انطلاقًا من هيمنة الذهن على المادة، فالتخاطر الفكري الذي ذكرنا سابقًا، إنما كان تأثير فكر على فكر أو روح على روح، إنما هنا الموضوع مختلف، إذ أنه تأثير فكر على مادة وهو أمر أصعب، لأنَّ مدَّعي هذا الأمر يكثر فيهم الدَّجَّالون، إلاَّ أنَّ أساسه شرعي وعقلي وهو ممكن الوقوع وله شواهد في القرآن الكريم والسنَّة النبوية العطرة وأخبار واردة في بعض الكتب، كمقدمة ابن خلدون مثلاً.

فالقرآن الكريم يخبر عن قصة جلب عرش بلقيس من سبأ في اليمن إلى بيت المقدس في فلسطين أعادها الله للمسلمين بعدله وقدرته. وهذا النوع من التأثير في المادة ونقلها من مكان إلى مكان يُدعى في العلم الحديث «Teleportation»، وهو نوع من ظاهرة التحريك بالطاقة النفسية.

فقد ورد في سورة النمل على لسان سيِّدنا سليمان عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

فالملاحظ هنا أنَّ الذي أتى بالعرش لم يكن جنيًّا فيكون النقل عاديًّا بل كان إنسيًّا، عنده علم من الكتاب، والمشهور في كتب التفسير أنه آصف بن برخيا، وهو ابن خالة سليمان عليه السلام، وقوله: «عنده علم من الكتاب»، أي أنَّ آصف كان عالمًا بما في كتاب الله مدرِّبًا نفسه ومزكِّيها بأوامر الله ونواهيها، فتمكَّن بما بلغت نفسه من رتبة وهمة عالية، من التحكُّم بالمادة بشكل عظيم ليس فقط بتحريك عود ثقاب أو لفافة تبغ، بل إنه حرَّك عرشًا ثقيلاً وحمله من مكان إلى مكان تفصل بينهما آلاف الكيلومترات وأما الاستشهاد الثاني فنأخذه أيضًا من كتاب الله سبحانه وتعالى وبالتحديد من سورة الفلق ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾.

فالله سبحانه وتعالى يطلب من الرسول ﷺ ومن الناس الاستعاذة به من الحسد الذي هو تأثير نفس على مادة أو نفس على نفس. فالحسد قد يضرّ جسدًا أو نفسًا، والحسد له وجود وله تأثير، فإذا لم يكن كذلك فلم يطلب الله منا التعوُّذ منه، والحسد في حد ذاته انفعال نفسي وعقلي يتمنَّى خلاله الحاسد أن تزول نعمة أو حالة معيَّنة موجودة لدى المحسود. وقد تزول هذه الحالة أو النعمة ويتأذَّى المحسود بمجرَّد انفعال نفسية الحاسد، وهكذا تكون النفس قد أثرت على المادة بحيث يمكننا اعتبار هذا الأمر حالة من حالات تحريك الأجسام بواسطة الفكر أو «Pk».

والاستشهاد الثالث سنتناوله أيضًا من القرآن الكريم، وبالتحديد من تفسير البغوي للآية الكريمة: « ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [القلم]، وذلك أنَّ الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، فنظر إليه قوم من قريش فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل أصحابه، وقيل: كانت العين في بني

أسد حتى كانت البقرة والناقة السمينة تمرّ بأحدهم فيعينها فيقول: يا جارية، خذي المكتل والدرهم فأتينا بشيء من لحم هذه، فما تبرح حتى تقع فتُنحر»[١].

«وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استُغسلتم فاغسلوا»[٢]، «وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين»[٣].

ويذكر ابن خلدون في مقدمته عن أناس يتعاطون الحسد، إذ يشيرون إلى كوز الرمان على الشجرة فينظر إلى داخله فما يوجد فيه حبة، ويشيرون إلى الماشية فتخرُّ صرعى وقد اندلقت أحشاؤها: «وشاهدنا أيضًا من المنتحلين للسِّحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلَّم عليه في سرِّه فإذا هو مقطَّع متخرِّق، ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج، فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض، وسمعنا أنَّ بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتفتت قلبه ويقع ميتًا وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه، ويشير إلى الرمَّانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء»[٤].

وورد في تسهيل المنافع: «يقول ابن السائب: كان في المشركين رجل يمكث اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل، ثم يرفع جانب خبائه ـ يعني منزله ـ فتمرُّ به الغنم فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنمًا أحسن من هذه، فما تذهب إلاَّ قريبًا حتى يسقط منها عدَّة. وقال الأصمعي: رأيت رجلاً عَيونًا كان يقول: إذا رأيت الشيء يعجبني وجدتُ حرارة تخرج من عيني»[٥].

وأما الاستدلال العقلي فيفضي بنا إلى القول إنَّ أحدًا من المؤمنين لا ينكر أنَّ

---

(١) الأزرق، إبراهيم، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٠١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

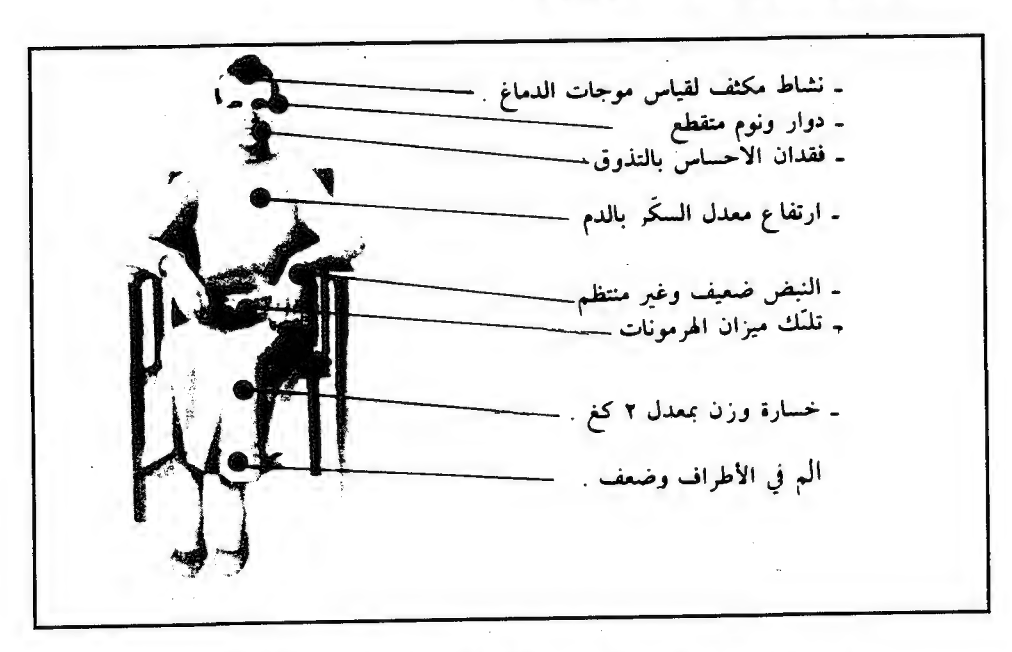
(٣) رواه مسلم في صحيحه.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٩٩.

(٥) الأزرق، إبراهيم، تسهيل المنافع، ص ١٩٩.

الروح تؤثّر على مادة صاحبها، فبدون تأثيرها يعتبر صاحبها ميتًا. فإذا سلّمنا بتأثير النفس على مادة صاحبها، فما يمنعها من أن تؤثر على مادة إنسان آخر؟

يقول كتاب «الحاسة السادسة»: «أثناء إحدى التجارب استطاعت الوسيطة السوفييتية نيليا ميخايلوفيا فصل زلال البيض عن المُح «الصَّفار»، وقد وضعت تحت الفحص والمراقبة أثناء التجربة، وظهرت التغيُّرات التي تطرأ على الجسم. فالنشاط الدماغي يرتفع إلى مستويات عالية جدًّا، ويسرع نبضها في الوقت نفسه حتى يبلغ ٢٤٠ نبضة في الدقيقة، ويقوى كذلك التيَّار المغناطيسي حول جسمها، وعندما تبلغ جميع هذه النشاطات الذروة تنسجم طريقة عملها وتصبح هي قادرة على إظهار مقدرتها بتحريك الأشياء بدون أن تمسّها، وعلى أثر هذا النشاط المكثَّف قد تخسر نيليا من وزنها كيلوغرامًا واحدًا تقريبًا»[1].



صورة تظهر التغيُّرات التي تطرأ على «نيلياميخالوفيا» أثناء التركيز الفكري!
[كتاب الحاسة السادسة]

(١) كتاب الحاسة السادسة، ص ٢١.

تجدر الملاحظة هنا إلى عدم الخلط بين أمرين، أولهما: تحريك الأشياء بواسطة الفكر أو التركيز الفكري، وثانيهما: إمكانية استخدام الجن في تحريك الأشياء دون أن يشعر المشاهد بذلك.

ثانيًا ــ التصوير بواسطة التركيز الفكري «Psychophoto»:

إنَّ أول من قال بإمكانية التصوير الفكري هو البروفوسور الياباني توموكيش فوكوراي عام ١٩١٠م. فقد قام بتجارب على امرأة يابانية تدَّعي القدرة على الاستبصار «Clair Voyance»، وقد اخترع لذلك فكرة مكَّنت هذه السيِّدة من أن تطبع صورًا على شرائح أفلام ــ لم يجر تحميضها ــ بواسطة التركيز الفكري، وقد لاحظ بعد انتهاء التجارب وتحميض الأفلام أنَّ بعض الأفلام المجاورة للفيلم الذي ركَّزت هذه المرأة فكرها عليه قد أظهرت خطوطًا وعلامات مشابهة للصورة المطلوب طبعها على الفيلم المُعَدّ لذلك.

وبعد هذه التجارب قام توموكيش فوكوراي بنشر كتاب عن اكتشافه مدعمًا بالصور، إلاَّ أنَّ خصوم البروفسور قاموا بحملة شعواء على هذا الكتاب وعلى صحَّة ما جاء فيه، وانتهى الأمر بأن أُرغم توموكيش فوكوراي على الاستقالة من منصبه الجامعي(١).

وبقي هذا الموضوع طي النسيان حتى ستينات هذا القرن حين ادَّعى عامل فندق في شيكاغو يُدعى تيد سيريوس «Ted Serios» بأنه يستطيع طبع أي فكرة تجول في خاطره على الأفلام التصويرية، فقام باختباره باحث نفساني في دينيڤر يُدعى الدكتور جول إيزبوند، وبعد عدَّة سنوات من التجارب أصدر سلسلة من المقالات وكتابًا سمَّاه عالم تيد سيريوس «The World Of Ted Serios»، ومن الصور التي يقال إنه قد صوَّرها بواسطة التركيز الفكري: سيَّارات، وأشخاصًا، وميادين، وفندق هيلتون في

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع، يمكن العودة إلى كتاب حقائق وغرائب لمحمد العزب، ص ٥٢ ــ ٥٣.

دينيڤر، وفيه كنيسة سانتا ماريا دي لوريتو، كما قام بعد ذلك الدكتور براث بمحاولة التحرِّي عن صدق أخبار تيد، فجعله تحت المراقبة والاختبار في معامل الباراسيكولوجيا بجامعة ڤرجينيا مدَّة شهر، ولكن قبل أن يتمكَّن الدكتور براث من إتمام سلسلة من التجارب وقول كلمة الفصل في ادِّعاء تيد، غادر هذا الرجل المركز دون مبالاة، فقد كان رجلاً لا يمكن الاعتماد عليه ميَّالاً للخمر.

لقد بقيت ادِّعاءاته بدون دليل حاسم يثبت أنَّ الفكر يمكن أن يحدث تغييرات كيميائية على صفحة فيلم التصوير. وقد ذكر أنَّ الوسيط يوري جيلر ممن فعل الشيء نفسه، وسُمِّي ذلك «تصويرًا فكريًّا»، والمشهور عن جيلر أنه يلوي المعادن بواسطة التركيز الفكري.

وما يمكن أن نقوله بالنسبة لهذا الموضوع، هو أنَّ هناك في ماضي هذين الشخصين ما يثير الريبة والشك، فقد كانا من المشعوذين والمدَّعين. ومع ذلك فإنَّ إمكانية حدوث أمر التصوير الفكري يبقى ضمن الإمكان.



المحتال العالمي يوري جيلر: مدَّعي القدرة على ثني المعادن بواسطة التركيز الفكري!
[كتاب الحاسة السادسة]

ثالثًا ـــ الجراحة الرُّوحيَّة :

الطب الروحي قديم جدًّا، فقد مارسته الكهنة والسَّحرة، كما مارسه الملوك. فقد كان في الاعتقادات القديمة أنَّ الملك أو الامبراطور يملك قدرة شفائية، إذ يكفي أن يلمس الناس حتى يتم الشفاء. وقد مارس هذه الطقوس والعادات ملوك أوروبا في القرون الوسطى، فكان الملك يلمس المرضى في أيام محدَّدة من السنة، وذلك لشفاء الأمراض المستعصية.

يقول روجه خوري: «معروف منذ القدم، أنَّ الناس تعتقد بالوسائل الشفائية وأهمِّيَّة الأشخاص الذين يمارسونها. ففي روما العظمى، كان بعض النَّاس يلمس أطراف الجسم المؤلمة لدى المرضى لمعالجتها. والإمبراطور أدريانو «Adrian» كان يشفي بواسطة اللمس. والملوك الإنكليز، لجأوا أيضًا إلى هذه الوسائل، ومنهم شارل الثاني، لأنَّ الناس كانت تظن أنَّ لمس الملوك هو إرادة الله للشفاء. ولهذا السبب اعتمد ملوك فرنسا أيضًا وسيلة اللمس باليد لشفاء المرضى، وكانوا في المناسبات كيوم تتويجهم مثلاً أو في عيدي الميلاد والفصح يلمسون حتى ألفي شخص في اليوم»[(١)].

وفي أيَّامنا الحالية نسمع الحديث عن الجراحة الروحية، وكأنه أمر حقيقي لا شكَّ فيه، فهو حديث الناس عامة، وحتى المثقَّفين منهم وأصحاب الشأن في البلد، وذلك لكثرة ما ينشر ويُذاع ويشاهد في وسائل الإعلام المختلفة عن حفنة من المشعوذين، تتركَّز في جزر الفيليبين والبرازيل وغيرهما من البلاد، حيث أخذ السِّحر صورة جديدة تتمثَّل بالشفاء الروحي أو الجراحة الروحية.

عجبي وعتبي على أشخاص متعلِّمين يحتلُّون مراكز قيادية في المجتمع، ييمِّمون وجوههم شطر هؤلاء الدَّجَّالين طلبًا للشفاء، تاركين الأطباء النطاسيين والعيادات والمستشفيات المتخصصة، ذات التقنيات الحديثة. والأنكى من ذلك نجدهم بعد عودتهم يتحدَّثون لوسائل الإعلام الغبية الضالَّة المضلَّة عن عجائب

---

(١) خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ١١١.

الأطبّاء الروحيِّين وكيف أنهم أجروا لهم الجراحة دون أن تترك أثرًا، أو دون أن تنزل نقطة دم، وأنهم عادوا لحالتهم الطبيعية. ثم تزين المقالات بصورة تظهر موضع الجراحة مبرهنين أنَّ أثر الجرح لا يظهر.

ومن أشهر هؤلاء الدَّجَّالين الذين يقصدهم هؤلاء الأغبياء أريغو، واسمه الحقيقي جوزيه بادرو دي فرايطس «Jose de Freitas»، وما يقال عن هذا الدَّجّال العالمي أنَّ روح أحد الجرّاحين الألمان الأموات تحلّ فيه، فيقوم بالجراحة بواسطة سكّين وأدوات غير معقّمة وبوسائل بدائيّة جدًّا. ومن المعروف أنَّ أريغو لم يخاطر مرّة واحدة بإجراء جراحة لأخته التي كانت تشكو من مرض ماء الزرقاء «Cataracte»، فقد أرسلها إلى البروفوسور هيلتون روشا «Hilton Rocha» المختص في جراحة العيون في ساو باولو الذي أجرى لها العملية.

هكذا دأب الجرّاحين الروحيِّين دومًا، يجرون الجراحات الخطيرة والكثيرة لكل الناس، ولا يتجرّأون على إجراء جراحة واحدة لأقربائهم، لأنهم إن خدعوا كل الناس فلن يخدعوا أنفسهم.

أما ما يمكن أن نقبل به من الطب الروحي فيتمثّل بالرقى التي يقوم بها إنسان مؤمن مستقيم عارف بالله مستخدمًا آيات القرآن الكريم، والدعاء والذكر المشروع، لشفاء بعض الحالات المرضية.

فقد ورد عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل عليه السلام، قال: بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، ومن شر كل ذي عين»[١].

ويقول أنس بن مالك رضوان الله عليه في هذا الشأن: «رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة»[٢].

❑❑❑

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

الفصل الثالث والعشرون

التنويم المغناطيسي ورفع الأجسام في الهواء

أوّلًا ـ التنويم المغناطيسي:

من المعلوم أن الكلب يؤثر بنظراته وحركاته وسكناته على الذئب الذي هو أقوى منه جسديًا، فيشل حركته ويفتك به. وكذلك الحية تنوم العصفور قبل أن تصل إليه لالتهامه، والأم تنوِّم طفلها حين تريد، وذلك عن طريق الغناء والهدهدة والاحتضان والنظر إليه، دون إدراك منها أنها تنوِّمه تنويمًا مغناطيسيًا.

فالتنويم المغناطيسي قديم قدم هذه الكائنات الحية، وأول ذكر للتنويم أو شيء قريب منه، جاء عند الفراعنة وبالتحديد عند أبـي الطب المصري القديم «أمحوتب» وذلك سنة ٢٨٥٠ قبل الميلاد.

يقول في ذلك الدكتور محمد المخزنجي: «ففي عام ٢٨٥٠ قبل الميلاد كان «أمحوتب» أبو الطب المصري القديم، في مدرسته الطبية ومستشفاه بمدينة «منف» يستخدم طريقة تشبه الإيحاء للوصول إلى هذا المخزن السري ـ أي العقل الباطني ـ بأن يترك مرضاه ينامون، سواء كان نومًا طبيعيًا، أو في أعقاب تناول النباتات المخدرة، ثم يجعل الكهَّان يرددون على أسماع هؤلاء المرضى النائمين عبارات إيحائية لتتسلل إلى أحلامهم وتلعب دورًا إيحائيًا في حفزهم على التعافي من أمراضهم التي يعانون منها.

وكانت نباهة مبكرة من «أمحوتب» أن يلجأ في إيصال إيحاءاته الشافية إلى

العقل الباطن خلال النوم»[1].

وتقول يمنى زهار في كتابها: «وفي اليونان اشتهرت بعض المؤسسات المتصلة بمعبد اسكولاب «Esculap» إله الطب بمعالجة المرضى بواسطة الرُّقاد. وكان يتم ذلك بواسطة وضع المريض اصطناعيًا بحالة نعاس كلي، فيصبح شديد التأثر بالإيحاء مما يساعد على الشفاء»[2]. لكن بعد هذه الطفرة العلمية المذهلة تعهد هذا العلم مشعوذون ودجّالون، وانحرفوا به عن جادة الصواب وتحولوا به من علاج إيحائي لشفاء المرض إلى إيحاء إمراضي عبر خرافات السِّحر والسَّحرة وخرافات الرقى والتعاويذ.

والتنويم الذي أطلق عليه اسم التنويم المغناطيسي ليس له أي صلة بالمغناطيس إطلاقًا، وسبب تسميته، هو الطبيب فرانز مسمير «١٧٣٤ ــ ١٨١٥» مكتشف «المغنطة» الحيوانية التي أدَّت إلى الدراسة الحديثة للتنويم المغناطيسي. وأساس هذا الأمر يكمن في أن مسمير توهم بأن للكواكب السيارة تأثيرًا على صحة الناس، وذلك من خلال القوى المغناطيسية، فاستخدام أدوات ممغنطة محاولاً بواسطتها تقليد أثر الكواكب على البشر، وأخذ يوزع إيحاءه على الناس من خلال هذه الأدوات الممغنطة، وكان بعض الناس يقعون من تأثير إيحاءاته مغشيًا عليهم. من هنا انطلقت تسمية هذا النوع من الإيحاء بالتنويم المغناطيسي.

ورد في كتاب الحاسَّة السادسة ما يلي: «اعتقد مسمير أن الكواكب السيارة تؤثر على صحة الناس بطريقة تشبه المغناطيسية، فابتدأ يعالج المرضى بواسطة أدوات ممغنطة يمررها فوق أجسادهم. ولم يطل به الوقت حتى قرر أن هذه القوة الشافية تأتي عبره هو، لا عبر المغناطيس، وابتدأ يوزع الشفاء بأن يمرر يديه على المريض أو يرسل إليه بأدوات شحنها هو بواسطة اللمس، وعندما طار صيته واشتهر، كثرت

---

(١) المخزنجي، محمد، مرحلة استكشافية، مجلة العربي، الكويت، وزارة الإعلام، عدد كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٨٥.

(٢) زهار، يمنى، عالم غير منظور، ص ٣٥.

عليه الطلبات فاضطر إلى اللجوء إلى الشفاء الجماعي، فصنع وعاء كبيرًا ملأه بالماء وبرادة الحديد، ووضع فيه عددًا من القضبان الحديدية، وكان المرضى يجلسون حول هذا الوعاء، واضعين هذه القضبان على الأجزاء العليلة من أجسادهم، بينما يتجول مسمير بينهم لابسًا ثيابًا فضفاضة، ممررًا عليهم يديه بين حين وآخر لتجديد شحنات المغناطيس فيهم، وكثيرًا ما كان المرضى ينطرحون أرضًا أو ينهارون أمام تلك الدفعات من القوة الممغنطة!... ولم يلبث نشاط مسمير أن أصبح محط الانتقاد والتشهير. غير أنه كان الأساس الذي أدّى إلى استعمال التنويم المغناطيسي في الإيحاء النفسي في هذا العصر»[١].

وقد استخدم التنويم المغناطيسي في العمليات الجراحية وذلك لعدم توفر مواد التخدير ومع ذلك لم يعترف به رسميًا في ذلك الوقت.

يقول كتاب عالم غير منظور: «وقد أجرى بعض الأطباء عمليات جراحية كبتر الساق واستئصال الأورام لأشخاص عديدين دون أن يشعروا بأي ألم، وذلك بطريقة التنويم المغناطيسي، ومع ذلك بقيت هذه الطريقة غير معترف بها وساعد على ذلك اكتشاف خواص الكلوروفورم «Chloroform» التخديرية في سنة ١٨٤٨، فشاع استعماله مما ساعد على صرف النظر عن التفتيش عن وسائل أخرى للتخدير»[٢].

والآن ما هو التنويم المغناطيسي؟ يقول الدكتور محمد المخزنجي في مقال بعنوان رحلة استكشافية بمجلة العربي: «التنويم حالة يتم استحداثها لدى المرء صناعيًا، وتشبه النوم، لكنها تختلف عنه، من حيث قابلية الوسيط «المنوَّم» المفرطة لاستقبال الإيحاء والتأثير النفسي والعقلي من المنوِّم، إلى درجة تتعدّى طور الطبيعة، وفيها يتم تضييق مجال انتباه المريض ويقظته، وحصرها في قصد المنوم الذي ينقل إليه عبر الكلام»[٣].

---

(١) الحاسة السادسة، ص ١٠.

(٢) زهار، يمنى، عالم غير منظور، ص ٤١.

(٣) المخزنجي، محمد، مجلة العربي، عدد كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٨٦.

وبتحليل أعمق وفي نفس المقال ينقل لنا الدكتور المخزنجي ما يلي: «ويعتبر بعض العلماء من مدرسة علم النفس المرضي الفرنسية، أن التنويم ما هو إلاَّ حال «تفكيك» نفسي محدثة، أي تعطيل وظيفي للترابطات التي تتم داخل العقل أو لحاء المخ، مما يفقد الشخص قدرته على التواصل العادي، ويفقده سيطرته الشخصية الواعية التي يمارسها في العادة على مختلف عملياته الحركية، ويفسره آخرون من مدرسة الفسيولوجي «بافلوف» بأنه نوم جزئي، يحدث فيه تثبيط انتقائي وسطحي لنشاط قشرة المخ العليا بينما النوم تثبيط عام عميق لهذه القشرة، يبقي على بؤرة غير مثبطة أسماها «بافلوف» النقطة، أو البؤرة الحاسة، وهي المنطقة الخاصة بتحليل المسموعات، مما يفسر استمرار استقبال صوت المنوم وإيحاءاته دون غيره، فهي بمثابة نقطة الاتصال. وقد بيَّنت التسجيلات الحديثة لنشاط المخ الكهربائي «Electroencephalogram» أن التنويم لا يشبه النوم المعتاد، لكنه أقرب إلى حالة الاستيقاظ منه»[1].

ثانيًا ــ طرق التنويم:

تختلف طرق التنويم بحسب الغاية التي من أجلها ينوَّم الإنسان أو الوسيط. فقد يكون المنوِّم مشعوذًا أو طبيبًا أو باحثًا أو هاويًا، فيكون الهدف أحيانًا هو خداع الناس أو تسليتهم، أو يكون طبيًا بحيث يستخدم التنويم لعلاج بعض الحالات النفسية، وقد يكون الهدف إجراء بعض التجارب والبحوث، أو يكون مجرد هواية لمحاولة استشفاف الغيب. ومهما يكن الهدف من التنويم، فإن كل الطرق تشترك فيما بينها ببعض الخصائص، منها: أن التنويم يجب أن يتم في مكان هادىء ونور خافت، بعيدًا عن اللون الأحمر والألوان الزاهية البراقة، كما يجب أن يستلقي الوسيط على مقعد وثير بطريقة مريحة، وأن يحل ربطة العنق والأحزمة الضاغطة وينزع الأحذية الضيقة، ثم يجب أن يعرِّف الوسيط بالهدف من النوم، وأن لا خطر من التنويم المغناطيسي على النائم، كما يطلب منه عدم المقاومة وأن يكون إيجابيًا

---

(١) المخزنجي، محمد، مجلة العربي، عدد كانون الثاني، ١٩٨٨، ص ٨٦.

خلال مراحل النوم، ثم يبدأ المنوم بالإيحاء النفسي، معتمدًا الحيلة والكذب واستغلال بعض الأشياء التي تحدث طبيعيًا في جسد الإنسان، ونوضح ذلك على الشكل التالي:

في بداية الأمر يطلب المنوم من الوسيط أن يجلس ويداه مفتوحتان على ركبتيه بحيث يكون باطن الكف إلى أعلى، فيوهمه بأن أصابعه سوف تنقبض بتأثير قوة التيار المغناطيسي الذي يوجهه المنوِّم، وبعد لحظات يشعر الوسيط بأن أصابعه فعلاً تبدأ بالانقباض، وهذا الشعور طبيعي لأن أي إنسان إذا ما أرخى عضلات يده فإنه سوف يجد أن أصابعه تنقبض تلقائيًا، فإذا أحس الوسيط أن أصابعه قد بدأت تنقبض، توهم أن هذا الانقباض نتج فعلاً بتأثير من المنوم، ثم بعد ذلك يوهمه المنوم بأن يديه كما انقبضت بفعل التأثير المغناطيسي سوف تنقلب تلقائيًا بحيث يصبح باطن اليد إلى أسفل بعد أن كان إلى أعلى، وفعلاً بعد أن تنقبض الأصابع تدور اليد كما أشار المنوم، وهذا أيضًا أمر طبيعي، ويمكن لأي إنسان أن يجرب ذلك بنفسه، فإذا شعر هذا الوسيط والذي غالبًا ما يكون إنسانًا بسيطًا أو مثقفًا طيب القلب يصدق كل ما يقال له، فإنه ينقاد انقيادًا أعمى إلى المنوم فتزداد ثقته به وبكلامه وبطاقته المغناطيسية، وبعدها يتحول المنوم بالإيحاء إلى عيون الوسيط بعد أن يضع أمامه كرة صغيرة لامعة ويطلب إليه أن يحدق إليها ولا يلتفت لسواها، فيوحي إليه بأن أجفانه سوف تصبح ثقيلة ثقيلة وتأخذ بالانغلاق رويدًا رويدًا، وأن محاولة فتحها أصبح أمرًا صعبًا، وأن عليه الاستسلام وإغلاقها كي لا يتعب، والحيلة الكامنة هنا هو أن المنوم يضع الكرة اللامعة على مسافة قريبة جدًا من عيني الوسيط وفوق مستوى النظر، وهذه الوضعية يتوخاها المنوم لهدفين:

الهدف الأول: هو جعل عضلات عدسة العين الشعرية «Ciliary Bodies» تعمل بكامل طاقتها وقدرتها لتركيز الصورة على شبكية العين «Retina»، وهذا يؤدي لشعور العين بالتعب، كما أن وضع الكرة اللامعة فوق مستوى العين يجبر عضلات الجفن الأعلى على الانقباض بصورة أشد من الحالة العادية وهذا ما يجعلها تتعب.

أمـا الهدف الثاني: فيكمن في بريق الكرة، إذ أن التحديق في جسم لامع يخفف من نشاط وحيوية الإنسان ويعزله عما يدور حوله من أمور. فإذا تعبت العين، وقل نشاطه وحيويته، وأخذ يشعر بلحظات انسلاخ من المحيط الموجود فيه، ازدادت ثقته وقناعته بكلام المنوم إلى حد كبير بحيث لا يعود يشك في أي كلمة يسمعها منه.

فإذا وصل المنوم إلى هذا الحد، أوحى إليه بأن الأصوات حوله بدأت تخف وأن لا صوت يسمع سوى صوت المنوم وبأن شعورًا جارفًا بالنوم بدأ ينتابه، وأن لا فائدة من مقاومته وأن عليه الاستسلام، لأن النوم فيه راحة له، ثم يقول له بعدها بأن أنفاسه قد أصبحت طويلة وبأن جسده أصبح خفيفًا جدًّا، وهكذا يستمر المنوم بالإيحاء عن طريق استغلال أشياء حقيقية تحصل في جسد النائم حتى تحصل الحالة التي نسميها النوم المغناطيسي(١).

ونأتي إلى سؤال هام هنا، وهو: هل حقًّا يستطيع من ينام نومًا مغناطيسيًا أن يفعل الأعاجيب؟ كأن يتصل بأرواح الأموات أو يستحضرها، أو أن يرى الأشياء الدفينة تحت الأرض، أو أن يطير في الهواء، أو أن يكتسب قوة جسدية خارقة؟

نقول **أولاً** ــ فيما يتعلق بتحضير الأرواح أن لا إمكانية لدى الوسيط للاتصال بأرواح الأموات إطلاقًا، إذ أنه في عالم، وهُم في عالم آخر هو عالم البرزخ، وأن كل الأمور التي تحدث أو تقال عن هذا الموضوع لا تخرج عن كونها:

(أ) إما خيالات وأوهامًا وصورًا يتخيلها أو يشعر بها الوسيط أثناء النوم، فهي بمثابة الأحلام لدى الإنسان النائم نومًا طبيعيًا.

---

(١) هذه المعلومات المدوَّنة عن كيفية التأثير على الوسيط هي من تحليلات واستنتاجات وخبرة الباحث الذي زاول التنويم المغناطيسي لمدة عشرين عامًا، محاولاً معرفة حقيقته وخفاياه وأسراره. هذا العلم الذي كثر حوله اللغط، وحيكت حوله الأقاويل. كما أن المعلومات الواردة هنا جلها نتيجة خبرة، وبعيدة كل البعد عن الأمور النظرية.

(ب) وأما أن تكون أكاذيب القرين من الجن التي رافقت الميت في حياته ممزوجة ببعض الوقائع التي حدثت فعلاً والتي أمكنه الاطلاع عليها.

(ج) وإما أن تكون أكاذيب الوسيط المزيف غير النائم والمتواطىء مع المنوم، الذي دربه على مثل هذه الأمور.

ثانيًا ــ أما فيما يتعلق بالأشياء المدفونة تحت الأرض أو المغلفة بحيث لا يراها الإنسان العادي فنقول:

(أ) إن النائم مغناطيسيًا لا يستطيع أن يرى أكثر من الإنسان المستيقظ، وقد يرى الإنسان المستيقظ أكثر منه.

(ب) إن ما نراه من قدرة على معرفة بعض الأشياء حين يسأل عنها، إنما هي عبارة عن حيل درب عليها الوسيط من قبل المنوِّم، فغالبًا ما تكون هنالك «شيفرة» مستخدمة بين المنوم والوسيط، كأنه يضمِّن المنوم سؤاله الجواب الذي يريد، فيجعل في أول كل كلمة من سؤاله حرفًا معينًا إذ جمع مع أحرف بقية كلمات السؤال كون الجواب الذي يريد!

ومن الأشياء التي اكتشفتها أثناء تجاربي في التنويم المغناطيسي هو أن الوسيط حين يسأل سؤالاً يحتمل إحدى إجابتين، فإن إجابته تكون دائمًا مستقاة من آخر كلمة في السؤال. مثال ذلك: إذا قلنا له ما لون هذا القلم، أهو أحمر أم أصفر؟ فإن جوابه سيكون أصفر. وذلك لأن آخر كلمة كانت في السؤال هي كلمة أصفر. وهكذا يتبين لنا أن المنوم المغناطيسي يستطيع أن يدير الجلسة بحيله، وأن يجعل الوسيط يجيب الإجابة التي يريد من خلال التحكم بصيغ «وشيفرة» السؤال.

ثالثًا ــ نقول فيما يتعلق ببعض المنوِّمين الذين يجعلون الوسيط يطير في الهواء ما يلي: إن هذا الأمر عار عن الصحة تمامًا، فإن المنوم مهما أوتي من قوة الإيحاء، فإن الوسيط لا يستطيع الطيران أو الارتفاع عن الأرض. إذ أن الإيحاء لن يتجاوز أن يشعره بأن يطير أو يشعر الجمهور بذلك. أما إذا استخدمت آلة تصوير وظهر فيها الوسيط مرتفعًا في الهواء، فإن المنوِّم في هذه الحالة يستخدم آلة ميكانيكية

رافعة موضوعة وراء ستار المسرح، وهذه الآلة هي التي ترفع الوسيط بطريقة خفية لا تدركها عين المشاهد.

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الآلة يمكن الاطلاع على الباب الرابع حيث يجد صورة وشرحًا مفصلاً عن كيفية عمل هذه الآلة. وفي حالات قليلة ونادرة جدًّا يستخدم المنوم الجن الذي يقوم برفع الوسيط، إلاَّ أن كل من صادفتهم يقومون بهذا العمل إنما يستخدمون الحيل ولا يستخدمون الجن.

رابعًا ــ أما عما يظهره الوسيط من قوة نعتبرها خارقة في بعض الأحيان، فنقول: إن منها ما هو صحيح، ولكنه شيء طبيعي يمكن تفسيره من الناحية الفزيولوجية، وهو أن الإنسان الذي يقع تحت تأثير المنوم تتشنج عضلاته وتشتد لكثرة ما يفرز الكبد من السكر في الدم، ولكثرة ما تفرز غدده من هرمونات مثل هرمون الأدرنلين «Adrenaline» والنورادرنلين «Noradrinaline» في الدم، وهذه الإفرازات من السكر والهرمونات تعطي الإنسان قدرًا من الطاقة لا يمكن أن تظهر في الحالات العادية.

كما أن هنالك بعض الوسطاء المزيفين يستخدمون أساليب وطرقًا توهم أنهم يملكون قوة خارقة نتيجة للتنويم المغناطيسي، نكتفي بشرح طريقة واحدة من طرق حيلهم وخداعهم، وهي تتمثل في أن الوسيط حين يدعي النوم ويظهر التشنج يوضع طرف رأسه على حافة طاولة وأطراف قدميه على طاولة أخرى، ثم يأتي إنسان آخر فيجلس فوق بطنه دون أن ينحني جسد الوسيط.

وشرح ذلك أن النائم أو مدعي النوم لا يضع بالحقيقة طرف رأسه على الطاولة بل يضع رأسه كله بالإضافة إلى الكتفين، وحين يصعد الرجل الذي يقعد فوقه يراعي بأن يكون معظم وزنه في القسم الأعلى من جسد الوسيط أي فوق الصدر، فهذه الوضعية تجعل الضغط يتركز عند الوسيط على الأكتاف التي هي في الأساس مرتكزة على الطاولة، فبذلك لا يتأثر جسد الوسيط ولا ينحني تحت ثقل الرجل الجاثم فوقه.

الفصل الرابع والعشرون

تفسير بعض الظواهر الخارقة

ورد في كتاب الباراسيكولوجيا في خدمة العلم ما يلي: «أكّدت الدكتورة تريز بروس «T. Bross»، أنَّ الإنسان يستطيع وقف الجهاز التنفُّسي والقلب عن عملهما، مستندة إلى الآلات الطبية الخاصة التي تسجِّل التخطيطات البيانية للقلب والصدر، كما أنه يمكن شل حركات الأمعاء غير الإرادية وحتى التصرُّف كلِّيًا بالعضلة العاصرة للمبولة والقابضة للشرج. وإنه لمن المعروف أنَّ اليوغا، يتمكّن من امتصاص الحليب أو غيره من السوائل، من الخارج إلى داخل أعضائه، بفضل العضلات العاصرة المذكورة.

ويقول الباحث وولف «Wolf» أنَّ اليوغا يستطيع العيش في جبال الحملايا المكسوَّة بالثلوج، دون ارتداء ثياب عليه ودون أن يشعر بالبرد والألم. والدكتور ألمر غرين «Elmer Green» من مؤسسة منينجر في كنساس «Menninger Topeta Kansas» قام بدراسة اليوغا الهندي، المعلِّم راما «Rama» مؤكِّدًا أنه يستطيع رفع حرارة باطن يده في موضع معيَّن وخفضها في موضع آخر، وذلك استنادًا إلى آلة خاصة لمعرفة كمِّية الدم التي تجري في العروق «Plethys Mographe»[1].

مما تقدَّم يظهر لنا ما للإيحاء الذاتي من أثر فعَّال على الجسد، إذ يصبح تحت التأثير الذاتي طوع الإرادة والفكر، ويقوم بأعمال خارقة للعادة والمألوف. وهذا

(١) خوري، روجه، الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، ص ٥٠٤.

الإيحاء الذاتي، أي الإيحاء الذي يمارسه المرء على نفسه وذاته مقنعًا إياها بأمور معينة، عبر تمارين وتدريبات طويلة وشاقة قد تستغرق في بعض الأحيان أعوامًا كثيرة. فإذا كان هذا شأن الإيحاء الذاتي فما بالك بالإيحاء الذي يمارس على المرء من الخارج! فلا بدَّ أن يكون أشد أثرًا، وأسرع فعلاً من الإيحاء الذاتي. فإذا اجتمع الإيحاء الذاتي مع الإيحاء الخارجي كان أثرهما رهيبًا على الجسد بحيث يصبح الجسد كريشة في مهب الريح.

فالإيحاءان يمليان رغباتهما على الجسد والجسد طيِّع ليِّن ينفِّذ، فتظهر أمور غريبة عجيبة قد لا يصدِّقها العقل. من هذه الأمور التي تظهر نتيجة لتسلُّط هذين الإيحاءين على الجسد، حالة نزف الدم والجروح التلقائية على بعض أجساد الناس.

فهنالك عدَّة قصص تُروى عن أناس ظهرت على أجسادهم جروح ونزف تلقائي للدم في مناسبات وأيام معيَّنة من السنة، وجلّ هؤلاء من الأشخاص المفرطي الحساسية النفسية والمغالين في أمور الدِّين.

وظهور هذه العلامات كان في معظم الحالات يتبع فترة تأمُّل طويلة وانصراف تام للصلاة. وهذه العلامات كانت تعتبر في القرون الوسطى علامات قداسة، ولكن في القرن الماضي أصبح الكثير منها مبعثًا للشك والريبة. والدراسات النفسية الحديثة اليوم أظهرت أنَّ بعض هذه الظواهر حقيقية نتيجة لتأثير النفس على الجسد، وليست خدعة، وفي بعض الحالات شوهد أصحاب هذه العلامات يفتحون جروحهم بطريقة لا واعية، ويعزى هذا الأمر إلى نوع من الهستيريا[١].

وللدلالة على صحَّة الاعتقاد بأنَّ ظهور هذه العلامات هو نتيجة للحساسية المفرطة وللتديُّن الشديد ولتأثير الإيحاء الخارجي نورد هذه القصة التاريخية التالية: «فقد حدث سنة **١٩٣٢** أنَّ فتاة نمساوية اسمها إليزابيث شاهدت فيلمًا عن آلام السيِّد المسيح، أصابها على أثره آلام شديدة في يديها ورجليها من فرط تأثرها، فجاء

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى كتاب: الحاسة السادسة، ص ٢٤ وما بعدها.

المنوِّم المغناطيسي الدكتور ليتشر وأوحى إليها أنها في اليوم التالي سيكون لديها جروح في يديها ورجليها مكان الألم. وفعلاً حدث لها ذلك، ثم أقنعها أنه بإمكانها أن تُرسل دموعًا من الدم، وكذلك يظهر على جبينها آثار الشوك. وبعد أن تحققت كل هذه الظواهر صوَّر فيلمًا كاملاً عنها، ثم أوحى إلى الفتاة بأن تشفى من جميع هذه الظواهر، كل ذلك بواسطة التنويم المغناطيسي»[١].

والإيحاء الذاتي والخارجي لا يقتصر أثره على ظهور الدم أو الجروح في الجسد، بل يتعدَّاه إلى أبعد من ذلك، ففي بعض الحالات يؤدِّي الإيحاء إلى موت الجسد، كما هي الحال لدى بعض سكان جزر الهند الغربية في أمريكا الوسطى، وفي أواسط إفريقيا هنالك عندما يضع ساحر القبيلة أو المشعوذ إشارة اللعنة على شخص ما، ويحكم عليه بالموت، فإنَّ هذا الشخص يوحي لنفسه بصدق ما يقع وبعد فترة قصيرة يموت، كأنه قد أصيب بضربة قاتلة في قلبه أو تناول سمًّا زعافًا!

أما قصة الزيت الذي يتصبَّب من اليد أو الجبين، والتي شاعت أخبارها في الآونة الأخيرة في لبنان، وشاهدناها عبر الشاشة الصغيرة أكثر من مرة، وبمناسبات عدَّة من امرأة سورية تُدعى ميرنا الأخرس، فإنَّ لنا تساؤلات عديدة على هذه الظاهرة.

أولاً ــ يقول أحد الأطباء الذين أخذوا عينة من الزيت وفحصوه في المختبر أنه زيت زيتون مائة في المائة، وزيت الزيتون هذا نباتي المنشأ لا حيواني المنشأ، وبالتالي فلا يعقل أن يكون صادرًا عن جسد ميرنا الأخرس.

ثانيًا ــ من المعروف أنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، إذ أنَّ العلم يقول إنَّ تركيب زيت الزيتون مغاير لتركيب الزيوت الحيوانية الموجودة في جسدها، فمن أين جاء زيت الزيتون؟

---

(١) الحاسة السادسة، ص ٢٤.

ثالثًا ــ إنَّ نزول الزيت ليس دليل قداسة أو تقوى، فلم يعرف عن السيِّد المسيح عليه السلام أنَّ زيت زيتون قد رشح من جسده الطاهر الشريف، وإنما كان عليه السلام يتصبَّب عرقًا.

رابعًا ــ إن كان ما يظهر على يد ميرنا الأخرس كرامة، فأهل الكرامات هم أحرص الناس على عدم الظهور، بل يخجلون من أن تنفضح كراماتهم أمام الناس، فتراهم يتستَّرون عليها، ويخجلون من الحديث عنها خوفًا من ضياعها أو فقدها.

خامسًا ــ إنَّ ما يقال عن بعض حالات الشفاء التي تمَّت على يد هذه السيدة هو أمر طبيعي، فالكثير من الناس يشفون شفاء مؤقَّتًا أو دائمًا تحت تأثير الإيمان، والمثل يقول: آمن بالحجر تبرأ. كما أنَّ حالات الشفاء التي قيل عنها لم تقم جهة طبية موثوقة بتأكيدها.

سادسًا ــ إنَّ الزيت الذي يتصبَّب من بعض الأشخاص العديدين إن لم يكن نوعًا من الحيلة فلا يستبعد عقلاً أن يكون من فعل العوالم الخفية كالجن التي ترانا ولا نراها.

سابعًا ــ إنَّ الكثير من ذوي الحساسية المفرطة من المتدينين الذين آلمتهم ما آلت إليه أحوال الناس من تفلُّت وابتعاد عن الدِّين يحاولون بطريقة لا شعورية أو هستيرية أن يعيدوا الناس إلى جادة الصواب، فيلجأون إلى أعمال كهذه. كما تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ هنالك بعض الأطعمة والعقاقير تُباع في محلاَّت العطَّارين، إذا تناولها الإنسان فإنه يرشح من جسده عرق له رائحة البخور.

أما ما يقال عن رشح العطر والبخور والدم من الصور والتماثيل، فهذا كله خرافة، فمن أين تأتي الصور بهذا الدم أو يأتي التمثال بهذا البخور؟ وجل ما في الأمر أنَّ حالات الناس الوجدانية توحي إليهم بأنَّ هذه الصور والتماثيل ترشح منها هذه المواد، فإنهم لفرط انفعالهم الداخلي يؤنسنون هذه الجمادات ويجعلون لها مشاعر وأحاسيس كمشاعرهم وأحاسيسهم، ثم يتوهَّمون بعدها صدور الدم والبخور

أو العطر منها، اللَّـهُمَّ إلاَّ إذا كان وراء التمثال أو الصورة دجَّال أو محتال يضع عليها الزيت أو البخور أو الدم.

* * *

البيوت المسكونة

يكثر بين العامة الحديث عن البيوت المسكونة بالأرواح والأشباح والجن والشياطين. وهنالك مؤلفات أدبية لا تعد ولا تُحصى في كل اللغات وعند كل الشعوب تتناول هذه المواضيع بشيء من التشويق والإثارة والبراعة الفنيَّة. كما نجد فئة من الناس تتصدَّى لهذا المعتقد وتعتبره من نسج الخيال، وتضع تفسيرات وتبريرات لما يقع في هذه البيوت من أحداث مثيرة، فما حقيقة هذا الأمر؟

إنَّ من واجب المسلم إذا ما عرض عليه أمر مشكل، أن يرجع إلى القرآن والسنَّة النبوية العطرة وسيرة السلف الصالح، فإنه لا بدَّ وأن يجد حلاًّ لما أشكل عليه. ففي القرآن الكريم ذكر لمخلوقات ترانا ولا نراها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف].

وهذه المخلوقات تحتاج إلى مكان كي تعيش فيه، فما يمنعها من أن تسكن بيوت الإنس؟ وتتحرَّش بهم؟ أورد الشبلي على لسان أبي بكر بن عبيد في «مكايد الشيطان» ما يلي: «حدَّثنا القاسم بن هشام، حدَّثنا هشام بن عمَّار، حدَّثنا عبد العزيز بن الوليد بن أبي السائب القرشي عن أبيه، عن يزيد بن جابر قال: ما من أهل بيت من المسلمين إلاَّ وفي سقف بيتهم من الجن المسلمين إذا وضع غذاؤهم نزلوا فتغذوا معهم، وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم، يدفع الله بهم عنهم»[1].

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ٤١.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عزَّ وجلّ عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[١]. وعن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول عند دخوله لبيت الخلاء: «اللَّـهُمَّ إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[٢].

فهذه الأحاديث وأحاديث أخرى كثيرة تشير إلى إمكانية سكنى الجن في بيوت الإنس والتحرُّش بهم، وظهورهم على هيئة ثعابين وحيَّات ومخلوقات أخرى، والحديث الذي رويناه عن أبي السائب في باب «العلاقة بين الجن والإنس» يوضح إمكانية ظهور الجن في البيوت على شكل حيات، وكذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن الفتى الحديث العهد بالعرس في نفس الباب، يشير إلى تحرُّش الجن بالإنس وتأتِّي الأذى منهم. وقد يصل تحرُّش الجن بالإنس إلى حد أنَّ الجن يدسّ يده بحثًا عمَّا ينفعه، وقد يلحس بلسانه ما تبقَّى على بدن الإنسان وفمه من فضلات وريح الطعام. روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الشيطان جسَّاس لحَّاس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلاَّ نفسه»[٣].

لكن ليست كل الجن التي تسكن البيوت «العمار» من النوع المؤذي، فمنها ما يقال أنه يصلِّي مع أهل البيت! يذكر الشبلي عن ابن أبي الدنيا حديثًا يقول فيه: «حدَّثني محمد بن الحسن، حدَّثنا عبد الرحمن بن عمر الباهلي سمعت السري بن إسماعيل يذكر عن يزيد الرقاشي: أنَّ صفوان بن محرز المازني كان إذا قام إلى تهجُّده من الليل قام معه سكان داره من الجن فصلُّوا بصلاته واستمعوا لقرآنه»[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الترمذي والحاكم وضعَّفه السيوطي.

(٤) الشبلي، أحكام الجان، ص ٧٦.

كما أنَّ فيهم من يأمر بالمعروف ويقف بوجه السفيه، كما يحدث عند البشر تمامًا. ويؤيِّد ذلك ما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ [الجن]، أي أنَّ فيهم السفيه، كما أنَّ الآية التالية تشير إلى أنَّ فيهم الصالح: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن].

قال القرشي في «مكايد الشيطان»: «حدَّثني أبو سعيد المديني، حدَّثني إسماعيل بن أبـي أويس، حدَّثني محمد بن حسن، حدَّثني إبراهيم بن هارون بن موسى بن محمد بن إياس بن البكر الليثي، حدَّثني أبـي عن حسن بن حسن قال: دخلت على الربيع بنت مسعود بن عفراء أسألها عن بعض الشيء فقالت: بينما أنا في مجلس إذ انشق سقفي فهبط عليّ منه أسود مثل الجمل أو مثل الحمار لم أر مثل سواده وخِلقته وفظاعته، قالت: فدنا مني يريدني وتبعته صحيفة صغيرة ففتحها فقرأها فإذا فيها من رب عكب إلى عكب، أما بعد فلا سبيل لك إلى المرأة الصالحة بنت الصالحين قالت: فرجع من حيث جاء وأنا أنظر إليه. قال حسن بن حسن: فأرتني الكتاب وكان عندهم»[1].

نقول بعد أن أوردنا الأحاديث والقصص، أنَّ العمار من الجن يمكن أن يكون وراء ما يحدث في البيوت من أمور غريبة عجيبة، كسماع أصوات أو حركات أو تحريك الأثاث. ولكن ما يروى عن البيوت المسكونة، معظمه يحمل على أنها مسكونة بأرواح الأموات، وهذا ما لم نجد له بينة شرعية أو دليلاً عقليًا مقنعًا. إذ أن أرواح الأموات لا يمكن أن تأتي بأي عمل أو فعل، فهي في عالم يقال له: عالم «البرزخ». يقول الحي القيوم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

وهكذا إنَّ كل ما يقال ويكتب عن تشكل هذه الأرواح، وظهورها في أماكن الجريمة، وأنها تأتي لتنتقم أو لترشد أناسًا إلى حل مشكلة من مشاكل الحياة

---

(١) الشبلي، أحكام الجان، ص ١٠٣.

أو لتهديهم إلى شيء مخبأ، إنما هو محض توهُّم وتخيُّل، ونتيجة لتربية نفسية ودينية غير سليمة.

وفي حالات كثيرة، كان التوهُّم بوجود الأرواح والأشباح نتيجة لحالة مرضية لأحد أفراد سكان البيت أو نتيجة الخلافات بين أفراد البيت الواحد، أو بين المالك والمستأجر، أو بين الجار والجار. وفي حالات كثيرة جدًّا تلعب العوامل الطبيعية أو الجيولوجية دورًا رئيسًا في إيهام الناس أنَّ البيت مسكون. وهذه العوامل الطبيعية قد تتأتَّى من انهيارات في طبقات الصخور تحت البيت، أو جريان نهر جوفي يصدر خريرًا، أو تسرُّب غاز يصدر صفيرًا، أو قد تكون هندسة البيت سببًا في ما يتوهَّم أهله من ظهور الأشباح والأرواح، كذلك الأمر بالنسبة لانعكاسات الخيالات التي ترسمها الأعمدة، أو الصفير الناتج عن مرور الهواء، أو الريح من خلال بعض الفرجات أو النوافذ، كما أنَّ نوعية مادة البناء قد تسبب ارتجاجات نتيجة الريح أو مرور السيارات أو القطارات أو الطائرات أو حتى تقلُّب بعض النائمين في أسرَّتهم.

وفي بعض الحالات نرى أنَّ تشقُّق الجدران أو انسحاب قضبان الحديد عن الإسمنت، أو مرور أنابيب المياه أو المجاري أو أسلاك الكهرباء من تحت غرف النوم، يصدر أصواتًا تشبه أصوات الأنين أو الاستغاثة أو التحدُّث بصوت منخفض وما شابه ذلك.

يقول وحيد عبد السَّلام بالي في كتابه: «كثيرًا ما يشاع أنَّ المكان الفلاني أو البيت الفلاني مسكون بالجن، فهل هذا صحيح؟ في الحقيقة أنَّ في هذا الأمر حقًّا وباطلًا، أما جانب الحق فيه فهو أنَّ هذا جائز ممكن وواقع مشاهد وأخبرت به الشريعة الغرَّاء، وقد مرَّ بنا حديث الفتى الأنصاري الذي وجد جنًّا في بيته وقد تصوَّر بصورة حيَّة، والحديث بطوله في صحيح مسلم.

وقال عبد الله بن محمد القرشي: حدَّثنا الحسن بن جهور، حدَّثني ابن أبـي إلياس، حدَّثني أبو عباد بن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن طلحة، عن سعد بن أبـي وقاص قال: بينا أنا بناءٍ عن داري إذ جاءني رسول زوجتي فقال: أجب

فلانة، فاستنكرت ذلك، فدخلت فقلت: مه، فقالت: إنَّ هذه الحيَّة ـ وأشارت إليها ـ كنت أراها بالبادية إن خلوت ثم مكثت لا أراها حتى رأيتها الآن وهي هي أعرفها بعينها. قال: فخطب سعد خطبة حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنك قد آذيتني وإني أقسم لك بالله إن رأيتك بعد هذا لأقتلنك، فخرجت الحيَّة فانسابت من البيت ثم من باب الدار.

وحكى ابن عقيل في الفنون قال: كان عندنا بالظفر ـ يعني من بغداد ـ دار كلما سكنها ناس أصبحوا موتى، فجاء مرَّة رجل مقرىء ـ أي حافظ للقرآن ـ فاكتراها فارتقبنا فأصبح سالمًا، فتعجَّب الجيران وسألوه فقال: لما بت بها صلَّيت العشاء وقرأت شيئًا من القرآن وإذا شاب صعد من البئر فسلَّم علي فهبت فقال: لا بأس عليك علمني شيئًا من القرآن فسري عنه ـ أي ذهب خوفه ـ ثم قلت: هذه الدار كيف حديثها؟ قال: نحن جن مسلمون نقرأ ونصلِّي، وهذه الدار لا يكتريها إلاَّ الفسَّاق فيجتمعون على الخمر فنخنقهم، قلت: ففي الليل أخافك فتجيء نهارًا، قال: نعم، قال: وكان يصعد من البئر بالنهار وألفته.

أما جانب الباطل فهو أحيانًا ما يثير الناس هذه الإشاعات كذبًا وبهتانًا لأغراض شخصية ومصالح دنيوية، وسأسوق لك في ذلك قصة واقعية. قال الشيخ ياسين أحمد عيد: توفِّي رجل في بلدة من عهد غير بعيد وترك بيتًا جميلاً منفردًا عن البيوت، وكان ذلك البيت متَّسع الأرجاء كثير الغرف مزيَّنًا بالنقوش والزخرفة البديعة اللطيفة المنظر، وفي صحن الدار فسقية من المرمر لطيفة الصنع وعلى دائرها جملة تماثيل مختلفة الأشكال والألوان والمياه تتدفَّق من أفواهها. ولم يكن لذلك الرجل ولد يرثه فأصبح ذلك البيت من بعد وفاة صاحبه خاويًا من الناس خاليًا من الإنس، فاتفق أقاربه على بيعه وكان أملهم عظيمًا في أنه يساوي مبلغًا وفيرًا وما إن أعلنوا خبر بيعه حتى أُشيع أنه مسكون بالجن وداخله عفريت، وامتدَّت هذه الإشاعة حتى صارت حديث القوم في سمرهم وموضوع الكلام في سهرهم وإن خالف أحدهم هذا الاعتقاد وذهب إلى البيت ليلاً يعود وهو معتقد بأنَّ البيت فيه شياطين. فابتعد الناس

عن شرائه وخاف الورثة سوء العاقبة وخصوصًا بعد أن تقدَّم أحد الناس لشرائه ودفع فيه مبلغًا يساوي ربع ثمنه، وقبل أن يستلم الورثة هذا المبلغ حضر شاب شجاع سمع بخبر البيت وما يتقوَّله الناس عنه وكان من الذين لا يبالون بأمر الجن ولا يخافون من العفاريت فقصد الورثة وطلب منهم مبلغًا من المال وتكفَّل لهم بطرد الجن ومسك العفريت أو طرده فقبلوا منه ذلك وأعطوه نصف الأجر.

وعند المساء ذهب ذلك الشاب وأخذ معه مسدسًا يستعين به في وقت الحاجة، ولما وصل البيت استراح قليلاً، وبعد إطفاء الشمعة نام، وبعد قليل شعر بأنَّ يدًا تسحب اللحاف عنه، فمسك به بكل قوَّته وقال: من الذي يسحب اللحاف؟ قال: أنا عفريت ولازم آخذ اللحاف وإلاَّ لبست جسمك، فترك الشاب اللحاف ـ الغطاء ـ فوقع العفريت على قفاه، فقام الشاب وركب على صدر العفريت ووجَّه المسدَّس لرأسه وقال: أخبرني من أنت؟ فخاف منه خوفًا شديدًا وقال: اتركني وسوف أخبرك عن حقيقة حالي.

فقال الشاب: تكلَّم أيها العفريت، قال: ما أنا بعفريت ولا جان، بل أنا إنس مثلك لا أختلف عنك إلاَّ بسواد لوني وقبح منظري. فتركه وأوقد الشمعة لينظر من هو، فرآه عبدًا أسود عاريًا من الثياب. قال الشاب: أخبرني أيُّها العبد ما سبب وجودك هنا في هذا المكان؟ فقال: الضرورة هي التي أجبرتني لأنني رجل فقير الحال عديم الكسب وعندي أسرة كبيرة لا يعولها أحد سواي، فقصدتُ رجلاً لكي يدبر لي شغلاً أعيش منه، فأمرني أن أحضر كل ليلة لهذا البيت لأقيم فيه وأوصاني إذا شعرت بدنوِّ أحد من هذا المنزل أن أصفق على يدي وأضرب على صفيحة أعددتها لهذه الغاية، وإذا رأيته جسورًا ولم يعبأ بذلك أطلق الماء دفعة واحدة فتخرج من أفواه التماثيل، وأرتقي فوق الفسقية وأصرخ بأصوات مختلفة، ثم حرَّضني على كتم السر، فلما سمع الشاب هذا الكلام ساقه أمامه وسلَّمه للورثة وقصَّ عليهم حكايته، فظهر لهم أنَّ الرجل الذي استأجر هذا العبد هو المتقدِّم لشراء البيت بثمن بخس»[1].

---

(١) بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٤٠ ـ ٤٣.

كيفية طرد الجن من البيوت

يشير وحيد عبد السلام بالي إلى طريقة لا تتعارض مع ما جاء به الشرع الحنيف لإخراج الجن، إذا ما كانوا حقًّا موجودين في المنزل، يقول في ذلك:

«ولكن إذا تيقَّنت فعلاً أنَّ في البيت جنيًّا فتكون طريقة إخراجه كالآتي:

١ ـ تذهب أنت واثنان معك إلى البيت وتقول: «أناشدكم بالعهد الذي أخذه عليكم سليمان أن تخرجوا وترحلوا من بيتنا. أناشدكم الله أن تخرجوا ولا تؤذوا أحدًا»، تكرِّر هذا ثلاثة أيام.

٢ ـ إذا استشعرت بعد ذلك بشيء في البيت، تحضر ماء في إناء وتضع إصبعك فيه وتقرب فاك منه وتقول: «بسم الله. أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزَّة الله التي لا ترام ولا تضام، وسلطان الله المنيع نحتجب وبأسمائه الحسنى كلها، عائذ من الأبالسة ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل معلن أو مسرّ، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، وشر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إنَّ ربِّي على صراط مستقيم. أعوذ بما استعاذ به إبراهيم وموسى وعيسى ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده ومن شر ما يبغي.

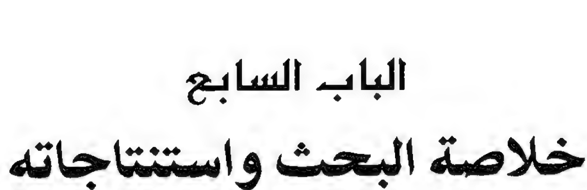
أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات]، ثم تتبع بهذا الماء جوانب الدار فتضع منه في كل جانب من جوانبها فيخرجون بإذن الله تعالى، فها هو

العلاج بين يديك وما عليك إلاَّ أن تخلص النِيَّة أثناء الدعاء وتستعين برب الأرض والسماء. وإيَّاك إيَّاك أن تترك هذا الهدي وتطلبِ ضلالات السحرة والكهان، ففيها الشقـاء والبـلاء، وأسـأل الله أن يجعلنـا بـه مستعينيـن وعليـه متـوكِّليـن وبسلطـانـه معتصمين»[1].

❑ ❑ ❑

(١) بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٤٣ ــ ٤٤.





الباب السابع

خلاصة البحث واستنتاجاته

الفصل الخامس والعشرون : تحليل نفسي اجتماعي لظاهرة السِّحر .

الفصل السادس والعشرون : قاموس الكلمات المستخدمة في عالم السِّحر .

الفصل الخامس والعشرون

تحليل نفسي اجتماعي لظاهرة السِّحر

إنَّ من أهم الأسباب القديمة جدًّا التي دعت الإنسان للالتجاء إلى السِّحر واستخدامه، هو عامل الخوف والرعب من الوحوش الضارية، والزواحف الكبيرة الهائلة المرعبة، والظواهر الطبيعية التي لم يتمكن من تفسيرها أو تعليلها في ذلك الوقت.

كما أن مخاوف الإنسان القديم لم تكن لتقتصر على ما ذكرنا سابقًا، بل تعدته إلى خوفه من أخيه الإنسان، لما في النفوس البشرية من مشاعر وأطماع ورغبات ونزعات متباينة تدعوه في كثير من الأحيان للصراع العلني، وفي أحيان أخرى إلى الصراع المستور. وهذا الصراع المستور تمثل في كثير من الأحيان باستخدام السِّحر الذي ساهم الشيطان في الكشف عنه للإنسان لإذكاء نار الفتن والأحقاد.

تقول الدكتورة سامية حسن الساعاتي: «وفي الحقيقة فإن الإنسان منذ أول عهده بالحياة كان يعيش في رعب دائم تارة من الوحوش الكاسرة، وطورًا من الزواحف الهائلة، وطورًا من الظواهر الطبيعية التي كانت تبعث الفزع في كيانه لجهله بأسبابها وعوامل تلافيها، مثل البرق والرعد التي كان الإنسان ينسبها إلى مخلوقات أخرى عاتية لا يراها ويجهل أمرها تمامًا.

ولم يقتصر خوف الإنسان على نفسه من هذه العوامل فقط، بل تعداها إلى أخيه وزميله الإنسان الذي يعيش معه أو بجواره، لما كان يجيش في الصدور من نزعات

ورغبات وعواطف وإحساسات متباينة متناقضة في قوتها وهيئتها لا يفقه من أمرها شيئًا ولكنه يراها تدفعه للإضرار بغيره، أو التعلق والتزلف له، أو اكتساب مودته. وسط هذه المخاوف، التي قد تصل إلى حد الرعب والفزع والهلع أحيانًا، عاش أهل الفرات ودجلة، وهم أول من استعمر الأرض، ومنهم السامريون الذين عاشوا قبل ظهور المسيح عليه السلام بخمسة آلاف عام، وكذلك الكلدانيون والكنعانيون والأشوريون وهم أول من استخدم السِّحر، ونقله عنهم أقباط مصر ثم يهودها، ثم انتقل إلى الهند وأوروبا وأفريقيا وأمريكا وعم العالم بأسره»[1].

والمتتبع لأمر السِّحر على مر العصور والدهور المختلفة التي مرَّت بها الأمم والمجتمعات، يجد أنه ما من أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب إلاَّ وقد تعاطى مع السِّحر، وتأثر به، كما ذكرنا في الباب الرابع من هذا البحث، حين تكلمنا عن أثر السِّحر في حياة الشعوب والقادة.

لقد بيَّنت هذه الدراسة أن أفراد المجتمع الإنساني قديمًا وحديثًا تعاطت مع السِّحر بطريقة من الطرق، إما مباشرة أو غير مباشرة، وبطريقة واعية أو غير واعية، وأن هنالك العديد من العوامل التي تزيد من دفع الناس للتعاطي مع السِّحر. من هذه العوامل:

أوَّلاً ــ العامل الأمني.

ثانيًا ــ العامل الاقتصادي.

ثالثًا ــ العامل الثقافي.

رابعًا ــ العامل الديني.

خامسًا ــ العامل النفسي.

أوَّلاً ــ العامل الأمني:

لقد لعب هذا العامل دورًا رئيسًا في التجاء الناس على كل مستوياتهم المادية

---

(١) الساعاتي، سامية حسن، السِّحر والمجتمع، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٣، ط ٢.

والاجتماعية والثقافية والدينية والمهنية إلى السِّحر هربًا من الخوف وطلبًا للأمن والأمان. والناحية الأمنية شملت الحروب التي شنَّتها الأمم على بعضها البعض، والنزاعات المحلية التي نشأت بين أفراد المجتمع الواحد. كذلك الخوف من الكوارث والظواهر الطبيعية التي تمثلت بالزلازل والإنزلاقات الأرضية، والحرائق الكبيرة، وثورات البراكين، والرعود والبروق والانجرافات الأرضية، إلى ما هنالك من مظاهر طبيعية. كما أن المجاعات التي حلت ببعض الشعوب على فترات من الزمن دفعت العديد منهم إلى طلب الأمن الغذائي عن طريق الالتجاء إلى السِّحر والسَّحرة طلبًا لنماء الزرع ولوفرة در الضرع، كما أن كل الشعوب القديمة والحديثة منها آمنت بوجود عوالم خفية تمثلت بالجن والشياطين فالتجأ الناس إلى السَّحرة طلبًا للأمان والاحتماء من شر هذه المخلوقات الخفية المخيفة.

ثانيًا ـــ العامل الاقتصادي:

ولقد لعب العامل الاقتصادي دورًا بارزًا في التجاء العديد من الناس أغنياء وفقراء إلى السِّحر. فالكساد الاقتصادي حرك نفوس معظم التجار لطلب العون من السِّحر أكثر من الرواج الاقتصادي، وذلك لأن مع الكساد الاقتصادي تزداد المخاوف من الجوع والفقر والعوز بينما مع الازدهار الاقتصادي يشعر التاجر بالأمان فإن التجأ إلى السِّحر في هذه الحالة فإنما يلجأ إليه من باب الترف والتسلية ليس إلاَّ.

ثالثًا ـــ العامل الثقافي:

يظهر لنا من خلال الدراسة أن العامل الثقافي قد ارتبط بطريقة عكسية مع التعاطي والاندفاع نحو السِّحر.

فكلما كان المجتمع أميًا وجاهلاً زاد إقبال الناس على السِّحر، وبالعكس فكلَّما زادت ثقافة الشعب قلَّ إقباله على السِّحر والسَّحرة.

وهذا يتفق مع ما وصلت إليه الدكتورة سامية حسن الساعاتي في بحثها «السِّحر والمجتمع».

جدول رقم (٢)

توزيع المترددين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم	عدد المتردِّدين	النسبة المئوية
أمي	٢١٤	٣٠,٤٠٪
يقرأ فقط	١٣	١,٧٥٪
يقرأ ويكتب	١٧٤	٢٤,٧١٪
ابتدائي	٥٥	٧,٨١٪
إعدادي	١٩	٢,٧٠٪
ثانوي	١٠٦	١٥,٠٦٪
عالي	١٢٣	١٧,٤٧٪
المجموع	٧٠٤	١٠٠,٠٠٠٪

تقول الدكتورة سامية حسن الساعاتي تعليقًا على الجدول السابق: «تدل البيانات الخاصة بالمستوى التعليمي للمترددين على المشتغلين بالسِّحر على أن حوالي ثلث المترددين من الأميين بنسبة ٣٠,٤٠٪، كما أن هناك نسبة كبيرة تصل إلى ٢٤,٧١٪ من المترددين يقرأون ويكتبون. ويستدعي النظر أن بقية المترددين ونسبتهم ٥٥,١١٪ موزعون على مراحل التعليم المختلفة بنسب متفاوتة، أعلاها من تخرجوا من المدارس ١٥,٠٦٪ ومن نالوا تعليمًا عاليًا بنسبة ١٧,٤٧٪.

ويمكن أن نربط بين معطيات هذا الجدول، ومعطيات الجدول رقم (٣) الخاص بدوافع التردد. فالأميون يذهبون لأسباب تتعلق معظمها بفك العمل، وفك الربط، والزواج، والمرض. أما المثقفون فيذهبون لأسباب تتعلق بالنجاح في

الدراسة، والنجاح في العمل، ومسائل الحب والزواج، والأمراض الميؤوس منها والتي أخفق الطب في علاجها. ويمكن تفسير ذلك بأن المتعلمين بوجه عام أكثر قلقًا وأكثر مجابهة للمشاكل، وأعقد حياة ومطلبًا من الأميين».

جدول رقم (٣)

توزيع المتردِّدين على المشتغلين بالسِّحر بحسب الدافع إلى التردد

الدافع إلى التردد	عدد أفراد العينة	النسبة المئوية
اليأس من الطرق العلمية والطبية	٦٨	٩,٦٦٪
اعتقاد ديني	٩٤	١٣,٣٥٪
مجرد تسلية	١٣١	١٨,٦١٪
حب استطلاع	٤١١	٥٨,٣٨٪
المجموع	٧٠٤	١٠٠٪»[١]

رابعًا ـــ العامل الديني:

كما تظهر هذه الدراسة أن الأديان السماوية كافة كانت في صراع مستمر عبر العصور المختلفة مع السِّحر والسحرة، وتعتبر السحر كفرًا والسَّاحر كافرًا ويجب قتله والتخلص من شره. وكان السِّحر دومًا بين مدّ وجزر بحسب تمكن الدين الصحيح من نفوس الناس. والظاهرة التي تلفت النظر من خلال هذه الدراسة هي أن العديد من المترددين يلجأون إلى السِّحر وذلك لجهلهم أن السِّحر من الكبائر.

---

(١) الساعاتي، سامية، السِّحر والمجتمع، ص ٢٣٨ ـــ ٢٣٩، وص ٢٤٨.

خامسًا ــ العامل النفسي:

لعل العامل النفسي هو الأهم من كل العوامل السابقة في تعاطي الناس مع السِّحر. إذ أن النفس الإنسانية هي المحرك الأول تجاه اتخاذ القرارات والتفاعل مع المجتمع ومع البيئة. فكل من تعاطى مع السِّحر كانت نتيجة لرغبات أو لنزوات فاسدة مصدرها النفس الخبيثة الشريرة، فهذا التجأ إلى السِّحر لتربح تجاربه، وذاك التجأ إلى السِّحر ليقهر جاره، وآخر ذهب إلى السَّاحر ليفرِّق بين اثنين متحابين، أو لمجرد التسلية أو ليأسه من الحياة.

ولقد أظهرت هذه الدارسة أن الإناث أكثر تأثرًا بالسحر من الرجال، وهذا ما وصل إليه كتاب «السِّحر والمجتمع» للدكتورة سامية حسن الساعاتي، وإن كان وصولها إلى هذه النتيجة عن طريق البحث الميداني المباشر، فإن وصولي إلى نفس النتيجة كان عن طريق تتبع الحوادث التاريخية المتعددة عبر العصور المختلفة.

تقول الدكتورة سامية حسن الساعاتي: «يكشف تحليل البيانات الخاصة بنوع المترددين عن أن حوالي ثلثيهم من الإناث وذلك بنسبة ٦١,٦٥٪، بينما يبلغ الذكور منهم نسبة تصل إلى ٣٨,٣٥٪ وذلك كما يتضح من الجدول رقم (١).

وجدير بالذكر أن السبب في أن الإناث أكثر ترددًا على المشتغلين بالسِّحر هو أن النساء أكثر استعدادًا للاستهواء، كما أنهن أكثر اعتقادًا في هؤلاء المشتغلين، كما أن عليهن ضغوطًا وأعباء كثيرة لذلك فهن أكثر مطالب من الذكور، فالمرأة تتردد على المشتغلين بالسِّحر لأكثر من سبب فهي إما باحثة عن الخلف بعامة، وعن علاج للعقم، أو عن خلف الصبيان بخاصة، وإما هدَّها المرض بسبب كثرة الحمل والولادة ولذلك فهي تبحث عن علاج لأمراضها وبخاصة النزف، وإما خائفة على زوجها من امرأة أخرى، وإما ناشدة حب الزوج وحنوه، وإما ساعية لنجاح أبنائها، أو لتزويجهم، وإما طالبة الخلاص من «الضرَّة» أو ذاهبة للكشف عن ابن مفقود، أو فك عمل.

ويلاحظ أن المرأة المصرية بعامة، وغير المتعلمة على وجه الخصوص لا تحسن أمانًا في زوجها ولا في حياتها بعامة، وأن هذا ما يلجئها إلى المشتغلين بالسحر.

أما الذكور فأغلبهم يترددون لفك الربط أو كشف الغيب، أو كشف المسروق ومعرفة السارق، أو لرواج التجارة أو للشفاء من المرض.

جدول رقم (٤)

توزيع المترددين حسب الجنس

النوع	عدد المترددين	النسبة المئوية
الذكور	٢٧٠	٣٨,٣٥٪
إناث	٤٣٤	٦١,٦٥٪
المجموع	٧٠٤	١٠٠٪»[١]

بعد أن بيَّنا العوامل الضاغطة والدافعة التي تساعد على تحول بعض الناس باتجاه السحر، نعود لنقرر بعض النتائج التي وصلنا بها إليها:

أولاً : إن السَّاحر إنسان خبيث لا يأتي منه إلَّا الضرر.

ثانيًا : إن الساحر لا يستطيع أن ينفع أحدًا بشيء أو يضره.

ثالثًا : إن السَّاحر لا يستطيع قلب الجواهر أو الأعيان.

رابعًا : إن السَّاحر كافر وأن عمله كفر.

(١) الساعاتي، سامية حسن، السِّحر والمجتمع، ص ٢٢٧ ــ ٢٢٩.

خامسًا : إن السِّحر حقيقي وموجود، لكن الكثير مما نعتقد بأنه سحر إنما هو عبارة عن حيل وأوهام وصور غير حقيقية يوحي بها السَّاحر فتؤثر في النفوس فتراها على غير حقيقتها.

سادسًا : إن الجن التي تستخدم أحيانًا في أعمال السِّحر لا تعلم الغيب.

سابعًا : إن السِّحر لا يؤثر إلاَّ في ضعاف النفوس والإيمان.

ثامنًا : إن أسلم وسيلة لتجنب أثر السِّحر هو التوكل على الله والابتعاد عن السَّحرة والمشعوذين.

تاسعًا : إن الحسد نوع من السِّحر.

عاشرًا : إن الكواكب والأفلاك أجسام لا روحانية لها.

حادي عشر : إن التمائم التي يعلقها البعض لا تجلب خيرًا ولا ترد شرًّا وحملها فيه نوع من الإشراك بالله سبحانه وتعالى خاصة إذا احتوت كلمات تفيد التوكل على ما سوى الله سبحانه وتعالى.

ثاني عشر : إن ظاهرة انتشار السِّحر والشعوذة في المجتمع اليوم ناتجة عن أمور عدة أهمها ضعف الإيمان في النفوس وعدم فقه جوهر الدين وتبني المجتمع لثقافات مادية صرفة مشوهة غير بناءة، كما أن التباغض والتحاسد بين أفراد المجتمع الواحد والتنافس على أمور الدنيا ساعد على انتشار ظاهرة السِّحر.

كما أن الأزمات الكثيرة المتعاقبة والمتلاحقة التي يتخبط بها المجتمع الحالي ساعدت كثيرًا على التعاطي مع السِّحر كأمر مسلَّم به. كما أن ظاهرة السِّحر المنتشرة في المجتمع اليوم جاءت كردة فعل عنيفة على الثقافة المادية الصرفة التي عجزت عن تبرير وتفسير الكثير من الأمور والظواهر التي يحس بها الناس.

❑ ❑ ❑

الفصل السادس والعشرون

قاموس الكلمات المستخدمة

[أ]

الاتصال المادي: كومبرلنديسم «Gumberlandism»، أو الشعور بواسطة الاتصال المـادي، يقـول أصحـاب هـذا الاصطـلاح بـأن الإنسـان يمكـن أن يقـرأ فكـر الآخرين، إذا كان على اتصال مادي بهم كتشابك الأيدي مثلاً.

إحداث الأصوات «Psychophonic»: يعتقد أصحاب هذا الاصطلاح بأن الأرواح يمكن أن تحدث أصواتًا.

إحداث الضربات «Typtology»: كلمة يونانية تعني ضربة «Tipo» ودراسة «Logos»، والضربات تحدث بشكل مفاجىء، عضوي، باطني، فتبدو كأنها صادرة من الجدران أو الأخشاب أو المعادن.

الإدراك غير الحسي عن بُعد «Clair voyance»: الاستشفاف أو الجلاء البصري، وهو تعبير ينصرف إلى ملكة رؤية ما لا يمكن للعين رؤيته بحاسة النظر العادية.

الأرواح: وهم الجن الذين يظهرون للصبيان.

الأرواح المرشدة: كما يدعي الوسطاء هي الأرواح التي تلعب دورًا هامًّا أثناء الاتصالات بالعالم الآخر، وهم في العادة فلاسفة صينيون أو هنود حمر أو شخصيات من الماضي.

الأزياج: هو نوع من فروع علم الهيئة. وبه يمكن معرفة أماكن الكواكب ومواقعها في أفلاكها، وذلك من خلال حساب حركاتها بواسطة قوانين علم الهيئة التي تم استخراجها.

استباق المعرفة «Precognition»: هي ظاهرة إنسانية، تعني معرفة ما سيحصل في المستقبل دون الاستعانة بالحواس.

الاستخارة: شرعًا عبارة عن صلاة ركعتين من غير الفريضة، ثم التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء: اللَّهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب، اللَّـهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري، فقدِّره لي ويسِّره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به. وقال: ويسمِّي حاجته. رواه البخاري من حديث جابر بن عبد الله عن النبـي محمد ﷺ.

الأسطورة: لغة، اشتقاقًا من سطر، أي ألف الأساطير أو الأحاديث.

الإشراق الضوئي «Photogenese; Emanation; Lumineuse»، هي عملية تحويل الطاقة النفسية إلى طاقة من نور.

الإطلال الفكري «Projection psychique Experience out of body»، أي معرفة ما سيحصل عن بُعد بفضل الإيحاء المسيطر عليه في أثناء التجربة كالتنويم المغناطيسي مثلاً.

الإكتوبلاسما «Ectoplasma»: يدَّعي أصحاب هذه الفكرة أن الطاقة النفسية يمكن أن تتجسد على شكل مادة تدعى الإكتوبلازم.

أوراق زينر: هي بطاقات تستخدم في تجارب التخاطر والاستبصار، وتحمل رموزًا على شكل دوائر ومربعات ومثلثات ونجوم... إلخ.

إيقاع ألفا: عبارة عن نبضة كهربائية تنتج عن المخ في حالة الاسترخاء العام وتسجَّل من قبل آلة تسمَّى «Electroencephalograph».

[ب]

البرزخ: بين الموت الذي تنتهي به الحياة الأولى، والبعث الذي تبتدىء به الحياة الثانية، فترة جاءت تسميتها في القرآن الكريم «البرزخ»، أي الفترة بين الحياة المادية الأولى والحياة المادية الثانية.

[ت]

التأثير بالآخرين «Zoométarquie»: هي نظرية أولئك الذين يعتقدون أنهم يستطيعون التأثير بالآخرين شرًّا أو خيرًا.

التأثير عن بُعد «Télérgie» ظاهرة باراسيكولوجية تشمل بشكل عام الكثير من القوى الفيزيائية المادية التي تصدر عن عقلنا الباطني عادة، وتقوم بتحريك الأشياء بشكل عفوي باطني، وإن كان من المحتمل أحيانًا استعمالها بشكل إرادي موجه.

التجسد «Materialization»: خرافة يدعي من يؤمن بها أن أرواح الأموات يمكن أن تظهر على شكل أشباح مادية.

التحريك الروحي «Psychokinesie»: أي تحريك الأشياء بواسطة قوى الروح.

التحول إلى حيوان مفترس «Lycanthropia»: هناك من يعتقد أن الإنسان يستطيع أن يتحول كليًا أو جزئيًا إلى حيوان مفترس كالذئب خاصة، أو أي حيوان آخر وبالعكس أيضًا، أي أن الحيوان يمكن أن يتحول إلى إنسان!

التحول الصوري «Transfiguration»: يقول أصحاب هذا الاعتقاد بأن وجه أو جسم الوسيط يمكن أن يتغير جزئيًا.

التحويطة: انظر التعويذة.

التخاطر الفكري «Telpathy»: الاتصال المباشر بين دماغين بواسطة الحاسة السادسة.

التصوير الفكري «Psychophoto»: عملية إحداث الصور على أفلام التصوير بواسطة التركيز الفكري.

التطبيب الروحي «Chirurgie Psychique; Psychohygiene»: اعتقاد بأن بعض الأشخاص لهم القدرة على شفاء الآخرين بطاقاتهم الروحية.

التعويذة: تعني في اللغة العربية الصيغة اللفظية، أو الرقمية، أو التركيبية، التي تجمع بين الحروف والأرقام والأشكال المرسومة، وتؤدي كتابتها أو تلاوتها إلى جلب خير أو شر أو إحداث تأثير سحري معين في شيء أو شخص.

والعرب يطلقون اسم الحجاب على التعويذة المكتوبة، والرقيا على التعويذة المنطوقة، وأما التحويطة فيطلقونها على التعويذة المركبة من عبارات مع أعشاب جافة أو مسحوقة، وقطع من الأحجار أو المعادن ذات الخواص السحرية.

التقمُّص: اعتقاد قديم، يقول بأن أرواح البشر تنتقل من جسد إلى آخر بعد موت أصحابها.

التنجيم: عمل يستدل فيه المنجم لحوادث المستقبل بمواقع وحركات الكواكب والنجوم.

التنبؤ بواسطة الرؤيا «Prémonition»: هي ظاهرة إنسانية، تشير إلى أن المرء يستطيع معرفة المستقبل من خلال الرؤى.

التنويم المغناطيسي «Hypnotism»: نوع من الغيبوبة يكون فيها الشخص مستعدًا لتقبل اقتراحات أو إيحاء المنوم والغاية منها تنشيط الحاسة السادسة.

توارد الأفكار: ظهور فكرة معينة في وقت واحد لدى شخصين أو أكثر.

[ج]

الجن: مخلوق خفي عاقل مكلَّف محاسب، قادر على التشكل، وتحدّه المادة في حالة التشكل.

[ح]

الحجاب: انظر التعويذة.

الحبل الهندي: حيلة يتقنها بعض الهنود يجعلون بواسطتها المُشاهد يتوهَّم أنهم يتسلقون حبلاً منتصبًا في الهواء.

الحن: هم كلاب الجن وسفلتهم.

[خ]

الخط في الرمل: هو أن يرسم الزاجر خطًا بإصبعه، وذلك أن يأتي إلى أرض رخوة ومعه غلام يحمل ميلاً، فيخط خطوطًا كثيرة على عجل لئلا يلحقها العدد، ثم يرجع فيمحو منها خطين خطين فإن بقي من الخطوط خطّان، فهذا علامة النجاح، وقضاء الحاجة، أما إذا بقي منها خط واحد فهي علامة الخيبة عندهم. وأثناء خط الخطوط يقول الغلام: «إبني عيان أسرعا البيان».

الخفة: «ألعاب الخفة»، عمل من أعمال السِّحر أساسه خداع البصر بسبب السرعة في الحركة ولفت انتباه المشاهد من أمر إلى أمر آخر.

[ر]

الرسم التلقائي «Pneumographie»: وهي كلمة تعني الرسم أو الخربشة... إلخ، على ألواح أو ورق أو جدران وتحصل بطريقة باطنية، يدعي فيها الذي يرسم أن روحًا تملي عليه ما يفعل.

الرصد: عمل سحري يقصد به الحفاظ على شيء معين.

الرقى: التعاويذ المنطوقة.

[ز]

الزجر: تستعمل هذه الكلمة لزجر الطير، أي أن يُرمى الطير بحصاة ويصرخ عليه من يرميه لكي يطير، ثم تراقب حركة طيرانه، فإذا كانت نحو اليمين، كان ذلك مصدر تفاؤل، أما إذا اتجه الطير نحو اليسار، فذلك ضرب من التشاؤم.

[س]

السِّحر: في اللغة كل ما لطف مأخذه ودق، وأصل السِّحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن السَّاحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وقيل: الشيء على غير حقيقته، وقيل: سحر الشيء عن وجهه أي صرفه.

السحر الأبيض: يقصد به السِّحر الذي ليس فيه أذى لأحد، بل يستخدم لفك المسحور وللترفيه والتسلية.

السِّحر الأسود: المراد به السِّحر الذي يستخدم لإيذاء البشر ويعتمد على استدعاء الشياطين، بتقديم قرابين بشرية وبالكفر وبالابتعاد عن الطهارة.

السعلاة: اسم لواحدة من نساء الجن، وهي أخبث أنواع سحرة الجن.

[ش]

الشياطين: مردة الجن وأشرارهم.

[ط]

طرق الحصى والحبوب: يستعملان للكشف عن المستقبل، وهم ضربان من ضروب التكهن، وطريقة ذلك أن يخط الرجل في الأرض بإصبعين ثم بأصبع واحد ويقول: «ابني عيان أسرعا البيان»، بينما زعم بعضهم أن الطرق هو أن يخلط الكاهن القطن بالصوف.

طريق التنين: اعتقاد صيني قديم يقول بأن سطح الأرض مغطى بخطوط مغناطيسية يطلقون عليها عبارة طريق التنين، وهي منتشرة كالشرايين في الجسد وتجتمع هذه الطرق في نقاط معينة مكونة عقدًا لها صفات وخصائص سحرية.

الطِّلَّسْم: كلمة يونانية الأصل، تستخدم للإشارة إلى كل ما هو مبهم وغامض، ومعناها في علوم السِّحر لا يختلف عن معنى كلمة تعويذة.

الطيرة: التشاؤم وقد اشتق اسمها من الطير، لأنهم كانوا يزجرون الطير ويراقبون حركاتها عند الطيران.

[ظ]

الظواهر النفسية المجاورة لعلم النفس «Parapsychology»: علم حديث يُعنى بالظواهر الغريبة، محاولاً تعليلها بتفسيرات مادية علمية.

[ع]

العرّاف: يطلق هذا اللقب على أنه مرادف الكاهن ولكنه أقل رتبة منه. فبينما يدعي الكاهن معرفة الغيب والإخبار عن الكائنات لمستقبل الزمان، بينما العرّاف فإنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها من كلام من يسأله. وقد أطلق بعضهم العرّاف على من يدعي الغيب مطلقًا ومن ضمنهم المنجم والحاوي.

العفريت: أقوى أنواع الجن.

العلامات المميزة: وهي عبارة عن جروح وقروح تظهر في أوقات معينة ومناسبات محددة تلقائيًا على أجساد بعض البشر من شدة الحساسية وفرط الإيمان ببعض المعتقدات.

علم النفس «Psychology»: علم يدرس خصائص وصفات وتصرفات النفس عند المخلوقات الحيوانية وخاصة النفس الإنسانية.

علم الهيئة: ينظر هذا العلم في حركات الكواكب الثابتة والمتحيرة والمتحركة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك.

عُمّار: نوع من الجن يشاركون الإنسان في المسكن.

[غ]

غول: اسم لكل شيء من الجن يعرض للمسافرين ويتلوَّن في ضروب الصور والثياب، ذكرًا كان أم أنثى، إلاَّ أن الأكثر أنه أنثى، وهناك من يقول بأنه جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم.

[ف]

الفراسة: علم يستدل بالأحوال الظاهرة على الأمور الكامنة.

الفلكي: إنسان مختص بمراقبة الكواكب والنجوم ورصد حركاتها، ويستخدم هذا التعبير أحيانًا ليدل على من يتنبأ بالمستقبل بواسطة النجوم.

[ق]

قفص فارادي: عبارة عن مكعب جدرانه من نسيج خيوط النحاس المشحونة بالتيار الكهربائي، وهذا القفص معد لمنع دخول أي إشارات مادية إلى داخله.

[ك]

الكتابة التلقائية: عبارة عن طريقة في الكتابة، يدعي فيها الوسيط أن روحًا تملي عليه ما يكتب.

الكتابة الجلدية «Dermographisme»: عبارة عن ظهور بعض الصور والأشكال على الجلد نتيجة لحالة انفعالية معينة.

[ل]

لوحة العوجا: أداة بسيطة يستخدمها مدعي إحضار الأرواح لتلقي الرسائل من عالم الأموات.

[م]

المأخوذات الروحية «Psychic Export»: عبارة عن أخذ الأجسام من مكان وجودها إلى مكان آخر بطريقة سحرية.

المجلوبات الروحية «Psyehic Apport»: عبارة عن جلب وإحضار بعض الأجسام من الخارج إلى غرفة الجلسات بطريقة سحرية.

المذهب: اسم لواحد من الجن الذي يقول الشعر ويساعد الناس أحيانًا، وهو يفعل ذلك إعجابًا بنفسه.

المستقبل: تطلق هذه اللفظة على الشخص الذي يتلقى فكريًا إشارة المرسل.

المرسل: تطلق هذه اللفظة على الشخص الذي يبعث برسالة عن طريق التراسل الفكري.

المس الروحي: أذى يصيب الإنسان نتيجة تعرض الجن له فينتج عنه عادة الصرع غير العضوي أو غير المادي.

مناجاة الأرواح «Spiritisme»: هو مذهب أولئك الذين يعتقدون بأن أرواح الموتى تستطيع الظهور للأحياء ومخاطبتهم والتعاطي معهم.

المندل: عمل يعتمد على التحديق في قدح ماء يحوي بعض الماء ونقطة زيت، ويدعي من ينظر في القدح أنه يرى الجن ويتكلم معهم.

[ن]

النجمة الخماسية: رمز للإنسان في علوم السِّحر.

النجمة السداسية: أو نجمة سليمان عليه السلام ترمز إلى الكون في العلوم السحرية.

النشرة: ما يرقى ويترك تحت السماء ويغسل به المريض.

[و]

الوسيط: إنسان عنده إحساس مرهف يستخدم في الجلسات الروحية أو في التنويم المغناطيسي وما شابه ذلك.





الفهارس

[١] فهرس مواضيع آيات القرآن الكريم

❑ ❑ ❑

[٢] فهرس مواضيع الأحاديث

❑ ❑ ❑

[٣] فهرس الأعلام

❑ ❑ ❑

[٤] فهرس الصور واللوحات

رقم اللوحة/ موضوع الصورة أو اللوحة	الصفحة

❑❑❑

[٥] فهرس الجداول

رقم الجدول		الصفحة

❑ ❑ ❑

[٦] فهرس المصادر والمراجع

(أ) القرآن الكريم.

(ب) المقابلات الشخصية:

١ ــ برهومي، خليل. موضوع المقابلة: استفسار عن الأشياء و «الخوارق» التي شاهدها من الدكتور داهش. جرت المقابلة في منزله بمنطقة الظريف في بيروت، على اعتبار أنه صحافي ومتتبع لأخبار داهش، بتاريخ ١٠ آذار سنة ١٩٨٩م.

٢ ــ خوري، روجه. موضوع المقابلة: استفسار عن بعض حيل الدجالين، ومحاولة معرفة بعض جوانب شخصية داهش، كون الدكتور روجه خوري كان على صلة قريبة من داهش؛ إذ كان كل واحد منهما يتردد على بيت الآخر. جرت المقابلة في بيت الدكتور روجه خوري في منطقة مار إلياس، بتاريخ ٥ كانون الثاني، ١٩٨٩م.

٣ ــ العربي، سهيل. موضوع المقابلة: الاستفسار عن محاولة استدراج والده المرحوم ــ العلامة العربي العزوزي ــ، من قبل الدكتور داهش، وضمه لبطانته ومريديه. جرت المقابلة في بيت الأستاذ سهيل العربي، في رأس النبع، بتاريخ ١٠ تشرين الثاني، ١٩٨٩م.

٤ ــ العلايلي، العلامة الشيخ عبد الله. موضوع المقابلة: محاولة معرفة بعض «الخوارق» التي شاهدها من الدكتور داهش، كونه كان صديقًا شخصيًا له. جرت المقابلة في بيته، بمنطقة البطريركية في بيروت، بحضور الصحافي خليل برهومي، بتاريخ ١٢ تشرين الثاني، ١٩٨٨م.

(ج) الكتب العربية:

١ ـ الإبشيهي، شهاب الدين: المستطرف، بيروت، دار الندوة الجديدة، بدون تاريخ.

٢ ـ ابن باجه، أبو بكر: رسائل ابن باجه الإلهية، تحقيق ماجد فخري، بيروت، دار النهار، ١٩٦٨م.

٣ ـ بدون إسم مؤلف، الحاسة السادسة، بيروت، مكدونلد الشرق الأوسط، بدون تاريخ.

٤ ـ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: فتاوى ابن تيمية، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٥ ـ ابن تيمية: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٦٤م.

٧ ـ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ.

٨ ـ ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ط ٣.

٩ ـ ابن خلكان، أحمد: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م.

١٠ ـ ابن رشد، أبو الوليد: تلخيص كتاب الحاس والمحسوس من كتاب أرسطو في النفس، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤م.

١١ ـ ابن رشد، أبو الوليد: رسائل ابن رشد، حيدرآباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٧م.

١٢ ـ ابن سينا، أبو علي، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، القاهرة، المطبعة الهندية بالموسكي، ١٩٠٨م.

١٣ ــ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م.

١٤ ــ ابن قيِّم الجوزية، محمد بن أبـي بكر: الطب النبوي، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت، دار إحياء التراث العربـي، بدون تاريخ.

١٥ ــ ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

١٦ ــ ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٧٥هـ.

١٧ ــ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبـي داود، تحقيق محمد محيـي الدين الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٠، ط ٢.

١٨ ــ إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، تحقيق بطرس البستاني، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

١٩ ــ أدهم، إبراهيم: الأسرار الخفية والأنوار البهية للزيتون في القرآن والسنة، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٨٨م.

٢٠ ــ الأزرق، إبراهيم: تسهيل المنافع في الطب والحكمة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢١ ــ إسماعيل، سعيد: الإنسان والشيطان والسحر، القاهرة، مطابع الأخبار، ١٩٨٤، ط ١.

٢٢ ــ أشقر، عمر سليمان: عالم الجن والشياطين، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٢٣ ــ بالي، وحيد عبد السلام: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، القاهرة، دار البشير، بدون تاريخ.

٢٤ ــ البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، القاهرة، مصطفى البابـي الحلبـي، ١٩٣٣م.

٢٥ ــ براكس، غازي: معجزات الدكتور داهش ووحدة الأديان، بيروت، دار النسر المحلق، ١٩٧٠م.

٢٦ ـ براون، فون: نبؤات نوسترادراموس، ترجمة أسامة الحاج، بيروت، دار التوجه اللبناني، بدون تاريخ.

٢٧ ـ البستاني، بطرس: محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٩م.

٢٨ ـ البوني، أحمد بن علي: شمس المعارف الكبرى، بيروت، المكتبة الثقافية، بدون تاريخ.

٢٩ ـ الترمذي، أبو عيسى بن محمد: سنن الترمذي، دمشق، مكتبة دار الدعوة، ١٩٦٥م.

٣٠ ـ الجاحظ، أبو عثمان: البيان والتبيين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٣٢، ط ٢.

٣١ ـ الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩، ط ٣.

٣٢ ـ الجمل، إبراهيم محمد: السحر دراسة في ظلال القصص القرآني والسيرة النبوية، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٢م.

٣٣ ـ الجوبري، عبد الرحمن بن عمر الدمشقي: المختار في كشف الأسرار، بدون بلد النشر، بدون دار نشر، بدون تاريخ (موجود بمكتبة الشيخ أحمد العجوز في بيروت).

٣٤ ـ جيته، جون ولفكن، فاوست: ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت، وزارة الإعلام الكويتية، ١٩٨٩م.

٣٥ ـ حبنكة، عبد الرحمن: العقيدة الإسلامية، بيروت/ دمشق، دار القلم، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ط ٢.

٣٦ ـ حسين، محمد محمد: الروحية الحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ط ٤.

٣٧ ـ حسين، طه: شجرة البؤس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧، ط ١٢.

٣٨ ـ حموي ياقوت، شهاب الدين: معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٣٩ ـ الخازن، علي بن محمد: التفسير بمعالم التنزيل، القاهرة، المكتبة التجارية، بدون تاريخ.

٤٠ ـ خليفة، محمد عبد الظاهر: الحياة البرزخية، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨٣، ط ٢.

٤١ ـ خوري، روجه: الباراسيكولوجيا في خدمة العلم، بيروت، روجه خوري، ١٩٨٠م.

٤٢ ـ الدميري، كمال الدين: حياة الحيوان الكبرى، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.

٤٣ ـ زاده، طاش كبري: مفتاح السعادة، حيدرآباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.

٤٤ ـ الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠، ط ٥.

٤٥ ـ زهار، يمنى: عالم غير منظور خارج القواعد العلمية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ط ١.

٤٦ ـ الزين، إبراهيم: العلوم والكائنات الخفية عند فلاسفة الإسلام، رسالة ماجستير، بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٨٣م.

٤٧ ـ الساعاتي، حسن: تصميم البحوث الاجتماعية نسق منهجي جديد، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ط ١.

٤٨ ـ الساعاتي، سامية حسن: السحر والمجتمع، دار النهضة العربية، ١٩٨٣، ط ٢.

٤٩ ـ ستراوس، كلود ليفي، الفكر البري، ترجمة نظير الجاهل، بيروت، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ط ١.

٥٠ ـ السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ط ٤.

٥١ ـ السيوطي: لقط المرجان في أحكام الجان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ط ١.

٥٢ ـ الشبلي، بدر الدين: آكام المرجان في أحكام الجان، بيروت، دار ابن زيدون، بدون تاريخ.

٥٣ ــ الشريف، عدنان: من علم النفس القرآني، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧، ط ١.

٥٤ ــ شعراوي، محمد متولي: الفتاوى، بيروت، دار الندوة الجديدة، بدون تاريخ.

٥٥ ــ شعراوي: الفتاوى، القاهرة، مكتبة القرآن، بدون تاريخ.

٥٦ ــ الشنتناوي، أحمد: فنون السحر، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٧م.

٥٧ ــ الصابوني، محمد علي: تفسير آيات الأحكام، دمشق، مكتبة الغزالي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ط ٢.

٥٨ ــ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٥٩ ــ الطوخي، عبد الفتاح السيد: تسخير الشياطين في وصال العاشقين، بيروت، المكتبة الشعبية، بدون تاريخ.

٦٠ ــ الطوخي: السحر الأحمر، بيروت، المكتبة الشعبية، بدون تاريخ.

٦١ ــ الظاهري، علي بن أحمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ط ٢.

٦٢ ــ عبد الباقي، محمود فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٦٣ ــ عبيد، عبد الرؤوف: مطول الإنسان روح لا جسد، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ١٩٦٨م، ط ٣.

٦٤ ــ علايلي، عبد الله: كيف عرفت الدكتور داهش، بيروت، دار النسر المحلق، ١٩٧٩م.

٦٥ ــ عنايت، راجي: عجائب العقل البشري، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٧٠م، ط ٢.

٦٦ ــ الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.

٦٧ ــ الغزالي: معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م.

٦٨ ــ فئة من المتخصصين، كشف الألعاب السحرية وحيل الدجالين، بيروت/ دمشق، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ط ١.

٦٩ ــ الفارابي، أبو نصر: إحصاء العلوم، تصحيح وتعليق عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٣١م.

٧٠ ــ الفارابي: رسائل الفارابي، حيدرآباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٤ ــ ١٣٦٧هـ.

٧١ ــ الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين: تفسير القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.

٧٢ ــ فخري، ماجد: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة كمال اليازجي، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩م.

٧٣ ــ الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، القاهرة، المكتبة الحسينية المصرية، ١٣٤٢هـ، ط ٢.

٧٤ ــ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٣م.

٧٥ ــ القزويني، زكريا بن محمد: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بهامش الدميري، حياة الحيوان الكبرى، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.

٧٦ ــ قطب، سيد: في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ط ٥.

٧٧ ــ القنوجي، أبو الطيب: الروضة الندية شرح الدرر البهية، بيروت، دار الندوة الجديدة، بدون تاريخ.

٧٨ ــ الكتاب المقدس، بيروت، جمعيات الكتاب المقدس، ١٩٥٠م.

٧٩ ـ الكندي، يعقوب بن إسحاق: رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٠م.

٨٠ ـ المنذري، أبو الحسين: مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ط ٣.

٨١ ـ منصور، أنيس، أرواح وأشباح، بيروت/ القاهرة، دار الشروق، بدون تاريخ، ط ٢.

٨٢ ـ موسى، محمد العزب: حقائق وغرائب، بيروت/ القاهرة، دار ابن زيدون ومكتبة مدبولي، بدون تاريخ.

٨٣ ـ النسائي، أحمد بن شعيب: سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، بدون تاريخ.

٨٤ ـ النووي، أبو زكريا: رياض الصالحين، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ط ٢.

٨٥ ـ الهلاوي، محمد: فتاوى وأقضية عمر، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٤٠٥هـ.

٨٦ ـ يكن، فتحي: حكم الإسلام في السحر ومشتقاته، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ط ١.

(د) الدوريات:

١ ـ **مجلة أكتوبر**: منصور، أنيس، **القوى الخفية التي في أعماقك وأنت لا تدري**، سلسلة رقم ٧ ـ ٩، ١٩٧٤، القاهرة.

٢ ـ **مجلة البلاغ**: ابن باز، الشيخ عبد العزيز، **توضيح**، ٩٠٧، سبتمبر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، الكويت.

٣ ـ **مجلة العربي**: المخزنجي، محمد، رحلة استكشافية، كانون الثاني، ١٩٨٨، الكويت.

(د) المصادر الأجنبية :

1 — **Encyclopidia Britanica,** U.S.A, 1970.

2 — **Encyclopidia of World Art, Italy,** 1972.

3 — Garrett, Hardin, **Biology its Principles and Implications,** U.S.A, Freeman and Company, 1961.

4 — G, Azar and S, Khoury **Chemistry,** Beyrouth, Librairie Habib, 1074.

5 — Langdon, H, **the Mythology of the World,** Norwood mass, plimpton press, 1931.

6 — Malinoski, B. K, **Magic Science and Religion,** Illinois, Gleneoe press, 1948.

7 — Seinko, M. and Plane, R, **Chemistry,** Tokyo Mc grow Hill Book Company, 1957.

8 — Tohme, G and El-Hage, T. **Natural Science,** Lebanon, Librairie du Liban, 1982.

9 — Webster's Collegiate Dictionary.



[٧] فهرس مواضيع الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب السادس

السحر والخوارق

الباب السابع

خلاصة البحث واستنتاجاته

الفهارس:

❑ ❑ ❑